تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين

أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الرابع

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]
وصححها نخبة من العلماء

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تفسير سورة الصافات وهي مكية ﴾

قال النسائي أخبرنا إسماعيل بن مسعود حدثنا خالد ـ يعني ابن الحارث ـ عن ابن أبي ذئب قال أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات ، تفرد به النسائي

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾

قال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال (والصافات صفا) وهي الملائكة (فالزاجرات زجراً) هي الملائكة (فالتاليات ذكرا) هي الملائكة ، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة : الملائكة صفوف في السماء . وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس بثلاث . جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعل لنا ترابها طهورا إذا لم نجد الماء » وقد روى مسلم أيضا وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟» قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم « يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف » وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى (فالزاجرات زجراً) أنها تزجر السحاب ، وقال الربيع بن أنس (فالزاجرات زجرا) ما زجر الله تعالى عنه في القرآن ، وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم (فالتاليات ذكرا) قال السدي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى (فالملقيات ذكرا * عذرا أو نذرا) . وقوله عز وجل (إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض) هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض (وما بينهما) أي من المخلوقات (ورب المشارق) أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب . واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليه وقد صرح بذلك في قوله عز وجل (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون) وقال تعالى في الآية الأخرى (رب المشرقين ورب المغربين) يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب ، قرئ بالإضافة وبالبدل وكلاهما

بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوؤهاجرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين * وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقال عز وجل (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) فقوله جل وعلا ههنا (وحفظاً) تقديره وحفظناها حفظاً (من كل شيطان مارد) يعنى المتمرد العاتى إذا أراد ن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) أى لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك فى الأحاديث التى أوردناها عند قوله تبارك وتعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) ولهذا قال تعالى (ويقذفون) أى يرمون (من كل جانب) أى من كل جهة يقصدون السماء منها (دحورا) أى رجما يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول إلى ذلك ويرجمون (ولهم عذاب واصب) أى فى الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر كما قال جلت عظمته (وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقوله تبارك وتعالى (إلا من خطف الخطفة) أى إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهى الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذى تحته ويلقيها الآخر إلى الذى تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم فى الحديث ولهذا قال (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) أى مستنير . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان للشياطين مقاعد فى السماء قال فكانوا يستمعون الوحى قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى قال فاذا سمعوا الوحى نزلوا إلى الأرض فزادوا فى الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله فقال ما هو إلا من أمر حدث قال فبعث جنوده فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بين جبلى نخلة قال وكيع يعنى بطن نخلة قال فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال هذا الذى حدث ، وستأتى إن شاء الله تعالى الأحاديث الواردة مع الآثار فى هذا المعنى عند قوله تعالى إخبارا عن الجن أنهم قالوا (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا * وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾

يقول تعالى : فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقا هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ؟ وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أم من عددنا فانهم يقرون أن هذه المخلوقات أشد خلقا منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم بين أنهم خلقوا من شىء ضعيف فقال (إنا خلقناهم من طين لازب) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك : هو الجيد الذى يلتزق بعضه ببعض ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة هو اللازج الجيد ، وقال قتادة هو الذى يلزق باليد ، وقوله عز وجل (بل عجبت ويسخرون) أى بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك

قال قتادة: عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بنى آدم (وإذا رأوا آية) أى دلالة واضحة على ذلك (يستسخرون) قال مجاهد وقتادة يستهزئون (وقالوا إن هـذا إلا سحر مبين) أى إن هذا الذى جئت به إلا سحر مبين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون) يستبعدون ذلك ويكذبون به (قل نعم وأنتم داخرون) أى قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون أى حقيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك تعالى (وكل أتوه داخرين) وقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين). ثم قال جلت عظمته (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) أى فانما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض فإذاهم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم .

﴿ وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيمة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم فى الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) فتقول لهم الملائكة والمؤمنون (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين فى الموقف فى محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال النعمان بن بشير رضى الله عنه يعنى بأزواجهم أشباههم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدى وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم ، وقال سفيان الثورى عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال إخوانهم . وقال شريك عن سماك عن النعمان قال : سمعت عمر يقول (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال أشباههم . قال يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا ، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر ، وقال خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أى من الأصنام والأنداد تحشر معهم فى أماكنهم . وقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى أرشدوهم إلى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) وقوله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون) أى قفوهم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التى صدرت عنهم فى الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعنى احبسوهم إنهم محاسبون . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا النفيلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفا معه إلى يوم يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه وإن دعا رجل رجلا» ثم قرأ (وقفوهم إنهم مسؤولون) ورواه الترمذى من حديث ليث بن أبى سليم ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضى الله عنه مرفوعا . وقال عبد الله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول إن أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ (ما لكم لا تناصرون ؟) أى كما زعمتم أنكم جميع منتصر (بل هم اليوم مستسلمون) أى منقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ * فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون فى عرصات القيامة كما يتخاصمون فى دركات النار (فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) وهكذا قالوا لهم ههنا (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء ، وقال مجاهد يعنى عن الحق والكفار تقوله للشياطين . وقال قتادة قالت الإنس للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه ، وقال السدى تأتوننا من قبل الحق وتزينوا لنا الباطل وتصدونا عن الحق وقال الحسن فى قوله تعالى (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى والله يأتيه عند كل خير يريده فيصده عنه ، وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذى أمرنا به ، وقال يزيد الرشك(١) من قبل لا إله إلا الله وقال خصيف يعنون من قبل ميامنهم ، وقال عكرمة (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال من حيث نأمنكم .

وقوله تعالى (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) تقول القادة من الجن والإنس للاتباع ما الأمر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابلة للكفر والعصيان (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى من حجة على صحة ما دعوناكم إليه (بل كنتم قوما طاغين) أى بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذى جاءتكم به الأنبياء وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به فخالفتموهم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين) يقول الكبراء للمستضعفين حقت علينا كلمة الله إنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة (فأغويناكم) أى دعوناكم إلى الضلالة (إنا كنا غاوين) أى فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا ، قال الله تبارك وتعالى (فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون) أى الجميع فى النار كل بحسبه (إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا) أى فى الدار الدنيا (إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أى يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون قال ابن أبى حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا الليث عن ابن مسافر يعنى عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله تعالى فى كتابه وذكر قوما استكبروا فقال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) . وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا أبى حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريرى عن أبى العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون

---

(٢) بكسر الراء وسكون الشين ابن أبى يزيد الضبعى

ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال . قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير . قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم ، فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له . قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجى الله المؤمنين (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) أى أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم (بل جاء بالحق) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق فى جميع شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب (وصدق المرسلين) أى صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن الله تعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) الآية

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذائقو العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال عز وجل (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) ولهذا قال جل وعلا ههنا (إلا عباد الله المخلصين) أى ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون فى الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف . وقوله جل وعلا (أولئك لهم رزق معلوم) قال قتادة والسدى يعنى الجنة ثم فسره بقوله تعالى (فواكه) أى متنوعة (وهم مكرمون) أى يخدمون ويرفهون وينعمون (فى جنات النعيم * على سرر متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض . وقال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزوينى حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشى عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبى أوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية (على سرر متقابلين) ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب . وقوله تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) كما قال عز وجل فى الآية الأخرى (يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون) نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التى فى خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى هاهنا (يطاف عليهم بكأس من معين) أى بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم : خمر جارية بيضاء أى لونها مشرق حسن بهى لا كخمر الدنيا فى منظرها البشع الردىء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم . وقوله عز وجل (لذة للشاربين) أى طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا فى جميع ذلك وقوله تعالى (لا فيها غول) يعنى لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها ، وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروى هكذا عن

ابن عباس رضى الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدى لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر :

فما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى ، والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن ، وقوله تعالى (ولاهم عنها ينزفون) قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى والسدى وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس فى الخمر أربع خصال السكر والصداع والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال كما ذكر فى سورة الصافات وقوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدى وغيرهم . وقوله تبارك وتعالى (عين) أى حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهى النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا فى يوسف عليه الصلاة والسلام حين جملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمنه وأكبرنه وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت (فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى هو مع هذا الجمال عفيف تقى نقى وهكذا الحور العين (خيرات حسان) ولهذا قال عز وجل (وعندهم قاصرات الطرف عين) وقوله جل جلاله (كأنهن بيض مكنون) وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (كأنهن بيض مكنون) يقول اللؤلؤ المكنون وينشد ههنا بيت أبى دهبل الشاعر وهو قوله فى قصيدة له

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغو * اص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن (كأنهن بيض مكنون) يعنى محصون لم تمسه الأيدى ، وقال السدى : البيض فى عشه مكنون وقال سعيد بن جبير (كأنهن بيض مكنون) يعنى بطن البيض وقال عطاء الخراسانى هو السحاء الذى يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة ، وقال السدى (كأنهن بيض مكنون) يقول بياض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتنالها الأيدى بخلاف داخلها والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال « العين الضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال « رقتهن كرقة الجلدة التى رأسها فى داخل البيضة التى تلى القشر وهى الغرقىء » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو غسان النهدى حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا حزنوا ، وأنا شفيعهم إذا حبسوا لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر ، يطوف على ألف خادم كأنهن البيض المكنون — أو اللؤلؤ المكنون — » ، والله تعالى أعلم بالصواب .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أى عن أحوالهم وكيف كانوا فى الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم فى تنادمهم ومعاشرتهم فى مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم

بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قال قائل منهم إنى كان لى قرين) قال مجاهد يعنى شيطانا . وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان فى الدنيا ، ولاتنافى بين كلام مجاهد وابن عباس رضى الله عنهما فان الشيطان يكون من الجن فيوسوس فى النفس ويكون من الإنس فيقول كلاما تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) ولهذا (قال قائل منهم إنى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين) أى أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعنى يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال مجاهد والسدى لمحاسبون ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد بن كعب القرظى لمجزيون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى (قال هل أنتم مطلعون) أى مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وخليد العصرى وقتادة والسدى وعطاء الخراسانى يعنى فى وسط الجحيم ، وقال الحسن البصرى فى وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد ، وقال قتادة ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلى ، وذكر لنا أن كعب الأحبار قال فى الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه فى النار اطلع فيها فازداد شكرا (قال تالله إن كدت لتردين) يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله إن كدت لتهلكنى لو أطعتك (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) أى ولولا فضل الله على لكنت مثلك فى سواء الجحيم حيث أنت محضر معك فى العذاب ولكنه تفضل على ورحمنى فهدانى للايمان وأرشدنى إلى توحيده (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) . وقوله تعالى (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) هذا من كلام المؤمن مغتبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد فى الجنة والإقامة فى دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل (إن هذا لهو الفوز العظيم) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبدالله الطهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما قوله عز وجل (هنيئاً) أى لايموتون فيها فعندها قالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) وقال الحسن البصرى : علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) قيل لا (قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم) وقوله جل جلاله (لمثل هذا فليعمل العاملون) قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة ، وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون فى الدنيا ليصيروا إليه فى الآخرة وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين فى بنى إسرائيل تدخل فى ضمن عموم هذه الآية الكريمة ، قال أبو جعفر بن جرير حدثنى إسحاق بن إبراهيم ابن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة النهرانى فى قوله (إنى كان لى قرين) قال إن رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة ، فقال الذى له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أرانى إلا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار ؟ قال ما أحسنها ، فلما خرج قال اللهم إن صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإنى أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ، ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال إنى تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب إن صاحبى تزوج امرأة بألف دينار وإنى أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ، ثم إنه مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفى دينار ثم دعاه فأراه فقال إنى ابتعت هذين البستانين بألفى دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب إن صاحبى قد اشترى بستانين بألفى دينار وأنا أسألك بستانين فى الجنة فتصدق بألفى دينار ، ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق

بهذا المتصدق فأدخله داراً تعجبه وإذا بامرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيئاً الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة ، قال فانه كان لى صاحب يقول أئنك لمن المصدقين قيل له فانه فى الجحيم قال هل أنتم مطلعون ؟ فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فقال عند ذلك (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) الآيات قال ابن جرير وهذا يقوى قراءة من قرأ (أئنك لمن المصدّقين) بالتشديد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الأبار أخبرنا أبو حفص قال سألت إسماعيل السدى عن هذه الآية (قال قائل منهم إنى كان لى قرين * يقول أئنك لمن المصدقين) قال فقال لى ما ذكرك هذا قلت قرأته آنفا فأحببت أن أسألك عنه فقال : أما فاحفظ ، كان شريكان فى بنى اسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على سته آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت فى مالك ؟ أضربت به شيئا اتجرت به فى شيء ؟ فقال له المؤمن لا فما صنعت أنت ؟ فقال اشتريت به ارضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار — قال — فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم ، قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال : اللهم إن فلانا — يعنى شريكه الكافر — اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار ثم يموت غدا ويتركها ، اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا فى الجنة — قال : ثم أصبح فقسمها فى المساكين — قال — ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت فى مالك أضربت به فى شيء ؟ أتجرت به فى شيء قال لا قال فما صنعت أنت ! قال كانت ضيعتى قد اشتد على مؤنتها فاشتريت رقيقا بألف دينار يقومون لى فيها ويعملون لى فيها فقال له المؤمن أو فعلت ! قال نعم — قال — فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلى فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم إن فلانا — يعنى شريكه الكافر — اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غداً فيتركهم أو يموتون فيتركونه ، اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف الدينار رقيقا فى الجنة — قال — ثم أصبح فقسمها فى المساكين — قال — ثم مكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت فى مالك أضربت به فى شيء أتجرت به فى شيء ! قال لا فما صنعت أنت ! قال كان أمرى كله قد تم إلا شيئا واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار فجاءتنى بها ومثلها معها فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلى فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال اللهم إن فلانا — يعنى شريكه الكافر — تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غداً فيتركها أو تموت غدا فتتركه اللهم وإنى أخطب إليك بهذه الألف الدينار حوراء عيناء فى الجنة — قال — ثم أصبح فقسمها بين المساكين — قال — فبقى المؤمن ليس عنده شيء . قال فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته . قال فجاءه رجل فقال له يا عبد الله أتؤاجرنى نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لى تعلفها وتكنس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهراً بشهر يقوم على دوابه ، قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه فإذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شعير هذه البارحة . قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لآتين شريكى الكافر فلأعملن فى أرضه فليطعمنى هذه الكسرة يوما بيوم ويكسونى هذين الثوبين إذا بليا ، قال فانطلق يريده فانتهى إلى بابه وهو ممسى فإذا قصر مشيد فى السماء وإذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لى على صاحب هذا القصر فانكم إذا فعلتم سره ذلك ، فقالوا له انطلق إن كنت صادقا فنم فى ناحية فإذا أصبحت فتعرض له . قال فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ قال بلى قال وهذه حالى وهذه حالك ؟ قال بلى قال أخبرنى ما صنعت فى مالك ؟ قال لا تسألنى

عنه ، قال فما جاء بك ؟ قال جئت أعمل في أرضك هذه فتطعمني هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا ، قال لا ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال أقرضته قال من ؟ قال الملىء الوفي قال من ؟ قال الله ربي قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال (أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال السدى محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه ، قال فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه يعيش ، المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا ؟ فيقال هذا لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ قال ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول لمن هذا ؟ فيقال هؤلاء لك ، فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا قال ثم يمر فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ، قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول (إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه فيقول (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون) بمثل ما قدم عليه . قال فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾

يقول الله تعالى أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء (أم شجرة الزقوم) أي التي في جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم إنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن ، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) يعني الزيتونة ويؤيد ذلك قوله تعالى (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم) وقوله عز وجل (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) غذيت من النار ومنها خلقت . وقال مجاهد (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قال أبو جهل لعنه الله إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه قلت ومعنى الآية إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) . وقوله تعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي أصل منبتها في قرار النار (طلعها كأنه رءوس الشياطين) تبشيع لها وتكريه لذكرها . قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء ، وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر ، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رءوسها بشعة ، وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة وفي هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرهما ابن جرير والأول أقوى وأولى والله أعلم . وقوله تعالى (فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح

والطبع فانهم ليضطرون إلى الأكل منها لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو فى معناها كما قال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع * لايسمن ولا يغنى من جوع) وقال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا أبى حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال « اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ » ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذى حسن صحيح وقوله تعالى (ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شرب الحميم على الزقوم ، وقال فى رواية عنه شوباً من حميم ، مزجا من حميم ، وقال غيره يعنى يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا حيوة بن شريح الحضرمى حدثنا بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو أخبرنى عبيد بن بشير عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « يقرب - يعنى إلى أهل النار - ماء فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب ابن عبد الله عن جعفر وهارون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التى سقطت عنها الجلود ويصهر ما فى بطونهم فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور وقوله عز وجل (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) أى ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج وجحيم تتوقد وسعير تتوهج فتارة فى هذا وتارة فى هذا كما قال تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى ، وقال السدى فى قراءة عبد الله رضى الله عنه (ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم) وكان عبد الله رضى الله عنه يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وروى الثورى عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن عبد الله رضى الله عنه قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة لخبر على خبر وقوله تعالى (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) أى إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ، ولهذا قال (فهم على آثارهم يهرعون) قال مجاهد شبيهة بالهرولة ، وقال سعيد بن جبير يسفهون

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ينذرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وأنهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين)

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

المذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ، ولهذا قال عز وجل (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) أي فلنعم المجيبون له (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) وهو التكذيب والأذى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام ، وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال سام وحام ويافث وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال « سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم » ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به ، قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر ، وقد روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، والمراد بالروم ههنا هم الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح عليه السلام ثلاثة : سام ويافث وحام ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر وروى عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى (وتركنا عليه في الآخرين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير ، وقال مجاهد يعني لسان صدق للأنبياء كلهم ، وقال قتادة والسدي أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين . قال الضحاك السلام والثناء الحسن ، وقوله تعالى (سلام على نوح في العالمين) مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى (إنه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين الموحدين الموقنين (ثم أغرقنا الآخرين) أي أهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (وإن من شيعته لإبراهيم) يقول من أهل دينه ، وقال مجاهد على منهاجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شهادة أن لا إله إلا الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم ؟ قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وقال الحسن : سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لعانا وقوله تعالى (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال عز وجل أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين) قال قتادة يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ *

مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم فى البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فانه كان قد أزف خروجهم إلى عيدلهم فأحب أن يختلى بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق فى نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر فى النجوم، يعنى قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يلهيهم به فقال (إنى سقيم) أى ضعيف ، فأما الحديث الذى رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنى هشام عن محمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين فى ذات الله تعالى ، قوله إنى سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله فى سارة هى أختى » فهو حديث مخرج فى الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا ولما ، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى كما جاء فى الحديث « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن على بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى كلمات إبراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التى قال ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى (فقال إنى سقيم) وقال (بل فعله كبيرهم هذا) وقال للملك حين أراد امرأته هى أختى . قال سفيان فى قوله (إنى سقيم) يعنى طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم ، وكذا قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) فقالوا له وهو فى بيت آلهتهم : اخرج فقال إنى مطعون فتركوه مخافة الطاعون . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال (إنى سقيم) كابد نبى الله عن دينه (فقال إنى سقيم) ، وقال آخرون (فقال إنى سقيم) بالنسبة إلى ما يستقبل يعنى مرض الموت ، وقيل أراد (إنى سقيم) أى مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى ، وقال الحسن البصرى : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال (إنى سقيم) وجعل ينظر فى السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ، رواه ابن أبى حاتم ، ولهذا قال تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى ذهب إليها بعد ما خرجوا فى سرعة واختفاء (فقال ألا تأكلون ؟) وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرّك لهم فيه . قال السدى : دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم فى بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدى الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة فى طعامنا أكلناه ، فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال (ألا تأكلون * مالكم لا تنطقون) وقوله تعالى (فراغ عليهم ضربا باليمين) قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين . وقال قتادة والجوهرى فأقبل عليهم ضربا باليمين . وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ولهذا تركهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم فى سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا (فأقبلوا إليه يزفون) قال مجاهد وغير واحد أى يسرعون ، وهذه القصة ههنا مختصرة وفى سورة الأنبياء مبسوطة فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذى فعل ذلك . فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ فى تأنيبهم وعيبهم فقال (أتعبدون ما تنحتون) أى أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم ، ويحتمل أن تكون بمعنى الذى تقديره والله خلقكم والذى تعملونه وكلا القولين متلازم ، والأول أظهر لما رواه البخارى فى كتاب أفعال العباد عن على بن المدينى عن مروان بن معاوية عن أبى مالك عن ربعى بن حراش عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعا قال « إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته »

وقرأ بعضهم (والله خلقكم وما تعملون) فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر فقالوا (ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) وكان من أمرهم ما تقدم بيانه فى سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين)

﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين * رب هب لى من الصالحين) يعنى أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقهم ، قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فانه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل فى نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تبارك وتعالى امر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفى نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذبا وبهتانا إسحاق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذى ليس عندك غيره فان إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فانه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره ، وأيضا فان أول ولد له معزة ماليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ فى الابتلاء والاختبار . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا وليس ذلك فى كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فانه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا (إنا نبشرك بغلام عليم) . وقال تعالى (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أى يولد له فى حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمناهناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا وإسماعيل وصف ههنا بالحلم لأنه مناسب لهذا المقام . وقوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) أى كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشى معه وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب فى كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر فى أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك والله أعلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراسانى وزيد بن أسلم وغيرهم (فلما بلغ معه السعى) يعنى شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل (فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) قال عبيد بن عمير رؤيا الأنبياء وحى ثم تلا هذه الآية (قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) . وقد

قال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكرندي حدثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رؤيا الأنبياء فى المنام وحى » ليس هو فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه فى صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه (قال يا أبت افعل ماتؤمر) أى امض لما أمرك الله من ذبحى (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) أى سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عزوجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . قال تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) أى فلما تشهدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل أسلما يعنى استسلما وانقادا ، إبراهيم امتثل أمر الله تعالى وإسماعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وابن إسحاق وغيرهم ، ومعنى تله للجبين أى صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة (وتله للجبين) أكبه على وجهه . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى فسابقه فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات وثم تله للجبين وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال له يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا أن نتتبع ذلك الضرب من الكباش ، وذكر هشام الحديث فى المناسك بطوله . ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره إلا أنه قال إسحاق فعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن جعفر بن إياس عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تبارك وتعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً فأرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة حتى وحش يعنى يبس . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى أخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضى الله عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبى دعوة مستجابة وإنى قد خبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم قال فداك أبى وأمى ـ أو فداه أبى وأمى ـ أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟ إنه لما أرى ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت غدا به لبعض حاجته قال فانه لم يغد به لحاجة إنما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب الشيطان فى أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك ، قال لبعض حاجته قال فانه لا يذهب بك لحاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم يذبحنى ؟ قال يزعم أن ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه ولحق بإبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال أين غدوت بابنك ، قال لحاجة قال فانك لم تغد به لحاجة وإنما غدوت به لتذبحه قال

ولم أذبحه ؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لأفعلن قال فتركه ويئس أن يطاع وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال إن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة فذكره بطوله وقال في آخره وأوحى الله تعالى إلى إسحاق أني أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لايشرك بك شيئاً فأدخله الجنة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن يجيب شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكفر الجم لأمتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له يا إسحاق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لايشرك بك شيئاً فاغفر له وأدخله الجنة » هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى أن يكون في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق إلى آخره والله أعلم فهذا إن كان محفوظاً فالأشبه أن السياق إنما هو عن إسماعيل وإنما حرفوه بإسحاق حسداً منهم كما تقدم وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان إسماعيل لا إسحاق فانه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام . وقوله تعالى (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح وذكر السدى وغيره أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئاً بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك (قد صدقت الرؤيا) . وقوله تعالى (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا كقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء وإنما كان المقصود من شرعه أولا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى (إن هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلما لأمر الله تعالى منقادا لطاعته ولهذا قال تعالى (وإبراهيم الذي وفى) . وقوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه (وفديناه بذبح عظيم) قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطاً بسمرة في ثبير ، وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء إسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدي به إسحاق ، وروي أيضا عن سعيد بن جبير انه قال كان الكبش يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر ، وعن الحسن البصري انه كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام ، وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر . وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذراً ان ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل . ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فان الله تعالى قال في كتابه (وفديناه بذبح عظيم) والصحيح الذي عليه الأكثرون انه فدي بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال وعل وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول مافدي إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير .

وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنى منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة رضى الله عنه ، وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبى ﷺ ؟ قال : قال لى رسول الله ﷺ « إنى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى » قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فان قريشا توارثوا قرنى الكبش الذى فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم

﴿ فصل ﴾ فى ذكر الآثار الواردة عن السلف فى أن الذبيح من هو

﴿ ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام ﴾ قال حمزة الزيات عن أبى ميسرة رحمه الله قال : قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك فى وجهه ترغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ، وقال الثورى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثورى عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب يقولون بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك ؟ قال « إن إبراهيم لم يعدل بى شىء قط إلا اختارنى عليه ، وإن إسحاق جاد لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن » . وقال شعبة عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضى الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله . وهذا صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إسحاق ، وعن ابيه العباس وعلى ابن أبى طالب مثل ذلك ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبى وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن أبى برزة ومكحول وعثمان بن أبى حاضر والسدى والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق ، وهكذا روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن الزهرى عن أبى سفيان عن العلاء بن جارية عن أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فانه لما أسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضى الله عنه فترخص الناس فى استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوى القول بانه إسحاق عن عمر وعلى وابن مسعود والعباس رضى الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد ورد فى ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن على بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى حديث ذكره قال هو اسحاق ففى اسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصرى متروك وعلى بن زيد بن جدعان منكر الحديث . وقد رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان به مرفوعا ، ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضى الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم

﴿ ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به ﴾ قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبى ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن قيس عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل

عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود ، وقال إسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم اسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول ان الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنيه اسماعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال تعالى (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) ويقول الله تعالى (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحاق وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه الا اسماعيل قال ابن اسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا ، وقال ابن اسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه فقال اسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد . وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضى الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل . وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء . وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال يارسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ فقيل له ياأمير المؤمنين وما الذبيحان ؟ فقال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني إسماعيل . وهذا حديث غريب جدا وقد رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره ، كذا كتبته من نسخة مغلوطة وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح اسحاق على قوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) فجعل هذه البشارة هي البشارة باسحاق في قوله تعالى (وبشروه بغلام عليم) وأجاب عن البشارة بيعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان وله أولاد مع يعقوب أيضا قال وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك ، هذا ما اعتمد عليه في تفسيره وليس ما ذهب اليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم وقوله تعالى (وبشرناه

بإسحق نبياً من الصالحين) لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه إسحق وقدذكرت في سورتي هودوالحجر ، وقوله تعالى (نبيا)حال مقدرةأي سيصير منه نبي صالح • وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما الذبيح إسحق قال وقوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بشر بنبوته قال وقوله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أرادوهب له نبوته . وحدثنا ابن عبدالأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال إنما بشر به نبياً من الصالحين قال إنما بشر به نبياً حين فداه الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بشر به حين ولد وحين نبيء وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بعد ما كان من أمره لما جاد لله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل (وباركنا عليه وعلى إسحاق) وقوله تعالى (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) كقوله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم)

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ * وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء) وقال عز وجل ههنا (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) أي في الأقوال والأفعال (وتركنا عليهما في الآخرين) أي أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى (سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين)

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ * ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال قتادة ومحمد بن إسحق يقال إلياس هو إدريس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إلياس هو إدريس ، وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو إلياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد واستمروا على ضلالهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم المطر ، فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا

على أخبث ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله أن يقبضه إليه ، وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فأمر الياس أن يذهب إلى مكان كذا وكذا فمهما جاءه فليركبه ولا يهبه فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكا إنسيا سماويا أرضيا هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته (إذ قال لقومه ألا تتقون) أي ألا تخافون الله عز وجل في عبادتكم غيره (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى بعلا يعنى ربا . قال عكرمة وقتادة وهى لغة أهل اليمن ، وفى رواية عن قتادة قال : وهى لغة أزد شنوءة . وقال ابن إسحق أخبرنى بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبده أهل مدينة يقال لها بعلبك غربى دمشق ، وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه . وقوله تعالى (أتدعون بعلا ؟) أى أتعبدون صنما (وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين) أى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، قال الله تعالى (فكذبوه فإنهم لمحضرون) أى للعذاب يوم الحساب (إلا عباد الله المخلصين) أى الموحدين منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت . وقوله تعالى (وتركنا عليه فى الآخرين) أى ثناء جميلا (سلام على إلياسين) كما يقال فى إسماعيل إسماعين وهى لغة بنى أسد ، وأنشد بعض بنى تميم فى ضب صاده

يقول رب السوق لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

ويقال ميكال وميكائيل وميكائن وإبراهيم وإبراهام وإسرائيل وإسرائين وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ وقرأ آخرون (سلام على إدراسين) وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ، وآخرون (سلام على آل ياسين) يعنى آل محمد ﷺ ، وقوله تعالى (إنا كذلك نجزى المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين) قد تقدم تفسيره والله أعلم

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعثه إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون) أى أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام فى سورة الأنبياء ، وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ونسبه إلى أمه وفى رواية إلى أبيه . وقوله تعالى (إذ أبق إلى الفلك المشحون) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الموقر أى المملوء بالأمتعة (فساهم) أى قارع (فكان من المدحضين) أى المغلوبين ، وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى فى البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبى الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث

مرات وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها . ولما استقر يونس فى بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حى فقام فصلى فى بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجدا فى موضع لم يبلغه أحد من الناس ،واختلفوا فى مقدار مالبث فى بطن الحوت فقيل ثلاثة أيام قاله قتادة ، وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضى الله عنه ، وقيل أربعين يوما قاله أبومالك ، وقال مجاهد عن الشعبى : التقمه ضحى ولفظه عشية ، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك ، وفى شعر أمية بن أبى الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات فى أضعاف حوت لياليا

وقوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) قيل لولا ماتقدم له من العمل فى الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد فى الحديث الذى سنورده إن شاء الله تعالى مايدل على ذلك إن صح الخبر ، وفى حديث عن ابن عباس « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدى والحسن وقتادة (فلولا أنه كان من المسبحين) يعنى المصلين ، وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم كان من المسبحين فى جوف أبويه ، وقيل المراد (فلولا أنه كان من المسبحين) هو قوله عز وجل (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) قاله سعيد بن جبير وغيره . وقال بن أبى حاتم حدثنا أبوعبيد الله ابن أخى بن وهب حدثنا عمى حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشى حدثه أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه — ولا أعلم أنسا إلا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ « ان يونس النبى عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت فقال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحن بالعرش ، قالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك ؟ قالوا يارب ومن هو ! قال عزوجل عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ، قالوا يارب أولا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه فى البلاء ، قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به ، زاد ابن أبى حاتم قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرنى ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أباهريرة رضى الله عنه يقول: طرح بالعراء وأنبت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أباهريرة وما اليقطينة ، قال شجرة الدباء . قال أبو هريرة رضى الله عنه : وهيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض — أو قال هشاش الأرض — قال فتتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية بن أبى الصلت فى ذلك بيتا من شعره وهو :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة من الله لولا الله ألفى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه مسندا مرفوعا فى تفسير سورة الأنبياء ، ولهذا قال تعالى (فنبذناه) أى ألقيناه (بالعراء) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهى الأرض التى ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم (وهو سقيم) أى ضعيف البدن ، قال ابن مسعود رضى الله عنه كهيئة الفرخ ليس عليه ريش ، وقال السدى كهيئة الصبى حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضى الله عنهما وابن زيد أيضا (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخراسانى وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع . وقال هشيم عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير وكل شجرة لاساق لها فهى من اليقطين وفى رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهى من اليقطين ، وذكر بعضهم فى القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره

ونعومته وأنه لا يقربها الذباب وجودة تغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتتبعه من حواشي الصحفة . وقوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعد مانبذه الحوت ، رواه ابن جرير حدثني الحارث حدثنا أبو هلال عن شهر به ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت ﴿ قلت ﴾ ولامانع أن يكون الذين أرسل اليهم أولا أمر بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وآمنوا به ، وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى (أو يزيدون) قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه : بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين ألفا ، وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا والله أعلم وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين ألفا

وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرا يحدث عمن سمع أبا العالية يقول حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبي العالية عن أبي بن كعب به وقال غريب . ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به . قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه إلى المائة الألف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم ، ولهذا سلك ابن جرير ههنا ماسلكه عند قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد. وقوله تعالى (فآمنوا) أي فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل اليهم يونس عليه السلام جميعهم (فمتعناهم إلى حين) أي إلى وقت آجالهم كقوله جلت عظمته (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

يقول تعالى منكرا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم مايشتهون أي من الذكور أي يودون لأنفسهم الجيد (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أي يسوؤه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين ، يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى (فاستفتهم) أي سلهم على سبيل الانكار عليهم (ألربك البنات ولهم البنون) كقوله عز وجل (ألكم الذكر وله الأنثى ، * تلك إذا قسمة ضيزى). وقوله تبارك وتعالى (أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وماشاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) أي يسئلون عن ذلك يوم القيامة . وقوله جلت عظمته (ألا إنهم من إفكهم) أي من كذبهم (ليقولون ولد الله) أي صدر منه الولد (وإنهم لكاذبون) فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب ، فأولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف

فى التخليد فى نار جهنم . ثم قال تعالى منكرا عليهم (أصطفى البنات على البنين) أى أى شىء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا ؟ إنكم لتقولون قولا عظيما) ولهذا قال تبارك وتعالى (مالكم كيف تحكمون) أى مالكم عقول تتدبرون بها ما تقولون (أفلا تذكرون*أم لكم سلطان مبين) أى حجة على ما تقولونه ، (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين) أى هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه فان ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوزه العقل بالكلية . وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد : قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فمن أمهاتهن ، قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد علمت الجنة) أى الذين نسبوا إليهم ذلك (إنهم لمحضرون) أى إن الذين قالوا ذلك لمحضرون فى العذاب يوم الحساب لكذبهم فى ذلك وافترائهم وقولهم الباطل بلا علم ،وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، حكاه ابن جرير وقوله جلت عظمته (سبحان الله عما يصفون) أى تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوا كبيرا . وقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير فى قوله تعالى (عما يصفون) عائد إلى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبى مرسل ، وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى (إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين) وفى هذا الذى قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للمشركين (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) أى إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرىء للنار (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها،أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فهذا الضرب من الناس هو الذى ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى (إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أى إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ، ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله (وما منا إلا له مقام معلوم) أى له موضع مخصوص فى السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه وقال ابن عساكر فى ترجمة محمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه « أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد » ثم قرأ ﷺ (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) وقال الضحاك فى تفسيره (وما منا إلا له مقام معلوم) قال كان مسروق يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم » فذلك قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) .

وقال الأعمش عن أبى إسحق عن مسروق عن ابن عباس رضى الله عنه قال : ان فى السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه (وما منا إلا له مقام معلوم) وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت (وما منا إلا له مقام معلوم) فتقدم الرجال وتأخر النساء

(وإنا لنحن الصافون) أى نقف صفوفا فى الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى (والصافات صفاً) قال ابن جريج عن الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث قال كانوا لا يصفون فى الصلاة حتى نزلت (وإنا لنحن الصافون) فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضى الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قالوا أقيموا صفوفكم استووا قياما يريد الله تعالى بكم هدى الملائكة ثم يقول (وإنا لنحن الصافون) تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر. رواه ابن أبى حاتم وابن جرير، وفى صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجدا، وتربتها طهورا» الحديث (وإنا لنحن المسبحون) أى نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه. وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد (وما منا إلا له مقام معلوم) الملائكة (وإنا لنحن الصافون) الملائكة (وإنا لنحن المسبحون) الملائكة تسبح الله عز وجل. وقال قتادة (وإنا لنحن المسبحون) يعنى المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم انى آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين). وقوله جل وعلا (وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين) أى قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا) وقال تعالى (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) ولهذا قال تعالى هاهنا (فكفروا به فسوف يعلمون) وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسوله ﷺ

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى تقدم فى الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون) أى فى الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين (وإن جندنا لهم الغالبون) أى تكون لهم العاقبة. وقوله جل وعلا (فتول عنهم حتى حين) أى اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فانا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر، ولهذا قال بعضهم غيا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضا فى معناها، وقوله جلت عظمته (وأبصرهم فسوف يبصرون) أى انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبصرون) ثم قال عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون) أى هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة. قال الله تبارك وتعالى (فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أى فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم

بإهلاكهم ودمارهم ، وقال السدى (فإذا نزل بساحتهم) يعنى بدارهم (فساء صباح المنذرين) أى فبئس ما يصبحون أى بئس الصباح صباحهم . ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال : صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبى صلى الله عليه وسلم « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ورواه البخارى من حديث مالك عن حميد عن أنس رضى الله عنه . وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبى طلحة رضى الله عنه قال : لما صبح رسول الله ﷺ خيبر وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبى ﷺ نكصوا مدبرين فقال نبى الله ﷺ « إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » لم يخرجوه من هذه الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين . وقوله تعالى (وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون تعالى وتنزه وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة) أى ذى العزة التى لا ترام (عما يصفون) أى عن قول هؤلاء المعتدين المفترين (وسلام على المرسلين) أى سلام الله عليهم فى الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه فى ربهم وصحته وحقيته (والحمد لله رب العالمين) أى له الحمد فى الأولى والآخرة فى كل حال ، ولما كان التسبيح يتضمن التنزية والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما فى هذا الموضع وفى مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ، وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين » هكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سعيد عنه كذلك ، وقد أسنده ابن أبى حاتم رحمه الله فقال حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر الأعين ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قالا حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبى طلحة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا نوح[1] حدثنا أبو هارون عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يسلم قال « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » ثم يسلم إسناده ضعيف . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا شبابة عن يونس ابن أبى إسحاق عن الشعبى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين) » وروى من وجه آخر متصل موقوف على على رضى الله عنه قال أبو محمد البغوى فى تفسيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أخبرنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهلويه حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع عن ثابت بن أبى صفية عن الأصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه فى مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين . وروى الطبرانى من طريق عبد الله ابن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكتال

(١) فى النسخة المكية : فرج .

بالجريب الأوفى من الأجر » وقد وردت أحاديث فى كفارة المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . وقد أفردت لها جزءا على حدة فلتكتب هاهنا إن شاء الله تعالى. آخر تفسير سورة الصافات والله أعلم

﴿ تفسير سورة ص وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا . وقوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) أى والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم فى المعاش والمعاد قال الضحاك فى قوله تعالى (ذى الذكر) كقوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم)أى تذكيركم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وإسماعيل بن أبى خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدى (ذى الذكر) ذى الشرف أى ذى الشأن والمكانة، ولا منافاة بين القولين فانه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعذار والانذار واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) وقيل قوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) حكاهما ابن جرير وهذا الثانى فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير ، وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه (ص) بمعنى صدق حق (والقرآن ذى الذكر) وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها والله أعلم ، وقوله تبارك وتعالى (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) أى إن فى هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (فى عزة) أى استكبار عنه وحمية (وشقاق) أى ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال تعالى (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أى من أمة مكذبة (فنادوا) أى حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئا كما قال عز وجل (فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون) أى يهربون (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) قال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن التميمى قال : سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى (فنادوا ولات حين مناص) قال ليس بحين نداء ولا نزو ولا فرار : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس بحين مغاث وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد * تذكر ليلى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب فى قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) يقول نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم ، وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة فى غير حين النداء ، وقال مجاهد (فنادوا ولات حين مناص) ليس بحين فرار ولا إجابة وقد روى نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة، وعن مالك عن زيد ابن أسلم (ولات حين مناص) ولا نداء فى غير حين النداء ، وهذه الكلمة وهى لات هى لا التى للنفى زيدت معها التاء كما تزاد فى ثم فيقولون ثمت ورب فيقولون ربت وهى مفصولة والوقف عليها ، ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بحين ولا تحين مناص والمشهور الأول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد

تذكر حب ليلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

ومنهم من جوز الجر بها وأنشد

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

وأنشد بعضهم أيضا * ولات ساعة مندم *

بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ * جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا كما قال عز وجل (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) وقال جل وعلا ههنا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مثلهم وقال الكافرون (هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً) أي أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو ؟ أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم) وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين (امشوا) أي استمروا على دينكم (واصبروا على آلهتكم) ولا تستجيبوا لما يدعوكم اليه محمد من التوحيد ، وقوله تعالى (إن هذا لشيء يراد) قال ابن جرير إن هذا الذي يدعونا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه اليه . ﴿ ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات ﴾ قال السدي إن ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبده فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه ، قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك قال صلى الله عليه وسلم « يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم ؟ » قال وإلام تدعوهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم » فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم « تقولون لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم « لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها » فقاموا من عنده غضاباً وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه إلى قول لا إله إلا الله فأبى وقال بل على دين الأشياخ ونزلت (إنك لا تهدي من أحببت) . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو أسامة

حدثنا الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت إليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قدر مجلس رجل قال فخشى أبو جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب أبى طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال « ياعم إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى اليهم بها العجم الجزية » ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وماهى ، وقال أبو طالب وأى كلمة هى يا ابن أخى ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله » فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون (أجعل الآلهة إلها واحدا ! إن هذا لشىء عجاب) قال ونزلت من هذا الموضع إلى قوله (بل لما يذوقوا عذاب) لفظ أبى كريب وهكذا رواه الإمام أحمد والنسائى من حديث محمد ابن عبد الله بن نمير كلاهما عن أبى أسامة عن الأعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ، ورواه الترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير أيضا كلهم فى تفاسيرهم من حديث سفيان الثورى عن الأعمش عن يحيى بن عمارة الكوفى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكر نحوه . وقال الترمذى حسن وقولهم (ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة) أى ماسمعنا بهذا الذى يدعونا اليه محمد من التوحيد فى الملة الآخرة . قال مجاهد وقتادة وأبو زيد يعنون دين قريش وقال غيرهم يعنون النصرانية قاله محمد بن كعب والسدى وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة يعنى النصرانية قالوا لوكان هذا القرآن حقا لأخبرتنا به النصارى (إن هذا إلا اختلاق) قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم (أأنزل عليه الذكر من بيننا) يعنى أنهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قال فى الآية الأخرى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال الله تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولهذا لما قالوا هذا الذى دل على جهلهم وقلة عقلهم فى استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم . قال الله تعالى (بل لما يذوقوا عذاب) أى إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا الى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ماقالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . ثم قال تعالى مبينا أنه المتصرف فى ملكه الفعال لما يشاء الذى يعطى من يشاء مايشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لايملكون شيئا من الأمر وليس اليهم من التصرف فى الملك ولا مثقال ذرة ومايملكون من قطمير . ولهذا قال تعالى منكرا عليهم (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى العزيز الذى لايرام جنابه الوهاب الذى يعطى مايريد لمن يريد ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) وقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً) وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشرى صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا (أألقى الذكر عليه من بيننا ، بل هو كذاب أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما فليرتقوا فى الأسباب) أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى الأسباب . قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعنى طرق السماء ، وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا إلى السماء السابعة ثم قال عز وجل (جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب) أى هؤلاء الجند المكذبون الذين هم فى عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين وهذه الآية كقوله جلت عظمته (أم يقولون

نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) كان ذلك يوم بدر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ * وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ * اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات فى مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد تقدمت قصصهم مبسوطة فى أماكن متعددة وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) أى كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر . وقوله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فوق) قال مالك عن زيد بن أسلم أى ليس لها مثنوية أى ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أى فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هى نفخة الفزع التى يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل . وقوله جل جلاله (قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) هذا إنكار من الله تعالى على المشركين فى دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فان القط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوا تعجيل العذاب ، زاد قتادة كما قالوا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذلك فى الدنيا وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . وقال ابن جرير سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر فى الدنيا وهذا الذى قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبى خالد والله أعلم ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد . قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمرا له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيد والأيد القوة فى العلم والعمل . قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدى وابن زيد الأيد القوة ، وقرأ ابن زيد (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) وقال مجاهد الأيد القوة فى الطاعة . وقال قتادة أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة فى العبادة وفقها فى الإسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وانه كان أوابا » وهو الرجاع إلى الله عز وجل فى جميع أموره وشؤونه . وقوله تعالى (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق) أى أنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل (ياجبال أوبى معه والطير) وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح فى الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف فى الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له . قال ابن

جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هانىء رضى الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل (يسبحن بالعشي والإشراق) ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاه عبد الله بن الحارث ابن نوفل أن ابن عباس رضي الله عنهما كان لايصلى الضحى قال فأدخلته على أم هانىء رضى الله عنها فقلت أخبرى هذا ما أخبرتني فقالت : دخل على رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضى الله عنهما وهو يقول لقد قرأت مابين اللوحين ماعرفت صلاة الضحى إلا الآن (يسبحن بالعشي والإشرق) وكنت أقول أين صلاة الاشراق وكان بعد يقول صلاة الاشراق ولهذاقال عز وجل (والطير محشورة) أى محبوسة فى الهواء (كل له أواب) أى مطيع يسبح تبعا له ، قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (كل له أواب) أى مطيع ، وقوله تعالى (وشددنا ملكه) أى جعلنا له ملكا كاملا من جميع مايحتاج اليه الملوك ، قال ابن أبي نجيح عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً ، وقال السدى كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف ، وقال بعض السلف بلغنى أنه كان يحرسه فى كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً لاتدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل ، وقال غيره أربعون ألفا مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن نفرين من بنى إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه الصلاة والسلام أنه اغتصبه بقراً فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام فى المنام بقتل المدعى ، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى فقال يانبى الله علام تقتلنى وقد اغتصبنى هذا بقرى ؟ فقال له إن الله تعالى أمرنى بقتلك فأنا قاتلك لامحالة ، فقال والله يانبى الله إن الله لم يأمرك بقتلى لأجل هذا الذى ادعيت عليه وإنى لصادق فيما ادعيت ولكنى كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل ، قال ابن عباس رضى الله عنهما فاشتدت هيبته فى بنى إسرائيل وهو الذى يقول الله عز وجل (وشددنا ملكه)

وقوله جل وعلا (وآتيناه الحكمة) قال مجاهد يعنى الفهم والعقل والفطنة ، وقال مرة : الحكمة والعدل ، وقال مرة : الصواب ، وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه ، وقال السدى (الحكمة) النبوة وقوله جل جلاله (وفصل الخطاب) قال شريح القاضى والشعبى : فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعى أو يمين المدعى عليه هو فصل الخطاب الذى فصل به الأنبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذا الأمة إلى يوم القيامة ، وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمى وقال مجاهد والسدى هو إصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال مجاهد أيضا هو الفصل فى الكلام وفى الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النميرى حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنى عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضى الله عنه قال : أول من قال أما بعد : داود عليه السلام وهو فصل الخطاب ، وكذا قال الشعبى فصل الخطاب : أما بعد

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ * إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ

نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عزوجل فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى (ففزع منهم) إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما وقوله عزوجل (وعزني في الخطاب) أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) قال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي اختبرناه . وقوله تعالى (وخر راكعا) أي ساجدا (وأناب) ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك ، وقد ذكر أنه استمر ساجداً أربعين صباحا (فغفرنا له ذلك) أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين

وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال السجدة في ص ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها . ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال النسائي أيضا عند تفسير هذه الآية أخبرني إبراهيم ابن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ، إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال « سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا » تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات . وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو إسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحامي أخبرنا أبو سعد الكنجروذي أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وضع بها عني وزرا ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود . قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة ، رواه الترمذي عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال البخاري عند تفسيرها أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد

بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد ، تفرد به أحمد ، وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال ﷺ « إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم » فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح

وقوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لتوبته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا » وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر » ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الأغر عن عطية به ، وقال لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله ابن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته؟ فيقول الله عز وجل إني أرده عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله ، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثني ابرهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول : قال قل في أمان الله ، قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ، إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وقال عكرمة (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، وقال السدي لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ * كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) أي الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط (فويل للذين كفروا من النار) أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار

المعدلهم ، ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض * أم نجعل المتقين كالفجار) أى لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فانا نرى الظالم الباغى يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد فى حكمة الحكيم العليم العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا ، وإذا لم يقع هذا فى هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) أى ذوو العقول وهى الألباب جمع لب وهو العقل ، قال الحسن البصرى والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل . رواه ابن أبى حاتم

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾

يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان أى نبيا كما قال عز وجل (وورث سليمان داود) أى فى النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة حرائر وقوله تعالى (نعم العبد إنه أواب) ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والانابة إلى الله عز وجل . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بنى ما أحسن؟ قال سكينة الله والإيمان قال فما أقبح؟ قال كفر بعد إيمان قال فما أحلى ، قال روح الله بين عباده قال فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبى . وقوله تعالى (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) أى إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام فى حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد وهى التى تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمى فى قوله عز وجل (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبى زائدة أخبرنى إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمى قال كانت الخيل التى شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثنى عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضى الله عنها لعب فقال صلى الله عليه وسلم « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت رضى الله عنها بناتى ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ﷺ « ما هذا الذى أرى وسطهن ؟ » قالت رضى الله عنها فرس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هذا الذى عليه ؟» قالت رضى الله عنها جناحان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرس له جناحان ؟ » قالت رضى الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضى الله عنها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه . وقوله تبارك وتعالى (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذى يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت فى الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضى الله عنه قال جاء عمر رضى الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول

يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . ويحتمل أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة والمضايقة حيث لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده (ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق) قال الحسن البصري لا قال : والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة ، وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبالها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال « إنك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه »

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ * هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾

يقول تعالى (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه بأن سلبناه الملك (وألقينا على كرسيه جسدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضا وقيل حبيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة ، وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردها في كل سبعة أيام مرة فنزح ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم ورده فإذا هو بالخمر فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل، قال وكان ملكه في خاتمه فأتي به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتي ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه وذلك

عند مقارفة قارف فيها بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه فى البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبى الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى القوة فقال والله لأجربنه قال: فقال يانبى الله وهو لايرى إلا أنه نبى الله أحدنا تصيبه الجنابة فى الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال: لا فبينا هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبى الله خاتمه فى بطن سمكة فأقبل فجعل لايستقبله جنى ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم (وألقينا على كرسيه جسداً) قال هو الشيطان صخر وقال السدى (ولقد فتنا سليمان) أى ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسيه جسداً) قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان فى صورته فقال هاتى الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم فجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا لهن إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام فى حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إنى أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصى فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان ، قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطىء البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه فى بطن إحداهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لابد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجىء به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق قال وسخر له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله (وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب)

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس ؟ قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف فى البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفونى ؟ أطعمونى أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر . وهذه كلها من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ماقاله ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها هاتى خاتمى فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتى خاتمى قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لايأتى أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما

يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . ويحتمل أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة والمضايقة حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده (ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق) قال الحسن البصري لا قال : والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة ، وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبالها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال « إنك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه »

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ * هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾

يقول تعالى (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه بأن سلبناه الملك (وألقينا على كرسيه جسدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضا وقيل حبيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة ، وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردها في كل سبعة أيام مرة فنزح ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم ورده فإذا هو بالخمر فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً ثم أتاها فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل ، قال وكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتي ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى إلى بيضة فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه وذلك

عند مقارفة قارف فيها بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه فى البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبى الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى القوة فقال والله لأجربنه قال: فقال يانبى الله وهو لايرى إلا أنه نبى الله أحدنا تصيبه الجنابة فى الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال: لا فبينما هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبى الله خاتمه فى بطن سمكة فأقبل فجعل لايستقبله جنى ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم (وألقينا على كرسيه جسداً) قال هو الشيطان صخر وقال السدى (ولقد فتنا سليمان) أى ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسيه جسداً) قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء، فخرج الشيطان فى صورته فقال هاتى الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل؟ قال لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم فجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا لهن إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام فى حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إنى أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصى فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان، قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه فى بطن إحداهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لابد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجىء به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق قال وسخر له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله (وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب)

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس؟ قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف فى البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفونى؟ أطعمونى أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر. وهذه كلها من الإسرائيليات، ومن أنكرها ماقاله ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها هاتى خاتمى فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتى خاتمى قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لايأتى أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما

رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى فى قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أتنكرن من سليمان شيئا ، قلن نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه فى البحر فتلقته سمكة فأخذته ، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لى هذا السمك ؟ فقال نعم قال بكم ؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا الخاتم فى جوفها فأخذه فلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام فى طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لايثب فى مكان من البيت إلا انماط معه من الرصاص، قال فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقرله تخت من رخام ثم أدخل فى جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح فى البحر فذلك قوله تبارك وتعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) يعنى الشيطان الذى كان سلط عليه ، إسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قوى ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لايعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . وقال يحيى بن أبى عروبة الشيبانى : وجد سليمان خاتمه بعسقلان فمشى فى حرقة إلى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل ، رواه ابن أبى حاتم . وقد روى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار فى صفة كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام خبرا عجيبا فقال حدثنا أبى رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرنى أبو إسحاق المصرى عن كعب الأحبار أنه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا إسحاق أخبرنى عن كرسى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أى شىء هو ، فقال كان كرسى سليمان من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، وقد جعل له درجة منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسى فحف من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وجعل على رءوس النخل التى عن يمين الكرسى طواويس من ذهب ثم جعل على رءوس النخل التى على يسار الكرسى نسورا من ذهب مقابلة الطواويس ، وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرتى صنوبر من ذهب وعن يسارها أسدان من ذهب وعلى رءوس الأسدين عمودان من زبرجد ، وجعل من جانبى الكرسى شجرتى كرم من ذهب قد أظلتا الكرسى وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر ، ثم جعل فوق درج الكرسى أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا ، فإذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما فى أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بنى إسرائيل ذلك الزمان ، ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرا من ذهب يقعد عليها سبعون قاضيا من بنى إسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرا من ذهب ليس عليها أحد فإذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسى كله بما فيه وما عليه ويبسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه

الأيسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الأسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الأيمن فإذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحى المسرعة ، فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا إسحق ؟ قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني فإذا أحست بدورانه دارت تلك الأسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي دون التي أعلاه فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رءوسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضحن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام . ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرؤها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس . وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) قال بعضهم معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقي على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن عفريتا من الجن تفلت عليّ البارحة ـ أو كلمة نحوها ـ ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) » قال روح فرده خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبدالله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول « أعوذ بالله منك ـ ثم قال ـ ألعنك بلعنة الله » ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد ثنا ميسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين ـ الإبهام والتي تليها ـ ولولا دعوت أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » وقد روى أبو داود منه « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد الزبيري به . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزني ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث أنه « من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحاً ، وان الشقي من شقي في بطن أمه ، وانه من أتى بيت المقدس لا تنهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه » فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما إني لا أحل لأحد أن يقول علي ما لم أقل ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب

تاب الله عليه ـ قال فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة قال ـ فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل» وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجوا إن تكون لنا الثالثة ، سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطانا إياها » وقد روى هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائى وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلالا ثلاثا » وذكره وقد روى من حديث رافع بن عمير رضى الله عنه بإسناد وسياق غريبين . فقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثنى أبى حدثنا إبراهيم بن أبى عبلة عن أبى الزاهرية عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لى بيتا فى الأرض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذى أمر به فأوحى الله إليه ياداود نصبت بيتك قبل بيتى قال يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ فى بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثا فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال يا داود إنك لا تصلح أن تبنى لى بيتا قال ولم يا رب ؟ قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يا رب أو ما كان ذلك فى هواك ومحبتك ؟ قال بلى ولكنهم عبادى وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه لا تحزن فانى سأقضى بناءه على يدى ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان فى بنائه ولما تم قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بنى إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتى فسلنى أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكما يصادف حكمك وملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ـ قال رسول الله ﷺ ـ أما الثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليمامى حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رضى الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلا استفتحه « سبحان الله ربى العلى الأعلى الوهاب »

وقد قال أبو عبيد حدثنا على بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسمار قال لما مات نبى الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سلنى حاجتك قال أسألك أن تجعل لى قلبا يخشاك كما كان قلب أبى وأن تجعل قلبى يحبك كما كان قلب أبى فقال الله عز وجل : أرسلت إلى عبدى وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشانى وأن أجعل قلبه يحبنى ، لأهبن له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده . قال الله جلت عظمته (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) والتى بعدها قال فأعطاه ما أعطاه وفى الآخرة لا حساب عليه هكذا أورده أبو القاسم بن عساكر فى ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام فى تاريخه ، وروى عن بعض السلف أنه قال بلغنى عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال إلهى كن لسليمان كما كنت لى فأوحى الله عز وجل إليه : أن قل لسليمان أن يكون لى كما كنت لى أكن له كما كنت لك . وقوله تبارك وتعالى (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) قال الحسن البصرى رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التى غدوها شهر ورواحها شهر . وقوله جل وعلا (حيث أصاب) أى حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله (والشياطين كل بناء وغواص) أى منهم ما هو مستعمل فى الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التى لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون فى البحار يستخرجون ما فيها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة التى لا توجد إلا فيها (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) أى موثوقون فى الأغلال والأكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء فى صنيعه واعتدى . وقوله عز وجل

(هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أى هذا الذى أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك أى مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول صلى الله عليه وسلم لما خير بين أن يكون عبداً رسولا — وهو الذى يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله تعالى به — وبين أن يكون نبياملكا يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح : اختار المنزلة الأولى بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختار المنزلة الأولى لأنها أرفع قدرا عند الله عز وجل وأعلى منزلة فى المعاد وإن كانت المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظيمة أيضا فى الدنيا والآخرة ، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام فى الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضا فقال تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى فى الدار الآخرة

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر فى جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شىء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحوا من ثمانى عشرة سنة ، وقد كان قبل ذلك فى مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضى الله عنها فانها كانت لا تفارقه صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود اليه قريباً ، فلما طال المطال ، واشتد الحال ؛ وانتهى القدر ، وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال (إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وفى هذه الآية الكريمة قال (واذكر عبدنا أيوب إذنادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) قيل بنصب فى بدنى وعذاب فى مالى وولدى فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان فيه بدنه من الأذى ، ثم أمره فضرب الأرض فى مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان فى باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ، ولهذا قال تبارك وتعالى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) قال ابن جرير وابن أبى حاتم جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن نبى الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وماذاك ؟ قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدرى ماتقول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا فى حق ، قال وكان يخرج إلى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت أى بارك الله فيك هل رأيت نبى الله هذا المبتلى ، فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك

إذ كان صحيحا قال فأنى أناهو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو فى ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يارب ولكن لاغنى بى عن بركتك » انفرد باخراجه البخارى من حديث عبد الرزاق به ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب) قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم ، وقوله عزوجل (رحمة منا) أى به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته (وذكرى لأولى الألباب) أى لذوى العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة . وقوله جلت عظمته (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها فى أمر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة ، وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقدبرت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب اليه ولهذا قال جل وعلا (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نعم العبد إنه أواب) أى رجاع منيب ؛ ولهذا قال جل جلاله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا *) واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل فى الأيمان وغيرها . وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ * هَٰذَا ذِكْرٌ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار) يعنى بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة فى العبادة والبصيرة النافذة . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (أولى الأيدى) يقول أولى القوة (والأبصار) يقول الفقه فى الدين . وقال مجاهد (أولى الأيدى) يعنى القوة فى طاعة الله تعالى والأبصار يعنى البصر فى الحق وقال قتادة والسدى أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين . وقوله تبارك وتعالى (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) قال مجاهد أى جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدى ذكرهم للآخرة وعملهم لها . وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها ، وكذا قال عطاء الخراسانى . وقال سعيد بن جبير يعنى بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكرهم لها ، وقال فى رواية أخرى ذكرى الدار عقبى الدار ، وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها ؛ وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شىء فى الدار الآخرة ، وقوله تعالى (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) أى لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون . وقوله تعالى (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة فى سورة الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله عز وجل (هذا ذكر) أى هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر ، وقال السدى يعنى القرآن العظيم :

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ * جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ * مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ * إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم فى الدار الآخرة لحسن مآب وهو المرجع والمنقلب ثم فسره بقوله تعالى (جنات عدن) أى جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب والألف واللام ههنا بمعنى الاضافة كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها أى إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها ، قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن ثواب الهبارى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الله بن مسلم يعنى ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله أو لا يسكنه إلا نبى أو صديق أو شهيد أو إمام عدل » وقد ورد فى ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة . وقوله عز وجل (متكئين فيها) قيل متربعين على سرر تحت الحجال (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) أى مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا (وشراب) أى من أى أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام (بأكواب وأباريق وكأس من معين) (وعندهم قاصرات الطرف) أى عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن (أتراب) أى متساويات فى السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسدى (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة هى التى وعدها لعباده المتقين التى يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار . ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه لافراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) كقوله عز وجل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وكقوله جل وعلا (عطاء غير مجذوذ) وكقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع وكقوله عز وجل (أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) والآيات فى هذا كثيرة جدا .

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَئَابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ * هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ * قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ * وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ * إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم فى دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل (هذا وإن للطاغين) وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسل الله صلى الله عليه وسلم (لشر مآب) أى لسوء منقلب ومرجع . ثم فسره بقوله جل وعلا (جهنم يصلونها) أى يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم (فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق) أما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطاع من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز وجل (وآخر من شكله أزواج) أى وأشياء من هذا القبيل : الشىء وضده يعاقبون بها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن

رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا » ورواه الترمذى عن سويد ابن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ، ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به

وقال كعب الأحبار : غساق عين فى جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه فى كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه ، رواه ابن أبى حاتم . وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى (وآخر من شكله أزواج) ألوان من العذاب ، وقال غيره كالزمهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه وقوله عز وجل (هذا فوج مقتحم معكم لامرحبا بهم إنهم صالوا النار) هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها) يعنى بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التى تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التى بعدها مع الخزنة من الزبانية (هذا فوج مقتحم) أى داخل (معكم لامرحبا بهم إنهم صالوا النار) أى لأنهم من أهل جهنم (قالوا بل أنتم لامرحبا بكم) أى فيقول لهم الداخلون (بل أنتم لامرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا) أى أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فبئس القرار) أى فبئس المنزل والمستقر والمصير (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) كما قال عز وجل (قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار * قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أى لكل منكم عذاب بحسبه (وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ؟) هذا إخبار عن الكفار فى النار أنهم يفتقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون فى زعمهم قالوا مالنا لانراهم معنا فى النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبى جهل يقول مالى لاأرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريا) أى فى الدار الدنيا (أم زاغت عنهم الأبصار ؟) يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلهم معنا فى جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم ، فعند ذلك يعرفون أنهم فى الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين — إلى قوله — ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) أى إن هذا الذى أخبرناك به يامحمد من تخاصم أهل النار بعضهم فى بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لامرية فيه ولاشك

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله إنما أنا منذر لست كما تزعمون (وما من إله إلا الله الواحد القهار) أى هو وحده قد قهر كل شىء وغلبه (رب السموات والأرض وما بينهما) أى هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (العزيز الغفار) أى غفار مع عظمته وعزته (قل هو نبأ عظيم) أى خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى إياى إليكم (أنتم عنه معرضون) أى غافلون ، قال مجاهد وشريح القاضى والسدى فى قوله عز وجل (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن . وقوله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) أى لولا الوحى من أين كنت أدرى باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعنى فى شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس

من السجود له ومحاجته ربه فى تفضيله عليه . فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا جهضم اليمامى عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن أبى سلام عن أبى سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضى الله عنه قال احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج ﷺ سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم قال ﷺ « كما أنتم » ثم أقبل إلينا فقال « إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ، قلت لا أدرى يا رب — أعادها ثلاثا — فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين صدرى فتجلى لى كل شىء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى : قلت فى الكفارات . قال وما الكفارات ، قلت نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام ، قال سل ، قلت اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك — وقال رسول الله ﷺ — إنها حق فادرسوها وتعلموها » فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط وهو فى السنن من طرق ، وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذى من حديث جهضم بن عبد الله اليمامى به ، وقال الحسن صحيح وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور فى القرآن فان هذا قد فسر ، وأما الاختصام الذى فى القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ * قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة وفى أول سورة الأعراف وفى سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهى أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما وإعظاما واحتراما وامتثالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً . كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فانه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين فى زعمه ، وقد أخطأ فى ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه إبليس إعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذى لا يعجل على من عصاه . فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين) كما قال عز وجل (أرأيتك هذا الذى كرمت على * لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) وهؤلاء هم المستثنون

فى الآية الأخرى وهى قوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) وقوله تبارك وتعالى (قال فالحق والحق أقول * لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن معناه أنا الحق والحق أقول وفى رواية عنه . الحق منى وأقول الحق ، وقرأ آخرون بنصبهما قال السدى هو قسم أقسم الله به (قلت) وهذه الآية كقوله تعالى (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكقوله عز وجل (قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا)

﴿ قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا (وما أنا من المتكلفين) أى وما أريد على ما أرسلنى الله تعالى به ولا أبتغى زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغى بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثورى عن الأعمش ومنصور عن أبى الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أخرجاه من حديث الأعمش به ، وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وروى ابن أبى حاتم عن أبيه عن أبى غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (للعالمين) قال الجن والإنس ، وهذه الآية كقوله تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) وكقوله عز وجل (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقوله تعالى (ولتعلمن نبأه) أى خبره وصدقه (بعد حين) أى عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة ، ولا منافاة بين القولين فان من مات فقد دخل فى حكم القيامة ، وقال قتادة فى قوله تعالى (ولتعلمن نبأه بعد حين) قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين آخر تفسير سورة ص ولله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الزمر وهى مكية ﴾

قال النسائى حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبى لبابة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ فى كل ليلة بنى إسرائيل والزمر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذى لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) وقال تبارك وتعالى (وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال جل وعلا هاهنا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى المنيع الجناب (الحكيم) أى فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) أى فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى (ألا لله الدين الخالص) أى لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له

وقال قتادة فى قوله تبارك وتعالى (ألا لله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر عزوجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى فى نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزله ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شىء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وأخبر أن الملائكة التى فى السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً وقوله عز وجل (إن الله يحكم بينهم) أى يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) أى سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزى كل عامل بعمله (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله عز وجل (إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) أى لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين فى الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى فى العزير وعيسى فقال تبارك وتعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أى لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عزوجل (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم وقوله تعالى (سبحانه هو الله الواحد القهار) أى تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد فانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى كل شىء عبد لديه فقير إليه وهو الغنى عما سواه الذى قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا

﴿ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ ۞ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه الخالق لما فى السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أى سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا كقوله تبارك وتعالى (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) هذا معنى ما روى عن ابن عباس رضى الله

عنهما ومجاهد وقتادة والسدى وغيرهم . وقوله عز وجل (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) أى إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) أى مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه وقوله جلت عظمته (خلقكم من نفس واحدة) أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام (ثم جعل منها زوجها) وهى حواء عليها السلام كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أى وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهى المذكورة فى سورة الأنعام، ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عزوجل (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) أى قدركم فى بطون أمهاتكم (خلقا من بعد خلق) يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر (فتبارك الله أحسن الخالقين) . وقوله جل وعلا (فى ظلمات ثلاث) يعنى فى ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التى هى كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد . وقوله جل جلاله (ذلكم الله ربكم) أى هذا الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف فى جميع ذلك (لا إله إلا هو) أى الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده لا شريك له(فأنى تصرفون) أى فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغنى عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد) وفى صحيح مسلم « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » . وقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) أى لا يحبه ولا يأمر به (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يحبه لكم ويزدكم من فضله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس عن نفس شيئا بل كل مطالب بأمر نفسه (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور) أى فلا تخفى عليه خافية . وقوله عزوجل (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه)أى عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى(وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) ولهذا قال تبارك وتعالى (ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل)أى فى حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أوقاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) وقوله تعالى (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله) أى فى حال العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا (قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) أى قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقوله تعالى(نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا ، لا يستوون عند الله كما قال تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تبارك وتعالى ههنا (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) أى فى حال سجوده وفى حال قيامه ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع فى الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب اليه آخرون . قال الثورى عن فراس عن الشعبى عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن والسدى وابن زيد آناء الليل جوف الليل . وقال الثورى عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء ، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أى فى حال عبادته خائف راج ولا بد فى العبادة من هذا وهذا وأن يكون الخوف فى مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فاذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو فى الموت فقال له « كيف تجدك ؟ » فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذى يرجو وأمنه الذى يخافه » . ورواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذى غريب ، وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ مرسلا

وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمر بن أبى شيبة عن عبيدة النميرى حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الخزاز حدثنا يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يقرأ (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال ابن عمر ذاك عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنما قال ابن عمر رضى الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن فى ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضى الله تعالى عنه ، وقال الشاعر :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به　　يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال الامام أحمد كتب إلى الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير ابن مرة عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قنوت ليلة » وكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به . وقوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى هل يستوى هذا والذى قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله (إنما يتذكر أولو الألباب) أى إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى لمن أحسن العمل فى هذه الدنيا حسنة فى دنياهم وأخراهم ، وقوله (وأرض الله واسعة) قال مجاهد

فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان ، وقال شريك عن منصور عن عطاء فى قوله تبارك وتعالى (وأرض الله واسعة) قال إذا دعيتم إلى معصيته فاهربوا ثم قرأ (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقوله وتعالى (وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال الأوزاعى ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفا ، وقال ابن جريج بلغنى أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزادون على ذلك ، وقال السدى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) يعنى فى الجنة . وقوله (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) قال السدى يعنى من أمته ﷺ

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد وأنت رسول الله (إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى (قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ماشئتم من دونه) وهذا أيضا تهديد وتبر منهم (قل إن الخاسرين) أى إنما الخاسرون كل الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى تفارقوا فلا التقاء لهم أبدا وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور (ألا ذلك هو الخسران المبين) أى هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم فى النار فقال (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) كما قال عز وجل (لهم من جهنم مهاد . ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين)

وقال تعالى (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) وقوله جل جلاله (ذلك يخوف الله به عباده) أى إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم . وقوله تعالى (يا عباد فاتقون) أى اخشوا بأسى وسطوتى وعذابى ونقمتى

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) نزلت فى زيد بن عمرو بن نفيل وأبى ذر وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم قال عز وجل (فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أى يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) (أولئك الذين هداهم الله) أى المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله فى الدنيا والآخرة (وأولئك هم أولو الألباب) أى ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ * لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾

يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقى تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أى لا يهديه أحد من بعد الله لأنه

من يضلل الله فلا هادى له ومن يهده فلا مضل له . ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا فى الجنة وهى القصور أى الشاهقة (من فوقها غرف مبنية) طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات . قال عبدالله ابن الإمام أحمد حدثنا عباد بن يعقوب الأسدى ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها » فقال أعرابى لمن هى يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » ورواه الترمذى من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقال حسن غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن ابن معانق أوأبى معانق عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام » تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الأشعرى عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه به وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة كما تراءون الكوكب فى أفق السماء » قال فحدثت بذلك النعمان بن أبى عياش فقال سمعت أباسعيد الخدرى رضى الله عنه يقول « كما تراءون الكوكب الذى فى الأفق الشرقى أو الغربى » أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى حازم وأخرجاه أيضا فى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا فزارة أخبرنى فليح عن هلال بن على عن عطاء ابن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل أهل الدرجات - فقالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ - « بلى والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل » ورواه الترمذى عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا ثنا زهير ثنا سعد الطائى ثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين رضى الله عنها أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قلنا يارسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد قال ﷺ « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كى يغفر لهم » قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال ﷺ « لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ، لاتبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لاترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » وروى الترمذى وابن ماجه بعضه من حديث سعد بن أبى مجاهد الطائى وكان ثقة عن أبى المدله وكان ثقة به وقوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار) أى تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما شاءوا وأين أرادوا (وعد الله) أى هذا الذى ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين (إن الله لا يخلف الميعاد)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

يخبر تعالى أن أصل الماء فى الأرض من السماء كما قال عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) فاذا أنزل الماء من

السماء كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة اليها ولهذا قال تبارك وتعالى (فسلكه ينابيع في الأرض) قال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين ثنا عمرو بن على ثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) قال ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره فذلك قوله تعالى (فسلكه ينابيع في الأرض) فمن سره أن يعود الملح عذبا فليصعده ، وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي أن كل ماء في الأرض فأصله من السماء ، وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها وقوله تعالى (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعا مختلفا ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه (ثم يهيج) أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفرا قد خالطه اليبس (ثم يجعله حطاما) أي ثم يعود يابسا يتحطم (إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب) أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزا شوهاء والشاب يعود شيخا هرما كبيرا ضعيفا وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيرا مايضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعا وثمارا ثم يكون بعد ذلك حطاما كما قال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) وقوله تبارك وتعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أي هل يستوى هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) ولهذا قال تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم (أولئك في ضلال مبين)

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم . قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) قال مجاهد يعني القرآن كله متشابه مثاني ، وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك : مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مثاني قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان ابن عيينة معنى قوله تعالى (متشابها مثاني) إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذا من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم) وكقوله عز وجل (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين — إلى أن قال — كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) (هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب — إلى أن قال — هذا وإن للطاغين لشر مآب) ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ذاك معنى آخر وقوله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، المهيمن العزيز الغفار ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم

من الخشية والخوف (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات ﴿ الثاني ﴾ أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وقال تعالى (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أى لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لا هين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم ﴿ الثالث ﴾ أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضى الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله . لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية مالا يلحقهم أحد فى ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى فى الدنيا والآخرة . قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) قال هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكى أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا فى أهل البدع ، وهذا من الشيطان ، وقال السدى (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى إلى وعد الله ، وقوله (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) أى هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله (ومن يضلل الله فما له من هاد)

﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) ويقرّع فيقال له ولأمثاله من الظالمين (ذوقوا ما كنتم تكسبون) كمن يأتى آمنا يوم القيامة كما قال عز وجل (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ؟) وقال جل وعلا (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) وقال تبارك وتعالى (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) واكتفى فى هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر . كقول الشاعر :

فما أدرى إذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يليني

يعنى الخير أو الشر . وقوله جلت عظمته (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى القرون الماضية المكذبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ، وقوله جل وعلا (فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا) أى بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفى المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك فانهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ والذى أعده الله جل جلاله لهم فى الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم فى الدنيا ولهذا قال عز وجل (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾

يقول تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا للناس فيه بضرب الأمثال (لعلهم يتذكرون) فان المثل يقرب المعنى إلى الأذهان كما قال تبارك وتعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أى تعلمونه من أنفسكم ، وقال عز وجل (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقوله جل وعلا (قرءانا عربيا غير ذى عوج) أى هو قرآن بلسان عربى مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك (لعلهم يتقون) أى يحذرون مافيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد . ثم قال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى يتنازعون فى ذلك العبد المشترك بينهم (ورجلا سلما) أى سالما (لرجل) أى خالصا لا يملكه أحد غيره (هل يستويان مثلا ؟) أى لا يستوى هذا وهذا . كذلك لا يستوى المشرك الذى يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذى لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ؟ فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا قال (الحمد لله) أى على إقامة الحجة عليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أى فلهذا يشركون بالله وقوله تبارك وتعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) هذه الآية من الآيات التى استشهد بها الصديق رضى الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) ومعنى هذه الآية أنكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى فى الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه فى الدنيا من التوحيد والشرك بين يدى الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم ، فينجى المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين . ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها فى المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم فى الدار الآخرة فانها شاملة لكل متنازعين فى الدنيا فانه تعاد عليهم الخصومة فى الدار الآخرة

قال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى ثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبى حاطب — يعنى يحيى بن عبد الرحمن — عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال لما نزلت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضى الله عنه يا رسول الله : أتكرر علينا الخصومة ، قال ﷺ « نعم » قال رضى الله عنه : إن الأمر إذا لشديد . وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان وعنده زيادة ! ولما نزلت (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال الزبير رضى الله عنه : أى رسول الله أى نعيم نسئل عنه وإنما نعيمنا الأسودان . التمر والماء ؟ قال ﷺ « أما إن ذلك سيكون » وقد روى هذه الزيادة الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذى حسن وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير ثنا محمد — يعنى ابن عمرو — عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ (إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضى الله عنه . أى رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال ﷺ « نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذى حق حقه » قال الزبير رضى الله عنه : والله إن الأمر لشديد ، رواه الترمذى من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى عياش عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول الخصمين يوم القيامة جاران » تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إنه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا » تفرد به أحمد رحمه الله . وفى المسند عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال « أتدرى فيم ينتطحان يا أبا ذر ؟ » قلت لا قال ﷺ « لكن الله يدرى وسيحكم بينهما » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد ثنا حيان بن أغلب ثنا أبى ثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « يجاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلجون

عليه فيقال له سد ركنا من أركان جهنم » ثم قال الأغلب بن تميم ليس بالحافظ. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يقول يخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدي الضال ، والضعيف المستكبر ، وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله تعالى ملكا يفصل بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير إني أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل إليها فقال له الضرير اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدي ؟ فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فانكما قد حكمتما على أنفسكما ، يعني أن الجسد للروح كالمطية وهو راكبه وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة حدثنا ضرار حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا منصور بن سلمة حدثنا القمي — يعني يعقوب ابن عبد الله — عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال قلنا من نخاصم ؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم ؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما : هذا الذي وعدنا ربنا عز وجل نختصم فيه ، ورواه النسائي عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة به ، وقال أبو العالية في قوله تبارك وتعالى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال يعني أهل القبلة ؛ وقال ابن زيد : يعني أهل الإسلام وأهل الكفر ، وقد قدمنا أن الصحيح العموم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ * وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول عز وجل مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا ان الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولداً تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا ، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه) أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمته متوعدا لهم (أليس في جهنم مثوى للكافرين ؟) وهم الجاحدون المكذبون . ثم قال جل وعلا (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد : الذي جاء بالصدق هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال السدي : هو جبريل عليه السلام (وصدق به) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (والذي جاء بالصدق) قال من جاء بلا إله إلا الله (وصدق به) يعني رسول الله ﷺ وقرأ الربيع بن أنس (والذين جاءوا بالصدق) يعني الأنبياء (وصدقوا به) يعني الأتباع . وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا . وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فان المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والذي جاء بالصدق) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (وصدق به) قال المسلمون (أولئك هم المتقون) قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتقوا الشرك (لهم ما يشاءون عند ربهم) يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا (ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) كما قال عز وجل في الآية الأخرى

(أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون)

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

يقول تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقرأ بعضهم (عباده) يعنى أنه تعالى يكفى من عبده وتوكل عليه وقال ابن أبى حاتم ههنا حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا أبو هانىء عن أبى على عمرو بن مالك الجنبى عن فضالة بن عبيد الأنصار رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أفلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » ورواه الترمذى والنسائى من حديث حيوة بن شريح عن أبى هانىء الخولانى به وقال الترمذى صحيح (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى المشركين يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التى يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عز وجل (ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ؟) أى منيع الجناب لا يضام من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه فانه العزيز الذى لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) يعنى المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للاشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟) أى لا تستطيع شيئا من الأمر ، وذكر ابن أبى حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الأقلام واعمل لله بالشكر فى اليقين . واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا . وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا » (قل حسبى الله) أى الله كافىّ (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون * من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون * إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى ثنا عبد الله بن بكر السهمى ثنا محمد بن حاتم عن أبى المقدام مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظى ثنا ابن عباس رضى الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله عز وجل أوثق منه بما فى يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل » ، وقوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أى على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد (إنى عامل) أى على طريقتى ومنهجى (فسوف تعلمون) أى ستعلمون غب ذلك ووباله (من يأتيه عذاب يخزيه) أى فى الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم)

أى دائم مستمر لا محيد له عنه وذلك يوم القيامة ، أعاذنا الله منها .

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (إنا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به (فمن اهتدى فلنفسه) أى فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه (ومن ضل فإنما يضل عليها) أى إنما يرجع وبال ذلك على نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أى بموكل أن يهتدوا (إنما أنت نذير والله على كل شىء وكيل) (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) . ثم قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف فى الوجود بما يشاء وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون) فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى وفى هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) فيه دلالة على أنها تجتمع فى الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذى رواه ابن منده وغيره . وفى صحيحى البخارى ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لايدرى ماخلفه عليه ثم ليقل باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » . وقال بعض السلف يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت) التى قد ماتت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى . قال السدى إلى بقية أجلها ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما يمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء ولا يغلط (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

يقول تعالى ذاماً المشركين فى اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الأصنام والأنداد التى اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك وهى لاتملك شيئا من الأمر بل وليس لها عقل تعقل به ولاسمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هى جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير ، ثم قال قل أى يامحمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له فمرجعها كلها إليه (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (له ملك السموات والأرض) أى هو المتصرف فى جميع ذلك (ثم إليه ترجعون) أى يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزى كلا بعمله ، ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا (وإذا ذكر الله وحده) أى إذا قيل لا إله إلا الله وحده (اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال مجاهد اشمأزت انقبضت وقال السدى نفرت وقال قتادة

كفرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن أسلم استكبرت كما قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أى عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لاتقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك وتعالى (وإذا ذكر الذين من دونه) أى من الأصنام والأنداد قاله مجاهد (إذاهم يستبشرون) أى يفرحون ويسرون .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ عَٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى بعد ماذكر عن المشركين ماذكر من المذمة لهم فى حبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) أى ادع أنت الله وحده لاشريك له الذى خلق السموات والأرض وفطرها أى جعلها على غير مثال سبق (عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى فى دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم. قال مسلم فى صحيحه : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضى الله عنها بأى شىء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ، قالت رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموت والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم» . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا سهيل عن أبى صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال « من قال اللهم فاطر السموت والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد اليك فى هذه الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير ، وانى لاأثق إلا برحمتك فاجعل لى عندك عهداً توفينيه يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد ، إلا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة إن عبدى قد عهد إلى عهداً فأوفوه إياه فيدخله الله الجنة » قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونا أخبر بكذا وكذا فقال مافينا جارية إلا وهى تقول هذا فى خدرها انفرد به الإمام أحمد . وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبدالله أن أباعبدالرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قرطاسا وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا نقول : اللهم فاطر السموت والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شىء ،وإله كل شىء أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك والملائكة يشهدون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه، وأعوذ بك أن أقترف على نفسى إثماً أو أجره إلى مسلم. قال أبو عبد الرحمن رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ يعلمه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن يقول ذلك حين يريد أن ينام ، تفرد به أحمد أيضا .

وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الألهانى عن أبى راشد الحبرانى قال : أتيت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فألقى بين يدى صحيفة فقال هذا ما كتب لى رسول الله ﷺ فنظرت فيها فاذا فيها أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : يارسول الله علمنى ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شىء ومليكه أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم » ورواه الترمذى عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش به وقال حسن

غريب من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل : اللهم فاطر السموات والأرض الخ . وقوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا) وهم المشركون (مافي الأرض جميعا ومثله معه) أي ولو أن جميع مافي الأرض وضعفه معه (لافتدوا به من سوء العذاب) أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبا كما قال في الآية الأخرى (وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم مالم يكن في بالهم ولا في حسابهم (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن الإنسان أنه في حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل وينيب إليه ويدعوه وإذا خوله نعمة منه بغى وطغى وقال (إنما أوتيته على علم) أي لما يعلم الله تعالى من استحقاقي له ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا قال قتادة على علم عندي على خير عندي قال الله عز وجل (بل هي فتنة) أي ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصي مع علمنا المتقدم بذلك فهي فتنة أي اختبار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون (قد قالها الذين من قبلهم) أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم (فما أغنى عنهم ما كانو يكسبون) أي فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون (فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء) أي من المخاطبين (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي كما أصاب أولئك (وما هم بمعجزين) كما قال تبارك وتعالى مخبرا عن قارون أنه قال له قومه (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وقال تعالى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) وقوله تبارك وتعالى (أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي لعبرا وحججا

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ

حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والانابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . قال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذى تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) ونزل (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى عنهما به . والمراد من الآية الأولى قوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا أبو قبيل قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزنى يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) » إلى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن أشرك ؟ فسكت النبى ﷺ ثم قال « ألا ومن أشرك » ثلاث مرات تفرد به الإمام أحمد . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا شريح بن النعمان ثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحدانى عن مكحول عن عمرو بن عنبسة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على عصا له فقال : يا رسول الله إن لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى ؟ فقال ﷺ « ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » قال بلى وأشهد أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « قد غفر لك غدراتك وفجراتك » تفرد به أحمد . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (إنه عمل غير صالح) وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى إنه الغفور الرحيم) ورواه أبو داود والترمذى من حديث ثابت به . فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فان باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) وقال عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقال جل وعلا فى حق المنافقين (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحوا) وقال جل جلاله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) ثم قال جلت عظمته (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقال تبارك وتعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) قال الحسن البصرى رحمة الله عليه انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة والآيات فى هذا كثيرة جدا . وفى الصحيحين عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث الذى قتل تسعا وتسعين نفسا ثم ندم وسأل عابدا من عباد بنى إسرائيل هل له من توبة ، فقال لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت فى أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل أن

يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الأرض التى هاجر إليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة ، وذكر أنه نأى بصدره عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد ، هذا معنى الحديث وقد كتبناه فى موضع آخر بلفظه . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) إلى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ومن زعم أن عزيرا ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء ، من قال أنا ربكم الأعلى وقال (ما علمت لكم من إله غيرى) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه وروى الطبرانى من طريق الشعبى عن شتير ابن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول إن أعظم آية فى كتاب الله (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وإن أجمع آية فى القرآن بخير وشر (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكثر آية فى القرآن فرحا فى سورة الغرف (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وإن أشد آية فى كتاب الله تفويضا (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فقال له مسروق صدقت . وقال الأعمش عن أبى سعيد عن أبى الكنود قال مر عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) رواه ابن أبى حاتم رحمه الله

﴿ ذكر أحاديث فيها نفى القنوط ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان ثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدى حدثنى حسن السدوسى قال دخلت على أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذى نفسى بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطايا كم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذى نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم » تفرد به أحمد . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنى الليث حدثنى محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبى صرمة عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول « لو لا أنكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوما يذنبون فيغفر لهم » هكذا رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم فى صحيحه والترمذى جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظى عن أبى صرمة وهو الأنصارى صحابى عن أبى أيوب رضى الله تعالى عنهما به . وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحرانى ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكرى قال سمعت أبى يحدث عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « كفارة الذنب الندامة » وقال رسول الله صلى الله عليه سلم « لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم » تفرد به أحمد . وقال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنى عبد الأعلى بن حماد القرشى ثنا داود ابن عبد الرحمن ثنا أبو عبد الله مسلمة بن عبد الله الرازى عن أبى عمرو البجلى عن عبد الملك بن سفيان الثقفى عن أبى جعفر محمد بن على عن محمد بن الحنفية عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يحب العبد المفتن التواب » ولم يخرجوه من هذا الوجه

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن إبليس لعنه الله تعالى قال يا رب إنك أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وإنى لا أستطيعه إلا بسلطانك قال فأنت مسلط ، قال يارب زدنى ، قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله ، قال يارب زدنى قال أجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يا رب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان

إلا غرورا » فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب قد سلطته على وإنى لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء ، قال يارب زدنى ، قال الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها قال يارب زدنى قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح فى الجسد قال يارب زدنى قال (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وقال محمد بن إسحاق قال نافع عن عبد الله ابن عمر عن عمر رضى الله عنهما فى حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) قال عمر رضى الله عنه فكتبتها بيدى فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضى الله عنه قال : فقال هشام لما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه وأصوت ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عزوجل فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) الخ : أى ارجعوا إلى الله واستسلموا له (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أى بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) وهو القرآن العظيم (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) أى من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عزوجل (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) أى يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط فى التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عزوجل ، وقوله تبارك وتعالى (وإن كنت لمن الساخرين) أى إنما كان عملى فى الدنيا عمل ساخر مستهزىء غير موقن مصدق (أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) أى تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه . وقال تعالى (ولا ينبئك مثل خبير) (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فأخبر الله عزوجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقد قال الإمام أحمد حدثنا أسود ثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هدانى فتكون عليه حسرة ، قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هدانى قال فيكون له الشكر » ورواه النسائى من حديث أبى بكر بن عياش به ، ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله قال الله سبحانه وتعالى (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتى فى الدار الدنيا وقامت حججى عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها .

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه ، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، وتبيض

وجوه أهل السنة والجماعة قال تعـالى ههنا (ويوم ترى الذين كذبوا على الله) أى فى دعواهم له شريكا وولداً (وجوههم مسودة) أى بكذبهم وافترائهم وقوله تعـالى (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ؟) أى أليست جهنم كافية لها سجنا وموئلا لهم فيها الخزى والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب ثنا عمى ثنا عيسى بن أبى عيسى الخياط عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر فى صور الناس يعلوهم كل شىء من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار فى واد يقال له بولس من نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال » ، وقوله تبارك وتعالى (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) أى بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله (لا يمسهم السوء) أى يوم القيامة (ولاهم يحزنون) أى ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزحون عن كل شر نائلون كل خير

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته وقوله عز وجل (له مقاليد السموات والأرض) قال مجاهد : المقاليد هى المفاتيح بالفارسية ، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة ، وقال السدى (له مقاليد السموات والأرض) أى خزائن السموات والأرض ، والمعنى على كلا القولين أن أزمة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ولهذا قال جل وعلا (والذين كفروا بآيات الله) أى حججه وبراهينه (أولئك هم الخاسرون) وقد روى ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا جداً وفى صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فانه قال حدثنا يزيد بن سنان البصرى بمصر ثنا يحيى بن حماد ثنا الأغلب بن تميم عن مخلد ابن هذيل العبدى عن عبد الرحمن المدنى عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) فقال « ما سألنى عنها أحد قبلك يا عثمان » قال صلى الله عليه وسلم « تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ولا قوة إلا بالله ، الأول والآخر والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير . من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرار أعطى خصالا ستا : أما أولاهن فيحرس من إبليس وجنوده وأما الثانية فيعطى قنطارا من الأجر ، وأما الثالثة فترفع له درجة فى الجنة ، وأما الرابعة فيتزوج من الحور العين ، وأما الخامسة فيحضره اثنا عشر ملكا ، وأما السادسة فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ، وله مع هذا يا عثمان من الأجر ، كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فتقبلت عمرته فان مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء » ورواه أبو يعلى الموصلى من حديث يحيى بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟) ذكروا فى سبب نزولها ما رواه ابن أبى حاتم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟ * ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وهذه كقوله تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) . وقوله عز وجل (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى (وما قدروا الله حق قدره) أى ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شىء المالك لكل شىء وكل شىء تحت قدره وقدرته ، قال مجاهد نزلت فى قريش ، وقال السدى ما عظموه حق تعظيمه ، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوا . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (وما قدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم . فمن آمن أن الله على كل شىء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف . قال البخارى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية ورواه البخارى أيضا فى غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضى الله عنه بنحوه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع ، قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر الآية ، وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن حسن الأشقر ثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه — وأشار بالسبابة — والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه — كل ذلك يشير بأصابعه — قال فأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) الآية وكذا رواه الترمذى فى التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن محمد بن الصلت عن أبى جعفر عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى مسلم بن صبيح به وقال الحسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ثم قال البخارى حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث ثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر . وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على اصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر ، وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا إسحق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر « يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم » فرجف برسول صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به وقد رواه مسلم والنسائى وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبى حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبى حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما به نحوه ، ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم فى هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كيف يحكى النبى ﷺ قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شىء منه حتى إنى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا أبو على الحنفى ثنا عباد المنقرى حدثنى محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر (وما قدروا الله حق قدره – حتى بلغ – سبحانه وتعالى عما يشركون) فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ، ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبرانى من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وقال صحيح . وقال الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبى ثنا حسان بن نافع عن صخر بن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن أبى شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضى الله عنهم « إنى قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة » فقرأها صلى الله عليه وسلم من عند (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكى فلم نبك فقال صلى الله عليه وسلم « إنى سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك » هذا حديث غريب جداً وأغرب منه ما رواه فى المعجم الكبير أيضا حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادى لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبدا : لو كشفت غطائى فرآنى حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقى إذا أتيتهم وقبضت السموات بيدى ثم قبضت الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذى له الملك دونى فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمداً غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم » وهذا إسناد متقارب وهى نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) هذه النفخة هى الثانية وهى نفخة الصعق وهى التى يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحا به مفسرا فى حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحى القيوم الذى كان أولا وهو الباقى آخرا بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول (لله الواحد القهار) أنا الذى كنت وحدى وقد قهرت كل شىء وحكمت بالفناء على كل شىء ، ثم يحيى أول من يحيى إسرافيل ويأمره أن ينفخ فى الصور أخرى وهى النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) أى أحياء بعد ما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى (فإنما هى زجرة واحدة

فإذا هم بالساهرة) . وقال عز وجل (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال جل وعلا (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما إنك تقول الساعة تقوم إلى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيئا إنما قلت سترون بعد قليل أمرا عظيما ثم قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث فيهم أربعين لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفى فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى ان لو كان أحدهم كان فى كبد جبل لدخلت عليه » قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم فى ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطرا كأنه الطل ــ أو الظل شك نعمان ــ فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال أيها الناس هلموا إلى ربكم (وقفوهم إنهم مسؤلون) ــ قال ــ ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبا ويومئذ يكشف عن ساق » انفرد بإخراجه مسلم فى صحيحه

﴿ حديث أبى هريرة رضى الله عنه ﴾ وقال البخارى حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما بين النفختين أربعون » قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال رضى الله تعالى عنه أبيت ، قالوا أربعون سنه ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهرا ؟ قال أبيت ويبلى كل شىء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق

وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من يا قوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون فى الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا إلى ربنا لننظر كيف يقضى بين خلقه يضحك إليهم إلهى وإذا ضحك إلى عبد فى موطن فلا حساب عليه » رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش فانه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله تبارك وتعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها) أى أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء (ووضع الكتاب) قال قتادة كتاب الأعمال (وجىء بالنبيين) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم (والشهداء) أى الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر (وقضى بينهم بالحق) أى بالعدل (وهم لا يظلمون) قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال جل وعلا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ولهذا قال عز وجل (ووفيت كل نفس ما عملت) أى من خير أو شر (وهو أعلم بما يفعلون)

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ

عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ * قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد كما قال عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أي يدفعون اليها دفعا ، وهذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا في الآية الأخر (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) وهم في تلك الحال صم وبكم وعمى منهم من يمشي على وجهه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) وقوله تبارك وتعالى (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) أي بمجرد وصولهم اليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل (ألم يأتكم رسل منكم ؟) أي من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم (يتلون عليكم آيات ربكم) أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة مادعوكم إليه (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم ، فيقول الكفار لهم (بلى) أي قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل كما قال عز وجل مخبرا عنهم في الآية الأخرى (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) أي رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) أي بعدا لهم وخسارا

وقوله تبارك وتعالى ههنا (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أي كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ماهم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أي ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولازوال لكم عنها (فبئس مثوى المتكبرين) أي فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن اتباع الحق فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه فبئس الحال وبئس المآل

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ * وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾

وهذ إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة زمرا أي جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا (حتى إذا جاءوها) أي وصلوا إلى أبوب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر في المواطن كلها وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول شفيع في الجنة » وفي لفظ لمسلم « وأنا أول من يقرع باب الجنة »

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لاأفتح لأحد قبلك » ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا » ورواه البخاري عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر باسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة لايبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » وأخرجاه أيضا من حديث جرير وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي عنه عن رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال يارسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال ﷺ « سبقك بها عكاشة » أخرجاه وقد روى هذا الحديث - في السبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب - البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهني وأم قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولهما عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل » وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر بن عبد الله بن يحي عن أبي أمامة ورواه الطبراني عن عيينة[1] بن عبد السلمي « ثم مع كل ألف سبعين ألفا » ويروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنماري وله شواهد من وجوه كثيرة وقوله تعالى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) لم يذكر الجواب ههنا ، وتقديره حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراما وتعظيما وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب فتقديره إذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل مايكون لهم فيه نعيم ، وإذا حذف الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل ، ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى (وفتحت أبوابها) واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع ، وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان » فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله

(١) في نسخة عن عتبة . وقوله ثم مع كل ألف الخ . في نسخة ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا .

ماعلى أحد من ضرورة دعى من أيها دعى فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال ﷺ « نعم وأرجو أن تكون منهم » رواه البخارى ومسلم من حديث الزهرى بنحوه وفيهما من حديث أبى حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن فى الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » . وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وقال الحسن بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مفتاح الجنة لا إله إلا الله »

﴿ ذكر سعة أبواب الجنة ــ نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها ﴾

فى الصحيحين من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث الشفاعة الطويل « فيقول الله تعالى يامحمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فى الأبواب الأخر والذى نفس محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة مابين عضادتى الباب لكما بين مكة أوهجر ــ وهجر ومكة ــ وفى رواية ــ مكة وبصرى » . وفى صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها ولقد ذكر لنا أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وفى المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ، وقال عبد بن حميد ثنا الحسن بن موسى ثنا بن لهيعة ثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن مابين مصراعين فى الجنة مسيرة أربعين سنة » . وقوله تبارك وتعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) أى طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين فى بعض الغزوات « إن الجنة لايدخلها إلا نفس مسلمة ــ وفى رواية ــ مؤمنة » وقوله (فادخلوها خالدين) أى ماكثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى يقول المؤمنون إذا عاينوا فى الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك (الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى الذى كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا فى الدنيا (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) وقولهم (وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) . قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدى وابن زيد أى أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) ولهذا قالوا (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس رضى الله عنه فى قصة المعراج قال النبى صلى الله عليه وسلم « أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » . وقال عبد بن حميد حدثنا روح بن عباده ثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق » وكذا رواه مسلم من حديث أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه به ورواه مسلم أيضا عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال إن ابن صائد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) قال سيقوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا

إلى إحداها فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أبشارهم بعدها أبدا ولم تشعث أشعارهم أبدا بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا إلى الأخرى كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما كان فى بطونهم من أذى أو قذى وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا ، قال وينطلق غلام من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه فى الدنيا فيقلن أنت رأيته فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى تخرج إلى أسكفة الباب قال فيجيء فاذا هو بنمارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابى مبثوثة قال ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه فاذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه إلى سقفه فلولا أن الله تعالى قدره له لألم أن يذهب ببصره إنه لمثل البرق ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين ثم يتكىء على أريكة من أرائكه ثم يقول (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

ثم قال حدثنا أبى ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدى ثنا مسلمة بن جعفر البجلى قال : سمعت أبا معاذ البصرى يقول إن عليا رضى الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو يؤتون - بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل ما فى بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجرى عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين ياعلى فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجدا - فيقول ارفع رأسك فانما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفوا أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبى وأنا حبك وأنا الخالدة التى لا أموت وأنا الناعمة التى لا أبأس وأنا الراضية التى لا أسخط ، وأنا المقيمة التى لا أظعن فيدخل بيتا من أسه إلى أسقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها فى البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضى جماعها فى مقدار ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن - قال صاف لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال لم يخرج من ضروع الماشية - وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال لم تعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل مصفى - قال لم يخرج من بطون النحل ، يستجنى الثمار فإن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء متكئا - ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) - فيشتهى الطعام فيأتيه طير أبيض - قال وربما قال أخضر قال - فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أى الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون . ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت فى الأرض لأضاءت الشمس معها سوادا فى نور » هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

لما ذكر تعالى حكمه فى أهل الجنة والنار وأنه نزل كلا فى المحل الذى يليق به ويصلح له وهو العادل فى ذلك الذى لا يجور ، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل ولهذا قال عزوجل (وقضى

بينهم) أي بين الخلائق (بالحق) . ثم قال (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) .

﴿ تفسير سورة المؤمن وهي مكية ﴾

قد كره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وإنما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن لكل شيء لباباً ولباب القرآن آل حم أو قال الحواميم وقال مسعر بن كدام كان يقال لهن العرائس روى ذلك كله الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتاب فضائل القرآن . وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن أورده البغوي . وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات أتأنق فيهن . وقال أبو عبيد ثنا الأشجعي حدثنا مسعر هو ابن كدام عمن حدثه أن رجلا رأى أبا الدرداء رضي الله عنه يبني مسجداً فقال له ما هذا ؟ فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء رضي الله عنه هو المسجد المنسوب اليه داخل قلعة دمشق ، وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وضع له فان هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في بعض الغزوات « إن بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون — وفي رواية — لا تنصرون » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن الحكم بن ظبيان بن خلف المازني ومحمد بن الليث الهمداني قالا حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء » ثم قال لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد ورواه الترمذي من حديث المليكي وقال تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا وقد قيل إن (حم) اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا في ذلك بيتا

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

وقد ورد في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال: حدثني من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون » وهذا إسناد صحيح ، واختار أبو عبيد أن يروى فقولوا حم لا ينصروا أي إن قلتم ذلك لا ينصروا جعله جزاء لقوله فقولوا

وقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) أي تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذي العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه . وقوله عز وجل (غافر الذنب وقابل التوب) أي يغفر ما سلف

من الذنب ويقبل التوبة فى المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه وقوله جل وعلا (شديد العقاب) أى لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى وهـذه كقوله (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) يقرن هذين الوصفين كثيراً فى مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف ، وقوله تعالى (ذى الطول) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى السعة والغنى ، وهكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال يزيد بن الأصم ذى الطول يعنى الخير الكثير . وقال عكرمة (ذى الطول) ذى المن ، وقال قتادة ذى النعم والفواضل ، والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والانعام التى لايطيقون القيام بشكر واحدة منها (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) الآية . وقوله جلت عظمته (لا إله إلا هو) أى لانظير له فى جميع صفاته فلا إله غيره ولا رب سواه (إليه المصير) أى المرجع والمآب فيجازى كل عامل بعمله (وهو سريع الحساب) وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا إسحاق السبيعى يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ياأمير المؤمنين إنى قتلت فهل لى من توبة فقرأ عمر رضى الله عنه (حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال اعمل ولا تيأس . رواه ابن أبى حاتم واللفظ له وابن جرير . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا موسى ابن مروان الرقى ثنا عمر يعنى ابن أيوب أنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ففقده عمر فقال مافعل فلان بن فلان ، فقالوا ياأمير المؤمنين تتابع فى هـذا الشراب . قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه ، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضى الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، قد حذرنى عقوبته ووعدنى أن يغفر لى . ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع ، فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووثقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد ثنا أبو عمر الصفار ثنا ثابت البنانى قال كنت مع مصعب بن الزبير رضى الله عنه فى سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلى ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا إله إلا هو إليه المصير فاذا رجل خلفى على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال إذا قلت غافر الذنب فقل ياغافر الذنب اغفر لى ذنبى ، وإذا قلت وقابل التوب فقل ياقابل التوب اقبل توبتى ، وإذا قلت شديد العقاب فقل ياشديد العقاب لاتعاقبنى ، قال فالتفت فلم أر أحدا فخرجت إلى الباب فقلت مربكم رجل عليه مقطعات يمنية ، قالوا ما رأينا أحداً فكانوا يرون أنه إلياس ، ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر إلياس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِي ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾

يقول تعالى ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إلا الذين كفروا) أى الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) أى فى أموالها ونعيمها وزهرتها كما قال جل وعلا (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال عز وجل (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ثم قال تعالى مسلياً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تكذيب من كذبه من قومه بأن له أسوة من سلف من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانه قد كذبهم أممهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم إلا قليل فقال (كذبت

قبلهم قوم نوح) وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الأوثان (والأحزاب من بعدهم) أى من كل أمة (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أى حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) أى ما حاولوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلى

وقد قال أبو القاسم الطبرانى ثنا على بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبى يحدث عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم » وقوله جلت عظمته (فأخذتهم) اى أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام (فكيف كان عقاب) أى فكيف بلغك عذابى لهم ونكالى بهم قد كان شديدا موجعا مؤلما . قال قتادة كان شديدا والله . وقوله جل جلاله (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأحرى لأن من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك والله أعلم .

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أى يقرنون بين التسبيح الدال على نفى النقائص والتحميد المقتضى لإثبات صفات المدح (ويؤمنون به) أى خاشعون له أذلاء بين يديه وأنهم (يستغفرون للذين آمنوا) أى من أهل الارض ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة السلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب كما ثبت فى صحيح مسلم « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله » . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبى شيبة ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ « صدق أمية بن أبى الصلت فى شىء من شعره » فقال

زحل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله ﷺ « صدق » فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد

تأبى فما تطلع لنا فى رسلها ... إلا معذبة وإلا تجلد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق » وهذا إسناد جيد وهو يقتضى أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وهنا سؤال وهو أن يقال ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث ؟ وبين الحديث الذى رواه أبو داود ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد ابن أبى ثور عن سماك عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : كنت بالبطحاء فى عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال « ما تسمون هذه ؟ » قالوا

السحاب ، قال « والمزن » قالوا والمزن قال « والعنان » قالوا والعنان ، قال أبو داود ولم أتقن العنان جيدا ، قال « هل تدرون بعدما بين السماء والأرض ؟ » قالوا لا ندرى ، قال « بعدما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » . ثم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سماك ابن حرب به وقال الترمذى حسن غريب وهذا يقتضى أن حملة العرش ثمانية كما قال شهر بن حوش رضى الله عنه : حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما) أى رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات (وقهم عذاب الجحيم) أى وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجع الأليم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع فى منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) أى ساوينا بين الكل فى المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالى حتى يساوى الدانى بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلا منا ومنة . وقال سعيد بن جبير إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم ؟ فيقال إنهم لم يبلغوا طبقتك فى العمل فيقول إنى إنما عملت لى ولهم فيلحقون به فى الدرجة ثم تلا سعيد ابن جبير هذه الآية (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) الآية وأغش عباده للمؤمنين الشياطين . وقوله تبارك وتعالى (إنك أنت العزيز الحكيم) أى الذى لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك (وقهم السيئات) أى فعلها أو وبالها ممن وقعت منه (ومن تق السيئات يومئذ) أى يوم القيامة (فقد رحمته) أى لطفت به ونجيته من العقوبة (وذلك هو الفوز العظيم)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ * هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ * فَٱدْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم فى غمرات النيران يتلظون وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالى مالا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التى كانت سبب دخولهم إلى النار فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارا عاليا نادوهم نداء بأن مقت الله تعالى لهم فى الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم فى هذه الحالة . قال قتادة فى قوله تعالى (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان فى الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم

القيامة ، وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي وذر بن عبيد الله الهمداني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري رحمة الله عليهم أجمعين . وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهـذا هو الصواب الذي لاشك فيه ولا مرية . وقال السـدي أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة ، وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السـلام ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ، وهـذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ماقالا ثلاث إحياءات وإماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما ، والمقصود من هذا كله أن الـكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدى الله عز وجل في عرصات القيامة كما قال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عنـد ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) فلا يجابون ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ونظروا إلى مافيها من العـذاب والنـكال سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة فلا يجابون قال الله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نـكذب بآيات ربنا ونـكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لـكاذبون) فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامعها وأغلالها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ؟ فذوقوا فما للظالمين من نصير) (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فإنا ظالمون * قال اخسؤا فيها ولا تـكلمون) وفي هذه الآية الـكريمة تلطفوا في السؤال وقدموا بين يدى كلامهم مقدمـة وهي قولهم (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أي قدرتك عظيمة فانك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ماتشاء ، وقد اعترفنا بذنوبنا وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا (فهل إلى خروج من سبيل) أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فانك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون ، فأجيبوا أن لاسبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا ، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لاتقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه ، ولهذا قال تعالى (ذلـكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) أي أنتم هكذا تـكونون وإن رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لـكاذبون) وقوله جل وعلا (فالحـكم لله العلي الـكبير)أي هو الحاكم في خلقه العادل الذي لايجور فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا إله إلا هو ، وقوله جل جلاله (هو الذي يريكم آياته) أي يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العـلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها (وينزل لـكم من السماء رزقا) وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ماهو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشـكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء (وما يتذكر) أي يعتبر ويتفـكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها (إلا من ينيب) أي من هو بصير منيب إلى الله تبارك وتعـالى وقوله عز وجل (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الـكافرون)أي فأخلصوا لله وحـده العبـادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلـكهم ومذهبهم . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حـدثنا هشام يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن مدرس المـكي قال : كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صـلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعـمة وله الفضـل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الـكافرون ، قال وكان رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم يهل بهن دبر كل صلاة . ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة « لا إله إلا الله وحده لاشريك له »

وذكر تمامه . وقد ثبت فى الصحيح عن ابن الزبير رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عقب الصلوات المكتوبات « لاإله إلاالله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لاحول ولا قوة إلا بالله ، لاإله إلا الله ، ولانعبد إلا إياه،له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لاإله إلاالله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا الربيع حدثنا الخصيب بن ناصح حدثنا صالح يعنى المرى عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه »

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ * يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ * ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالى على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى (من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان أن هذه مسافة مابين العرش إلى الأرض السابعة فى قول جماعة من السلف والخلف وهو الأرجح إن شاء الله وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء اتساع مابين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة . وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم فى حديث الأوعال مايدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشىء عظيم . وقوله تعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) كقوله جلت عظمته (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لاإله إلا أنا فاتقون) وكقوله تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) ولهذا قال عز وجل (لينذر يوم التلاق) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده ، وقال ابن جريج قال ابن عباس رضى الله عنهما يلتقى فيه آدم وآخر ولده وقال ابن زيد يلتقى فيه العباد . وقال قتادة والسدى وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق ، وقال ميمون بن مهران يلتقى الظالم والمظلوم ، وقد يقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى ماعمله من خير وشر كما قاله آخرون

وقوله جل جلاله (يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شىء) أى ظاهرون بادون كلهم لاشىء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ولهذا قال (يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شىء) أى الجميع فى علمه على السواء . وقوله تبارك وتعالى (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) قد تقدم فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه تعالى يطوى السموات والأرض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وفى حديث الصور أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لاشريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا (لله الواحد القهار) أى الذى هو وحده قد قهر كل شىء وغلبه . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن غالب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو نضرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ينادى مناد بين يدى الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الأحياء والأموات قال وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) . وقوله جلت عظمته (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب) يخبر تعالى عن عدله فى حكمه بين خلقه أنه لايظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزى بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة ولهذا قال تبارك وتعالى (لاظلم اليوم) كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل أنه قال « ياعبادى إنى حرمت الظلم

على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا — إلى أن قال — يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » وقوله عز وجل (إن الله سريع الحساب) أى يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة كما قال جل وعلا (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وقال جل جلاله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر)

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ * وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك لاقترابها كما قال تعالى (أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة) وقال عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقال جل وعلا (اقترب للناس حسابهم) وقال (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال جل جلاله (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) الآية . وقوله تبارك وتعالى (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) قال قتادة وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ، وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد ، ومعنى كاظمين أى ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال ابن جريج (كاظمين) أى باكين . وقوله سبحانه وتعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير . وقوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء أو تمر به وبهم المرأة الحسناء فإذا غفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا غض ، وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها . رواه ابن أبى حاتم ، وقال الضحاك (خائنة الأعين) هو الغمز وقول الرجل رأيت ولم ير ، أو لم أر وقد رأى . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعلم الله تعالى من العين فى نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وما تخفى الصدور) يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزنى بها أم لا ؟ وقال السدى (وما تخفى الصدور) أى من الوسوسة

وقوله عز وجل (والله يقضى بالحق) أى يحكم بالعدل ، قال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (والله يقضى بالحق) قادر على أن يجزى بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة (إن الله هو السميع البصير) وهذا الذى فسر به ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وقوله جل وعلا (والذين يدعون من دونه) أى من الأصنام والأوثان والأنداد (لا يقضون بشىء) أى لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشىء (إن الله هو السميع البصير) أى سميع لأقوال خلقه بصير بهم فيهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل فى جميع ذلك

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا

فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى (أو لم يسيروا) هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد (فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى من الأمم المكذبة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة (وآثارا فى الأرض) أى أثروا فى الأرض من البنايات والمعالم والديارات مالا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) وقال تعالى (وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها) أى مع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهى كفرهم برسلهم(وما كان لهم من الله من واق) أى ومادفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق ، ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التى ارتكبوها واجترموها فقال تعالى (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات (فكفروا) أى مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا (فأخذهم الله) تعالى أى أهلكهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها(إنه قوى شديد العقاب) أى ذو قوة عظيمة وبطش شديد (وهو شديد العقاب) أى عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوٓا أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَٱسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد ﷺ فى تكذيب من كذبه من قومه ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له فى الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فان الله تعالى أرسله بالآيات البينات والدلائل الواضحات ولهذا قال تعالى (بآياتنا وسلطان مبين) والسلطان هو الحجة والبرهان (إلى فرعون) وهو ملك القبط بالديار المصرية (وهامان) وهو وزيره فى مملكته(وقارون) وكان أكثر الناس فى زمانه مالا وتجارة (فقالوا ساحر كذاب) أى كذبوه وجعلوه ساحرا مجنونا مموها كذاباً فى أن الله أرسله وهذه كقوله تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون) (فلما جاءهم بالحق من عندنا) أى بالبرهان القاطع الدال على أن الله عز وجل أرسله إليهم (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بنى إسرائيل . أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين ، وأما الأمر الثانى فللعلة الثانية ولاهانه هذا الشعب ولكى يتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا*قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) قال قتادة هذا أمر بعد أمر ، قال الله عز وجل (وما كيد الكافرين إلا فى ضلال)أى ومامكرهم وقصدهم الذى هو تقليل عدد بنى إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك فى ضلال (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه) وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة والسلام أى قال لقومه دعونى حتى أقتل لكم هذا (وليدع ربه) أى لا أبالى منه ، وهذا فى غاية الجحد والتجهرم والعناد ، وقوله قبحه الله(إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد) يعنى موسى ، يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم

وعاداتهم ، وهذا كما يقال فى المثل : صار فرعون مذكراً ، يعنى واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام. وقرأ الأكثرون (أن يبدل دينكم وأن يظهر فى الأرض الفساد) وقرأ الآخرون (أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد) وقرأ بعضهم (يظهر فى الأرض الفساد) بالضم (وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) أى لما بلغه قول فرعون (ذرونى أقتل موسى) قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال (إنى عذت بربى وربكم) أيها المخاطبون (من كل متكبر) أى عن الحق مجرم لا يؤمن بيوم الحساب) ولهذا جاء فى الحديث عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوما قال « اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم و ندرأ بك فى نحورهم »

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون ، قال السدى : كان ابن عم فرعون ويقال إنه الذى نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام ، واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ، ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لأنه منهم وقال ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذى قال (ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) رواه ابن أبى حاتم وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون (ذرونى أقتل موسى) فأخذت الرجل غضبة لله عزوجل . وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر كما ثبت بذلك الحديث ، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهى قوله (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) اللهم إلا ما رواه البخارى فى صحيحه حيث قال حدثنا على بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى حدثنى عروة بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديدا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟) انفرد به البخارى من حديث الأوزاعى قال وتابعه محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن عروة عن أبيه به : وقال ابن أبى حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الهمدانى حدثنا عبده عن هشام يعنى ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سئل ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله ﷺ ؟ قال مر ﷺ بهم ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال « أنا ذاك » فقاموا إليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضى الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وإن عينيه ليسيلان وهو يقول ياقوم (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائى من حديث عبدة فجعله من مسند عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وقوله تعالى (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أى كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربى الله وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ثم تنزل معهم فى المخاطبة فقال (وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) يعنى إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل

والرأى التام والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فان يك كاذبا فان الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة فى الدنيا والآخرة وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذى يعدكم فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب فى الدنيا والآخرة فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا فينبغى على هذا أن لا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه . وهكذا أخبر الله عزوجل عن موسى عليه السلام أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة فى قوله (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلى عباد الله إنى لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إنى آتيكم بسلطان مبين * وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون * وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون) وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله ولا يمسوه بسوء ويصلوا ما بينه وبينهم من القرابة فى ترك أذيته قال الله عزوجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) أى أن لا تؤذونى فيما بينى وبينكم من القرابة فلا تؤذونى وتتركوا بينى وبين الناس ، وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحاً مبينا ، وقوله جل وعلا (إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) أى لو كان هذا الذى يزعم أن الله تعالى أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون لكان أمره بينا يظهر لكل أحد فى أقواله وأفعاله فكانت تكون فى غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله ، ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله عنهم وحلول نقمة الله بهم (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض) أى قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور فى الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله ﷺ واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) أى لا تغنى عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أرادنا بسوء (قال فرعون) لقومه راداً على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذى كان أحق بالملك من فرعون (ما أريكم إلا ما أرى) أى ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسى وقد كذب فرعون فانه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) وقال الله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلواً) فقوله (ما أريكم إلا ما أرى) كذب فيه وافترى وخان الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورعيته فغشهم وما نصحهم وكذا قوله (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا فى ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه وقال الله تبارك وتعالى (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) وقال جلت عظمته (وأضل فرعون قومه وما هدى) وفى الحديث « ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله تعالى فى الدنيا

والآخرة فقال (يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد (وما الله يريد ظلما للعباد) أي إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره ثم قال (يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة وسمي بذلك قال بعضهم لما جاء في حديث الصور إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك إذا جيء بجهنم ذهب الناس هرابا منهم فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر وهو قوله تعالى (والملك على أرجائها) وقوله (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه والحسن والضحاك أنهم قرأوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير إذا تردى وذهب وقيل لأن الميزان عنده ملك إذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف عمله نادى ألا قد شقي فلان بن فلان وقال قتادة ينادي كل قوم بأعمالهم ، ينادي أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار ، وقيل سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم) ومناداة أهل النار أهل الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف ، واختار البغوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم . وقوله تعالى (يوم تولون مدبرين) أي ذاهبين هاربين (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) ولهذا قال عز وجل (مالكم من الله من عاصم) أي لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد) أي من أضله الله فلا هادي له غيره . وقوله تبارك وتعالى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى عليه الصلاة والسلام وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال تعالى (فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي يئستم فقلتم طامعين (لن يبعث الله من بعده رسولا) وذلك لكفرهم وتكذيبهم (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لاسرافه في أفعاله وارتياب قلبه ، ثم قال عز وجل (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) أي الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فان الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) أي والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفته فان من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر) أي على اتباع الحق (جبار) وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة وحكي عن الشعبي أنهما قالا لا يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجوني وقتادة : آية الجبابرة القتل بغير حق والله تعالى أعلم

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا وهو القصر العالي المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي كما قال تعالى (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا) ولهذا قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون البناء بالآجر وأن يجعلوه في

قبورهم رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات) الخ قال سعيد بن جبير وأبو صالح أبواب السموات وقيل طرق السموات (فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وهـذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام فى أن الله عز وجل أرسله إليه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) أى بصنعه هذا الذى أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تـكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى (وما كيد فرعون إلا فى تباب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى إلا فى خسار

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ * يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الجبار الأعلى فقال لهم (يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) لا كما كذب فرعون فى قوله (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) ثم زهدهم فى الدنيا التى قد آثروها على الأخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال (يا قوم إنما هـذه الحياة الدنيا متاع) أى قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل (وإن الآخرة هى دار القرار)أى الدار التى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها بل إما نعيم وإما جحيم ولهذا قال جلت عظمته (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) أى واحدة مثلها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله عز وجل ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاد والله تعالى الموفق للصواب

﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ * تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ * فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾

يقول لهم المؤمن ما بالى أدعوكم إلى النجاة وهى عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه (وتدعوننى إلى النار*تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم) أى على جهل بلا دليل (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) أى هو فى عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه (لا جرم أنما تدعوننى إليه) يقول حقا؟ قال السدى وابن جرير معنى قوله (لاجرم) حقا وقال الضحاك(لاجرم) لا كذب وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس(لاجرم) يقول بلى إن الذى تدعوننى إليه من الأصنام والأنداد (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) قال مجاهد :الوثن ليس له شيء ، وقال قتادة يعنى الوثن لا ينفع ولا يضر ، وقال السدى : لا يجيب داعيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وهذا كقوله تبارك وتعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون؟* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لـكم) وقوله (وأن مردنا إلى الله) أى فى الدار الآخرة فيجازى كلا بعمله ولهذا قال (وأن المسرفين هم أصحاب النار) أى

خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل (فستذكرون ما أقول لكم) أى سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم (وأفوض أمرى إلى الله) أى وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم (إن الله بصير بالعباد) أى هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدى من يستحق الهداية ويضل من يستحق الاضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ . وقوله تبارك وتعالى (فوقاه الله سيئات مامكروا) أى فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام وأما فى الآخرة فبالجنة (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهو الغرق فى اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم ، فان أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم فى النار ولهذا قال (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى أشده ألما وأعظمه نكالا ، وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور وهى قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا)

ولكن هنا سؤال وهو أنه لاشك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر فى البرزخ وقد قال الإمام أحمد ثنا هاشم هو ابن القاسم أبو النضر ثنا إسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ثنا سعيد يعنى أباه عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضى الله عنها إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قالت عائشة رضى الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فقلت يارسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا ، من زعم ذلك ؟ » قالت هذه اليهودية لا أصنع اليها شيئا من المعروف إلا قالت وقاك الله عذاب القبر قال ﷺ « كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة » ثم مكث بعد ذلك ماشاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادى بأعلى صوته « القبر كقطع الليل المظلم ، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا ، أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فان عذاب القبر حق » وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك فلما رأت النبى صلى الله عليه وسلم قالت له فقال ﷺ « لا » قالت عائشة رضى الله عنها ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك « وإنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم » وهذا أيضا على شرطهما . فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشيا فى البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها فى القبور إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد فى البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة فى الأحاديث المرضية الآتى ذكرها . وقد يقال إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار فى البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن فى قبره بذنب . ومما يدل على ذلك مارواه الإمام أحمد ثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهى تقول أشعرت أنكم تفتنون فى قبوركم ! فارتاع رسول الله ﷺ وقال « إنما يفتن يهود » قالت عائشة رضى الله فلبثنا ليالى ثم قال رسول الله ﷺ « ألا إنكم تفتنون فى القبور » وقالت عائشة رضى الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيذ من عذاب القبر ، وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الإيلى عن الزهرى به

وقد يقال إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح فى البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل فى الأجساد فى قبورها فلما أوحى إلى النبى ﷺ فى ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد روى البخارى من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبى الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله من عذاب القبر فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر

فقال صلى الله عليه وسلم « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضى الله عنها : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر . فهذا يدل على أنه بادر صلى الله عليه وسلم إلى تصديق اليهودية فى هذا الخبر وقرر عليه ، وفى الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحى فلعلهما قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا وقال قتادة فى قوله تعالى (غدوا وعشيا) صباحا ومساء مابقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم ، وقال ابن زيد هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة . وقال ابن أبى حاتم ثنا أبوسعيد ثنا المحاربى ثنا ليث عن عبد الرحمن بن ثروان عن هذيل عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر تسرح بهم فى الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح ولدان المؤمنين فى أجواف عصافير تسرح فى الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة فى العرش ، وإن أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها ، وقد رواه الثورى عن أبى قيس عن أبى الهذيل ابن شرحبيل من كلامه فى أرواح آل فرعون وكذلك قال السدى . وفى حديث الإسراء عن رواية أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه « ثم انطلق بى إلى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً (. ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وآل فرعون كالإبل المسومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون » وقال ابن أبى حاتم ثنا على بن الحسين ثنا زيد بن أخرم ثنا عامر بن مدرك الحارثى ثنا عتبة — يعنى ابن يقظان — عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه الله تعالى » قال قلنا يارسول الله ما إثابة الله الكافر؟ فقال « إن كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك » قلنا فما إثابته فى الآخرة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « عذابا دون العذاب » وقرأ (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ورواه البزار فى مسنده عن زيد بن أخرم ثم قال : لانعلم له إسنادا غير هذا . وقال ابن جرير ثنا عبد الكريم بن أبى عمير ثنا حماد بن محمد الفزارى البلخى قال سمعت الأوزاعى وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا فوجا فوجاً لايعلم عددها إلا الله عز وجل فاذا كان العشى رجع مثلها سودا قال وفطنتم إلى ذلك ! قال نعم ، قال إن ذلك الطير فى حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا فترجع إلى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدو على النار غدواً وعشيا ثم ترجع إلى وكورها ، فذلك دأبهم فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قال وكانوا يقولون إنهم ستمائة ألف مقاتل ، وقال الإمام أحمد ثنا إسحاق ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة » أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك به

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ * قَالُوٓا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَٱدْعُوا وَمَا دُعَٰٓؤُا ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار فى النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء (إنا كنا لكم تبعا) أى أطعنا كم فيما دعوتمونا إليه فى الدنيا من الكفر والضلال (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أى قسطا تتحملونه عنا (قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أى لا نتحمل عنكم شيئا كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال (إن الله قد حكم بين العباد) أى فقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال (اخسئوا فيها ولا تكلمون) سألوا الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى فى أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب فقالت لهم الخزنة رادين عليهم (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟) أى أوما قامت عليكم الحجج فى الدنيا على ألسنة الرسل (قالوا بلى قالوا فادعوا) أى أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم برآء ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أولم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) أى إلا فى ذهاب لا يقبل ولا يستجاب

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ * هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ * فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

قد أورد أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) سؤالا فقال قد علم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحى وزكريا وشعيا ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجرا كابراهيم ، وإما إلى السماء كعيسى فأين النصرة فى الدنيا ثم أجاب عن ذلك بجوابين ﴿أحدهما﴾ أن يكون الخبر خرج عاما والمراد به البعض قال وهذا سائغ فى اللغة ﴿الثانى﴾ أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم وسواء كان ذلك بحضرتهم أو فى غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل بقتلة يحى وزكريا وشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إماما عادلا وحكما مقسطا فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الاسلام وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى فى خلقه فى قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين فى الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب » وفى الحديث الآخر « إنى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث الحرب » ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباههم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق . وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحدا وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحدا ، قال السدى لم يبعث الله عز وجل رسولا قط إلى قوم فيقتلونه أو قوما من المؤمنين يدعون

إلى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها . وهكذا نصر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هى العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان ، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعوانا ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ، ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة فقرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم فأنقذه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكمالها ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى إلى الله جل وعلا ، وفتحوا البلاد والرساتيق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها . ثم لايزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا إلى قيام الساعة ولهذا قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أي يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل ، قال مجاهد : الأشهاد الملائكة . وقوله تعالى (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم) بدل من قوله (ويوم يقوم الأشهاد) وقرأ آخرون يوم بالرفع كأنه فسره به (يوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين) وهم المشركون (معذرتهم) أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية (ولهم اللعنة) أي الابعاد والطرد من الرحمة (ولهم سوء الدار) وهي النار قاله السدي بئس المنزل والمقيل ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ولهم سوء الدار) أي سوء العاقبة وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الهدى) وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور (وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه بما صبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التورة (هدى وذكرى لأولي الألباب) وهي العقول الصحيحة السليمة . وقوله عز وجل (فاصبر) أي يامحمد (إن وعد الله حق) أي وعدناك أنا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك والله لا يخلف الميعاد وهذا الذي أخبرناك به حق لامرية فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى (واستغفر لذنبك) هذا تهييج للامة على الاستغفار (وسبح بحمد ربك بالعشي) أي في أواخر النهار وأوائل الليل (والابكار) وهي أوائل النهار وأواخر الليل . وقوله تعالى (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) أي يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولاحجة من الله (إن في صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه) أي مافي صدورهم إلا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس مايرومونه من إخماد الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق هو المرفوع وقولهم وقصدهم هو الموضوع (فاستعذ بالله) أي من حال مثل هؤلاء (إنه هو السميع البصير) أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن جرير وقال كعب وأبو العالية نزلت هذه الآية في اليهود (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبرماهم ببالغيه) قال أبو العالية وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم وأنهم يملكون به الأرض فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمرا له أن يستعيذ من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة وأن ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السموات والأرض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة فمن قدر على ذلك فهو قادر على مادونه بطريق الأولى والأحرى كما قال تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير) وقال ههنا (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون) فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض وينكرون المعاد استبعادا وكفرا وعنادا وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا ثم قال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ماتتذكرون) أى كما لايستوى الأعمى الذى لا يبصر شيئا والبصير الذى يرى ماانتهى اليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم كذلك لايستوى المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار (قليلا ماتتذكرون) أى ماأقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال تعالى (إن الساعة لآتية) أى لكائنة وواقعة (لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون) أى لايصدقون بها بل يكذبون بوجودها . قال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثورى يقول يامن أحب عباده اليه من سأله فأكثر سؤاله ، ويامن أبغض عباده اليه من لم يسأله وليس أحد كذلك غيرك يارب . رواه ابن أبي حاتم وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

الله يغضب إن تركت سؤاله ۞ وبنى آدم حين يسأل يغضب

وقال قتادة : قال كعب الأحبار أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعطهن أمة قبلها لا نبى : كان إذا أرسل الله نبيا قال له أنت شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس ، وكان يقال له ليس عليك فى الدين من حرج وقال لهذه الأمة (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وكان يقال له ادعنى أستجب لك وقال لهذه الأمة (ادعونى أستجب لكم) رواه ابن أبي حاتم . وقال الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى فى مسنده حدثنا أبو إبراهيم الترجمانى حدثنا صالح المدنى قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال « أربع خصال واحدة منهن لى وواحدة لك وواحدة فيما بينى وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادى ، فأما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا وأما التى لك على فما عملت من خير جزيتك به وأما التى بينى وبينك فمنك الدعاء وعلى الاجابة وأما التى بينك وبين عبادى فارض لهم ماترضى لنفسك » . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن ذر عن يسيع الكندى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن أبى حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن ذر به وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثورى عن منصور عن ذر به ، ورواه ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما وقال الحاكم صحيح الاسناد وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنى أبو صالح المدنى شيخ من أهل المدينة سمعه عن أبى صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يدع الله عز وجل غضب عليه » تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا مروان الفزارى حدثنا صبيح أبو المليح سمعت أبا صالح يحدث عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يسأله يغضب عليه » قال ابن معين أبو المليح هذا اسمه صبيح كذا قيده بالضم

عبد الغنى بن سعيد وأما أبو صالح هذا فهو الخوزى سكن شعب الخوز ، قاله البزار فى مسنده ، وكذا وقع فى روايته أبو المليح الفارسى عن أبى صالح الخوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يسأل الله يغضب عليه » . وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى حدثنا همام حدثنا إبراهيم ابن الحسن حدثنا نائل بن نجيح حدثنى عائذ بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد بن مسلمة الأنصارى وجدنا فى ذؤابة سيفه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لربكم فى بقية أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدا » وقوله عز وجل (إن الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن دعائى وتوحيدى سيدخلون جهنم داخرين أى صاغرين حقيرين كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس يعلوهم كل شىء من الصغار حتى يدخلوا سجنا فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس قال سمعت أبى يحدث عن وهيب بن الورد حدثنى رجل قال كنت أسير ذات يوم فى أرض الروم فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك يارب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك . قال ثم ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى قال ثم عاد الثانية فقال يارب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشىء من سخطك يرضى غيرك قال وهيب وهذه الطامة الكبرى قال فناديته أجنى أنت أم إنسى ؟ قال بل إنسى اشغل نفسك بما يعنيك عما لا يعنيك

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذى يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم فى المعايش بالنهار وجعل النهار مبصرا أى مضيئا ليتصرفوا فيه بالأسفار وقطع الأقطار والتمكن من الصناعات (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال عز وجل (ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو) أى الذى فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق الأشياء الذى لا إله غيره ولا رب سواه (فأنى تؤفكون) أى فكيف تعبدون غيره من الأصنام التى لا تخلق شيئا بل هى مخلوقة منحوتة

وقوله عز وجل (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى . وجحدوا حجج الله وآياته ، وقوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) أى جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون فى مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم (والسماء بناء) أى سقفا للعالم محفوظا (وصوركم فأحسن صوركم) أى فخلقكم فى أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور فى أحسن تقويم (ورزقكم من الطيبات) أى من المآكل والمشارب فى الدنيا فذكر أنه خالق الدار والسكان والأرزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى فى سورة البقرة (يأيها الناس

اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) . وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الأشياء (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أى فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال تعالى (هو الحى لا إله إلا هو) أى هو الحى أزلا وأبدا لم يزل ولا يزال وهو الأول والآخر والظاهر والباطن (لا إله إلا هو) أى لا نظير له ولا عديل له (فادعوه مخلصين له الدين) أى موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو الحمد لله رب العالمين . قال ابن جرير ؟ كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا إله إلا الله أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملا بهذه الآية . ثم روى عن محمد بن على بن الحسين بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) . وقال أبو أسامة وغيره عن إسماعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير قال إذا قرأت (فادعوا الله مخلصين له الدين) فقل لا إله إلا الله وقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) . قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام يعنى ابن عروة بن الزبير عن أبى الزبير محمد ابن مسلم بن بدر المكى قال كان عبد الله بن الزبير يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبى عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يقول فى دبر كل صلاة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وذكر تمامه

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن الله عزوجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان وقد بين تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه فى قوله جلت عظمته (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) أى هو الذى يقلبكم فى هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له وعن أمره تدبيره وتقديره يكون ذلك كله (ومنكم من يتوفى من قبل)أى من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم بل تسقطه أمه سقطا ومنهم من يتوفى صغيرا وشابا وكهلا قبل الشيخوخة كقوله تعالى (لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) وقال عزوجل ههنا (ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) قال ابن جريج تتذكرون البعث ثم قال تعالى (هو الذى يحيى ويميت) أى هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه (فإذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ *

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ * ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ * ٱدْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

يقول تعالى ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون فى الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) أى من الهدى والبيان (فسوف يعلمون) هذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) وقوله عزوجل (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل) أى متصلة بالأغلال بأيدى الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم ولهذا قال تعالى (يسحبون ، فى الحميم ثم فى النار يسجرون) كما قال تبارك وتعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) وقال عزوجل (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * فى سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم - إلى أن قال - ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم ، هذا نزلهم يوم الدين) وقال عزوجل (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم ، خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، إن هذا ما كنتم به تمترون) أى يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم قال ابن حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزامى عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينشىء الله عزوجل سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أى شىء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقول نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد فى أغلالهم وسلاسل تزيد فى سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم » هذا حديث غريب وقوله تعالى (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله؟) أى قيل لهم أين الأصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم (قالوا ضلوا عنا) أى ذهبوا فلم ينفعونا (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أى جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) ولهذا قال عزوجل (كذلك يضل الله الكافرين) . وقوله (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى تقول لهم الملائكة هذا الذى أنتم فيه جزاء على فرحكم فى الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أى فبئس المنزل والمقيل الذى فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فان الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك فى الدنيا والآخرة (فإما نرينك بعض الذى نعدهم) أى فى الدنيا وكذلك وقع فان الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم أبيدوا فى يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر

جزيرة العرب فى حياته ﷺ وقوله عز وجل (أو نتوفينك فإلينا يرجعون) أى فنذيقهم العذاب الشديد فى الآخرة ، ثم قال تعالى مسليا له (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك كما قال جل وعلا فى سورة النساء سواء أى منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة (ومنهم من لم نقصص عليك) وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك فى سورة النساء ولله الحمد والمنة . وقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله) أى ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتى قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله له فى ذلك فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به (فإذا جاء أمر الله) وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين (قضى بالحق) فينجى المؤمنين ، ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل (وخسر هنالك المبطلون)

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾

يقول تعالى ممتنا على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب ويحمل عليها الأثقال فى الأسفار والرحال إلى البلاد النائية ، والأقطار الشاسعة ، والبقر تؤكل ويشرب لبنها وتحرث عليها الأرض ، والغنم تؤكل ويشرب لبنها والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فصل وبين فى أماكن تقدم ذكرها فى سورة الأنعام وسورة النحل وغير ذلك ولهذا قال عز وجل ههنا (لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون) وقوله جل وعلا (ويريكم آياته) أى حججه وبراهينه فى الآفاق وفى أنفسكم (فأى آيات الله تنكرون) أى لا تقدرون على إنكار شىء من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل فى قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه فى الأرض وجمعوه من الأموال فما أغنى عنهم ذلك شيئا ولا رد عنهم ذرة من بأس الله وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات ، والحجج القاطعات . والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم فى زعمهم عما جاءتهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب وقال السدى فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى مالا قبل لهم به (وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أى يكذبون ويستبعدون وقوعه (فلما رأوا بأسنا) أى عاينوا وقوع العذاب بهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله تبارك وتعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أى فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وهكذا قال تعالى ههنا (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى هذا حكم الله فى جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء فى الحديث

« إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر » أى فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلاتوبة حينئذ ولهذا قال تعالى (وخسر هنالك الكافرون)

﴿ تفسير سورة فصلت وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾

يقول تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) يعنى القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقوله تبارك وتعالى (كتاب فصلت آياته) أى بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآنا عربيا) أى فى حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أى هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله تعالى (لقوم يعلمون) أى إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون (بشيرا أو نذيرا) أى تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أى فى غلف مغطاة (مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر) أى صمم عما جئتنا به (ومن بيننا وبينك حجاب) فلا يصل إلينا شىء مما تقول (فاعمل إننا عاملون) أى اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك ، قال الإمام العالم عبد بن حميد فى مسنده حدثنى ابن أبى شيبة حدثنا على بن مسهر عن الأجلح عن الزيال ابن حرملة الأسدى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت خير أم عبد المطلب ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب ، حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحداً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرغت » قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم — حتى بلغ — فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا ، فقال رسول الله ﷺ « لا » فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك ، قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته ، قالوا فهل أجابك ، قال نعم لا والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال ، قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة . وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أبى بكر بن أبى شيبة بإسناده مثله سواء ، وقد ساقه البغوى فى تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى الكوفى وقد ضعف بعض

الشيء عن الزيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث إلى قوله (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم ، فقال أبوجهل يامعشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا اليه فقال أبوجهل : ياعتبة ماحبسك عنا إلا أنك صبأت إلى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب ، وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى والله تعالى أعلم ، وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال: فقال له رسول الله ﷺ « قل يا أبا الوليد أسمع » قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال « أفرغت يا أبا الوليد ؟ » قال نعم . قال « فاستمع مني » قال افعل . قال (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه . فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك » فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ماهو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله أعلم .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) لا كما

تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين إنما الله إله واحد (فاستقيموا إليه) أى أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل (واستغفروه) أى لسالف الذنوب (وويل للمشركين) أى دمار لهم وهلاك عليهم (الذين لا يؤتون الزكاة) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) وكقوله جلت عظمته (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقوله عز وجل (فقل هل لك إلى أن تزكى؟) والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقا إلى استعماله فى الطاعات، وقال السدى (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أى لا يؤدون الزكاة، وقال معاوية بن قرة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لأن إيجاب الزكاة إنما كان فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم إلا أن يقال لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورا به فى ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فى ابتداء البعثة فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئا فشيئا والله أعلم. ثم قال جل جلاله بعد ذلك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال مجاهد وغيره: غير مقطوع ولا مجبوب كقوله تعالى (ماكثين فيه أبدا) وكقوله عز وجل (عطاء غير مجذوذ) وقال السدى غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة فان المنة لله تعالى على أهل الجنة قال الله تبارك وتعالى (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم، وقال رسول الله ﷺ «إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل».

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شىء القاهر لكل شىء المقتدر على كل شىء فقال (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا) أى نظراء وأمثالا تعبدونها معه (ذلك رب العالمين) أى الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم. وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى (خلق السموات والأرض فى ستة أيام) ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنها كالأساس والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) الآية فأما قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم) ففى هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها) وكان هذا بعد خلق السماء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضى الله عنه فيما ذكره البخارى عند تفسير هذه الآية من صحيحه فانه قال: وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس

رضى الله عنهما إنى لأجد فى القرآن أشياء تختلف على، قال (فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (ولايكتمون الله حديثا) (والله ربنا ما كنا مشركين) فقد كتموا فى هذه الآية ، وقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها - إلى قوله - والأرض بعد ذلك دحاها) فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين - إلى قوله - طائعين) فذكر فى هذه خلق الأرض قبل خلق السماء قال (وكان الله غفوراً رحيما) (عزيزا حكيما) (سميعاً بصيرا) فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضى الله عنهما (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) فى النفخة الأولى (ثم ينفخ فى الصور (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون بينهم فى النفخة الأخرى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وأما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) (ولا يكتمون الله حديثا) فان الله تعالى يغفر لأهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك يعرف أن الله تعالى لايكتم حديثا ، وعنده (يود الذين كفروا) الآية ، وخلق الأرض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما فى يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله (خلق الأرض فى يومين) فخلق الأرض ومافيها من شىء فى أربعة أيام وخلق السموات فى يومين (وكان الله غفورا رحيما) سمى نفسه بذلك وذلك قوله أى لم يزل كذلك فان الله تعالى لم يرد شيئا إلا أصاب به الذى أراد فلا يختلفن عليك القرآن فان كلا من عند الله عز وجل . قال البخارى حدثنيه يوسف بن عدى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو الحديث . وقوله (خلق الأرض فى يومين) يعنى يوم الاحد ويوم الاثنين (وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها) أى جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو مايحتاج أهلها إليه من الارزاق والاماكن التى تزرع وتغرس يعنى يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال (فى أربعة أيام سواء للسائلين) أى لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد فى قوله عز وجل (وقدر فيها أقواتها) جعل فى كل أرض مالايصلح فى غيرها ومنه العصب باليمن والسابورى بسابور والطيالسة بالرى وقال ابن عباس وقتادة والسدى فى قوله تعالى (سواء للسائلين) أى لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين أى على وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة فان الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه وهذا القول يشبه ماذكروه فى قوله تعالى (وآتاكم من كل ماسألتموه) والله أعلم وقوله تبارك وتعالى (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الارض (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) أى استجيبا لأمرى وانفعلا لفعلى طائعتين أو مكرهتين قال الثورى عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) قال : قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعى شمسى وقمرى ونجومى وقال للارض شققى أنهارك وأخرجى ثمارك (قالتا أتينا طائعين) واختاره ابن جرير رحمه الله قالتا أتينا طائعين أى بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعاً مطيعين لك ، حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلا لهن معاملة من يعقل بكلامهما وقيل إن المتكلم من الارض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها والله أعلم وقال الحسن البصرى لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه رواه ابن أبى حاتم (فقضاهن سبع سموات فى يومين) أى ففرغ من تسويتهن سبع سموات فى يومين أى آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى ورتب مقررا فى كل سماء ماتحتاج اليه من الملائكة وما فيها من الاشياء التى لايعلمها إلا هو (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وهى الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الارض (وحفظا) أى حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى (ذلك تقدير العزيز العليم) أى العزيز الذى قد عز كل شىء فغلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد:

قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات الأرض فقال صلى الله عليه وسلم « خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ومافيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين) لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفى الثانية ألقى الآفة على كل شىء مما ينتفع به الناس وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة » ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال « ثم استوى على العرش » قالوا قد أصبت لو أتممت : قالوا ثم استراح ، فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فنزل (ولقد خلقنا السموت والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب * فاصبر على ما يقولون) هذا الحديث فيه غرابة فأما حديث ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » فقد رواه مسلم والنسائى فى كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخارى فى التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى فإنى أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أى ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) كقوله تعالى (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى فى القرى المجاورة لبلادهم بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لاشريك له ومبشرين ومنذرين ، أو ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أولياءه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولاصدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا (لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) أى لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده (فانا بما أرسلتم به) أى أيها البشر (كافرون) أى لانتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال الله تعالى (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض) أى بغوا وعتوا وعصوا (وقالوا من أشد مناقوة ؟) أى منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشدمنهم قوة) أى أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فانه العظيم الذى خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وأن بطشه

شديد كما قال عز وجل (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلهذا قال (فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً) قال بعضهم وهى شديدة الهبوب ، وقيل الباردة . وقيل هى التى لها صوت والحق أنها متصفة بجميع ذلك فانها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جداً كقوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمى النهر المشهور ببلاد الشرق صرصراً لقوة صوت جريه . وقوله تعالى (فى أيام نحسات) أى متتابعات (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) وكقوله (فى يوم نحس مستمر) أى ابتدئوا بهذا العذاب فى يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزى الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى) أشد خزيا لهم (وهم لا ينصرون) أى فى الأخرى كما لم ينصروا فى الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال . وقوله عز وجل (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدى وابن زيد : بينالهم ، وقال الثورى دعوناهم (فاستحبوا العمى على الهدى) أى بصرناهم وبينا لهم ووضحنالهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التى جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أى بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا (بما كانوا يكسبون) أى من التكذيب والجحود (ونجينا الذين آمنوا) أى من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم بتقواهم لله عز وجل

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾

يقول تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أى اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار يوزعون أى تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أى عطاشا . وقوله عز وجل (حتى إذا ما جاءوها) أى وقفوا عليها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) أى بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) أى لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاء (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة) أى فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا على بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال صلى الله عليه وسلم « ألا تسألونى عن أى شىء ضحكت ؟ » قالوا يا رسول الله من أى شىء ضحكت ، قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أى ربى أليس وعدتنى أن لا تظلمنى ، قال بلى فيقول فانى لا أقبل على شاهدا إلا من نفسى فيقول الله تبارك وتعالى أوليس كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين — قال — فيردد هذا الكلام مرارا — قال — فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول بعدا لكن وسحقا ، عنكن كنت

أجادل » ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي عن الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا نعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر ابن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به، ثم قال النسائي لا أعلم أحداً رواه عن الثوري غير الأشجعي وليس كما قال كما رأيت والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة قال أبو موسى : ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عزوجل عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته قال فإذا فعل ذلك ختم على فيه ، قال الأشعري رضي الله عنه فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن عن ابن لهيعة قال دراج عن أبي الليث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك عشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت أبي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فتقر الألسنة بعد الجحود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي . عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لآرابه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا . وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بما أغنى عن إعادته ههنا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال « ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » فقال فتية منهم بلى يارسول الله بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم ياغدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا ؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدقت صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم » هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سليم به وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون *وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم (فأصبحتم من الخاسرين) أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم . قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مستترا بأستار الكعبة

فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان — أو ثقفي وختناه قرشيان — كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر إن سمع منه شيئا سمعه كله — قال — فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم — إلى قوله — من الخاسرين)وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه،وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضا من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ، ورواه البخاري ومسلم أيضا من حديث السفيانين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه به وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) قال «إنكم تدعون يوم القيامة مفدما على أفواهكم بالفدام فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه » قال معمر : وتلا الحسن (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى أنا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني » ثم افتر الحسن ينظر في هذا فقال : ألا إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل ثم قال : قال الله تبارك وتعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم — إلى قوله — وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) وقوله تعالى (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارا فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات . قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى (وإن يستعتبوا) أي يسألوا الرجعة إلى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخبارا عنهم (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون)

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم)أي حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين كما قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) . وقوله تعالى(وحق عليهم القول) أي كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أي استووا هم وإياهم في الخسار والدمار. وقوله تعالى

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) أى تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره (والغوا فيه) أى إذا تلى لا تسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعنى بالمكاء والصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله ، وقال الضحاك عن ابن عباس (والغوا فيه) عيبوه ، وقال قتادة اجحدوا به وأنكروه وعادوه (لعلكم تغلبون) هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ثم قال عز وجل منتصرا للقرآن ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) أى فى مقابلة ما اعتمدوه فى القرآن وعند سماعه (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى بشر أعمالهم وسيء أفعالهم (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) قال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزارى عن أبيه عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى (اللذين أضلانا) قال إبليس وابن آدم الذى قتل أخاه . وهكذا روى العوفى عن على رضى الله عنه مثل ذلك . وقال السدى عن على رضى الله عنه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فإبليس الداعى إلى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الأول كما ثبت فى الحديث « ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» . وقولهم (نجعلهما تحت أقدامنا) أى أسفل منا فى العذاب ليكونا أشد عذاباً منا ولهذا قالوا (ليكونا من الأسفلين) أى فى الدرك الأسفل من النار كما تقدم فى الأعراف فى سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أى أنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانو يفسدون)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾

يقول تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيرى ثنا سهيل بن أبى حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها ، وكذا رواه النسائى فى تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن على الفلاس عن مسلم بن قتيبة به. وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن الفلاس به . ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبى إسحق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبى بكر الصديق رضى الله عنه هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال: قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما تقولون فى هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال فقالوا (ربنا الله ثم استقاموا) من ذنب فقال لقد حملتموه على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره. وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدى وغير واحد ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهرانى أخبرنا حفص بن عمر العقدى عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضى الله عنهما أى آية فى كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال قوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على شهادة أن لا إله إلا الله . وقال الزهرى : تلا عمر رضى الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على أداء فرائضه ، وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ، وقال أبو العالية (ثم استقاموا) أخلصوا له الدين والعمل

وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلا قال يارسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال صلى الله عليه وسلم « قل آمنت بالله ثم استقم » قلت فما أتقي ؟ أومأ إلى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به . ثم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال صلى الله عليه وسلم « قل ربي الله ثم استقم » قلت يارسول الله ما أكثر ماتخاف علي ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ثم قال « هذا » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح . وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » وذكر تمام الحديث . وقوله تعالى (تتنزل عليهم الملائكة) قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه يعني عند الموت قائلين (أن لاتخافوا) قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ماخلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أودين فانا نخلفكم فيه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير : وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال « إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان » وقيل إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبوزرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتا قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة) فوقف فقال بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لاتخف ولا تحزن (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدا وهو الواقع . وقوله تبارك وتعالى (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم (ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم) أي في الجنة من جميع ماتختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون (ولكم فيها ماتدعون) أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم (نزلا من غفور رحيم) أي ضيافة وعطاء وإنعاما من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم) فقال حدثنا أبي ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد حدثنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد ابن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيها سوق ؟ فقال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنيء على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي

بأفضل منهم مجلسا . قال أبو هريرة رضى الله عنه قلت يارسول الله وهل نرى ربنا ، قال صلى الله عليه وسلم « نعم ، هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ، » قلنا لا ؛ قال صلى الله عليه وسلم « فكذلك لاتمارون فى رؤية ربكم تعالى ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى إنه ليقول للرجل منهم يافلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا – فيقول أى رب أفلم تغفرلى ، فيقول بلى ، فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه – قال – فبيناهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط – قال – ثم يقول ربنا عز وجل قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم ، قال فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة ، فيها مالم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شىء ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنىء فيروعه مايرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لأنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها ثم نتصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به ، وقد رواه الترمذى فى صفة الجنة من جامعه عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قلنا يارسول الله : كلنا نكره الموت قال ﷺ « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شىء أحب اليه من أن يكون قد لقى الله تعالى فأحب الله لقاءه – قال – وإن الفاجر – أو الكافر – إذا حضر جاءه بما هو صائر اليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » وهذا حديث صحيح وقد ورد فى الصحيح من غير هذا الوجه

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

يقول عز وجل (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى دعا عباد الله اليه (وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) أى وهو فى نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة فى كل من دعا إلى خير وهو فى نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء كما ثبت فى صحيح مسلم « المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة » وفى السنن مرفوعا « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين » وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن عروة الهروى حدثنا غسان قاضى هراة وقال أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال « سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط فى سبيل الله تعالى فى دمه » قال : وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو كنت مؤذنا ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد قال: وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لو كنت مؤذنا لكمل أمرى وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم اغفر للمؤذنين » ثلاثا ، قال: فقلت يارسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف قال صلى الله عليه وسلم « كلا ياعمر إنه سيأتى على

الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين » قال وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ولهم هــذه الآية (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمــل صالحا وقال انني من المسلمين) قالت فهو المؤذن إذا قال حى على الصلاة فقد دعا إلى الله وهكذا قال ابن عمر رضى الله عنهما وعكرمة إنها نزلت فى المؤذنين وقد ذكر البغوى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أنه قال فى قوله عز وجل وعمــل صالحا يعنى صلاة ركعتين بين الأذان والاقامة . ثم أورد البغوى حديث عبد الله بن المغفل رضى الله عنه قال : قال رســول الله صلى الله عليه وســلم « بين كل أذانين صلاة ــ ثم قال فى الثالثة ــ لمن شاء » وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثورى عن زيد العمى عن أبى إياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك رضى الله عنــه قال الثورى لا أراه إلا قد رفعــه إلى النبى صلى الله عليــه وسلم « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة كلهم من حديث الثورى به وقال الترمذى هــذا حديث حسن ، ورواه النسائى أيضا من حديث سليمان التيمى عن قتادة عن أنس به ، والصحيح أن الآية عامة فى المؤذنين وفى غيرهم فأما حال نزول هذه الآية فانه لم يكن الأذان مشروعا بالكلية لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن عبد ربه الأنصارى رضى الله عنه فى منامــه فقصه على رسول الله صــلى الله عليه وسلم فأمره أن يلقيه على بلال رضى الله عنه فانه أندى صوتا كما هو مقرر فى موضعه فالصحيح إذا أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصرى أنه تلا هذه الآية (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) فقال هذا حبيب الله هذا ولىّ الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى إجابته وقال إننى من المسلمين هذا خليفة الله ، وقوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أى فرق عظيم بين هذه وهذه (ادفع بالتى هى أحسن) أى من أساء إليك فادفعه عنك بالاحسان إليه كما قال عمر رضى الله عنه : ماعاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه . وقوله عز وجل (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وهو الصديق أى إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولى لك حميم أى قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك ، ثم قال عز وجل (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أى وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فانه يشق على النفوس (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى ذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم . وقوله تعــالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أى أن شيطان الإنس ربمــا ينخــدع بالاحسان إليه فأما شيطان الجن فانه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذى سلطه عليك فاذا استعذت بالله والتجأت إليــه كفه عنك ورد كيده ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وســلم إذا قام إلى الصلاة يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له فى القرآن إلا فى سورة الأعراف عند قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) وفى سورة المؤمنين عند قوله (ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك أن يحضرون)

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ

إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة وأنه الذى لانظير له وأنه على مايشاء قادر (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) أى أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه وهما متعاقبان لا يفتران ، والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياءه وتقدير منازله فى فلكه واختلاف سيره فى سمائه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات . ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة فى العالم العلوى والسفلى نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) أى ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لايغفر أن يشرك به ولهذا قال تعالى (فإن استكبروا) أى عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) كقوله عز وجل (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان يعنى ابن وكيع حدثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذابا لقوم » . وقوله (ومن آياته) أى على قدرته على إعادة الموتى (أنك ترى الأرض خاشعة) أى هامدة لانبات فيها بل هى ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أى أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار (إن الذى أحياها لمحى الموتى إنه على كل شىء قدير)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾

قوله تبارك وتعالى (إن الذين يلحدون فى آياتنا) قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد ، وقوله عز وجل (لايخفون علينا) فيه تهديد شديد ووعيد أكيد أى أنه تعالى عالم بمن يلحد فى آياته وأسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ؟) أى أيستوى هذا وهذا ؟ لايستويان . ثم قال عز وجل تهديدا للكفرة (اعملوا ماشئتم) قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراسانى (اعملوا ماشئتم) وعيد أى من خير أو شر إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال (إنه بما تعملون بصير) ثم قال جل جلاله (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) قال الضحاك والسدى وقتادة وهو القرآن (وإنه لكتاب عزيز) أى منيع الجناب لايرام أن يأتى أحد بمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال (تنزيل من حكيم حميد) أى حكيم فى أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمود أى فى جميع مايأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك) قال قتادة والسدى وغيرهما مايقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على أذى قومهم لهم فاصبر أنت على أذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن أبى حاتم غيره وقوله تعالى (إن ربك لذو مغفرة) أى لمن تاب إليه (وذو عقاب أليم) أى لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن على بن زيد عن سعيد بن

للسيف قال نزلت هذه الآية (إن ربك لذو مغفرة) قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش، ولولا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد ».

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه فى لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد (لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) أى لقالوا هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمى وعربى أى كيف ينزل كلام أعجمى على مخاطب عربى لا يفهمه؟ هكذا روى هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدى وغيرهم ؟ وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى أى هل أنزل بعضها بالأعجمى وبعضها بالعربى ؟ هذا قول الحسن البصرى وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام فى قوله أعجمى وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو فى التعنت والعناد أبلغ ثم قال عز وجل (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أى قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما فى الصدور من الشكوك والريب (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) أى لا يفهمون ما فيه (وهو عليهم عمى) أى لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال مجاهد يعنى بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول ، قلت وهذا كقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم . وقال السدى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالساً عند رجل من المسلمين يقضى إذ قال : يالبيكاه فقال له عمر رضى الله عنه لم تلبى ، هل رأيت أحدا أو دعاك أحد ؟ فقال دعانى داع من وراء البحر فقال عمر رضى الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن أبى حاتم . وقوله تبارك وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أى كذب وأوذى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) بتأخير الحساب إلى يوم المعاد (لقضى بينهم) أى لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا (وإنهم لفى شك منه مريب) أى وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشىء كانوا فيه، هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ * وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾

يقول تعالى (من عمل صالحا فلنفسه) أى إنما يعود نفع ذلك على نفسه (ومن أساء فعليها) أى إنما يرجع وبال ذلك عليه (وما ربك بظلام للعبيد) أى لا يعاقب أحدا إلا بذنبه ولا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ثم قال جل وعلا (إليه يرد علم الساعة) أى لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد

البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وكما قال عز وجل (إلى ربك منتهاها) وقال جل جلاله (لا يجليها لوقتها إلا هو) وقوله تبارك وتعالى (وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أى الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وقد قال سبحانه وتعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وقال جلت عظمته (يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار) وقال تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير) وقوله جل وعلا (ويوم يناديهم أين شركائى ؟) أى يوم القيامة ينادى الله المشركين على رءوس الخلائق أين شركائى الذين عبدتموهم معى (قالوا آذناك) أى أعلمناك (ما منا من شهيد) أى ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى ذهبوا فلم ينفعوهم (وظنوا ما لهم من محيص) أى وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين (ما لهم من محيص) أى لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا)

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾

يقول تعالى لا يمل الإنسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر (فيئوس قنوط) أى يقع فى ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) أى إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان فى شدة ليقولن هذا لى إنى كنت أستحقه عند ربى (وما أظن الساعة قائمة) أى يكفر بقيام الساعة أى لأجل أنه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) أى ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلى ربى كما أحسن إلى فى هذه الدار ، يتمنى على الله عز وجل مع إساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) أى أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله (فتولى بركنه) (وإذا مسه الشر) أى الشدة (فذو دعاء عريض) أى يطيل المسئلة فى الشىء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ما قل ودل وقد قال تعالى (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) الآية

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن (أرأيتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله ثم كفرتم به؟) أى كيف ترون حالكم عند الذى أنزله على رسوله؟ ولهذا قال عز وجل (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد ؟) أى فى كفر

وعناد ومشاقة للحق ومسالك بعيدة من الهدى ثم قال جل جلاله (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) أى سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية (فى الآفاق) من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان قال مجاهد والحسن والسدى ودلائل فى أنفسهم قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التى حلت بهم نصر الله فيها محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط فى علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ماهو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبيح وغيرذلك وما هومتصرف فيه تحت الأقدار التى لايقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعداها كما أنشده ابن أبى الدنيا فى كتابه التفكر والاعتبار عن شيخه أبى جعفر القرشى حيث قال وأحسن المقال

وإذا نظرت تريد معتبرا ... فانظر اليك ففيك معتبر ... أنت الذى تمسى وتصبح فى الـ
دنيا وكل أموره عبر ... أنت المصرف كان فى صغر ... ثم استقل بشخصك الكبر
أنت الذى تنعاه خلقته ... ينعاه منه الشعر والبشر ... أنت الذى تعطى وتسلب لا
ينجيه من أن يسلب الحذر ... أنت الذى لاشىء منه له ... وأحق منه بماله القدر

وقوله تعالى (حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) أى كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عنه كما قال (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) الآية. وقوله تعالى (ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك من قيام الساعة ولهذا لايتفكرون فيه ولا يعملون له ولايحذرون منه بل هو عندهم هدر لايعبأون به وهو كائن لامحالة وواقع لاريب فيه قال ابن أبى الدنيا حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد الأنصارى قال: إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فانى لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم، ولكن فكرت فى هذا الأمر الذى أنتم اليه صائرون فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق والمكذب به هالك، ثم نزل. ومعنى قوله رضى الله عنه أن المصدق به أحمق أى لأنه لايعمل له عمل مثله ولايحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك يتمادى فى لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه فهو أحمق بهذا الاعتبار والأحمق فى اللغة ضعيف العقل، وقوله والمكذب به هالك هذا واضح والله أعلم. ثم قال تعالى مقررا أنه على كل شىء قدير وبكل شىء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى (ألا إنه بكل شىء محيط) أى المخلوقات كلها تحت قهره وفى قبضته وتحت طى علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فماشاء كان ومالم يشأ لم يكن لا إله إلا هو. آخر تفسير سورة حم السجدة ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة الشورى وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ حمٓ * عٓسٓقٓ * كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة. وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا منكرا فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل

إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أخبرنى عن تفسير قول الله تعالى (حم عسق) قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشىء وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة فلم يحر اليه شيئا فقال له حذيفة رضى الله عنه أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبدالاله وعبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا أذن الله تبارك وتعالى فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت ؟ فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى (حم عسق) يعنى عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون ق يعنى واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى الجزء الثانى من مسند ابن عباس رضى الله عنه عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى ذلك ولكن إسناده ضعيف جدا ومنقطع فانه قال حدثنا أبوطالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى الخشنى الدمشقى عن أبى معاوية قال : صعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه المنبر فقال : أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر (حم عسق) فوثب ابن عباس رضى الله عنه فقال أنا ، قال حم اسم من أسماء الله تعالى ، قال فعين ؟ قال عاين المولون عذاب يوم بدر ، قال فسين ؟ قال سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، قال فقاف ؟ فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تغشى الناس . وقوله عز وجل (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب والصحف على الأنبياء قبلك. وقوله تعالى (الله العزيز) أى فى انتقامه (الحكيم) فى أقواله وأفعاله

قال الإمام مالك رحمه الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال ، وأحيانا يأتينى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول » قالت عائشة رضى الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه صلى الله عليه وسلم ليتفصد عرقا . أخرجاه فى الصحيحين ولفظه للبخارى . وقد رواه الطبرانى عن عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن الحارث بن هشام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ينزل عليك الوحى ؟ فقال ﷺ « فى مثل صلصلة الجرس فيفصم عنى وقد وعيت ما قال — وقال — وهو أشده على — قال — وأحيانا يأتينى الملك فيتمثل لى فيكلمنى فأعى ما يقول » . وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تقبض » تفرد به أحمد ، وقد ذكرنا كيفية إتيان الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول شرح البخارى بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة .
وقوله تبارك وتعالى (له مافى السموات وما فى الأرض) أى الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه (وهو العلى العظيم) كقوله تعالى (وهو الكبير المتعال) (وهو العلى الكبير) والآيات فى هذا كثيرة . وقوله عز وجل (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) وقال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك وقتادة والسدى وكعب الأحبار أى فرقا من العظمة (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض) كقوله جل وعلا (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما) وقوله جل جلاله (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) إعلام بذلك وتنويه به ، وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أوليا) يعنى المشركين (الله حفيظ عليهم) أى شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عدا ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء (وما أنت عليهم

بوكيل) أى إنما أنت نذير والله على كل شىء وكيل

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ * وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك (أوحينا إليك قرآنا عربيا) أى واضحا جليا بينا (لتنذر أم القرى) وهى مكة (ومن حولها) أى من سائر البلاد شرقا وغربا ، وسميت مكة أم القرى لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة مذكورة فى مواضعها ، ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : إن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » هكذا رواية الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الزهرى به وقال الترمذى حسن صحيح . وقوله عز وجل (وتنذر يوم الجمع) وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد وقوله تعالى (لا ريب فيه) أى لا شك فى وقوعه وأنه كائن لا محالة ، وقوله جل وعلا (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) كقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) أى يغبن أهل الجنة أهل النار ، وكقوله عز وجل (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد) قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثنى أبو قبيل المعافرى عن شفى الأصبحى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم للذى فى يمينه « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم — ثم أجمل على آخرهم — لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا — ثم قال صلى الله عليه وسلم للذى فى يساره — هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأى شىء نعمل أن كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله ﷺ « سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل » ثم قال صلى الله عليه وسلم بيده فقبضها ثم قال « فرغ ربكم عز وجل من العباد — ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال — فريق فى الجنة — ونبذ باليسرى وقال — فريق فى السعير » وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبى قبيل عن شفى بن ماتع الأصبحى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب وساقه البغوى فى تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن أبى الزاهرية عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه وعنده زيادات منها — ثم فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله عز وجل — ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث به ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبى قبيل عن شفى عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم فذكره

ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبى أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول : إن الله تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المزود وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال شقى وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق فى الجنة وفريق فى السعير

وهذا الموقوف أشبه بالصواب والله سبحانه وتعالى أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني ابن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال: إن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبدالله دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي ، فقالوا له ما يبكيك ، ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني ، قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي » فلا أدري في أي القبضتين أنا وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدا منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جمة رضي الله عنهم أجمعين . وقوله تبارك وتعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أي إما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عزوجل (ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) . وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا وهيب أخبرني الحارث عن عمرو بن أبي سويد أنه حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يارب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لوما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئا قال يارب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ومخبراً أنه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده فانه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير . ثم قال عزوجل (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) أي مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء (فحكمه إلى الله) أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ذلكم الله ربي) أي الحاكم في كل شيء (عليه توكلت وإليه أنيب) أي أرجع في جميع الأمور ، وقوله جل جلاله (فاطر السموات والأرض) أي خالقهما وما بينهما (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى (ومن الأنعام أزواجا) أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج . وقوله تبارك وتعالى (يذرؤكم فيه) أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورا وإناثا خلقا من بعد خلق وجيلا بعد جيل ونسلا بعد نسل من الناس والأنعام وقال البغوي يذرؤكم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة . قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والأنعام ، وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به (ليس كمثله شيء) أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له (وهو السميع البصير) : وقوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) تقدم تفسيره في سورة الزمر وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام (إنه بكل شيء عليم) .

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن

يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

يقول تعالى لهذه الأمة (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك) فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم فى قوله تبارك وتعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) الآية والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال عز وجل (وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) . وفى الحديث «نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» أى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لاشريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ولهذا قال تعالى ههنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف ، وقوله عز وجل (كبر على المشركين ماتدعوهم إليه) أى شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم اليه يامحمد من التوحيد . ثم قال جل جلاله (الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) أى هو الذى يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ، ولهذا قال تبارك وتعالى (وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أى انما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه اليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغى والعناد والمشاقة ثم قال عز وجل (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) أى لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة فى الدنيا سريعاً . وقوله جلت عظمته (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق (لفى شك منه مريب) أى ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وانما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم فى حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التى قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسى فانها أيضا عشرة فصول كهذه . وقوله (فلذلك فادع) أى فللذى أوحينا إليك من الدين الذى وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم فادع الناس اليه . وقوله عز وجل (واستقم كما أمرت) أى واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل وقوله تعالى (ولاتتبع أهواءهم) يعنى المشركين فيما اختلقوه فيه وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان . وقوله جل وعلا (وقل آمنت بماأنزل الله من كتاب) أى صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لانفرق بين أحد منهم وقوله (وأمرت لأعدل بينكم)أى فى الحكم كما أمرنى الله وقوله جلت عظمته (الله ربنا وربكم) أى هو المعبود لا إله غيره فنحن نقر بذلك اختيارا وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارا فله يسجد من فى العالمين طوعاوإجبارا . وقوله تبارك وتعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)أى نحن برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى (وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون)وقوله تعالى (لاحجة بيننا وبينكم) قال مجاهد أى لاخصومة قال السدى وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لأن هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة . وقوله عز وجل (الله يجمع بيننا) أى يوم القيامة كقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) وقوله جل وعلا (واليه المصير) أى المرجع والمآب يوم الحساب

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾

يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به (والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له) أى يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى (حجتهم داحضة عند ربهم) أى باطلة عند الله (وعليهم غضب) أى منه (ولهم عذاب شديد) أى يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا أن تعود الجاهلية ، وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا فى ذلك . ثم قال تعالى (الله الذى أنزل الكتاب بالحق) يعنى الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه (والميزان) وهو العدل والانصاف قاله مجاهد وقتادة وهذه كقوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقوله (والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) . وقوله تبارك وتعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب) فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد فى الدنيا وقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أى يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وإنما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا وكفرا وعنادا (والذين آمنوا مشفقون منها) أى خائفون وجلون من وقوعها (ويعلمون أنها الحق) أى كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها . وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر فى الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفى بعض ألفاظه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهورى وهو فى بعض أسفاره فناداه فقال يا محمد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته « هاؤم » فقال له متى الساعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ » فقال حب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت » فقوله فى الحديث « المرء مع من أحب » هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها . وقوله تعالى (ألا إن الذين يمارون فى الساعة) أى يجادلون فى وجودها ويدفعون وقوعها (لفى ضلال بعيد) اى فى جهل بين لأن الذى خلق السموات والأرض قادر على احياء الموتى بطريق الأولى والأحرى كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه فى رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسى أحدا منهم سواء فى رزقه البر والفاجر كقوله عز وجل (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) ولها نظائر كثيرة وقوله جل وعلا (يرزق

من يشاء) أي يوسع على من يشاء (وهو القوى العزيز) أي لا يعجزه شيء ثم قال عز وجل (من كان يريد حرث الآخرة) أي عمل الآخرة (نزد له في حرثه) أي نقويه ونعينه على ما هو بصدده ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) أي ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة هم البتة بالكلية حرمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه ، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، والدليل على هذا أن هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تبارك وتعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وقال الثوري عن معمر عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب » وقوله جل وعلا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار » لأنه أول من سيب السوائب ، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة وهو أول من فعل هذه الأشياء وهو الذي حمل قريشا على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى (ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم) أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الانظار إلى يوم المعاد (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) أي شديد موجع في جهنم وبئس المصير ، ثم قال تعالى (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا) أي في عرصات القيامة (وهو واقع بهم) أي الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة هذا حالهم يوم معادهم وهم في هذا الخوف والوجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم) فأين هذا من هذا ؟ أي أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ممن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الأبار حدثنا محمد بن سعد الأنصاري عن أبي طيبة قال إن الشرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول ما أمطركم ؟ قال فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم حتى إن القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أترابا . رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به ، ولهذا قال تعالى (ذلك هو الفضل الكبير) أي الفوز العظيم والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة الله تعالى لهم به . وقوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني

بما بينى وبينكم من القرابة . قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا يحدث عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى إلا المودة فى القربى فقال سعيد ابن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت[1] إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة ، انفرد به البخارى ، ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة به ، وهكذا روى عامر الشعبى والضحاك وعلى بن أبى طلحة والعوفى ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وأبومالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا هاشم بن القاسم بن زيد الطبرانى وجعفر القلانسى قالا حدثنا آدم بن أبى إياس حدثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال لهم رسول صلى الله عليه وسلم « لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودونى فى نفسى لقرابتى منكم وتحفظوا القرابة بينى وبينكم » وروى الإمام أحمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعنى ابن سويد وابن أبى حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن قزعة ابن سويد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرا إلا أن توادوا الله تعالى وأن تقربوا اليه بطاعته » وهكذا روى قتادة عن الحسن البصرى مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول إلا المودة فى القربى أى إلا أن تعملوا بالطاعة التى تقربكم عند الله زلفى . وقول ثالث وهو ما حكاه البخارى وغيره رواية عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال معنى ذلك أن تودونى فى قرابتى أى تحسنوا اليهم وتبروهم . وقال السدى عن أبى الديلم قال : لما جىء بعلى بن الحسين رضى الله عنه أسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له على بن الحسين رضى الله عنه أقرأت القرآن ؟ قال نعم : قال أقرأت آل حم ؟ قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ماقرأت (قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) ؟ قال وإنكم لأنتم هم ؟ قال نعم وقال أبو إسحاق السبيعى سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى (قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) فقال قربى النبى ﷺ رواهما ابن جرير . ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام حدثنى يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت الأنصار فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال ابن عباس أو العباس رضى الله عنهما — شك عبد السلام — لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال « يامعشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال ﷺ « ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى » قالوا بلى يا رسول الله قال « أفلا تجيبونى » قالوا مانقول يارسول الله قال « ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك » قال فما زال صلى الله عليه وسلم يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا فى أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن على بن الحسين عن عبد المؤمن بن على عن عبد السلام عن يزيد بن أبى زياد وهو ضعيف باسناده مثله أو قريبا منه . وفى الصحيحين فى قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية ، وذكر نزولها فى المدينة فيه نظر لأن السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة والله أعلم .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال « فاطمة وولدها رضى الله عنهما » وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعى محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره فى هذا المحل ، وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضى الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلى رضى الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كما رواه عنه البخارى

(١) فى البغوى : عجبت .

ولا نشكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالاحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فانهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسباً ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض » وقال الإمام احمد حدثنا يزيد بن هارون أنا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد ابن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، قال فغضب النبي ﷺ غضباً شديدا وقال « والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله » ثم قال أحمد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث فإذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه ثم قال ﷺ « والله لا يدخل قلب امرىء مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي » وقال البخاري حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر — هو الصديق — رضي الله عنه قال ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته . وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه : والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فحال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التيمي حدثني يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا إليه قال حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا : رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه ، لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه ومالا فلا تكلفونيه ، ثم قال رضي الله عنه : قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فينا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ﷺ « أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال ﷺ «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال إن نساءه لسن من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم ، قال أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة ؟ قال نعم ، وهكذا رواه مسلم والنسائي من طرق يزيد بن حيان به وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي . أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخرة عترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » تفرد بروايته ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال الترمذي أيضا حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد بن الحسن عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال . رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول « يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » تفرد به الترمذي أيضا وقال حسن غريب .

وفى البـاب عن أبى ذر وأبى سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسـيد رضى الله عنهم . ثم قال الترمذى أيضاً أنبأنا أبو داود سليمان الأشعث حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبـد الله بن سليمان النوفلى عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال : قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم « أحبوا الله تعالى لمـا يغذوكم من نعمه ، وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بحبى » ثم قال حسن غريب إنما نعرفه من هـذا الوجه وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) بما أغنى عن إعادتها ههنا ولله الحمد والمنة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبى إسحاق عن حنش قال سمعت أبا ذر رضى الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب يقول : يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن أنكرنى فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنما مثل أهل بيتى فيـكم كمثل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » هذا بهذا الإسناد ضعيف . وقوله عزوجل (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أى ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا أى أجرا وثوابا كقوله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وقال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعـدها . ومن جزاء السيئة السيئة بعدها . وقوله تعالى (إن الله غفور شكور) أى يغفر الـكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر وقوله جل وعلا (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) أى لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون (يختم على قلبك) أى يطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منـكم من أحد عنه حاجزين) أى لا نتقمنا منه أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه . وقوله جلت عظمته (ويمح الله الباطل) ليس معطوفا على قوله (يختم) فيـكون مجزوما بل هو مرفوع على الابتداء . قاله ابن جرير قال وحذفت من كتابته الواو فى رسم مصحف الإمام كما حذفت فى قوله (سندع الزبانية) وقوله تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) . وقوله عزوجل (ويحق الحق بكلماته) معطوف على (ويمح الله البـاطل ويحق الحق) أى يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته أى بحججه وبراهينه (إنه عليم بذات الصدور) أى بما تكنه الضمائر وتنطوى عليه السرائر

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ * وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه انه من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح ويستر ويغفر كقوله عز وجل (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقد ثبت فى صحيح مسلم رحمة الله عليه حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا : حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا إسحاق بن أبى طلحة حدثنى أنس بن مالك وهو عمه رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « لله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحـدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك ــ أخطأ من شدة الفرح . » وقد ثبت أيضاً فى الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن

عباده) إن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش » وقال همام بن الحارث سئل ابن مسعود رضى الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال لابأس به وقرأ (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الآية رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي عن همام فذكره وقوله عزوجل (ويعفو عن السيئات) أي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي (ويعلم ماتفعلون) أي هو عالم بجميع مافعلتم وصنعتم وقلتم ومع هذا يتوب على من تاب اليه . وقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال السدى يعني يستجيب لهم وكذا قال ابن جرير معناه يستجيب لهم الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم وحكاه عن بعض النحاة وأنه جعلها كقوله عز وجل (فاستجاب لهم ربهم) ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة ابن سبرة قال خطبنا معاذ رضى الله عنه بالشام فقال أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله إني لأرجو أن يدخل الله تعالى من تسبون من فارس والروم الجنة وذلك بأن أحدكم إذا عمل له يعني أحدهم عملا قال أحسنت رحمك الله أحسنت بارك الله فيك ثم قرأ (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله)

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله (الذين يستمعون القول) أي هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله) والمعنى الأول أظهر لقوله تعالى (ويزيدهم من فضله) أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكندى حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ويزيدهم من فضله) قال « الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفا في الدنيا » وقال قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله عز وجل (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال يشفعون في إخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال يشفعون في إخوان إخوانهم . وقوله عز وجل (والكافرون لهم عذاب شديد) لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم . وقوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشرا وبطرا وقال قتادة كان يقال خير العيش مالا يلهيك ولا يطغيك وذكر قتادة حديث « إنما أخاف عليكم مايخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا » وسؤال السائل أيأتي الخير بالشر ؟ الحديث وقوله عز وجل (ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير) أي ولكن يرزقهم من الرزق مايختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث المروى « إن من عبادي من لايصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي من لايصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه » . وقوله تعالى (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا) أي من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم اليه كقوله عزوجل (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) وقوله جل جلاله (وينشر رحمته) أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر رضى الله عنه مطرتم ثم قرأ (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) أي هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو المحمود العاقبة في جميع مايقدره ويفعله

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ * وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ * وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن

دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

يقول تعالى (ومن آياته) الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خلق السموات والأرض وما بث فيهما) أى ذرأ فيهما أى فى السموات والأرض (من دابة) وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم فى أرجاء أقطار السموات والأرض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم إذا يشاء قدير) أى يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق . وقوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أى مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فانما هى عن سيئات تقدمت لكم (ويعفو عن كثير) أى من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وفى الحديث الصحيح « والذى نفسى بيده مايصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها » . وقال ابن جرير ثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال : قرأت فى كتاب أبى قلابة قال نزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فأمسك وقال : يارسول الله إنى أرى ماعملت من خير وشر ، فقال « أرأيت مارأيت مما تكره ، فهو من مثاقيل ذر الشر وتدخل مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة » قال : قال أبو إدريس فانى أرى مصداقها فى كتاب الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم رواه من وجه آخر عن أبى قلابة عن أنس رضى الله عنه قال والأول أصح : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلى عن الخضر بن القواس البجلى عن أبى سخيلة عن على رضى الله عنه قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله عز وجل وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، وسأفسرها لك ياعلى : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من ان يثنى عليه العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه » وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية وعبدة عن أبى سخيلة قال : قال على رضى الله عنه فذكر نحوه مرفوعا ثم روى ابن أبى حاتم نحوه من وجه آخر موقوفا فقال ؟ حدثنا أبى حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبى الوضاح عن أبى الحسن عن أبى جحيفة قال دخلت على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغى لكل مؤمن أن يعيه ؟ قال فسألناه فتلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال ماعاقب الله تعالى به فى الدنيا فالله أحلم من أن يثنى عليه العقوبة يوم القيامة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعود فى عفوه يوم القيامة وقال الإمام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة يعنى ابن يحيى عن أبى بردة عن معاوية هو ابن أبى سفيان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من شىء يصيب المؤمن فى جسده يؤذيه إلا كفر الله تعالى عنه به من سيئاته » وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودى حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن هو البصرى قال فى قوله تبارك وتعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال لما نزلت قال رسول الله ﷺ « والذى نفس محمد بيده مامن خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر » . وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عمر بن على حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلى فى جسده فقال له بعضهم إنا لنبأس لك لما نرى فيك ، قال فلا تبتئس بما ترى فان ماترى بذنب ومايعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

ويعفو عن كثير) وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال: قلت للعلاء بن بدر (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال فبذنوب والديك . وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم يقول الضحاك وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾

يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره وهي الجواري في البحر كالأعلام أي كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك أي هذه في البحر كالجبال في البر (إن يشأ يسكن الريح) أي التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تجيء ولا تذهب بل واقفة على ظهره أي على وجه الماء (إن في ذلك لآيات لكل صبار) أي في الشدائد (شكور) أي إن في تسخيره البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار أي في الشدائد شكور في الرخاء . وقوله عز وجل (أو يوبقهن بما كسبوا) أي ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها (ويعف عن كثير) أي من ذنوبهم ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر ، وقال بعض علماء التفسير معنى قوله تعالى (أو يوبقهن بما كسبوا) أي لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال آبقة لا تسير على طريق ولا إلى جهة مقصد ، وهذا القول هو يتضمن هلاكها وهو مناسب للأول وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت ، ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيحا من أرض أخرى غيرها لأنهم لا يحتاجون إلى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم ، وقوله تعالى (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فإنهم مقهورون بقدرتنا

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾

يقول تعالى محقرا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني بقوله تعالى (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) أي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة (وما عند الله خير وأبقى) أي وثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدي فلا تقدموا الفاني على الباقي ولهذا قال تعالى (للذين آمنوا) أي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا (وعلى ربهم يتوكلون) أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات ثم قال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) وقد قدمنا الكلام على الإثم

والفواحش في سورة الأعراف (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أي سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ليس سجيتهم الانتقام من الناس . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المعتبة « ماله تربت يمينه » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن إبراهيم قال كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا وكانوا إذا قدروا عفوا . وقوله عز وجل (والذين استجابوا لربهم) أي اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره (وأقاموا الصلاة) وهي أعظم العبادات لله عز وجل (وأمرهم شورى بينهم) أي لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى (وشاورهم في الأمر) الآية ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن ابن عوف رضي الله عنهم فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم (ومما رزقناهم ينفقون) وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب

وقوله عز وجل (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لاخوته (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه وكما عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام وكذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ ﷺ وهو في يده مصلتا فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله ﷺ السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه وكذلك عفا صلى الله عليه وسلم عن لبيد بن الأعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفوه ﷺ عن المرأة اليهودية ـ وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن سلمة ـ التي سمت الذراع يوم خيبر ـ فأخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال ﷺ « ما حملك على ذلك ؟ » قالت أردت إن كنت نبيا لم يضرك وإن لم تكن نبياً استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنها قتلها به والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾

قوله تبارك وتعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وكقوله (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الآية فشرع العدل وهو القصاص وندب إلى الفضل وهو العفو كقوله جل وعلا (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) ولهذا قال ههنا (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث « وما زاد الله تعالى عبدا بعفو إلا عزا » وقوله تعالى (إنه لا يحب الظالمين) أي المعتدين وهو المبتدىء بالسيئة ثم قال جل وعلا (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالله بن بزيع حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار في قوله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) فحدثني علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال

ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قالت أم المؤمنين رضى الله عنها دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش رضى الله عنها فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصنع بيده شيئا فلم يفطن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب رضى الله عنها تقحم لعائشة رضى الله عنها فنهاها فأبت أن تنتهى ، فقال لعائشة رضى الله عنها « سبيها » فسبتها فغلبتها وانطلقت زينب رضى الله عنها فأتت عليا رضى الله عنه فقالت إن عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم لها « إنها حبة أبيك ورب الكعبة » فانصرفت وقالت لعلى رضى الله عنه إنى قلت له صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال لى كذا وكذا قال وجاء على إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكلمه فى ذلك هكذا أورد هذا السياق ، وعلى بن زيد بن جدعان يأتى فى رواياته بالمنكرات غالبا وهذا فيه نكارة ، والصحيح خلاف هذا السياق كما رواه النسائى وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفاء عن عبد الله البهى عن عروة قال: قالت عائشة رضى الله عنها ما علمت حتى دخلت على زينب بغير إذن وهى غضبى ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: حسبك إذا قلبت لك ابنة أبى بكر درعها ثم أقبلت على فأعرضت عنها حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم « دونك فانتصرى » فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يبس فى فمها ماترد على شيئا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه وهذا لفظ النسائى . وقال البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو غسان حدثنا أبو الأحوص عن أبى حمزة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » ورواه الترمذى من حديث أبى الأحوص عن أبى حمزة واسمه ميمون ثم قال لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وقوله عز وجل (إنما السبيل) أى إنما الحرج والعنت (على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق) أى يبدءون الناس بالظلم كما جاء فى الحديث الصحيح « المستبان ما قالا فعلى البادىء مالم يعتد المظلوم » (أولئك لهم عذاب أليم) أى شديد موجع . قال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد حدثنا عثمان الشحام حدثنا محمد بن واسع قال قدمت مكة فإذا على الخندق قنطرة فأخذت فانطلق بى إلى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال ماحاجتك ياأبا عبدالله ، قلت حاجتى ان استطعت أن تكون كما كان أخو بنى عدى ، قال ومن أخو بنى عدى ، قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب إليه أما بعد فإن استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم فانك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) فقال مروان صدق والله ونصح ثم قال ماحاجتك ياأبا عبد الله ، قلت حاجتى أن تلحقنى بأهلى قال نعم . رواه ابن أبى حاتم ، ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادبا إلى العفو والصفح (ولمن صبر وغفر) أى صبر على الأذى وستر السيئة (إن ذلك لمن عزم الامور) قال سعيد بن جبير يعنى لمن حق الأمور التى أمر الله تعالى بها أى لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التى عليها ثواب جزيل وثناء جميل وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمران بن موسى الطرسوسى حدثنا مصمد بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال سمعت الفضيل بن عياض يقول إذا أتاك رجل يشكوا إليك رجلا فقل ياأخى اعف عنه فان العفو أقرب للتقوى فان قال لا يحتمل قلبى العفو ولكن أنتصر كما أمرنى الله عز وجل فقل له إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو فانه باب واسع فانه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل وصاحب الانتصار يقلب الأمور . وقال الإمام أحمد حدثنا يحى يعنى ابن سعيد القطان عن ابن عجلان حدثنا سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال إن رجلا شتم أبا بكر رضى الله عنه والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه أبو بكر رضى الله عنه فقال يارسول الله إنه كان يشتمنى وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت قال « إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان - ثم قال - ياأبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها

لله إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة » وكذا رواه أبو داود عن عبد الأعلى بن حماد عن سفيان بن عيينة قال ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان ورواه من طريق الليث عن سعيد المقبرى عن بشير بن المحرر عن سعيد بن المسيب مرسلا وهذا الحديث فى غاية الحسن فى المعنى وهو مناسب للصديق رضى الله عنه

﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة أنه ما شاء كان ولا راد له ومالم يشأ لم يكن فلاموجد له وأنه من هداه فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له كما قال عز وجل (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) ثم قال عز وجل مخبرا عن الظالمين وهم المشركون بالله (لما رأوا العذاب)أى يوم القيامة تمنوا الرجعة إلى الدنيا (يقولون هل إلى مرد من سبيل) كما قال جل وعلا (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقوله عزوجل (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) أى الذى قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى (ينظرون من طرف خفى) قال مجاهد يعنى ذليل أى ينظرون إليها مسارقة خوفا منها والذى يحذرون منه واقع بهم لامحالة وما هو أعظم مما فى نفوسهم أجارنا الله من ذلك (وقال الذين آمنوا) أى يقولون يوم القيامة (إن الخاسرين) أى الخسار الأكبر (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم فى دار الأبد وخسروا أنفسهم وفرق بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) أى دائم سرمدى أبدى لاخروج لهم منها ولا محيد لهم عنها وقوله تعالى (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أى ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال (ومن يضلل الله فما له من سبيل) أى ليس له خلاص

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾

لما ذكر تعالى مايكون فى يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله) أى إذا أمر بكونه فانه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع . وقوله عز وجل (مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) أى ليس لكم حصن تتحصنون فيه ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه إلا اليه (يقول الانسان يومئذ أين المفر * كلا لاوزر * إلى ربك يومئذ المستقر) وقوله تعالى (فان أعرضوا) يعنى المشركين (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى لست عليهم بمصيطر ، وقال عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) وقال تعالى (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال جل وعلا ههنا (إن عليك إلا البلاغ) أى إنما

كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم ثم قال تبارك وتعالى (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها) أى إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك (وإن تصبهم) يعنى الناس (سيئة) أى جدب ونقمة وبلاء وشدة (فإن الإنسان كفور) أى يجحد ما تقدم من النعم ولا يعرف إلا الساعة الراهنة فإن أصابته نعمة أشر وبطر وإن أصابته محنة يئس وقنط كما قال رسول الله ﷺ للنساء « يا معشر النساء تصدقن فإنى رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة ولم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يوما قالت ما رأيت منك خيرا قط » وهذا حال أكثر النساء إلا من هداه الله تعالى وألهمه رشده وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالمؤمن كما قال ﷺ « إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن »

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه يخلق ما يشاء (يهب لمن يشاء إناثا) أى يرزقه البنات فقط قال البغوى ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام (ويهب لمن يشاء الذكور) أى يرزقه البنين فقط قال البغوى كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) أى ويعطى لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى أى من هذا وهذا ، قال البغوى كمحمد صلى الله عليه وسلم (ويجعل من يشاء عقيما) أى لا يولد له قال البغوى كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما لا نسل له ولا ولد له (إنه عليم) أى بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام (قدير) أى على من يشاء من تفاوت الناس فى ذلك ، وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام (ولنجعله آية للناس) أى دلالة لهم على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى ، وحواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا أنثى ، وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى ، وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر ، فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام . ولهذا قال تعالى (ولنجعله آية للناس) فهذا المقام فى الآباء والمقام الأول فى الأبناء وكل منهما أربعة أقسام فسبحان العليم القدير

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

هذه مقامات الوحى بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف فى روع النبى صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء فى صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » وقوله تعالى (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها

وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله رضى الله عنهما « ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا » كذا جاء فى الحديث وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا فى عالم البرزخ والآية إنما هى فى الدار الدنيا وقوله عز وجل (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (إنه على حكيم) فهو على عليم خبير حكيم وقوله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) يعنى القرآن (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) أى على التفصيل الذى شرع لك فى القرآن (ولكن جعلناه) أى القرآن (نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) كقوله تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) الآية وقوله تعالى (وإنك) أى يا محمد (لتهدى إلى صراط مستقيم) وهو الخلق القويم ثم فسره بقوله تعالى (صراط الله) أى شرعه الذى أمر به الله (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) أى ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذى لا معقب لحكمه (ألا إلى الله تصير الأمور) أى ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

﴿ تفسير سورة الزخرف وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ * أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ * وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾

يقول تعالى (حم والكتاب المبين) أى البين الواضح الجلى المعانى والألفاظ لأنه نزل بلغة العرب التى هى أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ولهذا قال تعالى (إنا جعلناه) أى أنزلناه (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب فصيحا واضحا (لعلكم تعقلون) أى تفهمونه وتتدبرونه كما قال عز وجل (بلسان عربى مبين) وقوله تعالى (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) بين شرفه فى الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض فقال تعالى (وإنه) أى القرآن (فى أم الكتاب) أى اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد (لدينا) أى عندنا قاله قتادة وغيره (لعلى) أى ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة (حكيم) أى محكم برىء من اللبس والزيغ . وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال تبارك وتعالى (إنه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين) وقال تعالى (كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام بررة) ولهذا استنبط العلماء رضى الله عنهم من هاتين الآيتين أن المحدث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث إن صح لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن فى الملأ الأعلى ، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهم أحق أن يقابلوه بالاكرام والتعظيم ، والانقياد له بالقبول والتسليم ، لقوله تعالى (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وقوله عز وجل (أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ؟) اختلف المفسرون فى معناها فقيل معناها أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به قاله ابن عباس رضى الله عنهما وأبو صالح ومجاهد والسدى واختاره ابن جرير ، وقال قتادة فى قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا ؟) والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك وقول قتادة لطيف المعنى جدا وحاصله أنه يقول فى معناه أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدى به من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم قال جل وعلا مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى

تكذيب من كذبه من قومه وآمرا له بالصبر عليهم (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) أي في شيع الأولين (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) أي يكذبونه ويسخرون به . وقوله تبارك وتعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي فأهلكنا المكذبين بالرسل وقد كانوا أشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يامحمد كقوله عز وجل (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة) والآيات في ذلك كثيرة جدا . وقوله جل جلاله (ومضى مثل الأولين) قال مجاهد: سنتهم . وقال قتادة: عقوبتهم . وقال غيرهما: عبرتهم أي جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم كقوله تعالى في آخر هذه السورة (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) وكقوله جلت عظمته (سنة الله التي قد خلت في عباده) وقال عز وجل (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ * ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾

يقول تعالى ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلق السموات والأرض؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم) أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد ثم قال تعالى (الذي جعل لكم الأرض مهدا) أي فراشا قرارا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتتصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا بين الجبال والأودية (لعلكم تهتدون) أي في سيركم من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم . وقوله تبارك وتعالى (فأنشرنا به بلدة ميتا) أي أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ثم نبه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها فقال (كذلك تخرجون) . ثم قال عز وجل (والذي خلق الأزواج كلها) أي مما تنبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك ، ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها (وجعل لكم من الفلك) أي السفن (والأنعام ما تركبون) أي ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا (لتستووا على ظهوره) أي لتستووا متمكنين مرتفقين (على ظهوره) أي على ظهور هذا الجنس (ثم تذكروا نعمة ربكم) أي فيما سخر لكم (إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أي مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي وابن زيد : مقرنين أي مطيقين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) أي لصائرون إليه بعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى (وريشا ولباس التقوى ذلك خير)

﴿ ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة ﴾

﴿ حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴾ رضي الله عنه قال الإمام حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق

عن علي بن ربيعة قال رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله فى الركاب قال باسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون) ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسى فاغفرلى ثم ضحك فقلت له مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفرلى ويقول علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى » وهكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى الأحوص زاد النسائى ومنصور عن أبى إسحاق السبيعى عن على بن ربيعة الأسدى الوالبى به وقال الترمذى : حسن صحيح ، وقد قال عبدالرحمن بن مهدى عن شعبة قلت لأبى إسحاق السبيعى ممن سمعت هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خباب فلقيت يونس بن خباب فقلت ممن سمعته ؟ فقال من رجل سمعه من على بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الأسدى عن على بن ربيعة الوالبى به ﴿ حديث عبد الله بن عباس ﴾ رضى الله عنهما قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبو بكر بن عبدالله عن على بن أبى طلحة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ أردفه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله ﷺ ثلاثا وحمد ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال « ما من امرىء مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عزوجل عليه فضحك إليه كما ضحكت إليك » تفرد به أحمد ﴿ حديث عبد الله بن عمر ﴾ رضى الله عنهما قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبى الزبير عن على بن عبد الله البارقى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن النبى ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا لمنقلبون — ثم يقول — اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا السفر واطولنا البعيد ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا » وكان صلى الله عليه وسلم إذا رجع إلى أهله قال « آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون » وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث ابن جريج والترمذى من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبى الزبير به ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبى لاس الخزاعى قال حملنا رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة إلى الحج فقلنا يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه فقال صلى الله عليه وسلم « مامن بعير إلا فى ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما آمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فانما يحمل الله عزوجل » أبو لاس اسمه محمد بن الأسود بن خلف ﴿ حديث آخر ﴾ فى معناه قال أحمد حدثنا عتاب أخبرنا عبد الله ح وعلى بن إسحاق أخبرنا عبد الله يعنى ابن المبارك أخبرنا أسامة بن زيد أخبرنى محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « على ظهر كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فسموا الله عزوجل ثم لاتقصروا عن حاجاتكم »

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه فى جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى كما ذكر

الله عز وجل عنهم فى سورة الأنعام فى قوله تبارك وتعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هـذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون) وكذلك جعلوا له من قسمى البنات والبنين أخسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى) وقال جل وعلا ههنا (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين) ثم قال جل وعلا (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟) وهذا إنكار عليهم غاية الانكار . ثم ذكر تمام الانكار فقال جلت عظمته (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أى إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبونه إلى الله عز وجل ، ثم قال سبحانه وتعالى (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلى منذ تكون طفلة وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هى عاجزة عيية أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم ، فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن فى الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلى وما فى معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب

وما الحلى إلا زينة من نقيصة * يتمم من حسن إذا الحسن قصرا
وأما إذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا

وأما نقص معناها فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة لها ولا همة كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت ماهى بنعم الولد نصرها بكاء ، وبرها سرقة ، وقوله تبارك وتعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) أى اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال (أشهدوا خلقهم) أى شاهدوه وقد خلقهم الله إناثا (ستكتب شهادتهم) أى بذلك (ويسألون) عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التى هى على صور الملائكة التى هى بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ ﴿ أحدها ﴾ جعلهم لله تعالى ولدا ، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا ﴿ الثانى ﴾ دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴿ الثالث ﴾ عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للاسلاف والكبراء والآباء والخبط فى الجاهلية الجهلاء ﴿ الرابع ﴾ احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جهلوا فى هذا الاحتجاج جهلا كبيرا فانه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الانكار فانه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقال عز وجل (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال جل وعلا فى هذه الآية بعد أن ذكر حجتهم هذه (ما لهم بذلك من علم) أى بصحة ما قالوه واحتجوا به (إن هم إلا يخرصون) أى يكذبون ويتقولون ، وقال مجاهد فى قوله تعالى (مالهم بذلك من علم ان هم إلا يخرصون) يعنى ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ * قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين فى عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل شركهم (فهم به مستمسكون) أى فيما هم فيه أى ليس الأمر كذلك كقوله عز وجل (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أى لم يكن ذلك. ثم قال تعالى (بل قالوا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) أى ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة والمراد بها الدين ههنا وفى قوله تبارك وتعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة) وقولهم (وإنا على آثارهم) أى وراءهم (مهتدون) دعوى منهم بلا دليل. ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وهكذا قال ههنا (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ثم قال عز وجل (قل) أى يا محمد لهؤلاء المشركين (أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) أى ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله. قال الله تعالى (فانتقمنا منهم) أى من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى فى قصصهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أى كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ * وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذى تنتسب إليه قريش فى نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه فى عبادتهم الأوثان فقال (إننى براء مما تعبدون * إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية فى عقبه) أى هذه الكلمة وهى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهى لا إله إلا الله أى جعلها دائمة فى ذريته يقتدى به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام (لعلهم يرجعون) أى إليها قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم فى قوله عز وجل (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) يعنى لا إله إلا الله لا يزال فى ذريته من يقولها. وروى نحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما. وقال ابن زيد كلمة الإسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة ثم قال جل وعلا (بل متعت هؤلاء) يعنى المشركين (وآباءهم) أى فتطاول عليهم العمر فى ضلالهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) أى بين الرسالة والنذارة (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) أى كابروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والراح كفرا وحسدا وبغيا (وقالوا) أى كالمعترضين على الذى أنزله تعالى وتقدس (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أى هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير فى أعينهم من القريتين؟ يعنون مكة والطائف قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى وقتادة والسدى وابن زيد وقد ذكر

غيروا حد منهم أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي . وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي . وعن مجاهد يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي وعنه أيضا أنهم يعنون عتبة بن ربيعة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما جبارا من جبابرة قريش وعنه رضي الله عنهما أنهم يعنون ألوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ياليل بالطائف وقال السدي عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان . قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض (أهم يقسمون رحمة ربك؟) أي ليس الأمر مردودا إليهم بل إلى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته فانه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبا ونفساً وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا ثم قال عزوجل مبينا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) الآية . وقوله جلت عظمته (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال لا حتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا قاله السدي وغيره وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وهو راجع إلى الأولى . ثم قال عز وجل (ورحمة ربك خير مما يجمعون) أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه وتعالى (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لأجل المال . هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) أي سلالم ودرجا من فضة . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم (عليها يظهرون) أي يصعدون ولبيوتهم أبوابا أي أغلاقا على أبوابهم (وسررا عليها يتكئون) أي جميع ذلك يكون فضة (وزخرفا) أي وذهبا . قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد . ثم قال تبارك وتعالى (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي انما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تعالى أي يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح . وورد في حديث آخر « لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء » أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه الطبراني من طريق زمعة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ « لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شيئا » ثم قال سبحانه وتعالى (والآخرة عند ربك للمتقين) أي هي لهم خاصه لا يشاركهم فيها أحد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حين صعد إليه في تلك المشربة لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس وقال « أو في شك أنت يا ابن الخطاب » ثم قال صلى الله عليه وسلم « أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا » وفي رواية « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » . وفي الصحيحين أيضا وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة » وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها كما روى الترمذي وابن ماجه من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء أبدا » قال الترمذي حسن صحيح

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ

ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ * فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ * وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن يعش) أى يتعامى ويتغافل ويعرض (عن ذكر الرحمن) والعشا فى العين ضعف بصرها والمراد ههنا عشا البصيرة (نقيض له شيطانا فهو له قرين كقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) الآية وكقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وكقوله جل جلاله (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) الآية ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا) أى هـذا الذى تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم . فإذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذى وكل به (قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وقرأ بعضهم (حتى إذا جاآنا) يعنى القرين والمقارن . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجريرى قال : بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى إلى النار فذلك حين يقول (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) والمراد بالمشرقين هاهنا هو ما بين المشرق والمغرب . وإنما استعمل هاهنا تغليبا كما يقال : القمران والعمران والأبوان . قاله ابن جرير وغيره . ثم قال تعالى (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) أى لا يغنى عنكم اجتماعكم فى النار واشتراككم فى العذاب الأليم وقوله جلت عظمته (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين .) أى ليس ذلك إليك إنما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل فى ذلك . ثم قال تعالى (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) أى لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت أنت (أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون) أى نحن قادرون على هـذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه فى نواصيهم . وملكه ما تضمنته صياصيهم هذا معنى قول السدى واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال تلا قتادة (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) فقال ذهب النبى ﷺ وبقيت النقمة ولن يرى الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكن نبى قط إلا وقد رأى العقوبة فى أمته إلا نبيكم ﷺ . قال وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أرى ما يصيب أمته من بعده فما رئى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل وذكر من رواية سعيد بن أبى عروبة عن قتادة نحوه ثم روى ابن جرير عن الحسن نحو ذلك أيضا وفى الحديث « النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون » ثم قال عز وجل (فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم) أى خذ بالقرآن المنزل على قلبك فانه هو الحق وما يهدى إليه هو الحق المفضى إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم المقيم . ثم قال جل جلاله (وإنه لذكر لك ولقومك) قيل معناه لشرف لك ولقومك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومجاهد وقتادة والسدى وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواه وأورد الترمذى ههنا حديث الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن هذا الأمر فى قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » رواه البخارى ومعناه أنه شرف لهم من حيث انه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغى أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم وقيل معناه (وانه

لذكر لك ولقومك) أى لتذكير لك ولقومك ، وتخصيصهم بالذكر لاينفى من سواهم كقوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) وكقوله تبارك وتعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) (وسوف تسئلون) أى عن هذا القرآن وكيف كنتم فى العمل به والاستجابة له . وقوله سبحانه وتعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى جميع الرسل دعوا إلى مادعوت الناس اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد كقوله جلت عظمته (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) قال مجاهد فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا . وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدى عن ابن مسعود رضى الله عنه . وهذا كأنه تفسير لاتلاوة والله أعلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واسألهم ليلة الإسراء فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له ، واختار ابن جرير الأول والله أعلم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام أنه ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبنى إسرائيل ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له وينهاهم عن عبادة ماسواه وأنه بعث معه آيات عظاما كيده وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها (وما تأتيهم من آية إلا هى أكبر من أختها) ومع هذا مارجعوا عن غيهم وضلالهم ، وجهلهم وخبالهم . وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له فى العبارة بقولهم (ياأيها الساحر) أى العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة . ولم يكن السحر فى زمانهم مذموما عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لأن الحال حال ضرورة منهم اليه لاتناسب ذلك وإنما هو تعظيم فى زعمهم ففى كل مرة يعدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بنى إسرائيل . وفى كل مرة ينكثون ماعاهدوا عليه وهذا كقوله تبارك وتعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذاهم ينكثون)

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ؟) قال قتادة قد كانت لهم جنات وأنهار ماء (أفلا تبصرون) أى أفلا ترون ماأنا فيه من العظمة والملك يعنى وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء وهذا كقوله تعالى (فحشر فنادى * فقال

أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) وقوله (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين) قال السدى يقول بل أنا خير من هذا الذى هو مهين وهكذا قال بعض نحاة البصرة: إن أم ههنا بمعنى بل ، ويؤيد هذا ماحكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها (أما أنا خير من هذا الذى هو مهين) قال ابن جرير ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا ولكنها خلاف قراءة الأمصار فانهم قرأوا (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين) على الاستفهام [قلت] وعلى كل تقدير فانما يعنى فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب فى قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة . ويعنى بقوله مهين كما قال سفيان حقير وقال قتادة والسدى يعنى ضعيف وقال ابن جرير يعنى لا ملك له ولا سلطان ولا مال (ولا يكاد يبين) يعنى لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عى حصر قال السدى (لا يكاد يبين) أى لا يكاد يفهم وقال قتادة والسدى وابن جرير يعنى عى اللسان وقال سفيان يعنى فى لسانه شىء من الجمرة حين وضعها فى فمه وهو صغير ، وهذا الذى قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وانما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ما ينظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء فى صورة يبهر أبصار ذوى الألباب ، وقوله (مهين) كذب بل هو المهين الحقير خلقة وخلقا ودينا ، وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد ، وقوله (ولا يكاد يبين) افتراء أيضا فانه وإن كان قد أصاب لسانه فى حال صغره شىء من جهة تلك الجمرة فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك فى قوله (قد أوتيت سؤلك ياموسى) وبتقدير أن يكون قد بقى شىء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصرى وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام ، فالأشياء الخلقية التى ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها ، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدرى هذا وإنما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء وهكذا قوله (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) وهى ما يجعل فى الأيدى من الحلى قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وغير واحد (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أى يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه ، نظر إلى الشكل الظاهر ولم يفهم السر المعنوى الذى هو أظهر مما نظر اليه لو كان يفهم ولهذا قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) أى استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له (إنهم كانوا قوما فاسقين) قال الله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما آسفونا أسخطونا ، وقال الضحاك عنه أغضبونا وهكذا قال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظى وقتادة والسدى وغيرهم من المفسرين وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبيد الله بن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم التجيبى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطى العبد مايشاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له » ثم تلا ﷺ (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وحدثنا أبى حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله رضى الله عنه فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ثم قرأ رضى الله عنه (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وجدت النقمة مع الغفلة يعنى قوله تبارك وتعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وقوله سبحانه وتعالى (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) قال أبو مجلز سلفا لمثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد ومثلا أى عبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن تعنت قريش فى كفرهم وتعمدهم العناد والجدل (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قال غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة والسدى والضحاك يضحكون أى أعجبوا بذلك ، وقال قتادة: يجزعون ويضحكون . وقال إبراهيم النخعى يعرضون وكأن السبب فى ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق فى السيرة حيث قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر ابن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) الآيات : ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعرى التميمى حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له : والله ماقام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبدالله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمدا أكل مايعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم . فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » فأنزل الله عز وجل (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) أى عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) أى يصدون عن أمرك بذلك من قوله . ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة) أى ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول (فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وذكر ابن جرير من رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قال يعنى قريشا لما قيل لهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إلى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم ؟ قال « ذاك عبد الله ورسوله » فقالوا والله مايريد هذا إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل (ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبى النجود عن أبى رزين عن أبى يحيى مولى ابن عقيل الأنصارى قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : لقد علمت آية من القرآن ماسألنى عنها رجل قط ولا أدرى أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها . قال ثم طفق يحدثنا فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها فقلت أنا لها إذا راح غدا فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدرى أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها فقلت أخبرنى عنها وعن اللاتى قرأت قبلها ، قال رضى الله عنه نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش « يامعشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول فى محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألست تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان

نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فان كنت صادقا كان آلهتهم كما تقولون قال فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قلت ما يصدون ؟ قال يضحكون (وإنه لعلم للساعة) قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عاصم ابن أبي النجود عن أبي أحمد مولى الأنصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير» فقالوا له ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قالت قريش إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى عليه السلام ، ونحو هذا قال قتادة . وقوله (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) قال قتادة يقولون آلهتنا خير منه ، وقال قتادة قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا أآلهتنا خير أم هذا يعنون محمدا ﷺ . وقوله تبارك وتعالى (ما ضربوه لك إلا جدلا) أي مراء وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية لأنها لما لا يعقل وهي قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ثم هي خطاب لقريش وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين أن مقالتهم إنما كانت جدلا منهم ليسوا يعتقدون صحتها ، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ، ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديثه كذا قال . وقد روى من وجه آخر عن أبي أمامة رضي الله عنه بزيادة فقال ابن أبي حاتم حدثنا حميد بن عياش الرملي حدثنا مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن الشامي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال حماد لا أدري رفعه أم لا ؟ قال : ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل ، ثم قرأ (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل » ثم تلا صلى الله عليه وسلم (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) . وقوله تعالى (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ما هو إلا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة (وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) أي دلالة وحجة وبرهانا على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عز وجل (ولو نشاء لجعلنا منكم) أي بدلكم (ملائكة في الأرض يخلفون) قال السدي يخلفونكم فيها ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يخلف بعضهم بعضا كما يخلف بعضكم بعضا وهذا القول يستلزم الأول ، وقال مجاهد يعمرون الأرض بدلكم وقوله سبحانه وتعالى (وإنه لعلم للساعة) تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام وفي هذا نظر . وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وإنه لعلم للساعة) أي أمارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد (وإنه لعلم للساعة) أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى

عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا . وقوله تعالى (فلا تمترن بها) أى لا تشكوا فيها إنها واقعة وكائنة لا محالة (واتبعون) أى فيما أخبركم به (هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان) أى عن اتباع الحق (إنه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) قال ابن جرير يعنى من الأمور الدينية لا الدنيوية وهذا الذى قاله حسن جيد ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا بمعنى كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال :

تراك أمكنة إذا لم أرضها * أو يتعلق بعض النفوس حمامها

وأولوه على أنه أراد جميع النفوس . قال ابن جرير وإنما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها وهذا الذى قاله محتمل وقوله عز وجل (فاتقوا الله) أى فيما أمركم به (وأطيعون) فيما جئتكم به (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى أنا وأنتم عبيد له فقراء إليه مشتركون فى عبادته وحده لا شريك له (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده . وقوله سبحانه وتعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق وصاروا شيعا فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعى أنه ولد الله ، ومنهم من يقول إنه الله . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . ولهذا قال تعالى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ * يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

يقول تعالى هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل (إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) أى فإنها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين . فإذا جاءت إنما تجىء وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم . وقوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) أى كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبى إسحق عن الحارث عن على رضى الله عنه (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فتوفى أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم إن فلانا خليلى كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر وينبئنى أنى ملاقيك اللهم فلا تضله بعدى حتى تريه مثل ما أريتنى، وترضى عنه كما رضيت عنى فيقال له : اذهب فلو تعلم ماله عندى لضحكت كثيرا وبكيت قليلا . قال ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما فيقال ليثن أحدكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل . وإذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليله فيقول اللهم إن خليلى فلانا كان يأمرنى بمعصيتك ومعصية رسولك . ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك اللهم فلا تهده بعدى حتى تريه مثل ما أريتنى وتسخط عليه كما سخطت على قال فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما . فيقال ليثن كل واحد

منكا على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين، وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد عن هشام بن عبد الله بن كثير حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة عن معافى حدثنا حكيم ابن نافع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي أحببته في » وقوله تبارك وتعالى (ياعبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) ثم بشرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) أي آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم . قال المعتمر بن سليمان عن أبيه إذا كان يوم القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم إلا فزع فينادي مناد (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) قال فييأس الناس منها غير المؤمنين (ادخلوا الجنة) أي يقال لهم ادخلوا الجنة (أنتم وأزواجكم) أي نظراؤكم (تحبرون) أي تنعمون وتسعدون وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) أي زبادي آنية الطعام (وأكواب) وهي آنية الشراب أي من ذهب لا خراطيم لها ولا عرى (وفيها ما تشتهي الأنفس) وقرأ بعضهم تشتهيه الأنفس (وتلذ الأعين) أي طيب الطعم والريح وحسن المنظر ، قال عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد قال : إن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال « إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع شبر إلا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله شهوته في آخرها كشهوته في أولها لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطي لا ينقص ذلك مما أوتي شيئا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا عمرو بن سواد السرحي حدثني عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا أمامة رضي الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر الجنة فقال « والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر على باله طعام آخر فيتحول الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) وقال الإمام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة من له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة - ولا أعلمه إلا قال من ذهب - في كل صحفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وإن له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » وقوله تعالى (وأنتم فيها) أي في الجنة (خالدون) أي لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولا . ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) أي أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إياكم فإنه لا يدخل أحدا عمله الجنة ولكن برحمة الله وفضله وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات قال ابن أبي حاتم حدثنا الفضل بن شاذان المقري حدثنا يوسف بن يعقوب يعني الصفار حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيكون له فيقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين) وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) فيكون له شكرا » قال : وقال رسول الله ﷺ « ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار . والمؤمن يرث

الكافر منزله من الجنة وذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون)) وقوله تعالى (لكم فيها فاكهة كثيرة) أى من جميع الأنواع (منها تأكلون) أى مهما اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة والله تعالى أعلم

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنى بذكر الأشقياء فقال (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون * لايفتر عنهم) أى ساعة واحدة (وهم فيه مبلسون) أى آيسون من كل خير (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أى بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد (ونادوا يا مالك) وهو خازن النار . قال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن عطاء عن صفوان ابن يعلى عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أى يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى (لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها) وقال عزوجل (ويتجنبها الأشقى * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيا) فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك (قال إنكم ماكثون) قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال إنكم ماكثون رواه ابن أبى حاتم أى لاخروج لكم منها ولا محيد لكم عنها . ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال (لقد جئناكم بالحق) أى بيناه لكم ووضحناه وفسرناه (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى ولكن كانت سجاياكم لاتقبله ولاتقبل عليه وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لاتنفعكم الندامة ثم قال تبارك وتعالى (أم أبرموا أمرا فانا مبرمون) قال مجاهد أرادوا كيد شر فكدناهم وهذا الذى قاله مجاهد كما قال تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون) وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون فى رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم ولهذا قال (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم) أى سرهم وعلانيتهم (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أى نحن نعلم ماهم عليه والملائكة أيضا يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى (قل) يامحمد (إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) أى لو فرض هذا لعبدته على ذلك لأنى عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرنى به ليس عندى استكبار ولا إباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذ ولكن هذا ممتنع فى حقه تعالى والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا كما قال عزوجل (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى (فأنا أول العابدين) أى الآنفين ومنهم سفيان الثورى والبخارى حكاه فقال ويقال أول العابدين الجاحدين من عبد يعبد ، وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب حدثنى ابن أبى ذئب عن أبى قسيط عن بعجة بن بدر الجهنى أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضا فولدت له فى ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بها أن ترجم فدخل عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : إن الله تعالى يقول فى كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال عزوجل (وفصاله فى عامين) قال فوالله ما عبد عثمان رضى الله عنه أن بعث إليها ترد قال يونس قال ابن وهب: عبد: استنكف . وقال الشاعر .

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما

وهذا القول فيه نظر لأنه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره إن كان هذا فأنا ممتنع منه ؟ هذا فيه نظر فليتأمل اللهم إلا أن يقال إن إن ليست شرطا وإنما هى نافية كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد) يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين وقال قتادة: هى كلمة من كلام العرب (إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) أى إن ذلك لم يكن فلا ينبغى ، وقال أبو صخر (قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) أى فأنا أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحده ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد (فانا أول العابدين) أى أول من عبده ووحده وكذبكم ، وقال البخارى (فانا أول العابدين) الآنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد والأول أقرب على أنه شرط وجزاء ولكن هو ممتنع ، وقال السدى (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) يقول لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن إن نافية . ولهذا قال تعالى (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أى تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد فانه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له فلا ولد له . وقوله تعالى (فذرهم يخوضوا) أى فى جهلهم وضلالهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم القيامة أى فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم فى ذلك اليوم . وقوله تبارك وتعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو إله من فى السماء وإله من فى الأرض يعبده أهلهما وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه (وهو الحكيم العليم) وهذه الآية كقوله سبحان وتعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون أى هو المدعو الله فى السموات والأرض (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما) أى هو خالقهما ومالكهما والتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك أى استقر له السلامة من العيوب والنقائص لأنه الرب العلى العظيم المالك للاشياء الذى بيده أزمة الأمور نقضا وإبراما (وعنده علم الساعة) أى لا يجليها لوقتها إلا هو (وإليه ترجعون) أى فيجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ثم قال تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه) أى من الاصنام والأوثان (الشفاعة) أى لا يقدرون على الشفاعة لهم (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) هذا استثناء منقطع أى لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فانه تنفع شفاعته عنده بإذنه له . ثم قال عزوجل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) أى ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلقهم ليقولن الله) أى هم يعترفون أنه الخالق للاشياء جميعها وحده لا شريك له فى ذلك ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئا ولا يقدر على شيء فهم فى ذلك فى غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل . ولهذا قال تعالى (فأنى يؤفكون) . وقوله جل وعلا (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) أى وقال محمد صلى الله عليه وسلم قيله أى شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يا رب

إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد وقتادة وعليه فسر ابن جرير، قال البخاري وقرأ عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه (وقال الرسول يا رب) وقال مجاهد في قوله (وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال يؤثر الله عز وجل قول محمد ﷺ وقال قتادة: هو قول نبيكم صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى ربه عز وجل. ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى (وقيله يا رب) قراءتان إحداهما النصب ولها توجيهان أحدهما أنه معطوف على قوله تبارك وتعالى (نسمع سرهم ونجواهم) والثاني أن يقدر فعل وقال قيله، والثانية الخفض وقيله عطفا على قوله (وعنده علم الساعة) وتقديره وعلم قيله وقوله تعالى (فاصفح عنهم) أي المشركين (وقل سلام) أي لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيء ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلا وقولا (فسوف يعلمون) هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد وأعلى دينه وكلمته وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب والله أعلم. آخر تفسير سورة الزخرف

﴿ تفسير سورة الدخان وهي مكية ﴾

قال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن عمرو بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمرو بن أبي خثعم يضعف قال البخاري: منكر الحديث

ثم قال حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحباب عن هشام أبي المقدام عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو المقدام يضعف والحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد رحمة الله عليهم أجمعين. وفي مسند البزار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد ابن حارثة أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد «إني قد خبأت خبأ فما هو؟» وخبأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ. فقال «اخسأ ما شاء الله» ثم انصرف

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى (وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة فقد أبعد النجعة فإن نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى» فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص وقوله عز وجل (إنا كنا منذرين) أي معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعا لتقوم حجة الله على عباده وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد

من السلف وقوله جل وعلا (حكيم) أى محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال جل جلاله (أمرا من عندنا) أى جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه (إنا كنا مرسلين) أى إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات فان الحاجة كانت ماسة إليه ولهذا قال تعالى (رحمة من ربك إنه هو السميع العليم * رب السموات والأرض وما بينهما) أى الذى أنزل القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما (إن كنتم موقنين) أى إن كنتم متحققين ثم قال تعالى (لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) وهذه الآية كقوله تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت) الآية

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾

يقول تعالى بل هؤلاء المشركون فى شك يلعبون أى قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ، ثم قال عز وجل متوعدا لهم ومهددا (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) قال سليمان بن مهران الأعمش عن أبى الضحى : مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال دخلنا المسجد يعنى مسجد الكوفة عند أبواب كندة فإذا رجل يقص على أصحابه (يوم تأتى السماء بدخان مبين) تدرون ماذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود رضى الله عنه فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففزع فقعد وقال إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان وفى رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، قال الله تعالى (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) فأتى رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم لهم فسقوا فنزلت (إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) قال ابن مسعود رضى الله عنه فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال يعنى يوم بدر قال ابن مسعود رضى الله عنه فقد مضى خمسة : الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين ورواه الإمام أحمد فى مسنده وهو عند الترمذى والنسائى فى تفسيريهما وعند ابن جرير وابن أبى حاتم من طرق متعددة عن الأعمش به وقد وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى : جماعة من السلف كمجاهد وأبى العالية وإبراهيم النخعى والضحاك وعطية العوفى وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الرحمن الأعرج فى قوله عز وجل (يوم تأتى السماء بدخان مبين) قال كان يوم فتح مكة وهذا القول غريب جدا بل منكر . وقال آخرون لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبى سريحة : حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس — أو تحشر الناس — تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا » تفرد باخراجه مسلم فى صحيحه وفى الصحيحين أن

رسول الله ﷺ قال لابن صياد « إني خبأت لك خبأ » قال هو الدخ فقال صلى الله عليه وسلم له « اخسأ فلن تعدو قدرك » قال وخبأ له رسول الله ﷺ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب ، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرطون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعني الدخان فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية فقال صلى الله عليه وسلم « اخسأ فلن تعدو قدرك » ثم قال ابن جرير وحدثني عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبي حدثنا سفيان بن أبي سعيد الثوري حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « إن أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان — قال حذيفة رضي الله عنه يا رسول الله وما الدخان ؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم) — يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره » قال ابن جرير لو صح هذا الحديث لكان فاصلا وإنما لم أشهد له بالصحة لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا ، قال فقلت أقرأته عليه ؟ قال لا قال فقلت له أقرئ عليه وأنت حاضر فأقر به ؟ فقال لا فقلت له فمن أين جئت به ؟ فقال جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا لي اسمعه منا فقرءوه علي ثم ذهبوا به فحدثوا به عني أو كما قال وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث ههنا فانه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير وفيه منكرات كثيرة جدا ولاسيما في أول سورة بني إسرائيل في ذكر المسجد الأقصى والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن ربكم أنذركم ثلاثا : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة والثالثة الدجال » ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن إسماعيل بن عياش به وهذا إسناد جيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه » ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفا ، وروى سعيد بن عوف عن الحسن مثله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ وروى ابن جرير من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البيلماني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ أي المشوي على الرضف ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال مانمت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي يزيد عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي بين واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى (يغشى الناس) أي يتغشاهم ويعمهم ، ولو كان

أمراً خياليا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه (يغشى الناس) وقوله تعالى (هذا عذاب أليم) أى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا كقوله عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أو يقول بعضهم لبعض ذلك وقوله سبحانه وتعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) أى يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقوله جلت عظمته (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وكذا قوله جل وعلا (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) وهكذا قال جل وعلا ههنا (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والنذارة ومع هذا تولوا عنه وماوا فقوه بل كذبوه وقالوا معلم مجنون وهذا كقوله جلت عظمته (يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) الآية كقوله عز وجل (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) إلى آخر السورة وقوله تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) يحتمل معنيين ﴿ أحدهما ﴾ أنه يقوله تعالى ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب كقوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون) وكقوله جلت عظمته (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) ﴿ والثانى ﴾ أن يكون المراد إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه قال الله تعالى إخبارا عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه حين قالوا (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم وقال قتادة إنكم عائدون إلى عذاب الله وقوله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) فسر ذلك ابن مسعود رضى الله عنه بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفى عنه وعن أبى بن كعب رضى الله عنه وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضا قال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن مسعود رضى الله عنه : البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هى يوم القيامة وهذا إسناد صحيح عنه وبه يقول الحسن البصرى وعكرمة فى أصح الروايتين عنه والله أعلم

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ * وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ * فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ * كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ * وَلَقَدِ اخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ * وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ الْآيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر (وجاءهم رسول كريم) يعنى موسى كليمه عليه الصلاة والسلام (أن أدوا إلى عباد الله) كقوله عز وجل (أن أرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) وقوله جل وعلا (إنى لكم رسول أمين) أى مأمون على ما أبلغكموه . وقوله تعالى (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تستكبروا عن اتباع آياته والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه كقوله عز وجل (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) (إنى آتيكم بسلطان مبين) أى بحجة ظاهرة واضحة وهى ما أرسله الله تعالى به من الآيات البينات والأدلة القاطعات (وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون) قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو صالح هو الرجم باللسان وهو الشتم . وقال قتادة الرجم بالحجارة أى أعوذ بالله الذى خلقنى وخلقكم من أن تصلوا إلى بسوء من قول أو فعل (وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى فلا تتعرضوا لى ودعوا الأمر بينى وبينكم مسالمة إلى أن يقضى الله بيننا فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرا وعنادا دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم كما قال تبارك وتعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) وهكذا قال ههنا (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بنى إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ولهذا قال جل جلاله (فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون) كما قال تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) وقوله عز وجل ههنا (واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون) وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلا بينهم وبين فرعون فلا يصل إليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بأنهم جند مغرقون فيه وانه لا يخاف دركا ولا يخشى ، قال ابن عباس رضى الله عنهما (واترك البحر رهوا) كهيئته وامضه وقال مجاهد رهوا طريقا يبسا كهيئته يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يرجع آخرهم وكذا قال عكرمة والربيع ابن أنس والضحاك وقتادة وابن زيد وكعب الأحبار وسماك بن حرب وغير واحد ثم قال تعالى (كم تركوا من جنات) وهى البساتين (وعيون وزروع) والمراد بها الأنهار والآبار (ومقام كريم) وهى المساكن الأنيقة والأماكن الحسنة . وقال مجاهد وسعيد بن جبير (ومقام كريم) المنابر ، وقال ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافرى عن عبد الله ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال نيل مصر سيد الأنهار سخر الله تعالى له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلله له فاذا أراد الله عز وجل أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها وفجر الله تبارك وتعالى له الأرض عيونا فاذا انتهى جريه إلى ما أراد الله جل وعلا أوحى الله تعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره وقال فى قول الله تعالى (فأخرجناهم من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين) قال كانت الجنان بحافتى نهر النيل من أوله إلى آخره فى الشقين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد وكان له تسع خلج (١) خليج الاسكندرية وخليج دمياط ، وخليج سردوس ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنتهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ ، وزرع ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أى عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاءوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم فى البلاد فسلبوا ذلك جميعه فى صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنوا إسرائيل كما قال تبارك وتعالى (كذلك وأورثناها بنى إسرائيل) . وقال فى الآية الأخرى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها

---

(١) الخليج شرم من النهر ويطلق على النهر ، وعلى السفينة والجمع خلجان وخلج . وقوله : تسع خلج هكذا فى الأصول فليحرر .

التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) وقال عز وجل ههنا (كذلك وأورثناها قوما آخرين) وهم بنو إسرائيل كما تقدم. وقوله سبحانه وتعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم. قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا أحمد بن إسحاق البصري حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا موسى ابن عبيدة حدثني يزيد الرقاشي حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من عبد إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه» وتلا هذه الآية (فما بكت عليهم السماء والأرض) وذكر أنهم لم يكونوا عملوا على الأرض عملا صالحا يبكي عليهم ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم، ورواه ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة وهو الربذي. وقال ابن جرير حدثني يحيى بن طلحة حدثني عيسى بن يونس عن صفوان ابن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ «إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ. ألا لا غربة على مؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والأرض» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فما بكت عليهم السماء والأرض) ثم قال «إنهما لا يبكيان على الكافر» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد ابن عبدالله قال سأل رجل عليا رضي الله عنه هل تبكي السماء والأرض على أحد فقال له لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض ولا عمل يصعد في السماء ثم قرأ علي رضي الله عنه (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد بن جبير قال أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل فقال يا أبا العباس أرأيت قول الله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال رضي الله عنه نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه، وان قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو هذا. وقال سفيان الثوري عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يقال تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحا، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد، وقال مجاهد أيضا ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا قال فقلت له أتبكي الأرض؟ فقال أتعجب وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل وقال قتادة كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكي عليهم السماء والأرض وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد السلام بن عاصم حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا المستورد بن سابق عن عبيد المكتب عن إبراهيم قال ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين قلت لعبيد أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال ذاك مقامه حيث يصعد عمله قال وتدري ما بكاء السماء؟ قلت لا قال تحمر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دما. وإن الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء. وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو زنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدي الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها. وذكروا أيضا في مقتل الحسين رضي الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد

تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة وفي كل من ذلك نظر ، والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه فانه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضل منه بالاجماع ولم يقع شيء من ذلك ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصورا مظلوما ولم يكن شيء من ذلك . وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه . ويوم مات إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت إبراهيم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت لأحد ولا لحياته . وقوله تبارك وتعالى (ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين) يمتن عليهم تعالى بذلك حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة وقوله تعالى (من فرعون إنه كان عاليا) أي مستكبرا جبارا عنيدا كقوله عز وجل (إن فرعون علا في الأرض) . وقوله جلت عظمته (فاستكبروا وكانوا قوما عالين) من المسرفين أي مسرف في أمره سخيف الرأي على نفسه . وقوله جل جلاله (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) قال مجاهد (اخترناهم على علم على العالمين) على من هم بين ظهريه وقال قتادة اختيروا على أهل زمانهم ذلك وكان يقال إن لكل زمان عالما وهذا كقوله تعالى (قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس) أي أهل زمانه ذلك كقوله عز وجل لمريم عليها السلام (واصطفاك على نساء العالمين) أي في زمنها فان خديجة رضي الله عنها إما أفضل منها أو مساوية لها في الفضل وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وقوله جل جلاله (وآتيناهم من الآيات) الحجج والبراهين وخوارق العادات (ما فيه بلاء مبين) أي اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به .

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا (فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد إنما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً ، يوم تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، ثم قال تعالى متهددا لهم ومتوعدا ومنذرا لهم بأسه الذي لا يرد كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع وهم سبأ حيث أهلكهم الله عز وجل وخرب بلادهم وشردهم في البلاد وفرقهم شذر مذر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بانكار المشركين للمعاد وكذلك ههنا شبههم بأولئك وقد كانوا عربا من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبأ كلما ملك فيهم رجل سموه تبعا كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك مصر كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من أعلام الأجناس . ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة فاتفق أنه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار وجعلوا يقرونه بالليل فاستحيا منهم وكف عنهم واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة فانها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة أراد هدم

الكعبة فنهياه عن ذلك أيضا وأخبراه بعظمة هذا البيت وأنه من بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاف بها وكساها الملاء والوصائل والحبر ثم كر راجعا إلى اليمن ودعا أهلها إلى التهود معه وكان إذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فتهود معه عامة أهل اليمن ، وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه السيرة وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومما لم نذكر ، وذكر أنه ملك دمشق وأنه كان إذا استعرض الخيل صفت له من دمشق إلى اليمن . ثم ساق من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا ؟ ولا أدري تبع لعينا كان أم لا ؟ ولا أدري ذوالقرنين نبيا كان أم ملكا » . وقال غيره «عزير أكان نبيا أم لا » ، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الظهراني عن عبد الرزاق قال الدارقطني تفرد به عبد الرزاق ، ثم روى ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « عزير لا أدري أنبيا كان أم لا ؟ ولا أدري ألعين تبع أم لا ؟ » ثم أورد ماجاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكأنه والله أعلم كان كافرا ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام وحج البيت في زمن الجرهميين وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلى اليمن . وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسوطة عن أبي بن كعب وعبدالله بن سلام وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم وكعب الأحبار واليه المرجع في ذلك كله وإلى عبد الله بن سلام أيضا وهو أثبت وأكبر وأعلم . وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن إسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها . وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل فإن تبعا هذا المشار اليه في القرآن أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ وقد بسطنا قصتهم هنالك ولله الحمد والمنة ، وقال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة وكان سعيد ينهى عن سبه وتبع هذا هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبو كريب بن مليكرب اليماني ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة ولم يكن في حمير أطول مدة منه وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة سنة . وذكروا أنه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مهاجر نبي آخر الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة فكانوا يتوارثونه ويرونه خلفا عن سلف وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره وهو :

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حفر قبر بصنعاء في الاسلام فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حبي وتميس وروى حبي وتماضر ابنتي تبع ماتتاوهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما . وقد ذكرنا في سورة سبأ شعر سبأ في ذلك أيضا . قال قتادة ذكر لنا أن كعبا كان يقول في تبع نعت نعت الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قال وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لا تسبوا تبعا فانه قد كان رجلا صالحا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبدالله بن لهيعة عن أبي زرعة - يعني عمرو بن جابر الحضرمي - قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا تبعا فانه قد كان أسلم » ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة به . وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي برزة حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم » وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن أبي ذئب عن القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما أدري تبع نبيا كان أم غير نبي » وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم كما أورده ابن عساكر « لا أدري تبع كان لعينا أم لا » فالله أعلم . ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى المدني عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا وقال عبد الرزاق أخبرنا عمران أبو الهذيل أخبرني تميم بن عبد الرحمن قال : قال عطاء بن أبي رباح لا تسبوا تبعا فان رسول الله ﷺ نهى عن سبه والله تعالى أعلم

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل كقوله جل وعلا (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون؟ * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ثم قال تعالى (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين . وقوله عز وجل (ميقاتهم أجمعين) أي يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) أي لا ينفع قريب قريبا كقوله سبحانه وتعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله جلت عظمته (ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم) أي لا يسأل أخا له عن حاله وهو يراه عيانا . وقوله جل وعلا (ولا هم ينصرون) أي لا ينصر القريب قريبه ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال (إلا من رحم الله) أي لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عز وجل بخلقه (إنه هو العزيز الرحيم) أي هو عزيز ذو رحمة واسعة

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ * كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقائه (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) والأثيم أي في قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد أنه أبو جهل ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلا (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء رضي الله عنه قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر أي ليس له طعام من غيرها ، قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم ، وقد تقدم نحوه مرفوعا ، وقوله (كالمهل) قالوا كعكر الزيت (يغلي في البطون كغلي الحميم) أي من حرارتها ورداءتها ، وقوله (خذوه) أي الكافر ، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية خذوه ابتدره سبعون ألفا منهم ، وقوله (فاعتلوه) أي سوقوه سحبا ودفعا في ظهره ، قال مجاهد (خذوه فاعتلوه) أي خذوه فادفعوه ، وقال الفرزدق :

ليس الكرام بناحليك أباهم * حتى ترد إلى عطية تعتل

(إلى سواء الجحيم) أي وسطها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كقوله عز وجل (يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود) وقد تقدم أن الملك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه فيسلت ما في بطنه من أمعائه حتى تمرق من كعبيه أعاذنا الله تعالى من ذلك . وقوله تعالى (ذق إنك أنت

العزيز الكريم) أى قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أى لست بعزيز ولا كريم وقد قال الأموى فى مغازيه حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بكر الهذلى عن عكرمة قال: لقى رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال « إن الله تعالى أمرنى أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » قال فنزع ثوبه من يده وقال ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شىء ولقد علمت أنى أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم ، قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل (ذق إنك أنت العزيز الكريم) . وقوله عز وجل (إن هذا ما كنتم به تمترون) كقوله تعالى (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) ولهذا قال تعالى ههنا (إن هذا ما كنتم به تمترون)

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمى القرآن مثانى فقال (إن المتقين) أى لله فى الدنيا (فى مقام أمين) أى فى الآخرة وهو الجنة قد أمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكيده وسائر الآفات والمصائب (فى جنات وعيون) وهذا فى مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم ، وقوله تعالى (يلبسون من سندس) وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها (وإستبرق) وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعالى القماش (متقابلين) أى على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره وقوله تعالى (كذلك وزوجناهم بحور العين) أى هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان الحور العين اللاتى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) (كأنهن الياقوت والمرجان) (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نوح بن حبيب حدثنا نصر بن مزاحم العطار حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضى الله عنه رفعه نوح قال : لو أن حوراء بزقت فى بحر لجى لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها . وقوله عز وجل (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أى مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا ، وقوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) هذا استثناء يؤكد النفى فانه استثناء منقطع ومعناه أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت » وقد تقدم الحديث فى سورة مريم عليها الصلاة والسلام . وقال عبد الرزاق حدثنا سفيان الثورى عن أبى إسحق عن أبى مسلم الأغر عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا » رواه مسلم عن إسحق بن راهويه وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به هكذا يقول أبو إسحق وأهل العراق أبو مسلم الأغر وأهل المدينة يقولون أبو عبد الله الأغر . وقال أبو بكر بن أبى داود السجستانى حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس ويحيا فيها فلا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا

سليم بن عبد الله الرقي حدثنا مصعب بن إبراهيم حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم أينام أهل الجنة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري حدثنا المقدام بن داود حدثنا عبد الله بن المغيرة حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » ، وقال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قيل يا رسول هل ينام أهل الجنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا ، النوم أخو الموت » ثم قال لا نعلم أحداً أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه إلا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي ، هكذا قال وقد تقدم خلاف ذلك والله أعلم ، وقوله تعالى (ووقاهم عذاب الجحيم) أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المرهوب ولهذا قال عز وجل (فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم) أي إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » ، وقوله تبارك وتعالى (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحا بينا جليا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها (لعلهم يتذكرون) أي يتفهمون ويعملون . ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسليا له وواعدا له بالنصر ومتوعدا لمن كذبه بالعطب والهلاك (فارتقب) أي انتظر (إنهم مرتقبون) أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) الآية وقال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) آخر تفسير سورة الدخان ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الجاثية وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات وما في البحر من الأصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران هذا بظلامه وهذا بضيائه وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه وسماه رزقا لأن به يحصل الرزق (فأحيا به الأرض بعد موتها) أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء . وقوله عز وجل (وتصريف الرياح) أي جنوبا وشمالا ودبورا وصبا برية وبحرية ليلية ونهارية . ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء للأرواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج وقال سبحانه وتعالى أولا (لآيات للمؤمنين) ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى ، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهي قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض

واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) وقد أورد ابن أبى حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا غريبا فى خلق الإنسان من الأخلاط الأربعة والله أعلم

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ * وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى (تلك آيات الله) يعنى القرآن بما فيه من الحجج والبينات (نتلوها عليك بالحق) أى متضمنة الحق من الحق فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ثم قال تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أى أفاك فى قوله كذاب حلاف مهين أثيم فى فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال (يسمع آيات الله تتلى عليه) أى تقرأ عليه (ثم يصر) أى على كفره وجحوده استكبارا وعنادا (كأن لم يسمعها) أى كأنه ما سمعها (فبشره بعذاب أليم) أى فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذابا أليما موجعا (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أى إذا حفظ شيئا من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا (أولئك لهم عذاب مهين) أى فى مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ولهذا روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال (من ورائهم جهنم) أى كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة (ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا) أى لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا تغنى عنهم الآلهة التى عبدوها من دون الله شيئا (ولهم عذاب عظيم) ثم قال تبارك وتعالى (هذا هدى) يعنى القرآن (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وهو المؤلم الموجع والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر (لتجرى الفلك) وهى السفن فيه بأمره تعالى فإنه هو الذى أمر البحر بحملها (ولتبتغوا من فضله) أى فى المتاجر والمكاسب (ولعلكم تشكرون) أى على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية ثم قال عز وجل (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض) أى من الكواكب والجبال والبحار والأنهار وجميع ما تنتفعون به أى الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ولهذا قال(جميعا منه) أى من عنده وحده لا شريك له فى ذلك، كما قال تبارك وتعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) وروى ابن جرير من طريق

العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تبارك وتعالى (وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعامنه) كل شىء هو من الله. وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه المنازعون واستيقن أنه كذلك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن خلف العسقلانى حدثنا الفريابى عن سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبى أراكة قال سأل رجل عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال مم خلق الخلق قال من النور والنار والظلمة والثرى قال وائت ابن عباس رضى الله عنهما فاسأله فأتاه فقال له مثل ذلك فقال ارجع إليه فسله مم خلق ذلك كله . فرجع إليه فسأله فتلا (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعامنه) هذا أثر غريب وفيه نكارة (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى ليصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم وكان هذا فى ابتداء الإسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد . هكذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة، وقال مجاهد (لا يرجون أيام الله) لا ينالون نعم الله تعالى ، وقوله تبارك وتعالى (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى إذا صفحوا عنهم فى الدنيا فان الله عز وجل مجازيهم بأعمالهم السيئة فى الآخرة ولهذا قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) أى تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ * هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على بنى إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم وجعله الملك فيهم ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى من المآكل والمشارب (وفضلناهم على العالمين) أى فى زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) أى حججا وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة وإنما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا (إن ربك) يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى سيفصل بينهم بحكمه العدل وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهجهم ولهذا قال جل وعلا (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها) أى اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين وقال جل جلاله ههنا (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) أى وماذا تغنى عنهم ولايتهم لبعضهم بعضا فانهم لا يزيدونهم إلا خسارا ودمارا وهلاكا (والله ولى المتقين) وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، ثم قال عز وجل (هذا بصائر للناس) يعنى القرآن (وهدى ورحمة لقوم يوقنون)

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ *

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى لا يستوى المؤمنون والكافرون كما قال عز وجل (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال تبارك وتعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أى عملوها وكسبوها (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟) أى نساويهم بهم فى الدنيا والآخرة (ساء ما يحكمون) أى ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوى بين الأبرار والفجار فى الدار الآخرة وفى هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى حدثنا مؤمل بن إهاب حدثنا بكير بن عثمان التنوخى حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباجى عن أبى ذر رضى الله عنه قال : إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقى الله من الفاسقين ، قيل وما هن يا أبا ذر ؟ قال يسلم حلال الله لله وحرام الله لله ، وأمر الله لله ونهى الله لله لا يؤتمن عليهن إلا الله ، قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار » هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد ذكر محمد بن إسحق فى كتاب السيرة أنهم وجدوا حجرا بمكة فى أس الكعبة مكتوب عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يجنى من الشوك العنب . وروى الطبرانى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن مسروق أن تميما الدارى قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولهذا قال تعالى (ساء ما يحكمون) وقال عز وجل (وخلق الله السموات والأرض بالحق) أى بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

ثم قال جل وعلا (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى إنما يأتمر بهواه ، فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعتزلة فى قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وعن مالك فيما روى عنه من التفسير لا يهوى شيئا إلا عبده وقوله (وأضله الله على علم) يحتمل قولين ﴿ أحدهما ﴾ وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك ﴿ والآخر ﴾ وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه والثانى يستلزم الأول ولا ينعكس (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) أى فلا يسمع ما ينفعه ولا يعى شيئا يهتدى به ولا يرى حجة يستضىء بها . ولهذا قال تعالى (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) كقوله تعالى (من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون)

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب فى انكار المعاد (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أى ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا الدهر) قال الله تعالى (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) أى يتوهمون ويتخيلون . فأما الحديث الذى أخرجه صاحبا الصحيح وأبو داود والنسائى من رواية سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « يقول تعالى يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر أقلب ليله ونهاره » وفى رواية « لاتسبوا الدهر فان الله تعالى هو الدهر » وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله تعالى فى كتابه (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) ويسبون الدهر فقال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر أقلب الليل والنهار » وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ، ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار » وأخرجه صاحبا الصحيح والنسائى من حديث يونس بن يزيد به وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى استقرضت عبدى فلم يعطنى وسبنى عبدى ، يقول وادهراه وأنا الدهر » قال الشافعى وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » كانت العرب فى جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا ياخيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك فى الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذى يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال ، هذا أحسن ما قيل فى تفسيره وهو المراد والله أعلم ، وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية فى عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أى إذا استدل عليهم وبين لهم الحق وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها (ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) أى أحيوهم إن كان ما تقولونه حقا قال الله تعالى (قل الله يحييكم ثم يميتكم) أى كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ؟) أى الذى قدر على البداءة قادر على الاعادة بطريق الأولى والأحرى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه) أى إنما يجمعكم إلى يوم القيامة لايعيدكم فى الدنيا حتى تقولوا (ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) (يوم يجمعكم ليوم الجمع — لأى يوم أجلت — ليوم الفصل — وما نؤخره إلا لأجل معدود) وقال ههنا (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه) أى لاشك فيه (ولكن أكثر الناس لايعلمون) أى فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد قال الله تعالى (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أى يرون وقوعه بعيدا والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ * وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيهما فى الدنيا والآخرة ولهذا قال عز وجل (ويوم تقوم الساعة) أى يوم القيامة (يخسر المبطلون) وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات

وقال ابن أبى حاتم قدم سفيان الثورى المدينة فسمع المعافرى يتكلم ببعض ما يضحك به الناس فقال له ياشيخ أما علمت أن لله تعالى يوما يخسر فيه المبطلون ؟ قال فما زالت تعرف فى المعافرى حتى لحق بالله تعالى ، ذكره ابن أبى حاتم ثم قال تعالى (وترى كل أمة جاثية) أى على ركبها من الشدة والعظمة ويقال إن هذا إذا جىء بجهنم فانها تزفر زفرة لايبقى أحد إلا جثا لركبتيه حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسى نفسى نفسى لاأسألك اليوم إلا نفسى

وحتى إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول لاأسألك اليوم إلا نفسي لاأسألك مريم التي ولدتني . قال مجاهد وكعب الأحبار والحسن البصري (كل أمة جاثية) أي على الركب وقال عكرمة جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب والأول أولى . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبدالله بن باباه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم » . وقال إسماعيل بن أبي رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا في حديث الصور فيتميز الناس وتجثو الأمم وهي التي يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها) وهذا فيه جمع بين القولين ولامنافاة والله أعلم ، وقوله عز وجل (كل أمة تدعى إلى كتابها) يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) ولهذا قال سبحانه وتعالى (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره) ولهذا قال جلت عظمته (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولانقص كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وقوله عزوجل (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلى السماء فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ثم قرأ (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ * ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة وهي الخالصة الموافقة للشرع (فيدخلهم ربهم في رحمته) وهي الجنة كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء (ذلك هو الفوز المبين) أي البين الواضح . ثم قال تعالى (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ؟) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عن سماعها وكنتم قوما مجرمين في أفعالكم مع مااشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها) أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك (قلتم ماندري ماالساعة) أي لانعرفها (إن نظن إلا ظنا) أي إن نتوهم وقوعها إلا توهما أي مرجوحا ولهذا قال (وما نحن بمستيقنين) أي

بمتحققين قال الله تعالى (وبدا لهم سيئات ما عملوا) أى وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة (وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أى من العذب والنكال (وقيل اليوم ننساكم) أى نعاملكم معاملة الناسى لكم فى نار جهنم (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) . وقد ثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة « ألم أزوجك ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى يارب فيقول أفظننت أنك ملاقى ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنساك كما نسيتنى » قال الله تعالى (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) أى إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزئون بها (وغرتكم الحياة الدنيا) أى خدعتكم فاطمأننتم إليها فأصبحتم من الخاسرين ولهذا قال عزوجل فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم العتبى بل يعذبون بغير حساب ولاعتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولاحساب . ثم لما ذكر تعالى حكمه فى المؤمنين والكافرين (قال فلله الحمد رب السموات ورب الأرض) أى المالك لهما وما فيهما ولهذا قال (رب العالمين) ثم قال جل وعلا (وله الكبرياء فى السموات والأرض) قال مجاهد يعنى السلطان أى هو العظيم الممجد الذى كل شىء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد فى الحديث الصحيح « يقول الله تعالى العظمة إزارى، والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما أسكنته نارى » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبى إسحاق عن الأغر أبى مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقوله تعالى (وهو العزيز) أى الذى لا يغالب ولا يمانع (الحكيم) فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو. آخر تفسير سورة الجاثية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الأحقاف وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التى لا ترام ، والحكمة فى الأقوال والأفعال ثم قال تعالى (ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أى لا على وجه العبث والباطل (وأجل مسمى) أى وإلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص ، وقوله تعالى (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) أى لاهون عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى إليهم كتابا وأرسل إليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أى وسيعلمون غب ذلك . ثم قال تعالى (قل) أى لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره (أرأيتم ما تدعون من دون الله أورنى ماذا خلقوا من الأرض) أى أرشدونى إلى المكان الذى استقلوا بخلقه من الأرض (أم لهم شرك فى السموات ؟) أى ولا شرك لهم فى السموات ولا فى الأرض وما يملكون من قطمير إن الملك والتصرف كله إلا لله عزوجل فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشدكم إلى هذا ؟ من دعاكم إليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شىء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الأصنام (أو أثارة من علم)

أى دليل بين على هذا المسلك الذى سلكتموه (إن كنتم صادقين) أى لا دليل لكم لا نقليا ولا عقليا على ذلك ولهذا قرأ آخرون أو أثرة من علم أى أو علم صحيح تؤثرونه عن أحد ممن قبلكم كما قال مجاهد فى قوله تعالى (أو أثارة من علم) أو أحد يأثر علما ، وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أو بينة من الأمر . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سفيان لا أعلم إلا عن النبى صلى الله عليه وسلم أو أثرة من علم قال الخط وقال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصرى أو أثارة شىء يستخرجه فيثيره وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضا أو أثارة من علم يعنى الخط وقال قتادة أو أثارة من علم خاصة من علم وكل هذه الأقوال متقاربة وهى راجعة إلى ما قلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه . وقوله تبارك وتعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟) أى لا أضل ممن يدعو من دون الله أصناما ويطلب منها مالا تستطيعه إلى يوم القيامة وهى غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لأنها جماد حجارة صم ؛ وقوله تبارك وتعالى (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) كقوله عزوجل (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) أى سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم وقال الخليل عليه الصلاة والسلام (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول عزوجل مخبرا عن المشركين فى كفرهم وعنادهم إنهم إذا تتلى عليهم آيات الله بينات أى فى حال بيانها ووضوحها وجلائها يقولون (هذا سحر مبين) أى سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا (أم يقولون افتراه) يعنون محمدا ﷺ . قال الله عزوجل (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) أى لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلنى وليس كذلك لعاقبنى أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الأرض لا أنتم ولا غيركم أن يجيرنى منه كقوله تبارك وتعالى (قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا * إلا بلاغا من الله ورسالاته) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم) هذا تهديد لهم ووعيد أكيد وترهيب شديد ، وقوله جل وعلا (وهو الغفور الرحيم) ترغيب لهم إلى التوبة والانابة أى ومع هذا كله إن رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عزوجل فى سورة الفرقان (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما) . وقوله تبارك وتعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلى فما أنا بالأمر الذى لا نظير له حتى تستنكرونى وتستبعدون بعثتى إليكم فانه قد أرسل الله جل وعلا قبلى جميع الأنبياء إلى الأمم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة (قل ما كنت بدعا من الرسل) ما أنا بأول رسول ، ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبى حاتم غير ذلك

وقوله تعالى (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية نزل بعدها (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة إنهامنسوخة بقوله تعالى (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) قالوا ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين هذا قد بين الله تعالى ماهو فاعل بك يارسول الله فماهو فاعل بنا؟ فأنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار) هكذا قال والذى هو ثابت فى الصحيح أن المؤمنين قالوا هنيئا لك يارسول الله فما لنا؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وقال الضحاك (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) أى ما أدرى بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا؟ وقال أبو بكر الهذلى عن الحسن البصرى فى قوله تعالى (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) قال أما فى الآخرة فمعاذ الله وقد علم أنه فى الجنة ولكن قال لاأدرى مايفعل بى ولا بكم فى الدنيا أخرج كما أخرجت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلى؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلى؟ ولا أدرى أيخسف بكم أو ترمون بالحجارة؟ وهذا القول هو الذى عول عليه ابن جرير وأنه لايجوز غيره ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فانه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما فى الدنيا فلم يدر ما كان يؤول اليه أمره وأمر مشركى قريش إلى ماذا أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء وهى امرأة من نسائهم أخبرته وكانت بايعت رسول الله ﷺ قالت طار لهم فى السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضى الله عنه فاشتكى عثمان رضى الله عنه عندنا فمرضناه حتى إذا توفى أدرجناه فى أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله ﷺ «وما يدريك أن الله تعالى أكرمه؟» فقلت لا أدرى بأبى أنت وأمى فقال رسول الله ﷺ «أما هو فقد جاءه اليقين من ربه وإنى لأرجو له الخير، والله ما أدرى وأنا رسول الله مايفعل بى» قالت: فقلت والله لا أزكى أحدا بعده أبدا وأحزننى ذلك فنمت فرأيت لعثمان رضى الله عنه عينا تجرى فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال رسول الله ﷺ «ذاك عمله» فقد انفرد باخراجه البخارى دون مسلم، وفى لفظ له «ما أدرى وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل به» وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأحزننى ذلك وفى هذا وأمثاله دلالة على أنه لايقطع لمعين بالجنة إلا الذى نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما أشبه هؤلاء رضى الله عنهم. وقوله (إن أتبع إلا مايوحى إلى) أى إنما أتبع ماينزله الله على من الوحى (وما أنا إلا نذير مبين) أى بين النذارة أمرى ظاهر لكل ذى لب وعقل والله أعلم

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ * وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

يقول تعالى (قل) يامحمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن (أرأيتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله وكفرتم به)

أى ماظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذى جئتكم به قد أنزله على لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) أى وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبلى بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به . وقوله عز وجل (فآمن) أى هذا الذى شهد بصدقه من بنى إسرائيل لمعرفته بحقيته (واستكبرتم) أنتم عن اتباعه ، وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم أنتم بنبيكم وكتابكم (إن الله لايهدى القوم الظالمين) وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبدالله بن سلام رضى الله عنه وغيره فان هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) قال مسروق والشعبى ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية وإسلام عبدالله بن سلام رضى الله عنه كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن أبى حاتم واختاره ابن جرير . وقال مالك عن أبى النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ماسمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضى الله عنه قال وفيه نزلت (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث مالك به ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدى والثورى ومالك بن أنس وابن زيد أنهم كلهم قالوا : إنه عبد الله بن سلام . وقوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا إليه) أى قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيرا ماسبقنا هؤلاء اليه يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا رضى الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والإماء وماذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية . وقد غلطوا فى ذلك غلطا فاحشا وأخطؤا خطأ بينا كما قال تبارك وتعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أى يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا (لو كان خيرا ماسبقونا إليه) وأما أهل السنة والجماعة فيقولون فى كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضى الله عنهم هو بدعة لأنه لوكان خيرا لسبقونا اليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقدبادروا اليها . وقوله تعالى (وإذ لم يهتدوا به) أى بالقرآن (فسيقولون هذا إفك قديم) أى كذب قديم أى مأثور عن الناس الأقدمين فينتقصون القرآن وأهله وهذا هو الكبر الذى قال رسول الله صلى الله عليه سلم « بطر الحق وغمط الناس » ثم قال تعالى (ومن قبله كتاب موسى) وهو التوراة (إماما ورحمة وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) أى لماقبله من الكتب (لسانا عربيا) أى فصيحا بينا واضحا (لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) أى مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين وقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) تقدم تفسيرها فى سورة حم السجدة ، وقوله تعالى (فلا خوف عليهم) أى فما يستقبلون (ولاهم يحزنون) على ماخلفوا (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) أى الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم والله أعلم

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾

لما ذكر تعالى فى الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة اليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو

مقرون فى غيرما آية من القرآن كقوله عز وجل (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقوله جل جلاله (أن أشكرلى ولوالديك إلى المصير) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة . وقال عز وجل ههنا (ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) أى أمرناه بالإحسان اليهما والحنو عليهما وقال أبوداود الطيالسى حدثنا شعبة أخبرنى سماك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رضى الله عنه قال: قالت أم سعد لسعد أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله تعالى فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا ونزلت هذه الآية (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) الآية ورواه مسلم وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث شعبة باسناد نحوه وأطول منه (حملته أمه كرها) أى قاست بسببه فى حال حمله مشقة وتعبا من وحم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة (ووضعته كرها) أى بمشقة أيضا من الطلق وشدته (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) . وقد استدل على رضى الله عنه بهذه الآية مع التى فى لقمان (وفصاله فى عامين) وقوله تبارك وتعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوى صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبدالله ابن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهنى قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان رضى الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها فقالت وما يبكيك فوالله ما التبس بى أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضى الله سبحانه وتعالى فى ماشاء فلما أتى بها عثمان رضى الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك عليا رضى الله عنه فأتاه فقال له ماتصنع . قال ولدت تماما لستة أشهر وهل يكون ذلك . فقال له على رضى الله عنه أما تقرأ القرآن . قال بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال (حولين كاملين) فلم نجده بقى إلا ستة أشهر قال: فقال عثمان رضى الله عنه والله مافطنت بهذا على بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها قال : فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة باشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال ابنى والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة فما زالت تأكله حتى مات رواه ابن أبى حاتم وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل (فأنا أول العابدين) ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا فروة بن أبى المغراء حدثنا على بن مسهر عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرا وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده) أى قوى وشب وارتجل (وبلغ أربعين سنة) أى تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ويقال إنه لايتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين قال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن القاسم بن عبدالرحمن قال: قلت لمسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال إذا بلغت الأربعين فخذ حذرك

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو عبد الله القواريرى حدثنا عروة بن قيس الأزدى وكان قد بلغ مائة سنة حدثنا أبو الحسن الكوفى عمر بن أوس قال : قال محمد بن عمرو بن عثمان عن عثمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الانابة إليه وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى فى أهل بيته وكتب فى السماء أسير الله فى أرضه » وقد روى هذا من غير هذا الوجه وهو فى مسند الإمام أحمد وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمى أحد أمراء بنى أمية بدمشق تركت المعاصى والذنوب أربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله عز وجل وما أحسن قول الشاعر

صبا ماصبا حتى علا الشيب رأسه　　　فلما علاه قال للباطل ابعد

(قال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه) أى فى المستقبل (وأصلح لى فى ذريتى) أى نسلى وعقبى (إنى تبت إليك وإنى من المسلمين) وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين

أن يجدد التوبة والانابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها وقد روى أبو داود فى سننه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا فى التشهد « اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وبارك لنا فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتممها علينا » قال الله عز وجل (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة) أى هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون إليه المستدركون مافات بالتوبة والاستغفار هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل منهم اليسير من العمل (فى أصحاب الجنة) أى هم فى جملة أصحاب الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب اليه وأناب ، ولهذا قال تعالى (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) قال ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين عليه الصلاة والسلام قال « يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسع الله تعالى له فى الجنة » قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا قال : قلت فان ذهبت الحسنة قال (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الأعلى الصنعانى عن المعتمر بن سليمان باسناده مثله وزاد عن الروح الأمين . قال: قال الرب جل جلاله يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فذكره ، وهو حديث غريب وإسناده جيد لابأس به :

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سليمان بن معبد حدثنا عمرو بن عاصم الكلابى حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر جعفر بن أبى وحشية عن أبى وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال ونزل فى دارى حيث ظهر على رضى الله عنه على أهل البصرة فقال لى يوما لقد شهدت أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه وعنده عمار وصعصعة والاشتر ومحمد ابن أبى بكر رضى الله عنهم فذكروا عثمان رضى الله عنه فنالوا منه فكان على رضى الله عنه على السرير ومعه عود فى يده فقال قائل منهم إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه فقال على رضى الله عنه كان عثمان رضى الله عنه من الذين قال الله تعالى (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) قال والله عثمان وأصحاب عثمان رضى الله عنهم قالها ثلاثا قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب آلله لسمعت هذا من على رضى الله عنه ؟ قال آلله لسمعت هذا من على رضى الله عنه

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما ومالهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال (والذى قال لوالديه أف لكما) وهذا عام فى كل من قال هذا ، ومن زعم أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من

خيار أهل زمانه وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفي صحة هذا نظر والله تعالى أعلم . وقال ابن جريج عن مجاهد نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما قاله ابن جريج ، وقال آخرون : عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ، وهذا أيضا قول السدي وإنما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق فقال لوالديه أف لكما عقهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد أخبرني عبد الله بن المديني قال إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أهرقلية ؟ إن أبا بكر رضي الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده فقال مروان ألست الذي قال لوالديه أف لكما؟ فقال عبد الرحمن رضي الله عنه ألست ابن اللعين الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباك قال وسمعتهما عائشة رضي الله عنها فقالت يا مروان أنت القائل لعبد الرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف وقد رواه البخاري بإسناد آخر ولفظ آخر فقال حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه فقال مروان إن هذا الذي أنزل فيه (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي) فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب : ما أنزل الله عز وجل فينا شيئا من القرآن إلا أن الله تعالى أنزل عذري

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذي أنزل الله تعالى فيه (والذي قال لوالديه أف لكما) الآية فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنهما فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله ، وقوله (أتعدانني أن أخرج ؟) أي أبعث (وقد خلت القرون من قبلي) أي قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر (وهما يستغيثان) الله أي يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدهما (ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين) . قال الله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) أي دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وقوله (أولئك) بعد قوله (والذي قال) دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك وقال الحسن وقتادة هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار حدثنا حماد بن عبد الرحمن حدثنا خالد الزبرقان الحلبي عن سليم بن حبيب عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة مضل المساكين » قال خالد الذي يهوي بيده إلى المسكين فيقول هلم أعطيك فإذا جاءه قال ليس معي شيء « والذي يقول للماعون ابن (١) وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها والذي يضرب الوالدين حتى يستغيثا » غريب جدا . وقوله تبارك وتعالى (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل عذاب بحسب عمله (وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) أي لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات النار تذهب سفالا ودرجات الجنة تذهب علوا . وقوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا ، وقد

(١) بياض بالأصل والحديث غير محرر فليراجع في كتاب الحافظ ابن عساكر .

تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها ويقول إنى أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) وقال أبو مجلز ليفقدن أقوام حسنات كانت لهم فى الدنيا فيقال لهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) وقوله عز وجل (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) فجوزوا من جنس عملهم فكما متعوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصى جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو الاهانة والخزى والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة والمنازل فى الدركات المفظعة أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله.

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى تكذيب من كذبه من قومه (واذكر أخا عاد) وهو هود عليه الصلاة والصلاة بعثه الله عز وجل إلى عاد الأولى وكانوا يسكنون الأحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل قاله ابن زيد، وقال عكرمة الأحقاف: الجبل والغار. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: الأحقاف واد بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار، وقال قتادة ذكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر قال ابن ماجه ﴿باب إذا دعا فليبدأ بنفسه﴾ حدثنا الحسين بن على الخلال حدثنا أبى حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفيان حدثنا على بن إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرحمنا الله وأخا عاد» وقوله تعالى (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) يعنى وقد أرسل الله تعالى إلى من حول بلادهم فى القرى مرسلين ومنذرين كقوله عز وجل (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) وكقوله جل وعلا (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا؟) أى لتصدنا عن آلهتنا (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم وقوعه كقوله جلت عظمته (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) (قال إنما العلم عند الله) أى الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأنى أنى أبلغكم ما أرسلت به (ولكنى أراكم قوما تجهلون) أى لا تعقلون ولا تفهمون. قال الله تعالى (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم) أى لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا أنه عارض ممطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) أى هو العذاب الذى قلتم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (تدمر) أى تخرب (كل شيء) من بلادهم مما من شأنه الخراب (بأمر ربها) أى بإذن الله لها فى ذلك كقوله سبحانه وتعالى (ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) أى كالشيء البالى ولهذا قال عز وجل (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) أى قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية (كذلك نجزى القوم المجرمين) أى هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا، وقد ورد حديث فى قصتهم وهو غريب جداً من غرائب الحديث وأفراده: قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أبو المنذر سلام

ابن سليمان النحوي قال حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمررت بالربذة فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله : إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبلغي إليه ؟ قال فحملتها فأتيت بها المدينة فإذا المسجد غاص بأهله ، وإذا راية سوداء تخفق ، وإذا بلال رضي الله عنه متقلداً السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ماشأن الناس؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه وجها قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال ﷺ « هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ » قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك فها هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزا فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فالى أين يضطر مضطرك ؟ قال: قلت إن مثلي ما قال الأول : معزى حملت حتفها ؟ حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال هي « وماوافد عاد ؟ » وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه قلت: إن عاداً قحطوا فبعثوا وفداً لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال اللهم إنك تعلم أني لم أجيء إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه فمرت به سحابات سود فنودي منها اختر فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رماداً رمدداً ، لا تبقي من عاد أحداً ، قال فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا ، قال أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا لاتكن كوافد عاد . ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الأعراف

وقال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا » وأخرجاه من حديث ابن وهب ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المقدام ابن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئا في أفق من آفاق السماء ترك عمله وإن كان في صلاته ثم يقول « اللهم إني أعوذ بك من شر ما فيه فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل وإن أمطر قال « اللهم صيبا نافعا » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر الطاهر أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » قالت وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سري عنه فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسألته فقال رسول الله ﷺ « لعله ياعائشة كما قال قوم عاد (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) » وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الأعراف وهود بما أغنى عن إعادته ههنا ولله تعالى الحمد والمنة. وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا إسماعيل بن زكريا الكوفي حدثنا أبو مالك ابن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم في البدو إلى الحضر فلما رآها أهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فألقى أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا » قال عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الأبواب والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى ولقد مكنا الأمم السالفة فى الدنيا من الأموال والأولاود وأعطيناهم منها مالم نعطكم مثله ولا قريبا منه (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى وأحاط بهم العذاب والنكال الذى كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه ،أى فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب فى الدنيا والآخرة

وقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعنى أهل مكة وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد وكانوا بالاحقاف بحضرموت عند اليمن وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام وكذلك سبأ وهم أهل اليمن ومدين وكانت فى طريقهم وممرهم إلى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها أيضا وقوله عزوجل (وصرفنا الآيات) أى بيناها وأوضحناها (لعلهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أى فهل نصروهم عند احتياجهم إليهم (بل ضلوا عنهم) أى بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم (وذلك إفكهم) أى كذبهم (وما كانوا يفترون) أى وافتراؤهم فى اتخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا فى عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله أعلم

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة عن الزبير (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) قال بنخلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العشاء الآخرة (كادوا يكونون عليه لبدا) قال سفيان : ألبد بعضهم على بعض كاللبد بعضه على بعض تفرد به أحمد وسيأتى من رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس أنهم سبعة من جن نصيبين وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة ح وقال الإمام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه دلائل النبوة : أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا إسماعيل القاضى أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماقرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم ، فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ماهذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم

وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا إلى قومهم (قالوا ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وأنزل الله على نبيه ﷺ (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحي إليه قول الجن رواه البخاري عن مسدد بنحوه، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ماسمعوا حقاً وما زادوا باطلا وكانت النجوم لايرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لايأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ماهذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الأرض، ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث إسرائيل به، وقال الترمذي حسن صحيح، وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا بمثل هذا السياق بطوله وهكذا قال الحسن البصري إنه ﷺ ماشعر بأمرهم حتى أنزل الله تعالى عليه بخبرهم وذكر محمد ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ودعائه إياهم إلى الله عزوجل وإبائهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن «اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولاحول ولا قوة إلا بك» قال فلما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين، وهذا صحيح ولكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور وخروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن إسحاق وغيره والله أعلم وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قال صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله عزوجل (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين - إلى - ضلال مبين) فهذا مع الأول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج كما ستأتي بذلك الأخبار في موضعها والآثار مما سنوردها ههنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة

فأما مارواه البخاري ومسلم جميعا عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن مسعر ابن كدام عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول سألت مسروقا من آذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن؟ فقال حدثني أبوك يعني ابن مسعود رضي الله عنه أنه آذنته بهم شجرة فيحتمل أن يكون هذا في المرة الأولى ويكون إثباتا مقدما على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل أن يكون في الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة أي أعلمته باجتماعهم والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم

قال الحافظ البيهقي وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ماسمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم

إلى الله عز وجل كما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه

﴿ ذكر الرواية عنه بذلك ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل ؟ استطير ؟ مافعل ؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أوقال في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فذكروا له الذى كانوا فيه فقال « إنه أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال : قال الشعبي سألوه الزاد ، قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم - قال - فلا تستنجوا بهما فانهما زاد إخوانكم من الجن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن على بن حجر عن إسماعيل بن علية به نحوه . وقال مسلم أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود رضى الله عنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال: فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود رضى الله عنه فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقيل استطير ؟ اغتيل ؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال « أتانى داعى الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن » قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما طعام إخوانكم » ﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال أبو جعفر بن جرير حدثنى أحمد بن عبد الرحمن حدثنى عمى حدثنى يونس عن الزهرى عن عبيد الله قال : إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بت الليلة أقرأ على الجن واقفا بالحجون » ﴿ طريق أخرى ﴾ فيها إنه كان معه ليلة الجن، قال ابن جرير رحمه الله حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمى عبد الله بن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان ابن شبة الخزاعى وكان من أهل الشام قال : إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة « من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل » فلم يحضر منهم أحد غيرى قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لى برجله خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرز ثم أتانى فقال « ما فعل الرهط ؟ » قلت هم أولئك يارسول الله فأعطاهم عظما وروثا زادا ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم . ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي زرعة وهب بن راشد عن يونس بن يزيد الايلى به

ورواه البيهقى في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به ، وقد روى إسحاق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكر نحو ماتقدم . ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى بن عبيدة عن سعيد بن الحارث عن أبي المعلى عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكر نحوه أيضا . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو نعيم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبي قال حدثنا عفان وعكرمة قالا: حدثنا معتمر قال : قال أبي حدثنى أبو تميمة عن عمرو ولعله قد يكون قال البكالى يحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : استتبعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط لى خطا فقال « كن بين ظهر هذه لا تخرج منها فانك إن خرجت منها هلكت » فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه حدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل ، قال فكيف كان ؟ فذكر الحديث وذكر أن النبي ﷺ خط عليه خطاً وقال « لا تبرح منها » فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله ﷺ فذعر ثلاث مرات حتى إذا كان قريبا من الصبح أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أنمت ؟ » فقلت لا والله ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول « اجلسوا » فقال صلى الله عليه وسلم « لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم » ثم قال صلى الله عليه وسلم « هل رأيت شيئا ؟ » قلت نعم رأيت رجالا سوداً مستثفرين ثيابا بياضا[1] قال صلى الله عليه وسلم « أولئك جن نصيبين سألوني المتاع — والمتاع الزاد — فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة — فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال رسول الله ﷺ — إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل . ولا روثا إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فلا يستنقين أحد منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة » . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي حدثنا روح بن صلاح حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله ﷺ فقال « إن نفرا من الجن خمسة عشر بني إخوة وبني عم يأتونني الليلة أقرأ عليهم القرآن » فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطا وأجلسني فيه وقال لي « لا تخرج من هذا » فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحممة فقال « إذا ذهبت إلى الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء » قال فلما أصبحت قلت لأعلمن حيث كان رسول الله ﷺ قال فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرا : ﴿ طريق أخرى ﴾ قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط لي خطا ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وزدان أنا أرحلهم عنك فقال إني لن يجيرني من الله أحد ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن أبي فزارة العبسي حدثنا أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ « أمعك ماء ؟ » قلت ليس معي ماء ولكن معي إداوة فيها نبيذ فقال النبي ﷺ « تمرة طيبة وماء طهور » ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن زيد به ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق أخبرنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال إنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن فقال رسول الله ﷺ « يا عبد الله أمعك ماء » قال معي نبيذ في إداوة قال صلى الله عليه وسلم « اصبب علي » فتوضأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله شراب وطهور » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد أورده الدار قطني من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني أبي عن ميناء عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ما شأنك . قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » هكذا رأيته في المسند مختصرا وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة فقال حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب حدثنا إسحق بن إبراهيم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قالا حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن فتنفس فقلت مالك يا رسول الله . قال نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » قلت استخلف قال « من » قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ساعة فتنفس فقلت ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » قلت استخلف قال « من . »

(١) في النسخة المكية بثياب بياض

قلت عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت ما شأنك . قال « نعيت إلى نفسى » قلت فاستخلف قال ﷺ «من» قلت : على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ﷺ « أما والذى نفسى بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين » وهو حديث غريب جدا وأحر به أن لا يكون محفوظا وبتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم إليه بالمدينة على ما سنورده إن شاء الله تعالى فان في ذلك الوقت كان في آخر الأمر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضا فى دين الله أفواجا نزلت سورة (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وهى السورة التى نعيت نفسه الكريمة فيها إليه كما نص على ذلك ابن عباس رضى الله عنهما ووافقه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه وقد ورد فى ذلك حديث سنورده إن شاء الله تعالى عند تفسيرها والله أعلم وقد رواه أبو نعيم أيضا عن الطبرانى عن محمد بن عبد الله الحضرمى عن على بن الحسين بن أبى بردة عن يحيى ابن سعيد الأسلمى عن حرب بن صبيح عن سعيد بن سلمة عن أبى مرة الصنعانى عن أبى عبد الله الجدلى عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف وهذا إسناد غريب وسياق عجيب

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى رافع عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط حوله فكان أحدهم مثل سواد النخل وقال « لا تبرح مكانك فأقرئهم كتاب الله » فلما رأى الزطى قال كأنهم هؤلاء وقال النبى ﷺ « أمعك ماء » قلت لا قال « أمعك نبيذ . » قلت نعم فتوضأ به ﴿ طريق أخرى مرسلة ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الطبرانى أخبرنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) قال هم اثنا عشر ألفا جاءوا من جزيرة الموصل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه « أنظرنى حتى آتيك » وخط عليه خطا وقال « لا تبرح حتى آتيك » فلما خشيهم ابن مسعود رضى الله عنه كاد أن يذهب فذكر قول رسول الله ﷺ فلم يبرح فقال له النبى ﷺ « لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة » .

﴿ طريق أخرى مرسلة أيضا ﴾ قال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) قال ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى وأن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « إنى أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعنى . » فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فقال رجل يا رسول الله إن ذاك لذو ندبة فأتبعه ابن مسعود رضى الله عنه أخو هذيل قال فدخل النبى صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود رضى الله عنه خطا ليثبته بذلك قال فجعلت أهال وأرى أمثال النسور تمشى فى دفوفها وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما اللغط الذى سمعت قال صلى الله عليه وسلم « اختصموا فى قتيل فقضى بينهم بالحق » رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصدا فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه فى ذلك الوقت . وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود رضى الله عنه وأما ابن مسعود رضى الله عنه فانه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم وإنما كان بعيدا منه ولم يخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة ، هذه طريقة البيهقى . وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رضى الله عنه ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام أحمد وهى عند مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم كما روى ابن أبى حاتم فى تفسير (قل أوحى إلى) من حديث ابن جريج قال : قال عبد العزيز بن عمر . أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين وتأوله البيهقى على أنه يقول فبتنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رضى الله عنه

ممن لم يعلم بخروجه ﷺ إلى الجن وهو محتمل على بعد والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب حدثنا أبو بكر الإسماعيلي أخبرنا الحسن بن سفيان حدثني سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله ﷺ باداوة لوضوئه وحاجته فأدركه يوما فقال «من هذا ؟» قال أنا أبو هريرة قال ﷺ « ائتني بأحجار أستنج بها ولا تأتني بعظم ولا روثة » فأتيته بأحجار في ثوبي فوضعتها إلى جنبه حتى إذا فرغ وقام اتبعته فقلت يارسول الله مابال العظم والروثة ؟ قال ﷺ « أتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بروثة ولا عظم إلا وجدوه طعاما » أخرجه البخاري في صحيحه عن موسى بن إسماعيل عن عمرو بن يحيى باسناده قريبا منه فهذا يدل مع ماتقدم على أنهم وفدوا عليه بعد ذلك . وسنذكر إن شاء الله تعالى مايدل على تكرار ذلك .

وقد روى عن ابن عباس غير ماروى عنه أولا من وجه جيد فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم . فهذا يدل على أنه قد روى القصتين. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا رجل سماه عن ابن جريج عن مجاهد (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسى وحسى ومنسى وساصر وناصر والأردوبيان والأحتم وذكر أبو حمزة الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان وكانوا أكثر الجن عددا وأشرفهم نسبا وهم كانوا عامة جنود إبليس

وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه من أصل نخلة وتقدم عنهم أنهم كانوا خمسة عشر ، وفي رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم عنه أن اسم سيدهم وردان وقيل كانوا ثلثمائة وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفا فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه ﷺ ، ومما يدل على ذلك ماقاله البخاري في صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني عمر هو ابن محمد قال إن سالما حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط إني لأظنه هكذا إلا كان كما يظن ، بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم ، علي بالرجل ، فدعي له فقال له ذلك فقال مارأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فاني أعزم عليك إلا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ماجاءتك به جنيتك قال بينما أنا يوما في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت :

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال عمر رضي الله عنه صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله قال فوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ماوراء هذا ثم نادى ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله فقمت فمانشبنا أن قيل هذا نبي . هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم ، وهذا الذي قاله البيهقي هو المتجه وهذا الرجل هو سواد بن قارب ، وقد ذكرت هذا مستقصى في سيرة عمر رضي الله عنه فمن أراده فليأخذه من ثم ولله الحمد والمنة . وقال البيهقي : حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من أصل سماعه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصبهاني قراءة عليه حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه ثنا أبو بكر القصري

حدثنا محمد بن نواس السكوني حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فلم يجبه أحد تلك السنة فلما كانت السنة المقبلة قال : أيها الناس أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فقلت يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب ؟ قال فقال له عمر رضي الله عنه إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئا عجيبا قال فبينا نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب قال : فقال له عمر رضي الله عنه ياسواد حدثنا ببدء إسلامك كيف كان قال سواد رضي الله عنه فاني كنت نازلا بالهند وكان لي رئي من الجن قال فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني في منامي ذلك قال قم فافهم واعقل إن كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب ثم أنشأ يقول .

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ما خير الجن كأنجاسها فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

قال ثم أنبهني فأفزعني وقال ياسواد بن قارب إن الله عز وجل بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ليس قداماها كأذنابها فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى قابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس بأكوارها تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ليس ذوو الشر كأخيارها فانهض إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنو الجن ككفارها

قال : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الاسلام من أمر رسول الله ﷺ ماشاء الله قال فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي فما حللت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله ﷺ فاذا هو بالمدينة يعني مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني النبي ﷺ قال « مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك » قال : قلت يارسول الله قد قلت شعرا فاسمعه مني قال ﷺ « قل ياسواد » فقلت :

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ثلاث ليال قوله كل ليلة
أتاك رسول من لؤي بن غالب فشمرت عن ساقي الازار ووسطت بي الدعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لارب غيره وأنك مأمون على كل غائب وأنك أدنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الأكرمين الأطايب فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لي « أفلحت ياسواد » فقال له عمر رضي الله عنه هل يأتيك رئيك الآن ؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن . ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين . ومما يدل على وفادتهم اليه ﷺ بعد ما هاجر الى المدينة الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبدة المصيصي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية ابن سلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال أتيت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقلت له حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن . قال أجل ، قلت حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجل يعشيه وتركت فلم يأخذني أحد منهم فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من هذا ؟ » فقلت أنا ابن مسعود ، فقال ﷺ « ما أخذك أحد يعشيك ؟ » فقلت لا ، قال صلى الله عليه وسلم « فانطلق لعلي أجد لك شيئا » قال فانطلقنا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة أم سلمة رضي الله عنها فتركني قائما ودخل الى أهله ثم خرجت الجارية فقالت يا ابن مسعود إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدلك عشاء فارجع إلى مضجعك . قال فرجعت إلى المسجد فجمعت حصباء المسجد فتوسدته والتففت بثوبي فلم ألبث إلا قليلا حتى جاءت الجارية فقالت أجب رسول الله فاتبعتها وأنا أرجو العشاء حتى إذا بلغت مقامي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدري فقال ﷺ « انطلق أنت معي حيث انطلقت » قلت ماشاء الله فأعادها على ثلاث مرات كل ذلك أقول ماشاء الله فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الغرقد فخط صلى الله عليه وسلم بعصاه خطا ثم قال « اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك » ثم انطلق يمشي وأنا أنظر إليه خلال النخل حتى إذا كان من حيث لا أراه ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت فقلت ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أظن أن هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فأسعى إلى البيوت فأستغيث الناس فذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعهم بعصاه ويقول « اجلسوا » فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا فأتاني رسول الله ﷺ فقال « أنمت بعدي ؟ » فقلت لا ولقد فزعت الفزعة الأولى حتى رأيت أن آتي البيوت فأستغيث الناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك وكنت أظنها هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فقال « لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما أمنت عليك أن يختطفك بعضهم فهل رأيت من شيء منهم ؟ » فقلت رأيت رجالا سودا مستثفرين بثياب بيض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو لئك وفد جن نصيبين أتوني فسألوني الزاد والمتاع فمتعتهم بكل عظم حائل أوروثة أو بعرة » قلت فما يغني عنهم ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إنهم لايجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها الذي كان فيها يوم أكلت فلا يستنق أحد منكم بعظم ولا بعرة » وهذا إسناد غريب جدا ولكن فيه رجل مبهم لم يسم والله تعالى أعلم وقد روى الحافظ أبو نعيم من حديث بقية بن الوليد حدثني نمير بن زيد القين حدثنا أبي حدثنا قحافة بن ربيعة حدثني الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال « أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة » فأسكت القوم ثلاثا فمر بي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض براز فإذا برجال طوال كأنهم الرماح مستثفرين بثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم وهذا حديث غريب والله أعلم

ومما يتعلق بوفود الجن ما رواه الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا الوليد بن بكير التميمي حدثنا حصين بن عمر أخبرني عبيد المكتب عن إبراهيم قال خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا في بعض الطريق إذا هم بحية تنثني على الطريق أبيض ينفح منه ريح المسك فقلت لأصحابي امضوا فلست ببارح حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمر هذه الحية قال فمالبثت أن ماتت فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابي في المتعشى . قال فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمرا ، قلنا ومن عمرو ، قالت أيكم دفن الحية ؟ قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله تعالى ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعمائة عام قال الرجال فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنة » وهذا حديث غريب جدا والله أعلم ، قال أبو نعيم وقد روى الثوري عن أبي إسحاق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه وروى عبد الله بن أحمد والطبراني عن صفوان بن المعطل — هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة وأنهم قالوا إنه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن وروى أبو نعيم من حديث الليث ابن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال كنت جالسا عند عثمان ابن عفان رضي الله عنه فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين إني كنت بفلاة من الأرض فذكر أنه رأى ثعبانين اقتتلا ثم

قتل أحدهما الآخر قال فذهبت إلى المعترك فوجدت حيات كثيرة مقتولة وإذ ينفح من بعضها ريح المسك فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة فلففتها فى عمامتى ودفنتها ، فبينا أنا أمشى إذ نادانى مناد : ياعبد الله لقد هديت هذان حيان من الجن بنو شعيبان وبنوقيس التقوا فكان من القتلى ما رأيت واستشهد الذى دفنته وكان من الذين سمعوا الوحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال عثمان لذلك الرجل إن كنت صادقا فقد رأيت عجبا وإن كنت كاذبا فعليك كذبك وقوله تبارك وتعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أى طائفة من الجن (يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا) أى استمعوا وهذا أدب منهم وقد قال الحافظ البيهقى حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجى حدثنا هشام بن عمار الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال « مالى أراكم سكوتا ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا ، ماقرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا: ولا بشىء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ورواه الترمذى فى التفسير عن أبى مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد ابن مسلم به قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير ، كذا قال وقد رواه البيهقى من حديث مروان بن محمد الطاطرى عن زهير بن محمد به مثله وقوله عزوجل (فلما قضى) أى فرغ كقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة) (فقضاهن سبع سموات فى يومين) (فإذا قضيتم مناسككم) (ولوا إلى قومهم منذرين) أى رجعوا إلى قومهم فأنذروهم ماسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا (ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وقد استدل بهذه الآية على أنه فى الجن نذر وليس فيهم رسل ولاشك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا لقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى) وقال عزوجل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) وقال عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) فكل نبى بعثه الله تعالى بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته فأما قوله تبارك وتعالى فى الأنعام (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الإنس كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى أحدهما ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم فقال مخبرا عنهم (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) ولم يذكروا عيسى عليه السلام لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم وهو فى الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة فلهذا قالوا أنزل من بعد موسى ، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبى صلى الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل عليه ، عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال بخ بخ هذا الناموس الذى كان يأتى موسى ياليتنى أكون فيها جذعا (مصدقا لما بين يديه) أى من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله ، وقولهم (يهدى إلى الحق) أى فى الاعتقاد والإخبار (وإلى طريق مستقيم) فى الأعمال فإن القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخبره صدق وطلبه عدل كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقال سبحانه وتعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح ، وهكذا قالت الجن (يهدى إلى الحق) فى الاعتقادات (وإلى طريق مستقيم) أى فى العمليات (يا قومنا أجيبوا داعى الله) فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التى فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهى سورة الرحمن ولهذا قال (أجيبوا داعى الله وآمنوا به) وقوله تعالى (يغفر لكم من ذنوبكم) قيل إن من ههنا زائدة وفيه نظر لأن زيادتها فى الاثبات قليل، وقيل إنها على بابها للتبعيض (ويجركم من عذاب أليم) أى ويقيكم من عذابه الأليم ، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لايدخلون الجنة وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا

فى هـذا المقام وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هـذا لأوشك أن يذكروه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى قال حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لا يدخل مؤمنو الجن الجنة لأنهم من ذرية إبليس ولا تدخل ذرية إبليس الجنة ، والحق أن مؤمنيهم كمؤمنى الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) وفى هذا الاستدلال نظر ، وأحسن منه قوله جل وعلا (ولمن خاف مقام ربه جنتان ❊ فبأى آلاء ربكما تكذبان) فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هـذه الآية بالشكر القولى أبلغ من الإنس فقالوا ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم وأيضا فانه إذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى . ومما يدل أيضا على ذلك عموم قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وما أشبه ذلك من الآيات . وقد أفردت هذه المسألة فى جزء على حدة ولله الحمد والمنة وهـذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشىء الله تعالى لها خلقا أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا وما ذكروه ههنا من الجزاء على الإيمـان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الأليم هو يستلزم دخول الجنة لأنه ليس فى الآخرة إلا الجنة أو النار فمن أجير من النار دخل الجنة لا محالة ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمنى الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار ولو صح لقلنا به والله أعلم . وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه (يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) ولا خلاف أن مؤمنى قومه فى الجنة فكذلك هؤلاء . وقد حكى فيهم أقوال غريبة فعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنهم لا يدخلون بحبوحة الجنة وإنمـا يكونون فى ربضها وحولهـا وفى أرجائها ومن الناس من زعم أنهم فى الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بنى آدم بعكس ما كانوا عليه فى الدار الدنيا : ومن الناس من قال لا يأكلون فى الجنة ولا يشربون وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضا عن الطعام والشراب كالملائكة لأنهم من جنسهم ، وكل هذه الأقوال فيها نظر ولا دليل عليها ، ثم قال مخبرا عنهم (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) أى بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به (وليس له من دونه أولياء) أى لا يجيرهم منه أحد (أولئك فى ضلال مبين) وهـذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ولهـذا نجع فى كثير منهم وجاءوا إلى رسـول الله ﷺ وفودا وفودا كما تقدم بيانه ولله الحمـد والمنة والله أعلم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ❊ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ❊ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

يقول تعـالى أو لم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد (أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن) أى ولم يكرثه خلقهن بل قال لها كونى فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة مجيبة خائفة وجلة أفليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟ كما قال عز وجل فى الآية الأخرى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ولهذا قال تعالى (بلى إنه على كل شىء قدير) . ثم قال جل جلاله متهددا ومتوعدا لمن كفر به (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) أى يقال لهم أما هذا حق أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ (قالوا بلى وربنا) أى لا يسعهم إلا الاعتراف (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ثم قال

تبارك وتعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أي على تكذيب قومهم لهم . وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى ، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون (من) في قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي حدثنا السري بن حيان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها : ظل رسول الله ﷺ صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال « يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله » (ولا تستعجل لهم) أي لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى (فذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا) وكقوله تعالى (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) كقوله جل وعلا (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وكقوله عز وجل (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) الآية وقوله جل وعلا (بلاغ) قال ابن جرير يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ (والآخر) أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ . وقوله تعالى (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي لا يهلك على الله إلا هالك ، وهذا من عدله عز وجل أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم . [آخر تفسير سورة الأحقاف ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .]

﴿ تفسير سورة القتال وهي مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾

يقول تعالى (الذين كفروا) أي بآيات الله (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله أضل أعمالهم) أي أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثوابا ولا جزاء كقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ثم قال جل وعلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى (وهو الحق من ربهم) جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي أمرهم وقال مجاهد : شأنهم وقال قتادة وابن زيد حالهم والكل متقارب وقد جاء في حديث تشميت العاطس « يهديكم الله ويصلح بالكم » ثم قال عز وجل (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) أي إنما أبطلنا أعمال الكفار . وتجاوزنا عن سيئات الأبرار ، وأصلحنا شئونهم لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل أي اختاروا الباطل على الحق (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أي يبين لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾

يقول تعالى مرشدا للمؤمنين إلى مايعتمدونه فى حروبهم مع المشركين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أى إذا واجهتموه فاحصدوهم حصدا بالسيوف (حتى إذا أثخنتموهم) أى أهلكتموهم قتلا (فشدوا الوثاق) الأسارى الذين تأسرونهم ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون فى أمرهم إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجانا وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه ، والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فان الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ فقال (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم قد ادعى بعض العلماء أن هذه الآية المخيرة بين مفاداة الأسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الآية رواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وقال الآخرون وهم الأكثرون ليست بمنسوخة ، ثم قال بعضهم إنما الإمام مخير بين المن على الأسير ومفاداته فقط ولا يجوز له قتله وقال آخرون منهم بل له أن يقتله إن شاء لحديث قتل النبى صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط من أسارى بدر وقال ثمامة بن أثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له « ماعندك ياثمامة ؟ » فقال إن تقتل تقتل ذا دم وإن تمنن تمنن على شاكر وإن كنت تريد المال فاسأل تعط منه ماشئت . وزاد الشافعى رحمة الله عليه فقال الإمام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا وهذه المسألة محررة فى علم الفروع وقد دللنا على ذلك فى كتابنا الأحكام ولله سبحانه وتعالى الحمد والمنة . وقوله عز وجل (حتى تضع الحرب أوزارها) قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال » . وقال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبدالرحمن الجرشى عن جبير بن نفير قال إن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى سيبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت : لاقتال ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « الآن جاء القتال لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، ألا إن عقر دار المؤمنين بالشام والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » وهكذا رواه النسائى من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل السكونى به وقال أبوالقاسم البغوى حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد عن جبير بن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبدالرحمن الجرشى عن جبير بن نفير عن النواس ابن سمعان رضى الله عنه قال لما فتح على رسول الله ﷺ فتح فقالوا يارسول الله سيبت الخيل ووضعت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قالوا لاقتال قال « كذبوا الآن جاء القتال لايزال الله تعالى يزيغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وعقر دار المسلمين بالشام » وهكذا رواه الحافظ أبويعلى الموصلى عن داود بن رشيد به ، والمحفوظ أنه من رواية سلمة بن نفيل كما تقدم وهذا يقوى القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم فى الحرب إلى أن لايبقى حرب وقال قتادة (حتى تضع الحرب أوزارها) حتى لايبقى شرك وهذا كقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله) ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أى أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله عز وجل وقيل أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع فى طاعة الله تعالى وقوله عز وجل (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) أى هذا ولو شاء الله لانتقم

من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أى ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم ويبلو أخباركم كما ذكر حكمته فى شرعية الجهاد فى سورتى آل عمران وبراءة فى قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)

وقال تبارك وتعالى فى سورة براءة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ثم لما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم) أى لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها . ومنهم من يجرى عليه عمله طول برزخه كما ورد بذلك الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا زيد بن يحيى الدمشقى حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامى — رجل كانت له صحبة — قال : قال رسول الله ﷺ « يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الإيمان » تفرد به أحمد رحمه الله

﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد أيضا حدثنا الحكم بن نافع حدثنى إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب الكندى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه سلم « إن للشهيد عند الله ست خصال : أن يغفر له فى أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين إنسانا من أقاربه » وقد أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وعن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يغفر للشهيد كل شىء إلا الدين » وروى من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته » ورواه أبو داود والأحاديث فى فضل الشهيد كثيرة جدا . وقوله تبارك وتعالى (سيهديهم) أى إلى الجنة كقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) . وقوله عز وجل (ويصلح بالهم) أى أمرهم وحالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى عرفهم بها وهداهم إليها قال مجاهد يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا ، وروى مالك عن زيد بن أسلم نحو هذا ، وقال محمد بن كعب : يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة . وقال مقاتل ابن حيان بلغنا أن الملك الذى كان وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هوله فيعرفه كل شىء أعطاه الله تعالى فى الجنة فإذا انتهى إلى أقصى منزله فى الجنة دخل إلى منزله وأزواجه وانصرف الملك عنه ، ذكره ابن أبى حاتم رحمه الله . وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضا رواه البخارى من حديث قتادة عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أهدى منه بمنزله الذى كان فى الدنيا » . ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) كقوله عز وجل (ولينصرن الله من ينصره) فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (ويثبت أقدامكم) كما جاء فى الحديث « من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة » ثم قال تبارك وتعالى (والذين كفروا فتعسا لهم) عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش » أى فلا شفاه الله عز وجل . وقوله سبحانه وتعالى (وأضل أعمالهم) أى أحبطها وأبطلها ولهذا قال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أى لا يريدونه ولا يحبونه (فأحبط أعمالهم)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ * وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

يقول تعالى (أفلم يسيروا) يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله (في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أي عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم أي ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ولهذا قال تعالى (وللكافرين أمثالها) ثم قال (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) ولهذا لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يجب وقال أما هؤلاء فقد هلكوا ، وأجابه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كذبت ياعدو الله بل أبقى الله تعالى لك مايسوءك وإن الذين عددت لأحياء فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال أما إنكم ستجدون مثلة لم آمر بها ولم أنه عنها ثم ذهب يرتجز ويقول ثم اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبوه ؟ » فقالوا يارسول الله وما نقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم قولوا « الله أعلى وأجل » ثم قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبوه ؟ » قالوا وما نقول يا رسول الله قال قولوا « الله مولانا ولا مولى لكم » ثم قال سبحانه وتعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) أي يوم القيامة (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام) أي في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام خضما وقضما ليس لهم همة إلا في ذلك ولهذا ثبت في الصحيح « المؤمن يأكل في معى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » ثم قال تعالى (والنار مثوى لهم) أي يوم جزائهم وقوله عز وجل (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) يعني مكة (أهلكناهم فلا ناصر لهم) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل وخاتم الأنبياء فاذا كان الله عز وجل قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرى ؟ فان رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فان العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم (يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وقوله تعالى (من قريتك التي أخرجتك) أي الذين أخرجوك من بين أظهرهم وقال ابن أبي حاتم ذكر أبي عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر ابن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه فالتفت إلى مكة وقال « أنت أحب بلاد الله إلى الله ، وأنت أحب بلاد الله إلي ، ولو لا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك » فأعدى الأعداء من عدا على الله تعالى في حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم * مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا

فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾

يقول تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) أى على بصيرة ويقين فى أمر الله ودينه بما أنزل الله فى كتابه من الهدى والعلم وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة (كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم؟) أى ليس هذا كهذا كقوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى؟) وكقوله تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) ثم قال عزوجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) قال عكرمة (مثل الجنة) أى نعتها (فيها أنهار من ماء غير آسن) قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وقتادة يعنى غير متغير وقال قتادة والضحاك وعطاء الخراسانى غير منتن والعرب تقول أسن الماء إذا تغير ريحه ، وفى حديث مرفوع أورده ابن أبى حاتم غير آسن يعنى الصافى الذى لا كدر فيه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : قال عبد الله رضى الله عنه : أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أى بل فى غاية البياض والحلاوة والدسومة وفى حديث مرفوع « لم يخرج من ضروع الماشية » (وأنهار من خمر لذة للشاربين) أى ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) (بيضاء لذة للشاربين) وفى حديث مرفوع « لم يعصرها الرجال بأقدامهم » (وأنهار من عسل مصفى) أى وهو فى غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح وفى حديث مرفوع « لم يخرج من بطون النحل » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فى الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار منها بعد » ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن يسار عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبى إياس الجريرى وقال حسن صحيح وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم ابن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة الايادى حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « هذه الأنهار تشخب من جنة عدن فى جوبة ثم تصدع بعد أنهارا » وفى الصحيح « إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن » . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر السكرى قالا حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة حدثنى عبد الرحمن بن عياش عن دلهم بن الأسود قال دلهم وحدثنيه أيضا أبو الأسود عن عاصم بن لقيط قال إن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « على أنهار عسل مصفى ، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله ، وأزواج مطهرة » قلت يا رسول الله أولنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال « الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذونكم ، غير أن لا توالد » وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيد عن يزيد بن هارون أخبرنى الجريرى عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجرى فى أخدود فى الأرض والله إنها لتجرى سائحة على وجه الأرض حافاتها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الأذفر . وقد رواه أبو بكر ابن مردويه من حديث مهدى بن حكيم عن يزيد بن هارون به مرفوعا . وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) كقوله عز وجل (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) وقوله تبارك وتعالى (فيهما من كل فاكهة زوجان) وقوله سبحانه وتعالى (ومغفرة من ربهم) أى مع ذلك كله . وقوله سبحانه وتعالى (كمن هو خالد فى النار) أى أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد فى النار ؟ ليس هؤلاء كهؤلاء ، وليس من هو فى الدرجات كمن هو فى الدركات (وسقوا ماء حميما) أى حارا شديدا الحر لا يستطاع (فقطع أمعاءهم) أى قطع ما فى بطونهم من الأمعاء والأحشاء ، عياذا بالله تعالى من ذلك .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ * فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين فى بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئا فإذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال آنفا) أى الساعة ، لا يعقلون ما قال ولا يكترثون له . قال الله تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أى فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح . ثم قال عزوجل (والذين اهتدوا زادهم هدى) أى والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها (وآتاهم تقواهم) أى ألهمهم رشدهم . وقوله تعالى (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى وهم غافلون عنها (فقد جاء أشراطها) أى أمارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى (هـذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة) وكقوله جلت عظمته (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقوله جل وعلا (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذى أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين . وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبى قبله كما هو مبسوط فى موضعه . وقال الحسن البصرى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء فى أسمائه ﷺ أنه نبى التوبة ونبى الملحمة والحاشر الذى يحشر الناس على قدميه والعاقب الذى ليس بعده نبى

وقال البخارى حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا أبو حازم حدثنا سهل بن سعد رضى الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتى تليها « بعثت أنا والساعة كهاتين » ثم قال تعالى (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أى فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كقوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) . (وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) . وقوله عز وجل (فاعلم أنه لا إله إلا الله) هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه آمرا بعلم ذلك ولهذا عطف عليه قوله عز وجل (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى » . وفى الصحيح أنه كان يقول فى آخر الصلاة « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت إلهى لا إله إلا أنت » وفى الصحيح أنه قال « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنى أستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم الأحول قال سمعت عبد الله بن سرجس قال أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « ولك » فقلت أستغفر لك . فقال رسول الله ﷺ « نعم ولكم » وقرأ (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ثم نظرت إلى بعض كتفه الأيمن — أو كتفه الأيسر شعبة الذى شك — فإذا هو كهيئة الجمع عليه الثآليل ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن عاصم الأحول به ، وفى الحديث الآخر الذى رواه أبو يعلى حدثنا محمد بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبى نصر عن أبى رجاء عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منهما فإن

إبليس قال إنما هلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون» وفى الأثر المروى « قال إبليس وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى » والأحاديث فى فضل الاستغفار كثيرة جدا وقوله تبارك وتعالى (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أى يعلم تصرفكم فى نهاركم ومستقركم فى ليلكم كقوله تبارك وتعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) وهذا القول ذهب إليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير، وعن ابن عباس رضى الله عنهما متقلبكم فى الدنيا ومثواكم فى الآخرة ، وقال السدى متقلبكم فى الدنيا ومثواكم فى قبوركم ، والأول أولى وأظهر والله أعلم .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب؟ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) وقال عز وجل ههنا (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أى مشتملة على حكم القتال ولهذا قال (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) أى من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء ، ثم قال مشجعا لهم (فأولى لهم طاعة وقول معروف) أى وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا أى فى الحالة الراهنة (فإذا عزم الأمر) أى جد الحال ، وحضر القتال (فلو صدقوا الله) أى أخلصوا له النية (لكان خيرا لهم) وقوله سبحانه وتعالى (فهل عسيتم إن توليتم) أى عن الجهاد ونكلتم عنه (أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ؟) أى تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام ولهذا قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وهذا نهى عن الافساد فى الأرض عموما وعن قطع الأرحام خصوصا بل قد أمر الله تعالى بالاصلاح فى الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب فى المقال والأفعال وبذل الأموال ، وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة ، قال البخارى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان حدثنى معاوية بن أبى مزرد عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوى الرحمن عز وجل فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى قال فذلك لك» قال أبو هريرة رضى الله عنه اقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) ثم رواه البخارى من طريقين آخرين عن معاوية بن أبى مزرد به قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) » . ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبى مزرد به

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبى بكرة رضى

عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث إسماعيل هو ابن علية به وقال الترمذى هذا حديث صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المرائى حدثنا محمد بن عباد المخزومى عن ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سره النساء فى الأجل والزيادة فى الرزق فليصل رحمه » تفرد به أحمد وله شاهد فى الصحيح . وقال أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن لى ذوى أرحام : أصل ويقطعون وأعفو ويظلمون وأحسن ويسيئون أفأ كافئهم ؟ قال ﷺ « لا ، إذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فانه لن يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك » تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر . وقال الإمام أحمد حدثنا يعلى حدثنا مطر عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذاقطعت رحمه وصلها » رواه البخارى . وقال أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة أخبرناقتادة عن أبى ثمامة الثقفى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « توضع الرحم يوم القيامة لها حجبة كحجبة المغزل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها » وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن أبى قابوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يبلغ به النبى ﷺ قال « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتته » وقد رواه أبو داود والترمذى من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به وهذا هو الذى يروى بتسلسل الأولية وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ أن أباه حدثه أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهو مريض فقال له عبد الرحمن رضى الله عنه وصلتك رحم إن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه فأبته — أو قال — من بتها أبته » تفرد به أحمد من هذا الوجه ، ورواه أحمد أيضا من حديث الزهرى عن أبى سلمة عن الرداد — أو أبى الرداد — عن عبد الرحمن بن عوف به ، ورواه أبو داود والترمذى من رواية أبى سلمة عن أبيه ، والأحاديث فى هذا كثيرة جداً . وقال الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن يونس عن الحجاج بن الفرافصة عن أبى عمر البصرى عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبه قال رسول الله ﷺ « إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم » والأحاديث فى هذا كثيرة والله أعلم .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۞ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾

يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه وناهيا عن الإعراض عنه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

أى بل على قلوب أقفالها فهى مطبقة لايخلص اليها شىء من معانيه قال إبن جرير حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه رضى الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر رضى الله عنه حتى ولى فاستعان به . ثم قال تعالى (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) أى فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر (من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) أى زين لهم ذلك وحسنه (وأملى لهم) أى غرهم وخدعهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر) أى مالؤوهم وناصحوهم فى الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف مايبطنون ولهذا قال الله عزوجل (والله يعلم إسرارهم) أى مايسرون ومايخفون ، الله مطلع عليه وعالم به كقوله تبارك وتعالى (والله يكتب مايبيتون) . ثم قال تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أى كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الأرواح فى أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) الآية وقال تعالى (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم) أى بالضرب (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) ولهذا قال ههنا (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ * وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾

يقول تعالى (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟) أى أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد أنزل الله تعالى فى ذلك سورة براءة فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الفاضحة . والأضغان جمع ضغن وهو مافى النفوس من الحسد والحقد للاسلام وأهله والقائمين بنصره ، وقوله تعالى (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) يقول عز وجل ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك فى جميع المنافقين سترا منه على خلقه وحملا للأمور على ظاهر السلامة وردا للسرائر إلى عالمها (ولتعرفنهم فى لحن القول) أى فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أى الحزبين هو بمعانى كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه . وفى الحديث « ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » وقد ذكرنا مايستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد فى أول شرح البخارى بما أغنى عن إعادته ههنا . وقد ورد فى الحديث تعيين جماعة من المنافقين . قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سلمة بن عياض عن أبيه عن أبى مسعود عقبة بن عمرو رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « إن منكم منافقين فمن سميت فليقم — ثم قال — قم يافلان ، قم يافلان ، قم يافلان — حتى سمى ستة وثلاثين رجلا ثم قال — إن فيكم أو منكم — منافقين فاتقوا الله » قال فمر عمر رضى الله عنه برجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه فقال مالك ؟ فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال بعدا لك سائر اليوم . وقوله عزوجل (ولنبلونكم) أى لنختبرنكم بالأوامر والنواهى (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وليس فى تقدم علم الله تعالى بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى مثل هذا : إلا لنعلم أى لنرى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ * فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾

يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية كما أن الحسنات يذهبن السيئات . وقد قال الإمام أحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل ، ثم روى من طريق عبد الله بن المبارك أخبرني بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتى نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجوا لمن لم يصبها ، ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ولهذا قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) أي بالردة ، ولهذا قال بعدها (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) كقوله سبحانه وتعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين (فلا تهنوا) أي لا تضعفوا عن الأعداء (وتدعوا إلى السلم) أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم ولهذا قال (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) أي في حال علوكم على عدوكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك . وقوله جلت عظمته (والله معكم) فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء (ولن يتركم أعمالكم) أي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئاً والله أعلم

﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ * هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾

يقول تعالى تحقيراً لأمر الدنيا وتهويناً لشأنها (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) أي هو غني عنكم لا يطلب منكم

شيئاً وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لاخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم . ويرجع ثوابه إليكم ثم قال جل جلاله (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) أي يحرجكم تبخلوا (ويخرج أضغانكم) قال قتادة . قد علم الله تعالى أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان وصدق قتادة فإن المال محبوب ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه . وقوله تعالى (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل) أي لايجيب إلى ذلك (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أي إنما نقص نفسه من الأجر وإنما يعود وبال ذلك عليه (والله الغني) أي عن كل ماسواه وكل شيء فقير إليه دائما ، ولهذا قال تعالى (وأنتم الفقراء) أي بالذات إليه ، فوصفه بالغنى وصف لازم له ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه . وقوله تعالى (وإن تتولوا) أي عن طاعته واتباع شرعه (يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم) أي ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره . وقال ابن أبي حاتم وابن جرير حدثنا يونس بن عبدالأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لايكونوا أمثالنا ؟ قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال « هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس » تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم . آخر تفسير سورة القتال ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الفتح وهي مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته ، أخرجاه من حديث شعبة به .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام فيقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة منهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى ، فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عزوجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر إليه كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية ، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال : ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا . وقال الإمام أحمد حدثنا نوح حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قال فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد علي ، قال فقلت في نفسي ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ألححت كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك ؟

قال فركبت راحلتي فحركت بعيري فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء قال فإذا أنا بمناد يا عمر قال فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) » ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله ، وقال علي بن المديني هذا إسناد مدني جيد لم نجده إلا عندهم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نزلت على النبي ﷺ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) مرجعه من الحديبية قال النبي ﷺ « لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلي مما على الأرض » ثم قرأها عليهم النبي ﷺ فقالوا هنيئا مريئا يا نبي الله بين الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار — حتى بلغ — فوزا عظيما) أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن زيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباعر فقال الناس بعضهم لبعض : ما للناس ؟ قالوا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس نوجف فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) قال : فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رسول الله أو فتح هو ؟ قال ﷺ « إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح » قسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما ورواه أبو داود في الجهاد عن محمد بن عيسى عن مجمع بن يعقوب به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا أبو يحيى حدثنا شعبة حدثنا جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ إلا والشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله ﷺ نائم قال : فقلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « افعلوا ما كنتم تفعلون وكذلك يفعل من نام أو نسي » قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة فأتيته بها فركبها فبينا نحن نسير إذ أتاه الوحي قال وكان إذا أتاه الوحي اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) وقد رواه أحمد وأبو دواد والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ « أفلا أكون عبدا شكورا ؟ » أخرجاه وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث زياد به وقال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ « يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا » أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عون الخراز وكان ثقة بمكة حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال : قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه — أو قال ساقاه — فقيل له أليس الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال « أفلا أكون عبدا شكورا » غريب من هذا الوجه فقوله (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) أي بينا ظاهرا والمراد به صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل ، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان وقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب

الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين وهو صلى الله عليه وسلم أكمل البشر على الاطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة ، ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيما لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل ثم قال ﷺ « والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئا يعظمون به حرمات الله إلا أجبتهم إليها » فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له (إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك) أي في الدنيا والآخرة (ويهديك صراطا مستقيما) أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم (وينصرك الله نصرا عزيزا) أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح « وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما عاقبت أحدا عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

يقول تعالى (هو الذي أنزل السكينة) أي جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعنه الرحمة ، وقال قتادة الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانا مع إيمانهم ؛ وقد استدل بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لانتصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى (ولله جنود السموات والأرض) أي ولو أرسل عليهم ملكا واحدا لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة ولهذا قال جلت عظمته (وكان الله عليما حكيما) ثم قال عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) قد تقدم حديث أنس رضي الله عنه حين قالوا هنيئا لك يا رسول الله هذا لك فما لنا ؟ فأنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي ماكثين فيها أبدا (ويكفر عنهم سيئاتهم) أي خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) كقوله جل وعلا (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الآية . وقوله تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أي يتهمون الله تعالى في حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم) أي أبعدهم من رحمته (وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) ثم قال عز وجل مؤكدا لقدرته على الانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما)

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلاً * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إنا أرسلناك شاهدا) أي على الخلق (ومبشرا) أي للمؤمنين (ونذيرا) أي للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الأحزاب (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد تعظموه (وتوقروه) من التوقير وهو الاحترام والاجلال والاعظام (وتسبحوه) أي تسبحون الله (بكرة وأصيلا) أي أول النهار وآخره . ثم قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتعظيما وتكريما (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) كقوله جل وعلا (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (يد الله فوق أيديهم) أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ كقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الفضل بن يحيى الانباري حدثنا علي بن بكار عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله » وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في الحجر « والله ليبعثنه الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى » ثم قرأ رسول الله ﷺ (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ولهذا قال تعالى ههنا (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) أي إنما يعود وبال ذلك على الناكث والله غني عنه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) أي ثوابا جزيلا وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية وكان الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ قيل ألفا وثلثمائة ، وقيل وأربعمائة وقيل وخمسمائة والأوسط أصح

﴿ ذكر الأحاديث الواردة في ذلك ﴾

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر رضي الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وأخرجاه أيضا من حديث الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال : كنا يومئذ ألفا وأربعمائة ووضع يده في ذلك الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى رووا كلهم وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية وأن رسول الله ﷺ أعطاهم سهما من كنانته فوضعوه في بئر الحديبية فجاشت بالماء حتى كفتهم فقيل لجابر رضي الله عنه كم كنتم يومئذ ؟ قال : كنا ألفا وأربعمائة ولو كنا مائة ألف لكفانا ، وفي رواية في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنهم كانوا خمس عشرة مائة

وروى البخاري من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة ، قلت فان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله : وهم ، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة . قال البيهقي هذه الرواية تدل على انه كان في القديم يقول خمس عشرة مائة ثم ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين والمشهور الذي رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذي رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس الدوري عن يحيى بن معين عن شبابة بن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ألفا وأربعمائة ، وكذلك هو الذي في رواية سلمة بن الأكوع ومعقل بن يسار والبراء بن عازب رضي الله عنهم

وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير ، وقد أخرج صاحبا الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول كان أصحاب الشجرة ألفا وأربعمائة وكانت أسلم يومئذ ثمن المهاجرين وروى محمد بن إسحاق في السيرة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة . كذا قال ابن إسحاق وهو معدود من أوهامه فان المحفوظ في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر سبب هذه البيعة العظيمة ﴾

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه يبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل قال ابن إسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله ﷺ على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته قد صبأ إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل ، وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قريبا من هذا السياق وزاد في سياقه أن قريشا بعثوا وعندهم عثمان رضي الله عنه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ فبيناهم عندهم إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل ونادى منادي رسول الله ﷺ ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا فسار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفروا أبدا فأرعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ودعوا إلى الموادعة والصلح وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا علي بن أحمد ابن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا هشام حدثنا الحسن بن بشير حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إن عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله » فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيرا من أيديهم لأنفسهم . قال ابن هشام : حدثني من أثق به عمن حدثه باسناد له عن ابن أبي مليكة عن ابن

عمر رضى الله عنهما قال : بايع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لعثمان رضى الله عنه فضرب باحدى يديه على الأخرى وقال عبد الملك بن هشام النحوى فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال : إن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفيان حدثنا ابن أبى خالد عن الشعبى قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسـدى فقال ابسط يدك أبايعك فقال النبى ﷺ « علام تبـايعنى ؟ » فقال أبو سـنان رضى الله عنه على مافى نفسك ، هذا أبو سنان بن وهب الأسدى رضى الله عنه . وقال البخارى حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر ابن محمد يقول حدثنا صخر بن الربيع عن نافع رضى الله عنه قال إن الناس يتحدثون أن ابن عمر رضى الله عنهما أسلم قبل عمر وليس كذلك ولـكن عمر رضى الله عنه يوم الحديبيه أرسل عبد الله إلى فرس له ، عند رجل من الأنصار أن يأتى به ليقاتل عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة وعمر رضى الله عنه لا يدرى بذلك فبايعه عبد الله رضى الله عنه ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه يستلئم للقتال فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر رضى الله عنهما . ثم قال البخارى وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسـلم حدثنا عمرو بن محمد العمرى أخبرنى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن الناس كانوا مع رسول الله ﷺ قد تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر رضى الله عنه يا عبد الله انظر ماشأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر رضى الله عنه فخرج فبايع . وقد أسنده البيهقى عن أبى عمرو الأديب . عن أبى بكر الإسماعيلى عن الحسن بن سـفيان عن دحيم حدثنى الوليد بن مسلم فذكره ، وقال الليث عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضى الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت . رواه مسـلم عن قتيبة عنه . وروى مسـلم عن يحيى عن يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله الأعرج عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال . لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها على رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال ولم نبـايعه على الموت ولـكن بايعناه على أن لا نفر . وقال البخارى حدثنا المكى بن إبراهيم عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : بايعت رسـول الله ﷺ تحت الشجرة قال يزيد قلت يا أبا مسلمة على أى شىء كنتم تبـايعون يومئذ ؟ قال على الموت وقال البخارى أيضا حدثنا أبو عاصم حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة رضى الله عنه قال : بايعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ثم تنحيت فقال صلى الله عليه وسلم « يا سلمة ألا تبايع ؟ » قلت قد بايعت ، قال ﷺ « أقبل فبايع » فدنوت فبـايعته ، قلت علام بايعته يا سـلمة ؟ قال على الموت . وأخرجه مسلم من وجه آخر عن يزيد بن أبى عبيد ، وكذا روى البخارى عن عباد بن تميم أنهم بايعوه على الموت . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو الفضل بن إبرهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار اليمامى عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا ها يعنى الركى فاما دعا وإما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا . قال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى البيعة فى أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى إذا كان فى وسط الناس قال صلى الله عليه وسلم « بايعنى يا سلمة » قال قلت يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس قال صلى الله عليه وسلم « وأيضا » قال ورآنى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم عزلا فأعطانى حجفة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان فى آخر الناس قال ﷺ « ألا تبايع ياسلمة ؟ » قال : قلت يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس وأوسطهم ، قال صلى الله عليه وسلم « وأيضا » فبايعته الثالثة ،

فقال رسول الله ﷺ « يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك ؟ » قال : قلت يا رسول الله لقيني عامر عزلا فأعطيتها إياه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « إنك كالذي قال الأول اللهم ابغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي » قال ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض فاصطلحنا قال وكنت خادما لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أسقي فرسه وأجنبه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله ، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا في بعض أتيت شجرة فكسحت شوكها ثم اضطجعت في أصلها في ظلها فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم وتحولت إلى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي ياللمهاجرين قتل ابن زنيم فاخترطت سيفي فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثا في يدي ثم قلت والذي كرم وجه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه ، قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله ﷺ في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ وقال « دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه بسنده نحوه أو قريبا منه

وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب قال : كان أبي ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فانطلقنا من قابل حاجين فخفي علينا مكانها فان كان بينت لكم فأنتم أعلم ، وقال أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان حدثنا أبو الزبير حدثنا جابر رضي الله عنه قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة وجدنا رجلا منا يقال له الجد بن قيس مختبئا تحت إبط بعيره ، رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به وقال الحميدي أيضا حدثنا سفيان عن عمرو أنه سمع جابرا رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتم خير أهل الأرض اليوم » قال جابر رضي الله عنه . لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة ، قال سفيان إنهم اختلفوا في موضعها أخرجاه من حديث سفيان ، وقال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون الفلاس المخرمي حدثنا سعيد بن عمرو الاشعثي حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خداش بن عياش عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر » قال فانطلقنا نبتدره فاذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع قال أصيب بعيري أحب إلي من أن أبايع وقال عبد الله بن أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من يصعد الثنية ثنية المرار فانه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل » فكان أول من صعد خيل بني الخزرج ثم تبادر الناس بعد فقال النبي ﷺ « كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر » فقلنا تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم فاذا هو رجل ينشد ضالة . رواه مسلم عن عبيد الله به وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها « لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد » قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها (وإن منكم إلا واردها) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد قال الله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) رواه مسلم ، وفيه أيضا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: إن عبد الحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكوا حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ: « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية » ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون

الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) كما قال عز وجل في الآية الأخرى (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا * بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا * وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا * وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا رسوله ﷺ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة ولهذا قال تعالى (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا) أي لا يقدر أحد أن يرد ما أراده الله فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وضمائركم وإن صانعتمونا ونافقتمونا ولهذا قال تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيرا) ثم قال تعالى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) أي لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص بل تخلف نفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) أي اعتقدتم أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم وتستباد خضراؤهم ولا يرجع منهم مخبر (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أي هلكى قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد ، وقال قتادة فاسدين ، وقيل هي بلغة عمان . ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) أي من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله فإن الله تعالى سيعذبه في السعير وإن أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الأمر . ثم بين تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والأرض (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) أي لمن تاب إليه وأناب وخضع لديه

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية إذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى خيبر يفتتحونها أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يأذن لهم في ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فإن الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدرا ولهذا قال تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قال مجاهد وقتادة وجويبر وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية واختاره ابن جرير ، وقال ابن زيد هو قوله تعالى (فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر لأن هذه الآية التي في براءة نزلت في غزوة تبوك وهي متأخرة عن عمرة

الحديبية وقال ابن جريج (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعنى بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) أى وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أى أن نشرككم فى المغانم (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) أى ليس الأمر كما زعموا ولكن لا فهم لهم

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

اختلف المفسرون فى هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم الذين هم أولو بأس شديد على أقوال ﴿ أحدها ﴾ أنهم هوازن رواه شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعا ورواه هشيم عن أبى بشر عنهما وبه يقول قتادة فى رواية عنه ﴿ الثانى ﴾ ثقيف قاله الضحاك ﴿ الثالث ﴾ بنو حنيفة قاله جويبر ورواه محمد بن إسحق عن الزهرى وروى مثله عن سعيد وعكرمة ﴿ الرابع ﴾ هم أهل فارس رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة فى إحدى الروايات عنه وقال كعب الأحبار: هم الروم، وعن ابن أبى ليلى وعطاء والحسن وقتادة: هم فارس والروم، وعن مجاهد هم أهل الأوثان وعنه أيضا هم رجال أولو بأس شديد ولم يعين فرقة وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا الأشج حدثنا عبد الرحمن بن إسحق القواريرى عن معمر عن الزهرى فى قوله تعالى (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) قال لم يأت أولئك بعد وحدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن ابن أبى خالد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله تعالى (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) قال هم البارزون . قال وحدثنا سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة » قال سفيان : هم الترك . قال ابن أبى عمر وجدت فى مكان آخر حدثنا ابن أبى خالد عن أبيه قال نزل علينا أبو هريرة رضى الله عنه ففسر قول رسول الله ﷺ « تقاتلوا قوما نعالهم الشعر » قال هم البارزون يعنى الأكراد وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) يعنى شرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون فى دينكم بلا قتال بل باختيار . ثم قال عز وجل (فإن تطيعوا) أى تستجيبوا وتنفروا فى الجهاد وتؤدوا الذى عليكم فيه (يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل) يعنى زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم (يعذبكم عذابا أليما) . ثم ذكر تعالى الأعذار فى ترك الجهاد فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر وعارض كالمرض الذى يطرأ أياما ثم يزول فهو فى حال مرضه ملحق بذوى الأعذار اللازمة حتى يبرأ . ثم قال تبارك وتعالى مرغبا فى الجهاد وطاعة الله ورسوله (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول) أى ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش (يعذبه عذابا أليما) فى الدنيا بالمذلة وفى الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفا وأربعمائة وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية . قال البخارى حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن

إسرائيل عن طارق أن عبد الرحمن رضي الله عنه قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها فقال سعيد إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم

وقوله تعالى (فعلم ما في قلوبهم) أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة (فأنزل السكينة) وهي الطمأنينة (عليهم وأثابهم فتحا قريبا) وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى (ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبيد الله بن موسى يعني ابن عبيدة حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال : بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس : البيعة البيعة نزل روح القدس ، قال فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه ، فذلك قول الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال فبايع رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه بإحدى يديه على الأخرى فقال الناس هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله ﷺ « لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف »

﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

قال مجاهد في قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هي جميع المغانم إلى اليوم (فعجل لكم هذه) يعني فتح خيبر ، وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (فعجل لكم هذه) يعني صلح الحديبية (وكف أيدي الناس عنكم) أي لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كف أيدي الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم (ولتكون آية للمؤمنين) أي يعتبرون بذلك فإن الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء مع قلة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العالم بعواقب الأمور وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه في الظاهر كما قال عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (ويهديكم صراطا مستقيما) أي بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسوله ﷺ وقوله تبارك وتعالى (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا) أي وغنيمة أخرى وفتحا آخر معينا لم تكونوا تقدرون عليها قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم فإنه تعالى يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون ، وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة ما المراد بها فقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هي خيبر وهذا على قوله في قوله عز وجل (فعجل لكم هذه) إنها صلح الحديبية . وقاله الضحاك وابن إسحق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال قتادة هي مكة واختاره ابن جرير ، وقال ابن أبي ليلى والحسن البصري : هي فارس والروم ، وقال مجاهد : هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة وقال أبو داود الطيالسي

حدثنا شعبة عن سماك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) قال هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم وقوله تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يقول عز وجل مبشرا لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولا نهزم جيش الكفر فارا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ثم قال تبارك وتعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله سبحانه وتعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة ، وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم فقال « أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا قال عفان : فعفا عنهم ونزلت هذه الآية (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من طرق عن حماد بن سلمة به ، وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فأخذ سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم ، اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب باسمك اللهم — وكتب — هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة » فأمسك سهيل ابن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله » فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأسماعهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ : « هل جئتم في عهد أحد ؟ أو هل جعل لكم أحد أمانا ؟ » فقالوا : لا ، فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي حدثنا جعفر عن ابن أبزى قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر رضي الله عنه يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ؟ قال فبعث ﷺ إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه « يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل » فقال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله وقال يا رسول الله ابعثني أين شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة — إلى قوله تعالى — عذابا أليما) قال فكف الله عز وجل النبي ﷺ عنهم

من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها كراهية أن تطأهم الخيل ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبزى بنحوه وهذا السياق فيه نظر فانه لايجوز أن يكون عام الحديبية لأن خالدا رضى الله عنه لم يكن أسلم بل قدكان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت فى الصحيح ولا يجوز أن يكون فى عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتى فى العام القابل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه ، فان قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لأنه لم يسق عام الفتح هديا وإنما جاء محاربا مقاتلا فى جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شىء فليتأمل والله أعلم . وقال ابن إسحاق : حدثنى من لاأتهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنه قال : إن قريشا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا من أصحابه أحدا فأخذوا أخذا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا إلى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق وفى ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله ﷺ خيلا فأتوه باثنى عشر من الكفار فقال لهم « هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة ؟ » قالوا : لا . فأرسلهم وأنزل الله تعالى فى ذلك (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركى العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله ﷺ (هم الذين كفروا) أى هم الكفار دون غيرهم (وصدوكم عن المسجد الحرام) أى وأنتم أحق به وأنتم أهله فى نفس الأمر (والهدى معكوفا أن يبلغ محله) أى وصدوا الهدى أن يصل إلى محله وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وقوله عزوجل (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) أى بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لاتعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى (لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة) أى إثم وغرامة (بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء) أى يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى الاسلام ثم قال تبارك و تعالى (لوتزيلوا) أى لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبى عباد المكى حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن سعد مولى بنى هاشم حدثنا حجر بن خلف قال سمعت عبدالله بن عمرو يقول سمعت جنيد بن سبع يقول قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكى به وقال فيه عن أبى جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب بن سباع ورواه ابن أبى حاتم من حديث حجر بن خلف به

حدثنا شعبة عن سماك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) قال هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم وقوله تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يقول عز وجل مبشرا لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولا نهزم جيش الكفر فارا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ثم قال تبارك وتعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله سبحانه وتعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة ، وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم فقال « أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا قال عفان : فعفا عنهم ونزلت هذه الآية (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من طرق عن حماد بن سلمة به ، وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فأخذ سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم ، اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب باسمك اللهم — وكتب — هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة » فأمسك سهيل ابن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله » فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأسماعهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ : «هل جئتم في عهد أحد ؟ أو هل جعل لكم أحد أمانا ؟ » فقالوا : لا ، فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي حدثنا جعفر عن ابن أبزى قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر رضي الله عنه يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ؟ قال فبعث ﷺ إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه « يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل » فقال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فقال يا رسول الله ابعثني أين شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة — إلى قوله تعالى — عذابا أليما) قال فكف الله عز وجل النبي ﷺ عنهم

من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها كراهية أن تطأهم الخيل ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبزى بنحوه وهذا السياق فيه نظر فانه لا يجوز أن يكون عام الحديبية لأن خالدا رضي الله عنه لم يكن أسلم بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه ، فان قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لأنه لم يسق عام الفتح هديا وإنما جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء فليتأمل والله أعلم . وقال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال : إن قريشا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا من أصحابه أحدا فأخذوا أخذا فأتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا إلى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق وفي ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله ﷺ خيلا فأتوه باثني عشر من الكفار فقال لهم « هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة ؟ » قالوا : لا . فأرسلهم وأنزل الله تعالى في ذلك (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله ﷺ (هم الذين كفروا) أي هم الكفار دون غيرهم (وصدوكم عن المسجد الحرام) أي وأنتم أحق به وأنتم أهله في نفس الأمر (والهدي معكوفا أن يبلغ محله) أي وصدوا الهدي أن يصل إلى محله وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدي سبعين بدنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وقوله عز وجل (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) أي بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى (لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة) أي إثم وغرامة (بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى الاسلام ثم قال تبارك وتعالى (لو تزيلوا) أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد مولى بني هاشم حدثنا حجر بن خلف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جنيد بن سبيع يقول قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكي به وقال فيه عن أبي جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب بن سباع ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر بن خلف به

وقال كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفينا نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات)وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليماً) يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلهم إياهم . وقوله عزوجل (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى) وهى قول لا إله إلا الله كما قال ابن جرير وعبدالله بن الإمام أحمد حدثنا الحسن بن قزعة أبو على البصرى حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن ثور عن أبيه عن الطفيل يعنى ابن أبي ابن كعب عن أبيه رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (وألزمهم كلمة التقوى) قال « لا إله إلا الله » وكذا رواه الترمذى عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه وسألت أبازرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبدالله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عبدالرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أباهريرة رضى الله عنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عزوجل » وأنزل الله عز وجل فى كتابه وذكر قوما فقال (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقال الله جل ثناؤه (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهرى والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهرى والله أعلم . وقال مجاهد : كلمة التقوى الاخلاص ، وقال عطاء بن أبي رباح هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، وقاله يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهرى عن عروة عن المسور (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقال الثورى عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعى عن على رضى الله عنه (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والله أكبرا ، وكذا قال ابن عمر رضى الله عنهما ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال : يقول شهادة أن لا إله إلا الله وهى رأس كل تقوى ، وقال سعيد بن جبير (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والجهاد فى سبيله ، وقال عطاء الخراسانى هى لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهرى (وألزمهم كلمة التقوى) قال بسم الله الرحمن الرحيم . وقال قتادة (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله (وكانوا أحق بها وأهلها) كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها (وكان الله بكل شىء عليما) أى هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر وقد قال النسائى : حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا شبابة بن سوار عن أبي رزين عن عبدالله بن العلاء بن نوير عن بشر بن عبدالله عن أبي بن كعب رضى الله عنه أنه كان يقرأ (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فأغلظ له فقال إنك لتعلم أنى كنت أدخل على رسول الله ﷺ فيعلمنى مما علمه الله تعالى ، فقال عمر رضى الله عنه بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله

﴿ وهذا ذكر الأحاديث الواردة فى قصة الحديبية وقصة الصلح ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم رضى الله عنهما قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل قد لبست جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم

قد قدموه إلى كراع الغميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذى أرادوا ، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا فى الاسلام وهم وافرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش فوالله لاأزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله تعالى به حتى يظهرنى الله عزوجل أو تنفرد هذه السالفة » ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لاتدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس « انزلوا » قالوا يارسول الله ما بالوادى من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل فى قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن . فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تعجلون على محمد صلى الله عليه وسلم إن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحقه فاتهموهم . قال محمد بن إسحاق: قال الزهرى وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم مشركها ومسلمها لايخفون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم شيئا كان بمكة فقالوا وإن كان إنما جاء لذلك فوالله لايدخلها أبدا علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص أحد بنى عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه سلم قال « هذا رجل غادر » فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بنحوما تكلم به مع أصحابه ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا اليه الحليس بن علقمة الكنانى وهو يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى » فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش لقد رأيت مالا يحل صد الهدى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس إنما أنت أعرابى لا علم لك . فبعثوا اليه عروة بن مسعود الثقفى فقال يامعشر قريش إنى قد رأيت مايلقى منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم إلى والد وأنا ولد وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئت حتى آسيتكم بنفسى قالوا صدقت ماأنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه فقال يامحمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها إنها قريش قدخرجت معها العوذ المطافيل قدلبسوا جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لاتدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وأبو بكر رضى الله عنه قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال : امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه ؟ قال من هذا يامحمد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « هذا ابن أبى قحافة » قال أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ولكن هذه بهاتم تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه واقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد قال فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصل اليك قال ويحك ما أفظك وأغلظك فتبسم رسول الله ﷺ قال من هذا يامحمد ! قال ﷺ « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة » قال أغدر وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟ قال فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا قال فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى مايصنع به أصحابه لايتوضأ وضوءا إلا ابتدروه . ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال يامعشر قريش إنى جئت كسرى فى ملكه وجئت قيصر

والنجاشي في ملكهما والله مارأيت ملكا قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم : قال وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعتهم الأحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا عمر رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة فقال يارسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني . وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلاظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها عثمان بن عفان رضي الله عنه قال فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وأردفه خلفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واحتبسته قريش عندها قال وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضي الله عنه قد قتل . قال محمد فحدثني الزهري ان قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا ائت محمدا فصالحه ولا تأن في صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة ابدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ قال «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلما وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق الا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال ياأبا بكر أوليس برسول الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه الزم غرزه حيث كان فإني أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه وأنا أشهد ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أو لسنا بالمسلمين؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بلى » قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال ﷺ « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » ثم قال عمر رضي الله عنه مازلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل لاأعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتب باسمك اللهم . هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا أسلال ولا أغلال . وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب : انه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد رسول الله ﷺ وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم وأنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا . فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وقال يامحمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال «صدقت» فقام اليه فأخذ بتلابيبه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يامعشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني قال

فزاد الناس شرا إلى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم » قال فوثب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجعل يمشى مع جندل إلى جنبه ويقول اصبر أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب قال ويدنى قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بأبيه ، قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب وكان رسول الله ﷺ يصلى فى الحرم وهو مضطرب فى الحل قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يأيها الناس انحروا واحلقوا » قال فما قام أحد ، قال ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فقال « يا أم سلمة ما شأن الناس ؟» قالت يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنسانا واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدا حتى إذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة فى وسط الطريق نزلت سورة الفتح، هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائى عن أبى إسحاق بنحوه . وقد رواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى به نحوه وخالفه فى أشياء وفيه إغراب وقد رواه البخارى رحمه الله فى صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال فى كتاب الشروط من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرنى الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا . خرج رسول الله ﷺ ومن الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك فقال ﷺ « أشيروا أيها الناس على أترون أن نميل على عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت » وفى لفظ « ترون أن نميل على ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فان يأتونا كان الله قد قطع عنقا من المشركين والا تركناهم محزونين » وفى لفظ « فان قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله عز وجل أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه » فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ، وفى لفظ فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم إنما جئنا معتمرين ولم نجىء لقتال احد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فروحوا إذن » وفى لفظ « فامضوا على اسم الله تعالى » حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن خالد ابن الوليد فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش ، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل — ثم قال صلى الله عليه وسلم — والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا اعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع ﷺ من كنانته سهما ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه . فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى ﷺ « إنا لم نجىء لقتال احد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما

دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره » . قال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشىء وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عروة ابن مسعود فقال أى قوم ألستم بالوالد ؟ قالوا بلى ، قال أولست بالولد ؟ قالوا بلى ، قال فهل تتهمونى قالوا : لا ، قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آته قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى ﷺ له نحوا من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك أى محمد أرأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرى فانى والله لأرى وجوها وانى لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه قال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبى ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته ﷺ والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه قائم على رأس النبى ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبى صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قال المغيرة بن شعبة قال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك ، وكان المغيرة ابن شعبة رضى الله عنه صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أما الإسلام فاقبل ، واما المال فلست منه فى شىء » ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له ﷺ فرجع عروة إلى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشى والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل منهم من بنى كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم قال النبى ﷺ « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص ، فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم « هذا مكرز وهو رجل فاجر » فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلم إذ جاء سهيل بن عمرو . وقال معمر أخبرنى أيوب عن عكرمة أنه قال لما جاء سهيل بن عمرو قال النبى ﷺ « قد سهل لكم من أمركم » . قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بعلى رضى الله عنه وقال « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل ابن عمرو أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى ﷺ « اكتب باسمك اللهم — ثم قال — هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى ﷺ « والله انى لرسول الله وأن كذبتمونى ، اكتب محمد بن عبد الله » قال الزهرى وذلك لقوله « والله لا يسالونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم إياها » فقال له النبى ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين

البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخـذنا ضغطة ولـكن ذلك من العام المقبل فـكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلارددته إلينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبى صـلى الله عليه وسـلم « إنا لم نقض الـكتاب بعـد » قال فوالله إذا لا أصالحك على شىء أبدا ، فقال النبى صـلى الله عليـه وسـلم « فأجزه لى » قال ما أنا بمجيز ذلك لك قال « بلى فافعل » قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديدا فى الله عز وجل . قال عمر رضى الله عنه فأتيت نبى الله صلى الله عليـه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا ؟ قال صلى الله عليـه وسـلم « بلى » قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال ﷺ « بلى » قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا ؟ قال ﷺ إنى رسـول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أو لست كنت تحـدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به قال صلى الله عليه وسلم : « بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام » . قلت لا قال ﷺ : فإنك آتيه ومطوف به : قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هـذا نبى الله حقا ؟ قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا ؟ قال أيها الرجل إنه رسـول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال بلى ، قال أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به .

قال الزهرى قال عمر رضى الله عنه فعملت لذلك أعمالا . قال فلما فرغ من قضية الـكتاب قال رسـول الله ﷺ لأصحابه « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ﷺ ذلك ثلاث مرات فلـما لم يقم منهم أحد دخـل صـلى الله عليـه وسـلم على أم سـلمة رضى الله عنها فذكر لهـا ما لقى من النـاس قالت له أم سـلمة رضى الله عنها يا نبى الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات — حتى بلغ — بعصم الـكوافر) فطلق عمر رضى الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوج إحداهمـا معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبى ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجـل من قريش وهو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إنى لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت فقال أبو بصير أرنى أنظر إليـه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسـول الله ﷺ حين رآه « لقد رأى هـذا ذعرا » فلمـا انتهى إلى النبى ﷺ قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا رسـول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى إليهم ثم نجانى الله تعـالى منهم فقال النبى ﷺ « ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحـد » فلمـا سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسـلم إلا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهـا فقتلوهم وأخـذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبى ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم إليهم وأنزل الله عز وجل (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديـكم عنهم ببطن مكة — حتى بلغ — حمية الجاهليـة) وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه رسول الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت ، هكذا ساقه البخارى

ههنا وقد أخرجه في التفسير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به . ووقع في بعض الأماكن عن الزهري عن عروة بن مروان والمسور عن رجال من أصحاب النبي ﷺ بذلك وهذا أشبه والله أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سياق ابن إسحق تباين في مواضع وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ما هنا ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . وقال البخاري في التفسير حدثنا أحمد بن إسحق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه نعم فقال سهل بن حنيف اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر رضي الله عنه فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فقال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا ؟ فقال ﷺ « يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا » فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا فنزلت سورة الفتح . وقد رواه البخاري أيضا في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفيان بن سلمة عن سهل بن حنيف به ، وفي بعض ألفاظه يا أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر على أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددته ، وفي رواية فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأها عليه

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : إن قريشا صالحوا النبي ﷺ وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل لا ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فقال صلى الله عليه وسلم « اكتب من محمد رسول الله » قال لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لم اكتب من محمد بن عبد الله » واشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقال يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به : وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رضي الله عنه « اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » قالوا لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « امح يا علي اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، والله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة أخرجت من هذه » قالوا نعم ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار اليمامي بنحوه وروى الإمام أحمد عن يحيى ابن آدم عن زهير بن حرب عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نحر رسول الله ﷺ يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾

كان رسول الله ﷺ قد رأى فى المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام فلما وقع ماوقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع فى نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شىء حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا » قال : لا ، قال النبى ﷺ « فانك آتيه ومطوف به » وبهذا أجاب الصديق رضى الله عنه أيضا حذو القذة بالقذة ولهذا قال تبارك وتعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء فى شىء وقوله عزوجل (آمنين) أى فى حال دخولكم ، وقوله (محلقين رءوسكم ومقصرين) حال مقدرة لأنهم فى حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وانما كان هذا فى ثانى الحال . كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره . وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله قال ﷺ « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال ﷺ « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله قال ! ﷺ « والمقصرين » فى الثالثة أو الرابعة وقوله سبحانه وتعالى : (لا تخافون) حال مؤكدة فى المعنى فأثبت لهم الأمن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم فى البلد لا يخافون من أحد وهذا كان فى عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع فان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية فى ذى القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم وخرج فى صفر الى خيبر ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهى اقليم عظيم كثير النخل والزروع فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبى طالب وأصحابه وأبو موسى الأشعرى وأصحابه رضى الله عنهم ولم يغب منهم أحد قال ابن زيد الأأبا دجانة سماك بن خرشة كما هو مقرر فى موضعه ثم رجع إلى المدينة . فلما كان فى ذى القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمرا هو وأهل الحديبية فأحرم من ذى الحليفة وساق معه الهدى قيل كان ستين بدنة فلبى وسار أصحابه يلبون . فلما كان ﷺ قريبا من مر الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيل والسلاح أمامه . فلما رآه المشركون رعبوا رعبا شديدا وظنوا أن رسول الله ﷺ يغزوهم وأنه قد نكث العهد الذى بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين فذهبوا فأخبروا أهل مكة فلما جاء رسول الله ﷺ فنزل بمر الظهران حيث ينظر إلى أنصاب الحرم بعث السلاح من القسى والنبل والرماح إلى بطن يأجج وسار الى مكة بالسيوف مغمدة فى قربها كما شارطهم عليه فلما كان فى أثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال يامحمد ماعرفناك تنقض العهد ، فقال ﷺ « وما ذاك » قال دخلت علينا بالسلاح والقسى والرماح . فقال ﷺ « لم يكن ذلك وقد بعثنا به الى يأجج . » فقال بهذا عرفناك بالبر والوفاء وخرجت رءوس الكفار من مكة لئلا ينظروا الى رسول الله ﷺ والى أصحابه رضى الله عنهم غيظا وحنقا . وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا فى الطرق وعلى البيوت ينظرون الى رسول الله ﷺ وأصحابه فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والهدى قد بعثه الى ذى طوى وهو راكب ناقته القصواء التى كان راكبها يوم الحديبية وعبدالله بن رواحة الأنصارى آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول :

باسم الذى لادين إلا دينه   باسم الذى محمد رسوله   خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تأويله   كما ضربناكم على تنزيله   ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله   قد أنزل الرحمن فى تنزيله   فى صحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل فى سبيله   يارب إنى مؤمن بقيله

فهذا مجموع من روايات متفرقة قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنى عبدالله بن أبى بكر بن حزم قال

لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء دخلها وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخذ بخطام ناقته ﷺ وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله   إني شهيد أنه رسوله * خلوا فكل الخير في رسوله

يارب إني مؤمن بقيله   نحن قتلناكم على تأويله   كما قتلناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يديه وفي رواية وابن رواحة آخذ بغرزه وهو رضي الله عنه يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله   قد نزل الرحمن في تنزيله   بأن خير القتل في سبيله

يارب إني مؤمن بقيله   نحن قتلناكم على تأويله   كما قتلناكم على تنزيله

اليوم نضربكم على تأويله   ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن الصباح حدثنا اسماعيل يعني ابن زكريا عن عبد الله يعني ابن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مر الظهران في عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشا تقول مايتباعثون من العجف فقال أصحابه لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة قال ﷺ لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا وحشا كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر فاضطبع ﷺ بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غميزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود فقالت قريش ما ترضون بالمشي أما إنكم لتنقزون نقز الظباء ففعل ذلك ثلاثة أشواط فكانت سنة قال أبو الطفيل فأخبرني ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع . وقال أحمد أيضا حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد ابن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها سوءا فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرا وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ماقالوا فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدهم قال فرملوا ثلاثة أشواط وأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط كلها إلا ابقاء عليهم فقال المشركون: أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا . أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به. وفي لفظ قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم صبيحة رابعة يعني من ذي القعدة فقال المشركون إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الابقاء عليهم قال البخاري وزاد ابن سلمة يعني حماد بن سلمة عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن قال ارملوا ليرى المشركين قوتهم والمشركون من قبل قعيقعان ، وحدثنا محمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركون قوته . ورواه في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة به : وقال أيضا حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا إسماعيل بن أبي خالد أنه سمع ابن أبي أوفى يقول لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انفرد به البخاري دون مسلم ، وقال البخاري أيضا : حدثنا محمد بن رافع حدثنا شريح بن

النعمان حدثنا فليح وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم حدثنا أبي حدثنا فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا عليهم إلا سيوفا ولا يقيم بها إلا ما أحبوا . فاعتمر صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج ﷺ وهو في صحيح مسلم أيضا . وقال البخاري أيضا حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا نقر بهذا ولو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال صلى الله عليه وسلم «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله» ثم قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « امح رسول الله » قال رضي الله عنه لا والله لا أمحوك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح إلا بالسيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها » فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة رضي الله عنه تنادي ياعم ياعم فتناولها علي رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها : دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم فقال علي رضي الله عنه أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر رضي الله عنه : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد رضي الله عنه : ابنة أخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلي رضي الله عنه « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر رضي الله عنه « أشبهت خلقي وخلقي » وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » قال علي رضي الله عنه ألا تتزوج ابنة حمزة رضي الله عنه ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إنها ابنة أخي من الرضاعة » تفرد به من هذا الوجه ، وقوله تعالى (فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي فعلم الله عز وجل من الخيرة والصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك مالم تعلموا أنتم (فجعل من دون ذلك) أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين ، ثم قال تبارك وتعالى مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدوه وعلى سائر أهل الأرض (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أي بالعلم النافع والعمل الصالح فان الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول فاخباراتها حق وإنشا آتها عدل (ليظهره على الدين كله) أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين ومشركين (وكفى بالله شهيدا) أي أنه رسوله وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾

يخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال (محمد رسول الله) وهذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال عز وجل (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وهذه

صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار ، رحيما برا بالأخيار ، غضوبا عبوسا فى وجه الكافر ضحوكا بشوشا فى وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » . وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . وشبك ﷺ بين أصابعه ، كلا الحديثين فى الصحيح

وقوله سبحانه وتعالى (تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الأعمال ووصفهم بالاخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول كما قال جل وعلا (ورضوان من الله أكبر) . وقوله جل جلاله (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما سيماهم فى وجوههم يعنى السمت الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعنى الخشوع والتواضع . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا حسين الجعفى عن زائدة عن منصور عن مجاهد (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) قال الخشوع قلت ما كنت أراه إلا هذا الأثر فى الوجه فقال ربما كان بين عينى من هو أقسى قلبا من فرعون . وقال السدى الصلاة تحسن وجوههم ، وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وقد أسنده ابن ماجه فى سننه عن إسماعيل بن محمد الصالحى عن ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » والصحيح أنه موقوف . وقال بعضهم إن للحسنة نورا فى القلب وضياء فى الوجه وسعة فى الرزق ومحبة فى قلوب الناس . وقال أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، والغرض أن الشىء الكامن فى النفس يظهر على صفحات الوجه فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته . وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمود بن محمد المروزى حدثنا حامد بن آدم المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبيد الله العرزمى عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله تعالى رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » العرزمى متروك . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان »

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حدثه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » ورواه أبو داود عن عبد الله بن محمد النفيلى عن زهير به فالصحابة رضى الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر اليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم . وقال مالك رضى الله عنه بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا فى ذلك فان هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (ذلك مثلهم فى التوراة) ثم قال (ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه) أى فراخه (فآزره) أى شده (فاستغلظ) أى شب وطال (فاستوى على سوقه يعجب الزراع) أى فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع (ليغيظ بهم الكفار) ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك

والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . ثم قال تبارك وتعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من هذه لبيان الجنس (مغفرة) أي لذنوبهم (وأجرا عظيما) أي ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل . قال مسلم في صحيحه حدثنا يحيي بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » . آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الحجرات وهي مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام فقال تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ « فان لم تجد؟» قال بسنة رسول الله ﷺ قال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال رضي الله عنه أجتهد رأيي ، فضرب في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ » . وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، وقال العوفي عنه : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه ، وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم . وقال سفيان الثوري (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) بقول ولا فعل ، وقال الحسن البصري (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قال لا تدعوا قبل الإمام ، وقال قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا كذا لو صح كذا فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه (واتقوا الله) أي فيما أمركم به (إن الله سميع) أي لأقوالكم (عليم) بنياتكم . وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال البخاري حدثنا يسرة بن صفوان اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر

لعمر رضى الله عنهما ما أردت إلا خلافى قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) قال ابن الزبير رضى الله عنهما فما كان عمر رضى الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعنى أبا بكر رضى الله عنه . انفرد به دون مسلم . ثم قال البخارى حدثنا حسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج حدثنى ابن أبى مليكة أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أخبره أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى ﷺ فقال أبو بكر رضى الله عنه أمر القعقاع بن معبد وقال عمر رضى الله عنه بل أمر الأقرع ابن حابس فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أردت إلا خلافى فقال عمر رضى الله عنه ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) حتى انقضت الآية (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) الآية وهكذا رواه ههنا منفردا به أيضا وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا إسحق بن منصور حدثنا حصين بن عمر عن مخارق عن طارق بن شهاب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخى السرار . حصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفا لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبى هريرة رضى الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم . وقال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد أخبرنا ابن عون أنبأنى موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضى الله عنه فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده فى بيته منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبى ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال « اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة » تفرد به البخارى من هذا الوجه

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى — إلى قوله — وأنتم لا تشعرون) وكان ثابت ابن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال أنا الذى كنت أرفع صوتى على رسول الله ﷺ أنا من أهل النار حبط عملى وجلس فى أهله حزينا ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له تفقدك رسول الله ﷺ مالك ! قال أنا الذى أرفع صوتى فوق صوت النبى ﷺ وأجهر له بالقول حبط عملى أنا من أهل النار فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا ، بل هو من أهل الجنة » قال أنس رضى الله عنه فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه فقال بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضى الله عنه وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) إلى آخر الآية جلس ثابت رضى الله عنه فى بيته قال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى ﷺ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لسعد ابن معاذ « يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى ؟ » فقال سعد رضى الله عنه إنه لجارى وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد رضى الله عنه فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت رضى الله عنه أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد رضى الله عنه للنبى ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل هو من أهل الجنة » ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمى عن حبان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به قال ولم يذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضى الله عنه بنحوه وقال ليس فيه ذكر سعد

ابن معاذ رضى الله عنه حدثنى هدبة بن عبد الأعلى الأسدى حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى يذكر عن أنس رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية فاقتص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه وزاد : فكنا نراه يمشى بين أظهرنا رجل من أهل الجنة . فهذه الطرق الثلاث معللة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه والصحيح أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ رضى الله عنه موجوداً لأنه كان قد مات بعد بنى قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت فى وفد بنى تميم والوفود إنما تواتروا فى سنة تسع من الهجرة والله أعلم، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس حدثنى عمى إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول) قال قعد ثابت بن قيس رضى الله عنه فى الطريق يبكى قال فمر به عاصم بن عدى من بنى العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت ؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدى رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبى ابن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسى فشدى على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال لاأخرج حتى يتوفانى الله تعالى أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأتى عاصم رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال « اذهب فادعه لى » فجاء عاصم رضى الله عنه إلى المكان فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له إن رسول الله ﷺ يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجا فأتيا النبى ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا ثابت ؟ » فقال رضى الله عنه أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فى (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول) فقال له النبى ﷺ « أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ » فقال رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتى أبداً على صوت رسول الله ﷺ قال وأنزل الله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) الآية . وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى الله عزوجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى عنه أنه سمع صوت رجلين فى مسجد النبى ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال من أين أنتما ؟ قالا من أهل الطائف فقال لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً . وقال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره فى حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيا وفى قبره ﷺ دائما ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) كما قال تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)

وقوله عزوجل (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لايدرى كما جاء فى الصحيح « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقى لها بالا يهوى بها فى النار أبعد ما بين السماء والأرض » ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا (لهم مغفرة وأجر عظيم) وقد قال الإمام أحمد فى كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضى الله عنه إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهى بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال (أكثرهم لا يعقلون) ثم أرشد تعالى إلى الأدب فى ذلك فقال عزوجل (ولوأنهم صبرواحتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) أى لكان لهم فى ذلك الخيرة والمصلحة فى الدنيا والآخرة . ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم إلى التوبة والإنابة (والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت فى الأقرع بن حابس التميمى رضى الله عنه فيما أورده غير واحد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس رضى الله عنه أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا محمد يا محمد وفى رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله إن حمدى لزين وإن ذمى لشين فقال « ذاك الله عزوجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبى إسحاق عن البراء فى قوله تبارك وتعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن حمدى زين وذمى شين فقال صلى الله عليه وسلم « ذاك الله عز وجل » وهكذا ذكره الحسن البصرى وقتادة مرسلا . وقال سفيان الثورى عن حبيب بن أبى عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر بن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت فى قومك بنى تميم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال فذكرت ذلك لسعيد ابن جبير فقال أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه (يمنون عليك أن أسلموا) قالوا أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن على الباهلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود الطائى يحدث عن أبى مسلم البجلى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : اجتمع أناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يك نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يك ملكا نعش بجناحه قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا فجاءوا إلى حجرة النبى ﷺ فجعلوا ينادونه وهو فى حجرته يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) قال فأخذ رسول الله ﷺ بأذنى فمدها فجعل يقول « لقد صدق الله تعالى قولك يازيد لقد صدق الله قولك يازيد » ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

يأمر تعالى بالتثبت فى خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون فى نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه فى نفس الأمر وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسألة فى كتاب العلم من شرح البخارى ولله تعالى الحمد والمنة . وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بنى المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده من رواية ملك بنى

المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها . قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضى الله عنه يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يارسول الله أرجع اليهم فأدعوهم إلى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته . وترسل إلى يارسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم ؟ قالوا اليك . قال ولم ؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضى الله عنه لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال « منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ » قال لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ — الى قوله — حكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضى الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبا شديدا فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا يارسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم استغشهم وهم بهم فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) إلى آخر الآية . وقال مجاهد

وقتادة أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وإنهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه اليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدا رضى الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضى الله عنه فرأى الذى يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال قتادة فكان رسول الله ﷺ يقول « التثبت من الله والعجلة من الشيطان » وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبى ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم فى هذه الآية أنها نزلت فى الوليد بن عقبة والله أعلم .

وقوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) أى اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره فانه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لو أطاعكم فى جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم كما قال سبحانه وتعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله عز وجل (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم) أى حببه إلى نفوسكم وحسنه فى قلوبكم

قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا على بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول « الاسلام علانية والإيمان فى القلب — قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول — التقوى ههنا التقوى ههنا » (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) أى وبغض إليكم الكفر والفسوق وهى الذنوب الكبار والعصيان وهى جميع المعاصى وهذا تدريج لكمال النعمة ، وقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أى المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم . قال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكى عن أبى رفاعة الزرقى عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ « استووا حتى أثنى على ربى عز وجل » فصاروا خلفه صفوفا فقال صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد ابن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به . وفى الحديث المرفوع « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » ثم قال (فضلا من الله ونعمة) أى هذا العطاء الذى منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه (والله عليم حكيم) أى عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا بالاصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسماهم مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لايخرج عن الإيمان بالمعصية وأن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم ، وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : « إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة . وقوله تعالى (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) أي حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قلت يارسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال ﷺ : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه »

وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبي يحدث أن أنسا رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال « اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك » فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنه أنزلت فيهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ورواه البخاري في الصلح عن مسدد ومسلم في المغازي عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه . وذكر سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال فأنزل الله تعالى هذه الآية فامر بالصلح بينهما . وقال السدي كان رجل من الأنصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له لايدخل عليها أحد من أهلها . وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وإن الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى . وقوله عز وجل (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أي اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل (إن الله يحب المقسطين) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال « إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا » ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى به وهذا إسناده جيد قوي رجاله على شرط الصحيح وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو ابن أوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا » ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به وقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) أي الجميع اخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » وفي الصحيح « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وفي الصحيح أيضا « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله » والأحاديث في هذا كثيرة وفي الصحيح « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وفي الصحيح أيضا « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه ﷺ ، وقال أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا مصعب بن ثابت حدثني أبو حازم قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يحدث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الايمان كما يألم الجسد لما فى الرأس » تفرد به أحمد ولا بأس باسناده . وقوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) يعنى الفئتين المقتتلتين (واتقوا الله) أى فى جميع أموركم (لعلكم ترحمون) وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكبر بطر الحق وغمص الناس - ويروى - وغمط الناس » والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فانه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب اليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) فنص على نهى الرجال وعطف بنهى النساء . وقوله تبارك وتعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لاتلمزوا الناس . والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى (ويل لكل همزة لمزة) والهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال عز وجل (هماز مشاء بنميم) أى يحتقر الناس ويهمزهم طاغيا عليهم ويمشى بينهم بالنميمة وهى اللمز بالمقال ولهذا قال ههنا (ولا تلمزوا أنفسكم) كما قال (ولا تقتلوا أنفسكم) أى لايقتل بعضكم بعضا . قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لايطعن بعضكم على بعض وقوله تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب) أى لاتداعوا بالألقاب وهى التى يسوء الشخص سماعها . قال الأمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا داود بن أبى هند عن الشعبى قال حدثنى أبو جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت فى بنى سلمة (ولاتنابزوا بالألقاب) قال قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يارسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت (ولا تنابزوا بالألقاب) ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهب عن داود به . وقوله جل وعلا (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعد مادخلتم فى الإسلام وعقلتموه (ومن لم يتب) أى من هذا (فأولئك هم الظالمون)

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله لأن بعض ذلك يكون إثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها فى الخير محملا . وقال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا أبو القاسم بن أبى ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصى حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى قيس النضرى حدثنا عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال رأيت النبى ﷺ يطوف بالكعبة ويقول « ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا » تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه ، وقال مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا

ولا تحاسدوا ولاتباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن العتبى عن مالك به . وقال سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» رواه مسلم والترمذى وصححه من حديث سفيان بن عيينة به. وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله القرمطى العدوى حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدنى حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصارى حدثنى عبد الرحمن بن محمد بن أبى الرجال عن أبيه عن جده حارثة بن النعمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث لازمات لأمتى : الطيرة والحسد وسوء الظن » فقال رجل وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال ﷺ « إذا حسدت فاستغفر الله ؟ وإذا ظننت فلا تحقق . وإذا تطيرت فامض » وقال أبو داود حـدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد رضى الله عنه قال أتى ابن مسعود رضى الله عنه برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضى الله عنه إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شىء نأخذ به. سماه ابن أبى حاتم فى روايته الوليد بن عقبة بن أبى معيط. وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا ليث عن إبراهيم بن نشيط الخولانى عن كعب بن علقمة عن أبى الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال : قلت لعقبة إن لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم قال لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم قال ففعل فلم ينتهوا . قال فجاءه دجين فقال إنى قد نهيتهم فلم ينتهوا وإنى داع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة ويحك لا تفعل فانى سمعت رسـول الله ﷺ يقول « من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها » ورواه أبو داود والنسائى من حديث الليث بن سعد به بنحوه ، وقال سفيان الثورى عن راشد بن سعد عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » فقال أبو الدرداء رضى الله عنه كلمة سمعها معاوية رضى الله عنه من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها ورواه أبو داود منفردا به من حديث الثورى به . وقال أبو داود أيضا حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمى حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معديكرب وأبى أمامة رضى الله عنهم عن النبى ﷺ قال « إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم » (ولا تجسسوا) أى على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق فى الشر ومنه الجاسوس . وأما التحسس فيكون غالبا فى الخير كما قال عز وجل إخبارا عن يعقوب أنه قال (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) وقد يستعمل كل منهما فى الشر كما ثبت فى الصحيح أن رسـول الله ﷺ قال « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » وقال الأوزاعى: التجسس البحث عن الشىء . والتحسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع على أبوابهم ، والتدابر : الصرم رواه ابن أبى حاتم عنه .

وقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) فيه نهى عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود حدثنا القعنبى حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال ﷺ « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » ورواه الترمذى عن قتيبة عن الدراوردى به وقال حسن صحيح ، ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء . وهكذا قال ابن عمر رضى الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو إسحق ومعاوية بن قرة . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنى على بن الأقمر عن أبى حذيفة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت للنبى ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا . قال غير مسدد تعنى قصيرة فقال ﷺ « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » قالت وحكيت له إنسانا فقال ﷺ « ما أحب أنى حكيت إنسانا وان لى كذا وكذا » ورواه الترمذى من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن

ابن مهدى ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثورى عن على بن الأقمر عن أبى حذيفة سلمة بن صهيب الأرحبى عن عائشة رضى الله عنها به وقال حسن صحيح وقال ابن جرير حدثنى ابن أبى الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيبانى حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة رضى الله عنها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضى الله عنها بيدها إلى النبى ﷺ أى أنها قصيرة فقال النبى ﷺ « اغتبتها » والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما فى الجرح والتعديل والنصيحة كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر « ائذنوا له بئس أخو العشيرة » وكقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس رضى الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد وقد ورد فيها الزجر الأكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال عزوجل (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) أى كما تكرهون هذا طبعا فاكرهوا ذاك شرعا فان عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ فى العائد فى هبته « كالكلب يقيء ثم يرجع فى قيئه » وقد قال « ليس لنا مثل السوء » وثبت فى الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه ﷺ قال فى خطبة حجة الوداع « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » وقال أبو داود حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ورواه الترمذى عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال حسن غريب وحدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبى برزة البلوى قال : قال رسول الله ﷺ « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته » تفرد به أبو داود وقد روى من حديث البراء بن عازب . فقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا إبراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات عن أبى إسحق السبيعى عن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتها أو قال فى خدورها فقال « يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته » ﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن عمر قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلى حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يحيى بن أكثم حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . قال أبو داود حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن وقاص بن ربيعة عن المسور أنه حدثه أن النبى ﷺ قال « من أكل برجل مسلم أكلة فان الله يطعمه مثلها فى جهنم ، ومن كسا ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله فى جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة » تفرد به أبو داود وحدثنا ابن مصفى حدثنا بقية وأبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنى راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » . تفرد به أبو داود وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبى المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامى به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا أبو عبد الصمد بن عبد العزيز العمى أخبرنا أبو هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال : قلنا

يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسرى بك ؟ قال ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت ياجبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة فيقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ظللت منذ اليوم صائما فائذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول إن امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فائذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاد فقال رسول الله ﷺ « ما صامتا ، وكيف صام من ظل يأكل من لحوم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقة فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال رسول الله صلى الله وسلم « لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار » إسناد ضعيف ومتن غريب وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن ههنا امرأتين صامتا وإنهما كادتا تموتان من العطش أراه قال بالهاجرة فأعرض عنه أو سكت عنه فقال يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان فقال : ادعهما . فجاءتا قال فجيء بقدح أو عس فقال لاحداهما : قيئي . فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح ثم قال للاخرى ، قيئي فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا وغيره حتى ملأت القدح ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس . وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدى كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمي بمثله أو نحوه ثم رواه أيضا من حديث مسدد عن يحيي القطان عن عثمان بن غياث حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أمروا بصيام فجاء رجل في نصف النهار فقال يا رسول الله : فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم قال « ادعهما » فجاء بعس أو قدح فقال لا حداهما : قيئي . فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا وقال للاخرى مثل ذلك ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما . أتت إحداهما للاخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا . قال البيهقي كذا قال عن سعد والأول وهو عبيد أصح وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمرو ابن الضحاك بن مخلد حدثنا أبي ثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر[1] لأبي هريرة أن ما عزا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد زنيت فأعرض عنه حتى قالها أربعا فلما كان في الخامسة قال : زنيت ؟ . قال نعم قال : وتدرى ما الزنا ؟ قال نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال ماتريد إلى هذا القول ؟ . قال أريد أن تطهرني قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر ؟ قال نعم يا رسول الله قال فأمر برجمه فرجم فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال : أين فلان وفلان ؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار . قالا غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها . إسناد صحيح

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله

(١) عمر بتشديد الميم مبنى للمجهول

ﷺ « أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس ؟ » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال عبد بن حميد فى مسنده حدثنا إبراهيم بن الأشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبى سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال كنا مع النبى ﷺ فى سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ان نفرا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح » وربما قال « فلذلك هاجت هذه الريح » وقال السدى فى قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟) زعم أن سلمان الفارسى رضى الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبى ﷺ فى سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما وأن سلمان رضى الله عنه لما سار الناس ذات يوم وبقى سلمان رضى الله عنه نائما لم يسر معهم فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه فضربا الخباء فقالا ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئا غير هذا أن يجىء إلى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما اداما فانطلق فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثنى أصحابى لتؤدمهم إن كان عندك قال ﷺ « ما يصنع أصحابك بالأدم ؟ قد ائتدموا » فرجع سلمان رضى الله عنه يخبرهما بقول رسول الله ﷺ فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : والذى بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا قال رسول الله ﷺ « انكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما » قال ونزلت (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) انه كان نائما . وروى الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المختار من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضا فى الأسفار وكان مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهىء لهما طعاما فقالا إن هذا لنؤوم فايقظاه فقالا له ائت رسول الله ﷺ فقل له إن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما يقرئانك السلام ويستأدمانك فقال ﷺ « إنهما قد ائتدما » فجاءا فقالا يا رسول الله بأى شىء ائتدمنا فقال صلى الله عليه سلم « بلحم أخيكما والذى نفسى بيده انى لأرى لحمه بين ثناياكما » فقالا رضى الله عنهما استغفر لنا يا رسول الله فقال ﷺ « مراه فليستغفر لكما » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن عمه موسى بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أكل من لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا — قال — فيأكله ويكلح ويصيح » غريب جدا

وقوله عزوجل (واتقوا الله) أى فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه فى ذلك واخشوا منه (إن الله تواب رحيم) أى تواب على من تاب إليه رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه . قال الجمهور من العلماء طريق المغتاب للناس فى توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود ، وهل يشترط الندم على ما فات ؟ فيه نزاع ، وأن يتحلل من الذى اغتابه وقال آخرون لا يشترط إن يتحلله فانه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه فطريقه إذا أن يثنى عليه بما فيه فى المجالس التى كان يذمه فيها وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته لتكون تلك بتلك كما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد ابن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافرى أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى أخبره عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله تعالى إليه ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمنا بشىء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه . وقال أبو داود أيضا حدثنا إسحاق بن الصباح حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا الليث حدثنى يحيى بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بشير يقول سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصارى رضى الله عنهما يقولان قال رسول الله ﷺ « ما من امرىء يخذل امرءا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى فى مواطن يحب فيها نصرته ، وما من امرىء ينصر امرأ مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله عزوجل فى مواطن يحب فيها نصرته » تفرد به أبو داود .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وهى أعم من القبائل، وبعد القبائل، مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما أن الاسباط بطون بنى إسرائيل وقد لخصت هذا فى مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الأشباه لابى عمر بن عبد البر، ومن كتاب ﴿ القصد والأمم فى معرفة أنساب العرب والعجم ﴾ فجميع الناس فى الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهى طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ ولهذا قال تعالى بعد النهى عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا منبها على تساويهم فى البشرية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أى ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته، وقال مجاهد فى قوله عز وجل (لتعارفوا) كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أى من قبيلة كذا وكذا، وقال سفيان الثورى كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها وقد قال أبو عيسى الترمذى حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفى عن يزيد مولى المنبعث عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر » ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالإحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ. قال البخارى حدثنا محمد بن سلام حدثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبى سعيد رضى الله عنه عن أبى هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أى الناس أكرم؟ قال « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا ليس عن هذا نسألك قال « فأكرم الناس يوسف نبى الله، ابن نبى الله، ابن نبى الله ابن خليل الله » قالوا ليس عن هذا نسألك قال « فعن معادن العرب تسألونى » ؟ قالوا نعم قال « فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا » وقد رواه البخارى فى غير موضع من طرق عن عبدة بن سليمان، ورواه النسائى فى التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمرى به. ﴿ حديث آخر ﴾، قال مسلم رحمه الله حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ورواه ابن ماجه عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبى هلال عن بكر عن أبى ذر رضى الله عنه قال إن النبى ﷺ قال له « انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله » تفرد به أحمد رحمه الله ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكرى حدثنا عبد الرحمن ابن عمرو بن جبلة حدثنا عبيد بن حنين الطائى سمعت محمد بن حبيب بن خراش العصرى يحدث عن أبيه رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « المسلمون اخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا أحمد بن يحيى الكوفى حدثنا الحسن بن الحسين حدثنا قيس يعنى ابن الربيع عن شبيب بن عرقدة عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان ». ثم قال لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى ابن زكريا القطان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال طاف رسول الله

ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن فى يده فما وجد لها مناخا فى المسجد حتى نزل ﷺ على أيدى الرجال فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « ياأيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان رجل برتقى كريم على الله تعالى . ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى ، إن الله عز وجل يقول (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير — ثم قال صلى الله عليه وسلم — أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » هكذا رواه عبد بن حميد عن أبى عاصم الضحاك عن مخلد عن موسى بن عبيدة به ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحى بن إسحق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن على بن رباح عن عقبة بن عامر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملئوه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا » . وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه : « الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملئوه إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وليس هو فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة زوج درة بنت أبى لهب عن درة بنت أبى لهب رضى الله عنها قالت : قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت ما أعجب رسول الله ﷺ شىء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى ، تفرد به أحمد ، وقوله تعالى (إن الله عليم خبير) أى عليم بكم خبير بأموركم فيهدى من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم العليم الخبير فى ذلك كله ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة فى النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وذهب الآخرون إلى أدلة أخرى مذكورة فى كتب الفقه وقد ذكرنا طرفا من ذلك فى (كتاب الأحكام) ولله الحمد والمنة . وقد روى الطبرانى عن عبد الرحمن أنه سمع رجلا من بنى هاشم يقول أنا أولى الناس برسول الله ﷺ فقال غيره أنا أولى به منك ولى منه نسبة

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ * قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الأعراب الذين أول ما دخلوا فى الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان فى قلوبهم بعد (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) وقد استفيد من

هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الاسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الاسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عامر بن سعدبن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنهما قال أعطى رسول الله ﷺ رجالا ولم يعط رجلا منهم شيئا فقال سعد رضى الله تعالى عنه يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيئا وهو مؤمن فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أو مسلم . حتى أعادها سعد رضى الله عنه ثلاثا والنبى ﷺ يقول : أو مسلم ؟ ثم قال النبى ﷺ « إنى لأعطى رجالا وأدع من هو أحب إلى منهم فلم أعطه شيئا مخافة أن يكبوا فى النار على وجوههم » أخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى به . فقد فرق النبى ﷺ بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الاسلام وقد قررنا ذلك بأدلته فى أول شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة . ودل ذلك على أن ذلك الرجل كان مسلما ليس منافقا لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ماهو فيه من الإسلام فدل هذا على أن هؤلاء الاعراب المذكورين فى هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الايمان فى قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا اليه فأدبوا فى ذلك وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما وإبراهيم النخعى وقتادة واختاره ابن جرير . وإنما قلنا هذا لأن البخارى رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الايمان وليسوا كذلك . وقد روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا فى قوله تبارك وتعالى (ولكن قولوا أسلمنا) أى استسلمنا خوف القتل والسبى . قال مجاهد نزلت فى بنى أسد بن خزيمة . وقال قتادة نزلت فى قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله ﷺ والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الايمان ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا اليه بعد . ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون فى سورة براءة وإنما قيل لهؤلاء تأديبا (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) أى لم تصلوا إلى حقيقة الايمان بعد . ثم قال تعالى (وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا) أى لاينقصكم من أجوركم شيئا كقوله عز وجل (وما ألتناهم من عملهم من شىء) وقوله تعالى (إن الله غفور رحيم) أى لمن تاب اليه وأناب . وقوله تعالى (إنما المؤمنون) أى إنما المؤمنون الكمل (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهى التصديق المحض (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم فى طاعة الله ورضوانه (أولئك هم الصادقون) أى فى قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الايمان إلا الكلمة الظاهرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يحى بن غيلان حدثنا رشدين حدثنا عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال إن النبى ﷺ قال « المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله . والذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . والذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل » وقوله سبحانه وتعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرونه بما فى ضمائركم (والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) أى لايخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (والله بكل شىء عليم) ثم قال تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على إسلامكم) يعنى الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى ردا عليهم (قل لاتمنوا على إسلامكم) فان نفع ذلك إنما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين) أى فى دعواكم ذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للأنصار يوم حنين « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بى ؟ » كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن . وقال الحافظ أبوبكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن محمد بن قيس عن أبى عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم

تعالى فقال رسول الله ﷺ : إن فقههم قليل وإن الشيطان ينطاق على ألسنتهم . ونزلت هذه الآية (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين) ثم قال لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث . ثم كرر الاخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات فقال (إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) آخر تفسير سورة الحجرات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

﴿ تفسير سورة ق وهي مكية ﴾

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات . وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضي الله عنهم المعتبرين فيما نعلم . والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال حدثنا مسدد حدثنا قراب بن تمام ح وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد ثنا سليمان بن حيان وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال فنزلت الاحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له قال مسدد وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام فأكثر ما يحدثنا صلى الله عليه وسلم مالقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ « لا أساء وكنا مستضعفين مستذلين — قال مسدد بمكة — فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالا بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عنا صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة قال صلى الله عليه وسلم « إنه طرأ على حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه » . قال أوس سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة . وحزب المفصل وحده ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به . إذا علم هذا فاذا عددت ثمانيا وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ق . بيانه ثلاث : البقرة وآل عمران والنساء . وخمس : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة . وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل . وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان . وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس . وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات . ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم . فتعين أن أوله سورة ق وهو الذي قلنا ولله الحمد والمنة . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد قال بقاف واقتربت ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به وفي رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبد الله عن أبي واقد قال سألني عمر رضي الله عنه فذكره ﴿ حديث آخر ﴾ وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي ثنا أبي إسحاق حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به . وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنة الحارث بن النعمان قالت ما حفظت ق إلا من في رسول الله ﷺ

يخطب بها كل جمعة. قالت وكان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به ، والقصد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾

(ق) حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى (ص - ون - والم - وحم - وطس) ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا ق جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف ، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلام عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله « وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوزه العقل ، فاما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم . وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ولله الحمد والمنة حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمة الله عليه أورد ههنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال حدثنا أبي قال حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات قال وذلك قوله تعالى (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) فاسناد هذا الأثر فيه انقطاع ، والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله عزوجل (ق) هو اسم من أسماء الله عزوجل والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى (ص - ن - حم - طس - الم) ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل المراد قضى الأمر والله وأن قوله جل ثناؤه ق دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر * قلت لها قفي فقالت ق * وفي هذا التفسير نظر لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف ؟ وقوله تعالى (والقرآن المجيد) أي الكريم العظيم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) واختلفوا في جواب القسم ما هو فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) وفي هذا نظر بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم يتلقى لفظا وهذا كثير في اقسام القرآن كما تقدم في قوله (ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) وهكذا قال ههنا (ق والقرآن المجيد بل عجبوا

أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي تعجبوا من ارسال رسول إليهم من البشر كقوله جل جلاله (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) أي وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس . ثم قال عزوجل مخبرا عنهم في تعجبهم أيضا من المعاد واستبعادهم لوقوعه أئذامتنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) أي يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الأوصال منا وصرنا ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب ؟ (ذلك رجع بعيد)أي بعيد الوقوع . والمعنى أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه قال الله تعالى راداً عليهم (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ماتأ كل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضا فيه كل الأشياء مضبوطة قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ماتأ كل من لحومهم وأبشارهم ، وعظامهم وأشعارهم ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ، ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ماليس ببعيد فقال (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) أي وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل،والمريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله كقوله تعالى (إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك)

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ * وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾

يقول تعالى منبها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها) أي بالمصابيح (ومالها من فروج) قال مجاهد يعني من شقوق وقال غيره فتوق ، وقال غيره صدوع والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) أي كليل عن أن يرى عيبا أو نقصا وقوله تبارك وتعالى (والأرض مددناها) أي وسعناها وفرشناها (وألقينا فيها رواسي) وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وقوله بهيج أي حسن المنظر (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أي ومشاهدة خلق السموات والأرض وماجعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب أي خاضع خائف وجل رجاع إلى الله عزوجل وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي نافعا (فأنبتنا به جنات) أي حدائق من بساتين ونحوها (وحب الحصيد) وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره (والنخل باسقات) أي طوالا شاهقات قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم الباسقات الطوال (لها طلع نضيد) أي منضود (رزقا للعباد) أي للخلق (وأحيينا به بلدة ميتا) وهي الأرض التي كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عزوجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق

السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى . بلى إنه على كل شىء قدير) وقال سبحانه وتعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم من النقمات والعذاب الأليم فى الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم فى سورة الفرقان (وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط) وهم أمته الذين بعث اليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق (وأصحاب الأيكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام (وقوم تبع) وهو اليمانى وقد ذكرنا من شأنه فى سورة الدخان ما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والشكر (كل كذب الرسل) أى كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم ومن كذب رسولا فكأنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا (كذبت قوم نوح المرسلين)وإنما جاءهم رسول واحد فهم فى نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم (فحق وعيد) أى فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال ، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك وقوله تعالى (أفعيينا بالخلق الأول) أى أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم فى شك من الاعادة (بل هم فى لبس من خلق جديد) والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة أسهل منه كما قال عز وجل (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال الله جل جلاله (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقد تقدم فى الصحيح « يقول الله تعالى يؤذينى ابن آدم يقول لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته »

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بانه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره حتى إنه تعالى يعلم ماتوسوس به نفوس بنى آدم من الخير والشر . وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى تجاوز لأمتى ماحدثت به أنفسها مالم تقل أو تعمل » وقوله عز وجل (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) يعنى ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده اليه ، ومن تأوله على العلم فانما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فانه لم يقل : وأنا أقرب اليه من حبل الوريد وإنما قال (ونحن أقرب اليه من حبل والوريد) كما قال فى المحتضر (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) يعنى ملائكته وكما قال تبارك وتعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن باذن الله عز وجل وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده اليه باقدار الله جل وعلا لهم على ذلك . فللملك لمة من

الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى ههنا (إذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى مترصد (ما يلفظ) أى ابن آدم (من قول) أى ما يتكلم بكلمة (إلا لديه رقيب عتيد) أى إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون) وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام . وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضى الله عنهما . على قولين وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثى عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه » فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذى حسن صحيح وله شاهد فى الصحيح وقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال فان أصاب العبد خطيئة قال له أمسك فان استغفر الله تعالى نهاه ان يكتبها وان أبى كتبها . رواه ابن أبى حاتم وقال الحسن البصرى وتلا هذه الآية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى انه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره وذلك قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن فى مرضه فبلغه عن طاوس أنه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله . وقوله تبارك وتعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يقول عز وجل وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أى كشفت لك عن اليقين الذى كنت تمترى فيه (ذلك ما كنت منه تحيد) أى هذا هو الذى كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص . وقد اختلف المفسرون فى المخاطب بقوله (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل غير ذلك . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان اخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال ان عائشة رضى الله عنها قالت حضرت أبى رضى الله عنه وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فاخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر :

من لا يزال دمعه مقنعا ... فانه لابد مرة مدفوق

قالت فرفع رضى الله عنه رأسه فقال يابنية ليس كذلك لكن كما قال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الخياط عن إسماعيل بن أبى خالد عن البهى قال لما أن ثقل أبو بكر رضى الله عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضى الله عنه ليس كذلك ولكن قولى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه

تحيد) . وقد أوردت لهذا الأثر طرفا كثيرة فى سيرة الصديق رضى الله عنه عند ذكر وفاته ، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول « سبحان الله إن للموت لسكرات » وفى قوله (ذلك ما كنت منه تحيد) قولان ﴿أحدهما﴾ أن ما ههنا موصولة أى الذى كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناءى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك ﴿والقول الثانى﴾ أن ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه وقد قال الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن على الصائغ المكى حدثنا حفص عن ابن عمر الحدى حدثنا معاذ ابن محمد الهذلى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « مثل الذى يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيى وأسهر دخل جحره وقالت له الأرض يا ثعلب دينى فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات » ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت ، وقوله تبارك وتعالى (ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد) قد تقدم الكلام على حديث النفخ فى الصور والفزع والصعق والبعث وذلك يوم القيامة وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له » قالوا يا رسول الله كيف نقول ؟ قال ﷺ « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال القوم حسبنا الله ونعم الوكيل (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أى ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة . وهو اختيار ابن جرير ثم روى من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فقال سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد وقال مطرف عن أبى جعفر مولى أشجع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدى وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا . وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال فى المراد بهذا الخطاب فى قوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أحدها أن المراد بذلك الكافر رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان والثانى أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، والثالث أن المخاطب بذلك النبى ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت فى غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك فبصرك اليوم حديد والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) يعنى من هذا اليوم (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أى قوى لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصرا حتى الكفار فى الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك قال الله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) وقال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون)

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول (هذا ما لدى عتيد) أى معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذى وكلتنى به قد أحضرته

وقد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى فى الخليقة بالعدل فيقول (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) وقد اختلف النحاة فى قوله (ألقيا) فقال بعضهم هى لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روى عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وإن تتركانى أحم عرضا ممنعا

وقيل بل هى نون التأكيد سهلت إلى الالف وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون فى الوقف والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد عليه أمرهما الله تعالى بالقائه فى نار جهنم وبئس المصير (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) أى كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك (مناع للخير) أى لا يؤدى ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة (معتد) أى فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد . وقال قتادة معتد فى منطقه وسيره وأمره (مريب) أى شاك فى أمره مريب لمن نظر فى أمره (الذى جعل مع الله إلها آخر) أى أشرك بالله فعبد معه غيره (فألقياه فى العذاب الشديد) وقد تقدم فى الحديث أن عنقا من النار يبرز للخلائق فينادى بصوت يسمع الخلائق إنى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ؟ ومن جعل مع الله إلها آخر . وبالمصورين ثم تنطوى عليهم قال الإمام أحمد حدثنا معاوية هو ابن هشام حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنطوى عليهم فتقذفهم فى غمرات جهنم » (قال قرينه) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذى وكل به (ربنا ما أطغيته) أى يقول عن الإنسان الذى قد وافى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه فيقول (ربنا ما أطغيته) أى ما أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى بل كان هو فى نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى فى الآية الأخرى فى قوله (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) . وقوله تبارك وتعالى (قال لا تختصموا لدى) يقول الرب عز وجل للانسى وقرينه من الجن وذلك أنهما يختصمان بين يدى الحق تعالى فيقول الانسى يارب هذا أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى ويقول الشيطان (ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لهما (لا تختصموا لدى) أى عندى (وقد قدمت إليكم بالوعيد) أى قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين (ما يبدل القول لدى) قال مجاهد يعنى قد قضيت ما أنا قاض (وما أنا بظلام للعبيد) أى لست أعذب أحدا بذنب أحد ولكن لا أعذب أحدا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وذلك لأنه تبارك وعدها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهى تقول هل من مزيد : أى هل بقى شىء تزيدونى؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث . قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبى الأسود حدثنا حرمى بن عمارة حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يلقى فى النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول : قط قط » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ، ولايزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى فى فضول الجنة » ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه . ورواه أبان العطار وسليمان التيمى عن قتادة بنحوه ﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميرى سعيد بن يحيى بن مهدى حدثنا عوف عن محمد عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان : « يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط » . ورواه أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به ﴿ طريق أخرى ﴾ قال البخارى وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة مالى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عزوجل للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط فهنالك تمتلى وينزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله عزوجل ينشىء لها خلقا آخر »

﴿ حديث آخر ﴾ قال مسلم فى صحيحه : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجت الجنة والنار فقالت النار فى الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة فى ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها » انفرد به مسلم دون البخارى من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم : وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أبى سعيد رضى الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب يدخلنى الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف ، وقالت الجنة أى رب يدخلنى الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابى أصيب بك من أشاء ، وقال للجنة أنت رحمتى وسعت كل شىء ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى فى النار أهلها فتقول هل من مزيد ، قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل مزيد حتى يأتيها عزوجل فيضع قدمه عليها فتنزوى وتقول قدنى قدنى ، وأما الجنة فيبقى فيها ماشاء الله تعالى أن يبقى فينشىء الله سبحانه وتعالى لها خلقا ما يشاء » ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار بن القاسم عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « يعرفنى الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عنى ثم أمدحه مدحة يرضى بها عنى ثم يؤذن لى فى الكلام ثم تمر أمتى على الصراط مضروب بين ظهرانى جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها يحبو وهى الأعمال ، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وأنا على الحوض » قيل وما الحوض يارسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج . وأطيب ريحا من المسك ، وآنيته أكثر من عدد النجوم لايشرب منه إنسان فيظمأ أبدا ولا يصرف فيروى أبدا » وهذا القول هو اختيار ابن جرير . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الحمانى عن نصر الجزار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قال ما امتلأت قال تقول وهل فى من مكان يزاد فى ، وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة (وتقول هل من مزيد) وهل فى مدخل واحد قد امتلأت قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبى مريم أنه سمع مجاهدا يقول لايزال يقذف فيها حتى تقول قد امتلأت فتقول هل فى مزيد ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

نحو هذا فعند هؤلاء أن قوله تعالى (هل امتلأت) إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتنزوى وتقول حينئذ هل بقى فى مزيد يسع شيئا ؟ قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة والله أعلم

وقوله تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) قال قتادة وأبو مالك والسدى (وأزلفت) أدنيت وقربت من المتقين (غير بعيد) وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب (هذا ما توعدون لكل أواب) أى رجاع تائب مقلع (حفيظ) أى يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه ، وقال عبيد بن عمير : الأواب الحفيظ الذى لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل (من خشى الرحمن بالغيب) أى من خاف الله فى سره حيث لا يراه أحد إلا الله عز وجل كقوله ﷺ « ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه » (وجاء بقلب منيب) أى ولقى الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم اليه خاضع لديه (ادخلوها) أى الجنة (بسلام) . قال قتادة سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله . وقوله سبحانه وتعالى (ذلك يوم الخلود) أى يخلدون فى الجنة فلا يموتون أبدا ولا يظعنون أبدا ولا يبغون عنها حولا ، وقوله جلت عظمته (لهم ما يشاءون فيها) أى مهما اختاروا وجدوا من أى أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمر بن عثمان حدثنا بقية عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فأمطره لكم ؟ فلا يدعون بشىء إلا أمطرتهم ، قال كثير لئن أشهدنى الله تعالى ذلك لأقولن أمطرينا جوارى مزينات وفى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال له « إنك لتشتهى الطير فى الجنة فيخر بين يديك مشويا » وقال الإمام أحمد حدثنا على عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن عامر الأحول عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة » ورواه الترمذى وابن ماجه عن بندار عن معاذ بن هشام به وقال الترمذى حسن غريب وزاد : كما اشتهى وقوله تعالى (ولدينا مزيد) كقوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقد تقدم فى صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومى أنها النظر إلى وجه الله الكريم . وقد روى البزار وابن أبى حاتم من حديث شريك القاضى عن عثمان بن عمير أبى اليقظان عن أنس مالك رضى الله عنه فى قوله عز وجل (ولدينا مزيد) قال يظهر لهم الرب عز وجل فى كل جمعة ، وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعى مرفوعا فقال فى مسنده أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثنى موسى بن عبيدة حدثنى أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هذه ؟ » فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبى ﷺ « ياجبريل وما يوم المزيد » قال عليه السلام إن ربك تبارك وتعالى اتخذ فى الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم ولدى مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة . هكذا أورده الامام الشافعى رحمه الله فى كتاب الجمعة من الأم وله طرق عن أنس بن مالك رضى الله عنه وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضى الله عنه بأبسط من هذا وذكر ههنا أثرا مطولا عن أنس بن مالك رضى الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله

ﷺ قال « إن الرجل فى الجنة ليتكىء فى الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه فى خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضىء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول أنا من المزيد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب » وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾

يقول تعالى وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين (من قرن هم أشد منهم بطشا) أى كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال تعالى ههنا (فنقبوا فى البلاد هل من محيص) قال ابن عباس رضى الله عنهما أثروا فيها وقال مجاهد (فنقبوا فى البلاد) ضربوا فى الأرض وقال قتادة فساروا فى البلاد أى ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم بها ويقال لمن طوف فى البلاد نقب فيها ، قال امرؤ القيس

لقد نقبت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقوله تعالى (هل من محيص) أى هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل نفعهم ما جمعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأنتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص . وقوله عز وجل (إن فى ذلك لذكرى) أى لعبرة (لمن كان له قلب) أى لب يعى به . وقال مجاهد : عقل (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه ، وقال مجاهد (أو ألقى السمع) يعنى لا يحدث نفسه فى هذا بقلب ، وقال الضحاك العرب تقول ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب وهكذا قال الثورى وغير واحد وقوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن قادر على أن يحيى الموتى بطريق الأولى والأحرى ، وقال قتادة : قالت اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه (وما مسنا من لغوب) أى من إعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى فى الآية الأخرى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير) وكما قال عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ؟)

وقوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) يعنى المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجرا جميلا (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وكانت الصلاة المفروضة قبل الاسراء ثنتان قبل طلوع الشمس فى وقت الفجر وقبل الغروب فى وقت العصر ، وقيام الليل كان واجبا على النبى ﷺ وعلى أمته حولا ثم نسخ فى حق الأمة وجوبه . ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا عند النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر

فقال « أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ورواه البخارى ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به . وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أى فصل له كقوله (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) (وأدبار السجود) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسبيح بعد الصلاة . ويؤيد هذا ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: جاء فقراء المهاجرين فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « وماذاك ؟ » قالوا يصلون كما نصلى . ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق . ويعتقون ولا نعتق . قال ﷺ « أفلا أعلمكم شيئا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال : فقالوا يارسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال صلى الله عليه وسلم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والقول الثانى أن المراد بقوله تعالى (وأدبار السجود) هما الركعتان بعد المغرب وروى ذلك عن عمر وعلى وابنه الحسن وابن عباس وأبى هريرة وأبى أمامة رضى الله عنهم . وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبى والنخعى والحسن وقتادة وغيرهم قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر وقال عبد الرحمن دبر كل صلاة . ورواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان الثورى به زاد النسائى ومطرف عن أبى إسحاق به وقال ابن أبى حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الهمدانى حدثنا ابن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس « ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم . وركعتين بعد المغرب إدبار السجود » ورواه الترمذى عن هشام الرفاعى عن محمد بن فضيل به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وحديث ابن عباس رضى الله عنهما وأنه بات فى بيت خالته ميمونة رضى الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة . ثابت فى الصحيحين وغيرهما . فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه والله أعلم

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾

يقول تعالى (واستمع) يا محمد (يوم يناد المناد من مكان قريب) قال قتادة: قال كعب الأحبار يأمر الله تعالى ملكا أن ينادى على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعنى النفخة فى الصور التى تأتى بالحق الذى كان أكثرهم فيه يمترون (ذلك يوم الخروج) أى من الأجداث (إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير) أى هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه مصير الخلائق كلهم فيجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر . وقوله تعالى (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) وذلك أن الله عزوجل ينزل مطرا من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها فى قبورها كما ينبت الحب فى الثرى بالماء فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور وقد أودعت الأرواح فى ثقب فى الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض فيقول الله عزوجل: وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى الجسد

الذي كانت تعمره فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعا مبادرين إلى أمر الله عز وجل (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) وقال الله تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « أنا أول من تنشق عنه الأرض » ، وقوله عز وجل (ذلك حشر علينا يسير) أي تلك إعادة سهلة علينا يسيرة لدينا كما قال جل جلاله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال سبحانه وتعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) . وقوله جل وعلا (نحن أعلم بما يقولون) أي نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك كقوله (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) . وقوله تبارك وتعالى (وما أنت عليهم بجبار) أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى وليس ذلك مما كلفت به وقال مجاهد وقتادة والضحاك (وما أنت عليهم بجبار) أي لا تتجبر عليهم والقول الأول أولى ولو أراد ما قالوه لقال ولا تكن جبارا عليهم وإنما قال (وما أنت عليهم بجبار) بمعنى وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ ، قال الفراء: سمعت العرب تقول جبر فلان فلانا على كذا بمعنى أجبره ثم قال عز وجل (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله جل جلاله (فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر) . (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ولهذا قال تعالى ههنا (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم . آخر تفسير سورة ق والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

﴿ تفسير سورة الذاريات وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ * قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

قال شعبة بن الحجاج عن سماك عن خالد بن عرعرة أنه سمع عليا رضي الله عنه وشعبة أيضا عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أنه سمع عليا رضي الله عنه ، وثبت أيضا من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك ، فقام إليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى (والذاريات ذروا) ، قال علي رضي الله عنه : الريح ، قال (فالحاملات وقرا) قال رضي الله عنه : السحاب ، قال (فالجاريات يسرا) قال رضي الله عنه : السفن ، قال (فالمقسمات أمرا) قال رضي الله عنه: الملائكة

وقد روي في ذلك حديث مرفوع فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن هانىء حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذروا فقال رضي الله عنه هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فأخبرني عن المقسمات أمرا قال رضي الله عنه هي الملائكة ولولا أني سمعت

رسول الله ﷺ يقوله ماقلته ، قال فأخبرني عن الجاريات يسرا قال رضي الله عنه هي السفن ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته ثم أمر بضربه فضرب به مائة وجعل في بيت فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه امنع الناس من مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضي الله عنه فحلف بالأيمان المغلظة مايجد في نفسه مما كان يجد شيئا فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتب عمر ما إخاله الاقد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس قال أبو بكر البزار فأبو بكر بن أبي سبرة لين وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث قلت فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضي الله عنه فان قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضي الله عنه وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا والله أعلم . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك ، وقد قيل ان المراد بالذاريات الريح كما تقدم وبالحاملات وقرا السحاب كما تقدم لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت نفسي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا

فأما الجاريات يسرا فالمشهور عن الجمهور كما تقدم أنها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا وقال بعضهم هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها ليكون ذلك ترقيا من الأدنى الى الأعلى الى ما هو أعلى منه فالرياح فوقها السحاب والنجوم فوق ذلك والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك تنزل باوامر الله الشرعية والكونية وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ولهذا قال تعالى (إنما توعدون لصادق) أي لخبر صدق (وإن الدين) وهو الحساب (لواقع) أي لكائن لامحالة :

ثم قال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس رضي الله عنهما ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما مثل تجعد الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق فذلك الحبك قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن من ورائكم الكذاب المضل وإن رأسه من ورائه حبكا حبكا » يعني بالحبك الجعودة . وعن أبي صالح ذات الحبك الشدة وقال خصيف ذات الحبك ذات الصفاقة . وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ذات الحبك حبكت بالنجوم . وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (والسماء ذات الحبك) يعني السماء السابعة وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع والله أعلم . وكل هذه الاقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فانها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الارجاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات . وقوله تعالى (إنكم لفي قول مختلف) أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب لايلتئم ولا يجتمع وقال قتادة إنكم لفي قول مختلف مابين مصدق بالقرآن ومكذب به . (يؤفك عنه من أفك) أي إنما يروج على من هو ضال في نفسه لأنه قول باطل إنما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه بن هو مأفوك ضال غمر لافهم له كما قال تعالى (فإنكم وماتعبدون ما أنتم عليه بفاتنين*إلا من هو صال الجحيم) قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي (يؤفك عنه من أفك) يضل عنه من ضل وقال مجاهد (يؤفك عنه من أفك) يؤفن عنه من أفن ، وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذب به . وقوله تعالى (قتل الخراصون) قال مجاهد الكذابون قال وهي مثل التي في عبس (قتل الإنسان ما أكفره) والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون . وقال علي بن أبي طلحه عن ابن عباس رضي الله عنهما (قتل الخراصون) أي لعن المرتابون . وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبته: هلك المرتابون.

وقال قتادة : الخراصون أهل الغرة والظنون وقوله تبارك وتعالى (الذين هم فى غمرة ساهون) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد فى الكفر والشك غافلون لاهون (يسألون أيان يوم الدين) وإنما يقولون هذا تكذيبا وعنادا وشكا واستبعادا قال الله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون قال مجاهد: كما يفتن الذهب على النار ، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضا وعكرمة وإبراهيم النخعى وزيد بن أسلم وسفيان الثورى يفتنون يحرقون (ذوقوا فتنتكم) قال مجاهد: حريقكم وقال غيره عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا والله أعلم

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المتقين لله عزوجل أنهم يوم معادهم يكونون فى جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال . وقوله تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال ابن جرير أى عاملين بما آتاهم الله من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أى قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين فى الأعمال أيضا ثم روى عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبى عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) قبل الفرائض يعملون ، وهذا الإسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضى الله عنهما

وقد رواه عثمان بن أبى شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبى عمر البزار عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره ، والذى فسر به ابن جرير فيه نظر لأن قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله فى جنات وعيون فالمتقون فى حال كونهم فى الجنان والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أى من النعيم والسرور والغبطة ، وقوله عزوجل (إنهم كانوا قبل ذلك) أى فى الدار الدنيا (محسنين) كقوله جل جلاله (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) ثم إنه تعالى بين إحسانهم فى العمل فقال جل وعلا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اختلف المفسرون فى ذلك على قولين أحدهما أن ما نافية تقديره كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه قال ابن عباس رضى الله عنهما لم تكن تمضى عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا ؛ وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله قل ليلة تأتى عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل إما من أولها ومن أوسطها وقال مجاهد قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وكذا قال قتادة وقال أنس بن مالك رضى الله عنه وأبو العالية كانوا يصلون بين المغرب والعشاء . وقال أبو جعفر الباقر كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة ، والقول الثانى ان ما مصدرية تقديره كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم ، واختاره ابن جرير ، وقال الحسن البصرى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر ، وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كانوا لا ينامون إلا قليلا ثم يقول لست من أهل هذه الآية . وقال الحسن البصرى كان الأحنف ابن قيس يقول عرضت عملى على عمل أهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا إذا قوم لا نبلغ أعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وعرضت عملى على عمل أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

قال رجل من بنى تميم لأبى : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبى رضى الله عنه طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى يحيى بن عبدالله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه لمن هى يا رسول الله ؟ قال ﷺ « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائما والناس نيام » وقال معمر فى قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كان الزهرى والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضى الله عنهما وإبراهيم النخعى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون) وهذا القول فيه بعد وتعسف

وقوله عزوجل (وبالأسحارهم يستغفرون) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار كما قال تبارك وتعالى (والمستغفرين بالأسحار) فان كان الاستغفار فى صلاة فهو أحسن . وقد ثبت فى الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر » وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى اخبارا عن يعقوب أنه قال لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) قالوا أخرهم إلى وقت السحر وقوله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال (وفى أموالهم حق) أى جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذى يبتدئ بالسؤال وله حق كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبى يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن على رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث سفيان الثورى به . ثم أسنده من وجه آخر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم يعنى لا سهم له فى بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هو المحارف الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذى لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضى الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وسعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعى ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما وعطاء بن أبى رباح : المحروم المحارف وقال قتادة والزهرى المحروم الذى لا يسأل الناس شيئاً . قال الزهرى وقد قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » وهذا الحديث قد أسنده الشيخان فى صحيحيهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذى يجئ وقد قسم المغنم فيرضخ له . وقال محمد بن إسحق حدثنى بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضى الله عنه كتف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم ، وقال الشعبى أعيانى أن أعلم ما المحروم ، واختار ابن جرير أن المحروم الذى لا مال له بأى سبب كان وقد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها . وقال الثورى عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد

رضى الله عنه قال إن رسـول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هـذه الآية (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضى أن هذه مدنية وليس كذلك بل هى مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل (وفى الأرض آيات للموقنين) أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليـه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليـه فيه ولهـذا قال عز وجل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفـكر فى خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة . ثم قال تعـالى (وفى السماء رزقـكم) يعنى المطر (وما توعدون) يعنى الجنة قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثورى قرأ واصل الأحدب هـذه الآية (وفى السماء رزقـكم وما توعدون) فقال ألا أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ فدخل خربة فمـكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما أن كان فى اليوم الثالث إذا هو بدوخولة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت . وقوله تعالى (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنـكم تنطقون) يقسم تعالى بنفسه الـكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا فى نطقـكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضى الله عنه إذا حدث بالشىء يقول لصاحبه إن هذا لحق كما أنك ههنا قال مسدد عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن البصرى قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

هذه القصة قد تقدمت فى سورة هود والحجر أيضا فقوله (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المـكرمين) أى الذين أرصد لهم الـكرامة ، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل . وقوله تعالى (قالوا سلاما قال سـلام) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها) فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعـالى (قوم منكرون) وذلك أن الملائـكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهـذا قال (قوم منكرون) . وقوله عز وجل (فراغ إلى أهله) أى انسل خفية فى سرعة (فجاء بعجل سمين) أى من خيار ماله ، وفى الآية الأخرى (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى على الرضف (فقربه إليهم) أى أدناه منهم (قال ألا تأكلون ؟) تلطف فى العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أو لا فقال نأتيـكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سـامعه بصيغة الجزم بل قال (ألا تأكلون ؟) على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل . وقوله تعالى (فأوجس منهم خيفة) هذا محال على ما تقدم فى القصة فى السورة الأخرى وهى قوله

تعالى (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت) أي استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ؟ إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا (وبشروه بغلام عليم) فالبشارة له هي بشارة لها . لأن الولد منهما فكل منهما بشر به . وقوله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة) أي في صرخة عظيمة ورنة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي وهي قولها (يا ويلتا) (فصكت وجهها) أي ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما لطمت أي تعجبا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب (وقالت عجوز عقيم) أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحبل ؟ (قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) أي عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

قال الله تعالى مخبرا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود وقال ههنا (قال فما خطبكم أيها المرسلون ؟) أي ما شأنكم وفيم جئتم (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة) أي معلمة (عند ربك للمسرفين) أي مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال في سورة العنكبوت (قال إن فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) وقال تعالى ههنا (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال ، وقوله تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ، ففي ذلك عبرة للمؤمنين (الذين يخافون العذاب الأليم)

﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ * وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ * وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

يقول تعالى (وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) أي بدليل باهر وحجة قاطعة (فتولى بركنه) أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكبارا وعنادا . وقال مجاهد تعزز بأصحابه ، وقال قتادة غلب

عدو الله على قومه ، وقال ابن زيد (فتولى بركنه) أى بجموعه التى معه ثم قرأ (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) والمعنى الأول قوى كقوله تعالى (ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله) أى معرض عن الحق مستكبر (وقال ساحر أو مجنون) أى لا يخلو أمرك فيما جئتنى به من أن تكون ساحرا أو مجنونا قال الله تعالى (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) أى ألقيناهم (فى اليم) وهو البحر (وهو مليم) أى وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند

ثم قال عز وجل (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى المفسدة التى لا تنتج شيئا . قاله الضحاك وقتادة وغيرهما ولهذا قال تعالى (ما تذر من شىء أتت عليه) أى مما تفسده الريح (إلا جعلته كالرميم) أى كالشىء الهالك البالى وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى عبد الله بن وهب حدثنى عبد الله يعنى ابن عياش القتبانى حدثنى عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة من الثانية - يعنى من الأرض الثانية - ، فلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا قال أى رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهى التى قال الله عز وجل فى كتابه (ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) » هذا الحديث رفعه منكر والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم قال سعيد بن المسيب وغيره فى قوله تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) قالوا هى الجنوب . وقد ثبت فى الصحيح من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور »

(وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) قال ابن جرير يعنى إلى وقت فناء آجالكم . والظاهر أن هذه كقوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) وهكذا قال ههنا (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار (فما استطاعوا من قيام) أى من هرب ولا نهوض (وما كانوا منتصرين) أى لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه ، وقوله عز وجل (وقوم نوح من قبل) أى من وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء (إنهم كانوا قوما فاسقين) وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة فى أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوى والسفلى (والسماء بنيناها) أى جعلناها سقفا محفوظا رفيعا (بأيد) أى بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير واحد (وإنا لموسعون) أى قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هى (والأرض فرشناها) أى جعلناها فراشا للمخلوقات (فنعم الماهدون) أى وجعلناها مهدا لأهلها (ومن كل شىء خلقنا زوجين) أى جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى (لعلكم تذكرون) أى لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له (ففروا إلى الله) أى الجأوا إليه واعتمدوا فى أموركم عليه (إنى لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أى لا تشركوا به شيئا (إنى لكم منه نذير مبين)

﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ *

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ * وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله عز وجل (أتواصوا به ؟) أى أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة ؟ (بل هم قوم طاغون) أى لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال الله تعالى (فتول عنهم) أى فأعرض عنهم يا محمد (فما أنت بملوم) يعنى فما نلومك على ذلك (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة؛ ثم قال جل جلاله (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أى إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتى لا لاحتياجى إليهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إلا ليعبدون) أى إلا ليقروا بعبادتى طوعا أو كرها . وهذا اختيار ابن جرير . وقال ابن جريج إلا ليعرفون ؛ وقال الربيع بن أنس (إلا ليعبدون) أى إلا للعبادة وقال السدى من العبادة ما ينفع ومنها مالا ينفع (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك . وقال الضحاك : المراد بذلك المؤمنون . وقوله تعالى (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا حدثنا إسرائيل عن أبى إسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أقرأنى رسول الله ﷺ (إنى أنا الرزاق ذو القوة المتين) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث إسرائيل وقال الترمذى حسن صحيح ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء . ومن عصاه عذبه أشد العذاب . وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه فى جميع أحوالهم . فهو خالقهم ورازقهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عمران — يعنى ابن زائدة بن نشيط عن أبيه عن أبى خالد — هو الوالبى — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ — يعنى قال الله تعالى — « يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذى حسن غريب ، وقد روى الإمام أحمد عن وكيع وأبى معاوية عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل سمعت حبة وسواء ابنى خالد يقولان : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملا أو يبنى بناء ، وقال أبو معاوية يصلح شيئا فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال « لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رءوسكما فان الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه » . وقد ورد فى بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب . وتكفلت برزقك فلا تتعب . فاطلبنى تجدنى فان وجدتنى وجدت كل شىء وإن فتك فاتك كل شىء وأنا أحب إليك من كل شىء . وقوله تعالى (فان للذين ظلموا ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) أى فلا يستعجلون ذلك فانه واقع لا محالة (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة آخر تفسير الذاريات ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الطور وهى مكية ﴾

قال مالك عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه أخرجاه من طريق مالك وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة قالت شكوت إلى رسول الله ﷺ أنى أشتكى فقال « طوفى من وراء الناس وأنت راكبة » فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم

يصلى إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه وأنه لا دافع له عنهم ، فالطور هو الجبل الذى يكون فيها أشجار مثل الذى كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى ، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طورا إنما يقال له جبل (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التى تقرأ على الناس جهارا ولهذا قال (فى رق منشور * والبيت المعمور) ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال فى حديث الاسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة « ثم رفع بى إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم » يعنى يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم ، كذلك ذلك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور لأنه بانى الكعبة الأرضية والجزاء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفى كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذى فى السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا روح بن جناح عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « فى السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة ، وفى السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا ويولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة » هذا حديث غريب جدا تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشى الأموى مولاهم أبو سعيد الدمشقى وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجانى والعقيلى والحاكم أبو عبدالله النيسابورى وغيرهم قال الحاكم لا أصل له من حديث أبى هريرة ولا سعيد ولا الزهرى وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قال لعلى ما البيت المعمور ؟ قال بيت فى السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا ، وكذا رواه شعبة وسفيان الثورى عن سماك ، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك ثم رواه ابن جرير عن أبى كريب عن طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن على بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا عن البيت المعمور قال مسجد فى السماء يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا . ورواه من حديث أبى الطفيل عن على بمثله . وقال العوفى عن ابن عباس هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه . وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدى : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه « هل تدرون ما البيت المعمور ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فانه مسجد فى السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم » وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال

لهم الجن من قبيلة إبليس فالله أعلم . وقوله تعالى (والسقف المرفوع) قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة عن علي (والسقف المرفوع) يعني السماء قال سفيان ثم تلا (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد واختاره ابن جرير ، وقال الربيع ابن أنس هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور . وقوله تعالى (والبحر المسجور) قال الربيع بن أنس هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها ، وقال الجمهور: هو هذا البحر ، واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم المراد أنه يوقد يوم القيامة نارا كقوله (وإذا البحار سجرت) أي أضرمت فتصير نارا تتأجج محيطة بأهل الموقف . ورواه سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب . وروى عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهم . وقال العلاء بن بدر إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة . كذا رواه عنه ابن أبي حاتم . وعن سعيد بن جبير (والبحر المسجور) يعني المرسل . وقال قتادة المسجور المملوء واختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقدا اليوم فهو مملوء . وقيل المراد به الفارغ

قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (والبحر المسجور) قال الفارغ . خرجت أمة تستسقي فرجعت فقالت إن الحوض مسجور يعني فارغا . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء . وقيل المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها . قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه يقول السدي وغيره وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده فإنه قال حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال « ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل »

وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلي حدثنا الحسن بن سفيان عن إسحاق بن راهويه عن يزيد وهو ابن هارون عن العوام ابن حوشب حدثني شيخ مرابط قال خرجت ليلة لحرسي لم يخرج أحد من الحرس غيري فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إلى أن البحر يشرف يحاذي رءوس الجبال فعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال « ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل » فيه رجل مبهم لم يسم

وقوله تعالى (إن عذاب ربك لواقع) هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى (ماله من دافع) أي ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك . قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي قال خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ (والطور — حتى بلغ — إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع) قال قسم ورب الكعبة حق ، فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث مليا ثم رجع إلى منزله فمكث شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه وقال الامام أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا محمد بن صالح حدثنا هشام بن حسان عن الحسن أن عمر قرأ (إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع) فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوما . وقوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكا . وعن ابن عباس هو تشققها . وقال مجاهد : تدور دورا . وقال الضحاك : استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض . وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة . قال وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى فقال :

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل

(وتسير الجبال سيرا) أي تذهب فتصير هباء منبثا وتنسف نسفا (فويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم (الذين هم في خوض يلعبون) أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم

هزوا ولعبا (يوم يدعون) أي يدفعون ويساقون (إلى نار جهنم دعا) وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري يدفعون فيها دفعا (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريعا وتوبيخا (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها) أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته (فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها (إنما تجزون ما كنتم تعملون) أي ولا يظلم الله أحدا بل يجازي كلا بعمله

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال (إن المتقين في جنات ونعيم) وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال (فاكهين بما آتاهم ربهم) أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) أي وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) كقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) أي هذا بذاك تفضلا منه وإحسانا وقوله تعالى (متكئين على سرر مصفوفة) قال الثوري عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر في الحجال ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول إن رسول الله ﷺ قال « إن الرجل ليتكيء المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه » وحدثنا أبي أخبرنا هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال بلغنا أن الرجل ليتكيء في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم فاذا حانت منه نظرة فاذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك فيقلن قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيبا ، ومعنى (مصفوفة) أي وجوه بعضهم إلى بعض كقوله (على سرر متقابلين) (وزوجناهم بحور عين) أي وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسانا من الحور العين ، وقال مجاهد (وزوجناهم) أنكحناهم بحور عين وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك ولهذا قال (ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به ، وكذا رواه ابن جرير من حديث

شعبة عن عمرو بن مرة به ، ورواه البزار عن سهل بن بحر عن الحسن بن حماد الوراق عن قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس مرفوعا فذكره ثم قال وقد رواه الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس موقوفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي أخبرني محمد بن سعيد أخبرني شيبان أخبرني ليث عن حبيب ابن أبي ثابت الأسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) قال هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان فان كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئا . وقال الحافظ الطبراني حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان حدثنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبي ﷺ قال « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك فيقول يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به وقرأ ابن عباس (والذين آمنو واتبعتهم ذريتهم بإيمان) الآية .

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة وأولادهم الصغار تلحق بهم وهذا راجع إلى التفسير الأول فان ذلك مفسر أصرح من هذا ، وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد ، وهو اختيار ابن جرير وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي قال سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « هما في النار » فلما رأى الكراهة في وجهها قال « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت يارسول الله فولدي منك قال « في الجنة » قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) الآية ، هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك » إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . وقوله تعالى (كل امرىء بما كسب رهين) لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد فقال تعالى (كل امرىء بما كسب رهين) أي مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا كما قال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين) وقوله (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أي وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى . وقوله (يتنازعون فيها كأسا) أي يتعاطون فيها كأسا أي من الخمر قاله الضحاك (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغ أي هذيان ولا إثم أي فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا ، قال ابن عباس : اللغو الباطل والتأثيم الكذب وقال مجاهد لا يستبون ولا يؤثمون وقال قتادة كان ذلك في الدنيا مع الشيطان فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها كما تقدم فنفى عنها صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذيانا وفحشا وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال (بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ولا ينزفون) وقال (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) وقال ههنا (يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم) وقوله تعالى (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم كما قال تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين) . وقوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض

يتساءلون) أى أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم فى الدنيا وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) أى كنا فى الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) أى فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف (إنا كنا من قبل ندعوه) أى نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا (إنه هو البر الرحيم) .

وقد ورد فى هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده فقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الاخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذى سرير هذا فيتحدثان فيتكيء هذا ويتكيء هذا فيتحدثان بما كان فى الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان تدرى أى يوم غفر الله لنا ؟ يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا » ثم قال البزار لا نعرفه يرى إلا بهذا الإسناد قلت وسعيد بن دينار الدمشقى قال أبو حاتم هو مجهول وشيخه الربيع ابن صبيح وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة فى نفسه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو ابن عبد الله الأودى حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) فقالت اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم . قيل للأعمش فى الصلاة ؟ قال نعم .

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) أى لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش والكاهن الذى يأتيه الرئى من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء (ولا مجنون) وهو الذى يتخبطه الشيطان من المس . ثم قال تعالى منكرا عليهم فى قولهم فى الرسول صلى الله عليه وسلم (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ؟) أى قوارع الدهر ، والمنون الموت ، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه قال الله تعالى (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أى انتظروا فانى منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة فى الدنيا والآخرة . قال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما إن قريشا لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبى ﷺ قال قائل منهم احتبسوه فى وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ؟) . ثم قال تعالى (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) أى عقولهم تأمرهم بهذا الذى يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التى يعلمون فى أنفسهم أنها كذب وزور (أم هم قوم طاغون) أى ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون فهذا هو الذى يحملهم على ما قالوه فيك . وقوله تعالى (أم يقولون تقوله ؟) أى اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن قال الله تعالى (بل لا يؤمنون) أى كفرهم هو الذى يحملهم على هذه المقالة (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) أى إن كانوا صادقين فى قولهم تقوله وافتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

هذا المقام فى إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى (أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون؟) أى أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ، أى لاهذا ولا هذا بل الله هو الذى خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان قال حدثنى عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن رحمة ربك ؟ أم هم المصيطرون؟) كاد قلبى أن يطير، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طرق عن الزهرى به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبى ﷺ بعد وقعة بدر فى فداء الأسارى وكان إذ ذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ماحمله على على الدخول فى الإسلام بعد ذلك . ثم قال تعالى (أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون) أى أهم خلقوا السموات والأرض ؟ وهذا إنكار عليهم فى شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم إيقانهم هو الذى يحملهم على ذلك (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ؟) أى أهم يتصرفون فى الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن أم هم المصيطرون ،) أى المحاسبون للخلائق ، ليس الأمر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد . وقوله تعالى (أم لهم سلم يستمعون فيه) أى مرقاة إلى الملأ الأعلى (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى فليأت الذى يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال أى وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل ثم قال منكرا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات وجعلهم الملائكة إناثا واختيارهم لأنفسهم الذكور على الاناث بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال (أم له البنات ولكم البنون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد (أم تسألهم أجرا ،) أى أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله ، أى لست تسألهم على ذلك شيئا (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى ليس الأمر كذلك فانه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله (أم يريدون كيدا. فالذين كفروا هم المكيدون) يقول تعالى أم يريد هؤلاء بقولهم هذا فى الرسول وفى الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون (أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون) وهذا انكار شديد على المشركين فى عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله ، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال (سبحان الله عما يشركون).

﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا) أى عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما أيقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم أى متراكم وهذا كقوله تعالى (ولوفتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) . وقال الله تعالى (فذرهم) أى دعهم يا محمد (حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وذلك يوم القيامة (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئا) أى لاينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذى استعملوه فى الدنيا لا يجزى عنهم يوم القيامة شيئا (ولا هم ينصرون) . ثم قال تعالى (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) أى قبل ذلك فى الدار الدنيا كقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) ولهذا قال تعالى (ولكن أكثرهم لايعلمون) أى نعذبهم فى الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون مايراد بهم بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوإ ما كانوا عليه كما جاء فى بعض الأحاديث « إن المنافق إذا مرض وعوفى مثله فى ذلك كمثل البعير لايدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه » وفى الأثر الالهى : كم أعصيك ولاتعاقبنى ؟ قال الله تعالى ياعبدى كم أعافيك وأنت لاتدرى ؟ . وقوله تعالى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) أى اصبر على أذاهم ولاتبالهم فإنك بمرأى مناوتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس . وقوله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال الضحاك أى إلى الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك

وقد روى مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وروى مسلم فى صحيحه عن عمر أنه كان يقول هذا فى ابتداء الصلاة ، ورواه أحمد وأهل السنن عن أبى سعيد وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك . وقال أبو الجوزاء (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى من نومك من فراشك ، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى حدثنى عمير بن هانئ حدثنى جنادة بن أبى أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفرلى — أو قال ثم دعا — استجيب له فان عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته » وأخرجه البخارى فى صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال من كل مجلس ، وقال الثورى عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقى حدثنا محمد بن شعيب أخبرنى طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبى رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيرا وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له ، وقد قال عبد الرزاق فى جامعه أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن أبى عثمان الفقير أن جبريل علم النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . قال معمر وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوى بعضها بعضا بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك إلا غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك » رواه الترمذى وهذا لفظه والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جريج ، وقال الترمذى حسن صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال إسناده على شرط مسلم إلا أن البخارى علله قلت علله الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطنى وغيرهم ، ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج على أن أباداود قد رواه فى سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ورواه أبو داود واللفظ له والنسائى والحاكم فى المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن

هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة الأسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل يارسول الله إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال « كفارة لما يكون في المجلس » وقد روى مرسلا عن أبي العالية فالله أعلم . وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وروى مرسلا أيضا فالله أعلم ، وكذا رواه أبوداود عن عبد الله بن عمرو أنه قال « كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك » وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه أبوبكر الاسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ وقد أفردت لذلك جزءا على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعلله وما يتعلق بها ولله الحمد والمنة . وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) . وقوله تعالى (وإدبار النجوم) قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيبوبة . وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعا « لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل » يعني ركعتي الفجر رواه أبوداود ، ومن هذا الحديث حكي عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبهما وهو ضعيف لحديث « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال هل علي غيرها قال « لا إلا أن تطوع » . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر وفي لفظ لمسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » . آخر تفسير سورة الطور ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة النجم وهي مكية ﴾

قال البخاري حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد — يعني الزبيدي — حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف ، وقد رواه البخاري أيضا في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي إسحاق به ، وقوله في الممتنع إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق ، رواه ابن أبي حاتم . واختلف المفسرون في معنى قوله (والنجم إذا هوى) فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر وكذا روى عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير ، وزعم السدي أنها الزهرة وقال الضحاك (والنجم إذا هوى) إذا رمي به الشياطين وهذا القول له اتجاه . وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى (والنجم إذا هوى) يعني القرآن إذا نزل ، وهذه الآية كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين) وقوله تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى) هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره ، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود . وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه ؛ بل هو صلاة الله وسلامه

عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى (وما ينطق عن الهوى) أى ما يقول قولا عن هوى وغرض (إن هو إلا وحى يوحى) أى إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبى أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين ــ أو مثل أحد الحيين ــ ربيعة ومضر » فقال رجل يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر قال « إنما أقول ما أقول » . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الأخنس أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتنى قريش فقالوا إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا الحق » ورواه أبو داود عن مسدد وأبى بكر بن أبى شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد ابن منصور حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذى لا شك فيه » ثم قال لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد بن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أقول إلا حقا » قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا يارسول الله ؟ قال « إنى لا أقول إلا حقا »

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذى جاء به إلى الناس (شديد القوى) وهو جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين) وقال ههنا (ذو مرة) أى ذو قوة قاله مجاهد والحسن وابن زيد . وقال ابن عباس : ذو منظر حسن وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن . ولا منافاة بين القولين فإنه عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة . وقد ورد فى الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » وقوله تعالى (فاستوى) يعنى جبريل عليه السلام . قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس (وهو بالأفق الأعلى) يعنى جبريل استوى فى الأفق الأعلى . قاله عكرمة وغير واحد . قال عكرمة : والأفق الأعلى الذى يأتى منه الصبح وقال مجاهد هو مطلع الشمس وقال قتادة هو الذى يأتى منه النهار وكذا قال ابن زيد وغيرهم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مصرف بن عمرو اليامى أبو القاسم حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف حدثنى أبى عن الوليد هو ابن قيس عن إسحق بن أبى الكهتلة أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين أما واحدة فإنه سأله أن يراه فى صورته فسد الأفق . وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله (وهو بالأفق الأعلى) وقد قال ابن جرير ههنا قولا لم أره لغيره ولا حكاه هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أى هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى أى استويا جميعا بالأفق الأعلى وذلك ليلة الاسراء كذا قال ولم يوافقه أحد على ذلك . ثم شرع يوجه ما قاله من حيث

العربية فقال وهو كقوله (أئذا كنا ترابا وآباؤنا) فعطف بالآباء على المكنى فى كنامن غير إظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو ، قال وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده :

ألم تر أن النبع يصلب عوده * ولا يستوى والخروع المتقصف

وهذا الذى قاله من جهة العربية متجه ولكن لا يساعده المعنى على ذلك فان هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعنى ليلة الاسراء وكانت هذه الرؤية الأولى فى أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ ثم فتر الوحى فترة ذهب النبى صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليتردى من رؤوس الجبال فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح فى صورته التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق فاقترب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذى جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذى بعثه إليه . فأما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حيث قال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفى فقمت إلى شجرة فيها كوكرى الطير فقعد فى أحدها وقعدت فى الآخر . فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفى ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاطىء فعرفت فضل علمه بالله على . وفتح لى باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت . وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى » ثم قال البزار لا يرويه إلا الحارث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة ﴿ قلت ﴾ الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الايادى أخرج له مسلم فى صحيحه إلا ان ابن معين ضعفه وقال ليس هو بشىء وقال الإمام أحمد مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم الرازى يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد فهذا الحديث من غرائب رواياته فان فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا ولعله منام والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله أنه قال رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم . انفرد به أحمد وقال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : سأل النبى ﷺ جبريل أن يراه فى صورته فقال ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم صعق فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقه . تفرد به أحمد وقد رواه ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبى لهب من طريق محمد بن إسحق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الأسود قال كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما فقال ابنه عتبة والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه فى ربه سبحانه وتعالى فانطلق حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالذى دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال يابنى ما قلت له ؟ فذكر له ما قاله فقال فما قال لك قال : قال « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » قال يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه فسرنا حتى نزلنا ابراه وهى فى سدة ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب يا معشر العرب : ما أنزلكم هذه البلاد فأنها يسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سنى وحقى وإن هذا الرجل قد دعا على ابنى دعوة والله ما آمنها عليه فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابنى عليها ثم افرشوا حولها ، ففعلنا فجاء الأسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد

تقبض فوثب وثبة فاذا هو فوق التاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة فمسخ رأسه ، فقال أبو لهب : قد عرفت أنه لا يتفلت عن دعوة محمد وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أى فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أى بقدرهما إذا مدا قاله مجاهد وقتادة ، وقد قيل إن المراد بذلك بعدما بين وتر القوس إلى كبدها . وقوله تعالى (أو أدنى) قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل فى اللغة لاثبات المخبر عنه ونفى مازاد عليه كقوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) أى ماهى بألين من الحجارة بل هى مثلها أو تزيد عليها فى الشدة والقسوة وكذا قوله (يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) أى ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها فهذا تحقيق للمخبر به لاشك ولا تردد فان هذا ممتنع ههنا وهكذا هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) وهذا الذى قلناه من أن هذا المقترب الدانى الذى صار بينه وبين محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إنما هو جبريل عليه السلام هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبى ذر وأبى هريرة كما سنورد أحاديثهم قريبا إن شاء الله تعالى . وروى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحدها وجاء فى حديث شريك بن أبى نمر عن أنس فى حديث الإسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ولهذا قد تكلم كثير من الناس فى متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فان صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى لا أنها تفسير لهذه الآية فان هذه كانت ورسول الله ﷺ فى الأرض لا ليلة الاسراء ولهذا قال بعده (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) فهذه هى ليلة الاسراء والأولى كانت فى الأرض

وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيبانى حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود فى هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جبريل له ستمائة جناح »

وقال ابن وهب حدثنا ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان أول شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى منامه جبريل بأجياد ثم إنه خرج ليقضى حاجته فصرخ به جبريل يامحمد يامحمد فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا فلم يرأحدا ثلاثا ثم رفع بصره فاذا هو ثانى إحدى رجليه مع الأخرى على أفق السماء فقال يامحمد جبريل جبريل يسكنه فهرب النبى صلى الله عليه وسلم حتى دخل فى الناس فنظر فلم ير شيئا ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل فى الناس فلم ير شيئا ثم خرج فنظر فرآه فذلك قول الله عز وجل (والنجم إذا هوى - إلى قوله - ثم دنا فتدلى) يعنى جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام (فكان قاب قوسين أو أدنى) ويقولون : القاب نصف اصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن وهب به وفى حديث الزهرى عن أبى سلمة عن جابر شاهد لهذا . وروى البخارى عن طلق بن غنام عن زائدة عن الشيبانى قال سألت زرا عن قوله (فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال حدثنا عبد الله أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح . وقال ابن جرير حدثنى ابن بزيع البغدادى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله (ما كذب الفؤاد مارأى) قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ، فعلى ماذكرناه يكون قوله (فأوحى إلى عبده ما أحى) معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى ، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ماأوحى بواسطة جبريل ؟ وكلا المعنيين صحيح . وقد ذكر عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ماأوحى) قال أوحى الله إليه (ألم يجدك يتيما - ورفعنا لك ذكرك) وقال غيره أوحى الله إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك . وقوله تعالى (ما كذب الفؤاد مارأى * أفتمارونه على ما يرى) قال مسلم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن زياد بن حصين عن أبى العالية عن ابن عباس (ما كذب الفؤاد ما رأى) (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رآه بفؤاده مرتين وكذا رواه سماك

عن عكرمة عن ابن عباس مثله وكذا قال أبو صالح والسدى وغيرهما إنه رآه بفؤاده مرتين وقد خالفه ابن مسعود وغيره وفى رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهى محمولة على المقيدة بالفؤاد ، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فانه لايصح فى ذلك شىء عن الصحابة رضى الله عنهم ، وقول البغوى فى تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم .

وقال الترمذى حدثنا محمد بن عمرو بن النهال بن صفوان حدثنا يحيى بن كثير العنبرى عن سلمة بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين ، ثم قال حسن غريب وقال أيضا حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شىء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس إنا بنو هاشم فقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشىء قف له شعرى فقلت رويدا ثم قرأت (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقالت أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمدا رأى ربه أو كتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخمس التى قال الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل ؟ لم يره فى صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة فى أجياد وله ستمائة جناح قدسد الأفق . وقال النسائى حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال « نورانى أراه » وفى رواية « رأيت نورا » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : قالوا يارسول الله رأيت ربك ، قال « رأيته بفؤادى مرتين » ثم قرأ (ما كذب الفؤاد مارأى) ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال قلنا يارسول الله هل رأيت ربك ، قال « لم أره بعينى ورأيته بفؤادى مرتين » ثم تلا (ثم دنا فتدلى)

ثم قال ابن أبى حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى أخبرنى عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله (ما كذب الفؤاد مارأى) فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه ، قلت نعم قال قد رآه ، ثم قد رآه قال فسألت عنه الحسن فقال قد رأى جلاله وعظمته ورداءه . وحدثنا أبى حدثنا محمد بن مجاهد حدثنا أبو عامر العقدى أخبرنا أبو خلدة عن أبى العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ، قال « رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غيره » وذلك غريب جدا ، فأما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ربى عز وجل » فانه حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتانى ربى الليلة فى أحسن صورة - أحسبه يعنى فى النوم - فقال يامحمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى قال قلت لا ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى - أو قال نحرى - فعلمت مافى السموات ومافى الأرض ثم قال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ، قال قلت نعم يختصمون فى الكفارات والدرجات قال وما الكفارات ، قال قلت المكث فى المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء فى المكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال قل يا محمد إذا صليت اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضنى إليك غير مفتون ، قال والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام . والصلاة بالليل والناس نيام » وقد تقدم فى آخر سورة ص عن معاذ نحوه . وقد رواه ابن جرير من

وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثني أحمد بن عيسى التيمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زربي عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت لا يا رب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والأرض فقلت يا رب في الدرجات والكفارات ، ونقل الأقدام إلى الجمعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فقلت يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وفعلت وفعلت فقال ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك ؟ ألم أفعل بك ألم أفعل بك ؟ قال فأفضى إلى بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها قال فذاك قوله في كتابه (ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى) فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي » إسناده ضعيف . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلى فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال سيرسل الله عليه كلبا من كلابه قال هبار فكنت معهم فنزلنا بأرض كثيرة الأسد قال فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يشم رءوس القوم واحدا واحدا حتى تخطى إلى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم . وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل بالسراة وأنه خاف ليلتئذ وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الأسد فجعل يزأر ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه لعنه الله . وقوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى) هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء . وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن إعادته ههنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بهذه الآية وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في هذه الآية (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت » وهذا إسناد جيد قوي . وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق : يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم . إسناده حسن أيضا . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ « رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح » سألت عاصما عن الأجنحة فأبى أن يخبرني قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب وهذا أيضا إسناد جيد وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين حدثني عاصم بن بهدلة حدثني شقيق ابن سلمة قال سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل عليه السلام في خضر معلق به الدر » إسناده جيد أيضا . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن إسماعيل حدثنا عامر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) الآية ومن أخبرك أن محمدا قد كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال « إنما ذاك

جبريل» لم يره في صورته التي خلق عليها الامرتين رآه منهبطا من السماء إلى الأرض ساداعظم خلقه مابين السماء والأرض أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به

﴿ رواية أبي ذر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا هام حدثنا قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته قال وما كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه عزوجل فقال إني قد سألته فقال «قد رأيته نورا أنى أراه» هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال «نور أنى أراه» . وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته فقال عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر قد سألته فقال « رأيت نورا » وقد حكى الخلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال ما زلت منكرا له وما أدري ما وجهه .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عون الواسطي اخبرنا هشيم عن منصور عن الحكم عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه ، وحاول ابن خزيمه أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذر واما ابن الجوزي فتأوله على أن أبا ذر لعله سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء فاجابه بما أجابه به ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات وهذا ضعيف جدا فان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية ومن قال إنه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد فانه هو المخطيء والله أعلم وقال النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبي ذر قال : رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن علي بن مسهر عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى جبريل عليه السلام

وقال مجاهد في قوله (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم . وقوله تعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قد تقدم في أحاديث الاسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب وغشيها ألوان ما أدري ماهي ؟ وقال الإمام أحمد حدثنا مالك بن مغول حدثنا الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود قال لما اسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعه إليها ينتهي مايعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا : أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات . انفرد به مسلم وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة فقيل له إن هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (إذ يغشى السدر ما يغشى) قال كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا فرآها محمد ﷺ ورأى ربه بقلبه ، وقال ابن زيد قيل يا رسول الله أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة ؟ قال « رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عزوجل » وقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ذهب يمينا ولا شمالا (وما طغى) ما جاوز ما أمر به ، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فانه ما فعل الا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطى ، وما أحسن ما قال الناظم :

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) كقوله (لنريه من آياتنا) أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين

الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس ؛ وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن الوليد بن قيس عن إسحق بن أبي الكهتلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود أنه قال إن محمداً لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الأفق ، وأما الأخرى فإنه صعد معه حين صعد به ، وقوله (وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) فلما أخبر جبريل ربه عز وجل عاد في صورته وسجد فقوله (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال خلق جبريل عليه السلام هكذا رواه الإمام أحمد وهو غريب

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ * أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ * فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾

يقول تعالى مقرعا المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام (أفرأيتم اللات ؟) وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرءوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه وقال البخاري حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم حدثنا أبو الأشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (اللات والعزى) قال كان اللات رجلا يلت السويق سويق الحاج ، قال ابن جرير وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية ، كما قال النسائي أخبرنا أحمد بن بكار حدثنا عبد الحميد بن محمد قالا حدثنا مخلد حدثنا يونس عن أبيه حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي بئس ما قلت قلت هجرا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال « قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانفث عن شمالك ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد » وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة ، وروى البخاري عن عائشة نحوه وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها . قال ابن إسحق في السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة

وحجاب وتهدى لهـا كما يهدى للـكعبة وتطوف بهـا كطوافها بها وتنحر عندهـا وهى تعرف فضل الـكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليـه السلام مسجده فـكانت لقريش ولبنى كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم قلت بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يا عزى كفرانك لا سبحانك * إنى رأيت الله قد أهـانك

وقال النسائى أخبرنا على بن المنذر أخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن أبى الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بهـا العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذى كان عليها ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فقال « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع خالد فلمـا أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا فى الحيل وهم يقولون: ياعزى، ياعزى فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسـول الله ﷺ فأخبره فقال « تلك العزى » قال ابن إسحق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنى معتب ﴿ قلت ﴾ وقد بعث إليها رسـول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماهـا وجعلا مكانها مسجدا بالطائف قال ابن إسحق وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهـل يثرب على سـاحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسـول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال على بن أبى طالب قال وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة ﴿ قلت ﴾ وكان يقال لها الـكعبة اليمانية وللكعبة التى بمـكة الـكعبة الشامية فبعث إليه رسـول الله ﷺ جرير بن عبـد الله البجلى فهدمه قال وكانت فلس لطى ومن يليها بجبل طى بين سلمى وأجا ، قال ابن هشام فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه على بن أبى طالب فهدمه واصطفى منه سيفين الرسوب والمخذم فنفله إياهما رسول الله ﷺ فهما سيفا على قال ابن إسحق وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له ريام وذكر أنه كان به كلب أسود وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهـدما البيت قال ابن إسحق وكانت رضاء بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الإسلام

ولقد شددت على رضاء شـدة * فتركتها قفرا بقاع أسحما

قال ابن هشام إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا * مائة حدتها بعدها مائتان لى

وعمرت من عدد الشهور سنينا * هـل ما بقى إلا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحـدونا

قال ابن إسحق وكان ذو الـكعبات لبـكر وتغلب ابنى وائل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذو الـكعبات من سنداد

ولهذا قال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ؟) ثم قال تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى ؟) أى أتجعلون له ولدا وتجعلون ولده أنثى وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لـكانت (قسمة ضيزى) أى جورا باطلة فـكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التى لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها ، ثم قال تعالى منكرا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الـكذب والافتراء والـكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهـة (إن هى إلا أسمـاء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى من تلقاء أنفسكم (ما أنزل الله بها من سلطان) أى من حجة (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) أى ليس له مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلـكوا هذا المسلك الباطل قبلهم وإلا حظ نفوسهم فى رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ولا انقادوا له

ثم قال تعالى (أم للانسان ما تمنى) أى ليس كل من تمنى خيرا حصل له (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الـكتاب) ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئا يحصل له. قال الإمام أحمد حدثنا إسحق حدثنا أبو عوانة عن عمر ابن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فانه لا يدرى

ما يكتب له من أمنيته » تفرد به أحمد . وقوله (فلله الآخرة والأولى) أى إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فى الدنيا والآخرة فهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) كقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فاذا كان هذا فى حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهى عن ذلك جميع كتبه ؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ * وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا * فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين فى تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى وجعلهم لها أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) ولهذا قال تعالى (وما لهم به من علم) أى ليس لهم علم صحيح بصدق ماقالوه بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغنى من الحق شيئا) أى لايجدى شيئا ولا يقوم أبدا مقام الحق ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وقوله تعالى (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أى أعرض عن الذى أعرض عن الحق واهجره . وقوله (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أى وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا فذاك هو غاية مالا خير فيه ولهذا قال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أى طلب الدنيا والسعى لها هو غاية ما وصلوا اليه . وقد روى الامام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لاعقل له » وفى الدعاء المأثور « اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همنا ، ولامبلغ علمنا » وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده وهو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذى لايجور أبدا لافى شرعه ولا فى قدره

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى * ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه الغنى عما سواه الحاكم فى خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) أى يجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، أى لايتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فانه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال فى الآية الأخرى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) وقال ههنا (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) وهذا استثناء منقطع لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن أرطاة عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال مارأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى كتب

على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق به . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الأعمش عن أبى الضحى أن ابن مسعود قال : زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم وكذا قال مسروق والشعبى . وقال عبد الرحمن بن نافع الذى يقال له ابن لبابة الطائفى قال سألت أبا هريرة عن قول الله (إلا اللمم) قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إلا اللمم) إلا ما سلف وكذا قال زيد بن أسلم . وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية (إلا اللمم) قال الذى يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما !

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قول الله تعالى (إلا اللمم) قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما !

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثنى سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال : قال رسول الله ﷺ

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما ؟

وهكذا رواه الترمذى عن أحمد بن عثمان أبى عثمان البصرى عن أبى عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق وكذا قال البزار لا نعلمه يروى متصلا إلا من هذا الوجه وساقه ابن أبى حاتم والبغوى من حديث أبى عاصم النبيل وإنما ذكره البغوى فى تفسير سورة تنزيل وفى صحته مرفوعا نظر . ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه أراه رفعه فى (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم) قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الالمام . وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قول الله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم) قال اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود . وحدثنى يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قول الله (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم) قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها . وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس (إلا اللمم) يلم بها فى الحين قلت : الزنا ؟ قال : الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال : اللمم الذى يلم المرة . وقال السدى قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم حكاه البغوى . وروى ابن جرير من طريق المثنى بن الصباح وهو ضعيف عن عمرو ابن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال اللمم ما دون الشرك ، وقال سفيان الثورى عن جابر الجعفى عن عطاء عن ابن الزبير (إلا اللمم) قال ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء . وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (إلا اللمم) كل شىء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته فى الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شىء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته الى الآخرة . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك . وقوله تعالى (إن ربك واسع المغفرة) أى رحمته وسعت كل شىء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم

لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) . وقوله تعالى (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) أي هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين فريقا للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله (وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ؟ قال مكحول كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي ثم كنا مراضيع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبانا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لاأبالك فماذا بعد هذا ننتظر ؟ رواه ابن أبي حاتم عنه . وقوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) أي تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم (هو أعلم بمن اتقى) كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) . وقال مسلم في صحيحه حدثنا عمرو الناقد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم وسميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا بم نسميها ؟ قال « سموها زينب » وقد ثبت أيضا في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال مدح رجل رجلا عند النبي ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويلك قطعت عنق صاحبك — مرارا — إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لامحالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك » ثم رواه عن غندر عن شعبة عن خالد الحذاء به وكذا رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا أخبرنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام بن الحارث قال جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب . ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري عن منصور به

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ * وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ * أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾

يقول تعالى ذاما لمن تولى عن طاعة الله (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) (وأعطى قليلا وأكدى) قال ابن عباس أطاع قليلا ثم قطعه وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد قال عكرمة وسعيد كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرا فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل وقوله تعالى (أعنده علم الغيب فهو يرى ؟) أي أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الانفاق وقطع معروفه أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده حتى قد أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عيانا ؟ أي ليس الأمر كذلك . وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلعا ، ولهذا جاء في الحديث « أنفق بلالا ، ولاتخش من ذي العرش إقلالا » وقد قال الله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) . وقوله تعالى (أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى ؟) قال سعيد بن جبير والثوري أي بلغ جميع ما أمر به ، وقال ابن عباس (وفى) لله بالبلاغ ، وقال سعيد بن جبير (وفى) ما أمر به ، وقال قتادة (وفى) طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذي قبله ويشهد له قوله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس

إماما يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله قال الله تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال ابن حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني حدثنا حماد بن سلمة حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (وإبراهيم الذى وفى) قال « أتدرى ماوفى ؟ » قالت الله ورسوله أعلم قال « وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار » ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف . وقال الترمذى فى جامعه حدثنا أبو جعفر السمنانى حدثنا أبو مسهر حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال « ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » قال ابن أبي حاتم رحمه الله وحدثنا أبى حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ألا أخبركم لم سمى الله تعالى إبراهيم خليله الذى وفى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) » حتى ختم الآية . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن رشدين بن سعد عن زبان به ، ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه فى صحف إبراهيم وموسى فقال (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) أى كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شىء من الذنوب فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد كما قال (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أى كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا إيماء ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ولو كان خيرا لسبقونا اليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها ومنصوص من الشارع عليهما .

وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به » فهذه الثلاثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء فى الحديث « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه » والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى (إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) الآية والعلم الذى نشره فى الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله ، وثبت فى الصحيح « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا » . وقوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى) أى يوم القيامة كقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهكذا قال ههنا (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) أى الأوفر

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ * وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾

يقول تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) أى المعاد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا

مسلم بن خالد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون الأودى قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يا بنى أود إنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار وذكر البغوى من رواية أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (وأن إلى ربك المنتهى) قال لا فكرة فى الرب قال البغوى وهذا مثل ما روى عن أبى هريرة مرفوعا « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة » وكذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ ، وإنما الذى فى الصحيح « يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته » وفى الحديث الآخر الذى فى السنن « تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله فان الله تعالى خلق ملكا ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة » أو كما قال وقوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أى خلق فى عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان (وأنه هو أمات وأحيا) كقوله (الذى خلق الموت والحياة) (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى) كقوله (أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ * ألم يك نطفة من منى يمنى ؟ * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى؟) وقوله تعالى (وأن عليه النشأة الأخرى) أى كما خلق البداءة هو قادر على الاعادة وهى النشأة الآخرة يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أى ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيما عندهم لا يحتاجون إلى بيعه فهذا تمام النعمة عليهم ، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما ، وعن مجاهد (أغنى) مول (وأقنى) أخدم وكذا قال قتادة وقال ابن عباس ومجاهد أيضا (أغنى) أعطى (وأقنى) رضى وقيل معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه قاله الحضرمى بن لاحق وقيل أغنى من شاء من خلقه وأقنى أى أفقر من شاء منهم قاله ابن زيد حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ وقوله (وأنه هو رب الشعرى) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم هو هذا النجم الوقاد الذى يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه (وأنه أهلك عادا الأولى) وهم قوم هود ويقال لهم عاد بن إرم بن سام بن نوح كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ؟) فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله (بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أى متتابعة

وقوله تعالى (وثمود فما أبقى) أى دمرهم فلم يبق منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) أى من قبل هؤلاء (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) أى أشد تمردا من الذين من بعدهم (والمؤتفكة أهوى) يعنى مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال فغشاها ما غشى يعنى من الحجارة التى أرسلها عليهم (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) قال قتادة كان فى مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان فانضرم عليهم الوادى شيئا من نار ونفط وقطران كفم الأتون . ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن محمد بن وهب بن عطية عن الوليد بن مسلم عن خليد عنه به وهو غريب جدا (فبأى آلاء ربك تتمارى ؟)أى ففى أى نعم الله عليك أيها الإنسان تمترى؟ قاله قتادة وقال ابن جريج (فبأى آلاء ربك تتمارى ؟) يا محمد والأول أولى وهو اختيار ابن جرير

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ * أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ * فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾

(هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الأولى) أى من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) (أزفت الآزفة) أى اقتربت القريبة وهى القيامة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى لا يدفعها إذا من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذى يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال (إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد) وفى الحديث « أنا النذير العريان» أى الذى أعجله شدة ما عاين

من الشر عن أن يلبس عليه شيئا بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عريانا مسرعا وهو مناسب لقوله (أزفت الآزفة) أى اقتربت القريبة يعنى يوم القيامة كما قال فى أول السورة التى بعدها (اقتربت الساعة) وقال الإمام أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثنى أبو حازم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » وقال أبو حازم : قال رسول الله ﷺ قال أبو نضره لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال « مثلى ومثل الساعة كهاتين » وفرق بين اصبعيه الوسطى والتى تلى الابهام ثم قال « مثلى ومثل الساعة كمثل فرسى رهان » ثم قال « مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشى أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم » ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا ذلك » وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان ثم قال تعالى منكرا على المشركين فى استماعهم القرآن واعراضهم عنه وتلهيهم (تعجبون) من أن يكون صحيحا (وتضحكون) منه استهزاء وسخرية (ولاتبكون) أى كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (وأنتم سامدون) قال سفيان الثورى عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء هى يمانية اسمد لنا غن لنا وكذا قال عكرمة ، وفى رواية عن ابن عباس (سامدون) معرضون ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال الحسن غافلون وهو رواية عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وفى رواية عن ابن عباس تستكبرون وبه يقول السدى ، ثم قال تعالى آمرا لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والاخلاص (فاسجدوا لله واعبدوا) أى فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوه قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : سجد النبى ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . انفرد به دون مسلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب ابن أبى وداعة عن أبيه قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسى فأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها إلا سجد معه . وقد رواه النسائى فى الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به . آخر تفسير سورة النجم ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة اقتربت الساعة وهى مكية ﴾

قد تقدم فى حديث أبى واقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة فى الأضحى والفطر وكان يقرأ بهما فى المحافل الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته والتوحيد وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) وقد وردت الأحاديث بذلك قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن على قالا حدثنا خلف بن موسى حدثنى أبى عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال « والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه ومانرى من الشمس إلا يسيرا » ﴿قلت﴾ هذا حديث مداره على خلف

ابن موسى بن خلف العمى عن أبيه وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال ربما أخطأ ﴿ حديث آخر يعضد الذى قبله ويفسره ﴾
قال الامام أحمد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا شريك حدثنا سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال « ما أعماركم فى أعمار من مضى إلا كما بقى من النهار فيما مضى » وقال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا محمد بن مطرف عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بعثت أنا والساعة هكذا » وأشار باصبعيه السبابة والوسطى . أخرجاه من حديث أبى حازم سلمة بن دينار

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا الأعمش عن أبى خالد عن وهب السوائى قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقنى » وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعى حدثنى إسماعيل بن عبيد الله قال قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أنتم والساعة كهاتين » تفرد به أحمد رحمه الله وشاهد ذلك أيضا فى الصحيح فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الحاشر الذى يحشر الناس على قدميه . وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله ﷺ قال فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا منها بخير ما يحضرنكم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما ما يدرك لها قعرا ، والله لتملؤنه أفعجبتم والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعى الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم وقال أبو جعفر بن جرير حدثنى يعقوب حدثنى ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبى وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال : ألا إن الله يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق فقلت لأبى أيستبق الناس غدا ؟ فقال يا بنى إنك لجاهل إنما هو السباق بالأعمال ، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال : ألا إن الله عز وجل يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة وقوله تعالى (وانشق القمر) قد كان هذا فى زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت فى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال « خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر » وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى ﷺ وأنه كان احدى المعجزات الباهرات

﴿ ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك ﴾

﴿ رواية أنس بن مالك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم عن محمد ابن رافع عن عبد الرزاق وقال البخارى حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما . وأخرجاه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدب عن شيبان عن قتادة ورواه مسلم أيضا من حديث أبى داود الطيالسى ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به ﴿ رواية جبير بن مطعم رضى الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا

سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن كثير عن أخيه سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . ورواه البيهقي أيضا من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره ﴿ رواية عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ﴾ قال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله . وقال ابن جرير حدثنا ابن مثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا ، وقال الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد ابن شكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر - إلى قوله - مستمر) ﴿ رواية عبد الله بن عمر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس ابن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال النبي ﷺ « اللهم اشهد » وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد به ، قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح ﴿ رواية عبد الله ابن مسعود ﴾ قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشهدوا » وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به، وأخرجاه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عبد الله ابن سخبرة عن ابن مسعود به وقال ابن جرير حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي حدثنا عمي يحيى بن عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن رجل عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا اشهدوا » قال البخاري : وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا : رأينا، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد فأنزل الله عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال نبئت أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول لقد انشق القمر

وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عمارة حدثنا عمرو بن حماد حدثنا أسباط عن سماك عن ابراهيم عن الأسود عن عبد الله قال لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق . ورواه الامام أحمد عن مؤمل عن إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر

وقال ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال النبي ﷺ لأبي بكر «اشهد يا أبا بكر» فقال المشركون سحر القمر حتى انشق وقوله تعالى (وإن يروا آية) أي دليلا وحجة وبرهانا (يعرضوا) أي لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم (ويقولوا سحر مستمر) أي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به ومعنى (مستمر) أي ذاهب قاله مجاهد وقتادة وغيرهما أي باطل مضمحل لا دوام له (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أي كذبوا بالحق إذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم . وقوله (وكل أمر مستقر) قال قتادة معناه أن الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر ، وقال ابن جريج مستقر بأهله وقال مجاهد (وكل أمر مستقر) أي يوم القيامة وقال السدى مستقر أي واقع ، وقوله تعالى (ولقد جاءهم من الأنباء) أي من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن (ما فيه مزدجر) أي ما فيه واعظلهم عن الشرك والتمادي على التكذيب. وقوله تعالى (حكمة بالغة) أي في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله (فما تغني النذر) يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه ؟ فمن الذي يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالى (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) وكذا قوله تعالى (تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾

يقول تعالى فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظرهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) أي إلى شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأهوال (خشعا أبصارهم) أي ذليلة أبصارهم (يخرجون من الأجداث) وهي القبور (كأنهم جراد منتشر) أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق، ولهذا قال (مهطعين) أي مسرعين (إلى الداعي) لا يخالفون ولا يتأخرون (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي يوم شديد الهول عبوس قمطرير (فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

يقول تعالى (كذبت) قبل قومك يا محمد (قوم نوح فكذبوا عبدنا) أي صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون (وقالوا مجنون وازدجر) قال مجاهد وازدجر أي استطير جنونا ، وقيل وازدجر أي انتهروه وزجروه وتواعدوه لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) أي إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك قال الله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) قال السدي وهو الكثير (وفجرنا الأرض عيونا) أي نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيونا (فالتقى الماء) أي من السماء والأرض (على أمر قد قدر) أي أمر مقدر

قال ابن جريج عن ابن عباس (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم ، فالتقى الماآن على أمر قد قدر ، وروى ابن أبي حاتم

أن ابن الكواء سأل عليا عن المجرة فقال هي شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر (وحملناه على ذات ألواح ودسر) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقتادة وابن زيد هي المسامير واختاره ابن جرير قال وواحدها دسار ويقال دسير كما يقال حبيك وحباك والجمع حبك ، وقال مجاهد الدسر أضلاع السفينة وقال عكرمة والحسن هو صدرها الذي يضرب به الموج . وقال الضحاك الدسر طرفاها وأصلها وقال العوفي عن ابن عباس هو كلكلها أي صدرها . وقوله (تجرى بأعيننا) أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا (جزاء لمن كان كفر)أي جزاءلهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام.وقوله تعالى (ولقد تركناها آية) قال قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) ولهذا قال ههنا (فهل من مدكر) أي فهل من يتذكر ويتعظ . قال الإمام أحمدحدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود عن ابن مسعود قال أقرأني رسول الله ﷺ (فهل من مدكر) وهكذا رواه البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال قرأت على النبي ﷺ (فهل من مدكر) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (فهل من مدكر) وروى البخارى أيضا من حديث شعبة عن أبي إسحق عن الأسود عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ (فهل من مدكر) . وقال حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي إسحق أنه سمع رجلا سأل الأسود فهل من مذكر أو مدكر قال سمعت عبد الله يقرأ فهل من مدكر ؟ وقال سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها فهل من مدكر . دالا . وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي إسحق . وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذرى وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس كما قال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) وقال تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) قال مجاهد (ولقد يسرنا القرآن للذكر) يعنى هونا قراءته وقال السدى يسرنا تلاوته على الألسن وقال الضحاك عن ابن عباس لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل ، قلت ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي ﷺ أنه قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة ، وقوله (فهل من مدكر) أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه ؟ وقال محمد بن كعب القرظي فهل من منزجر عن المعاصي ؟

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن رافع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر هو الوراق في قوله تعالى (فهل من مدكر) هل من طالب علم فيعان عليه وكذا علقه البخارى بصيغة الجزم عن مطر الوراق ورواه ابن جرير وروى عن قتادة مثله .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم أيضا كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل (عليهم ريحا صرصرا) وهى الباردة الشديدة البرد (فى يوم نحس) أي عليهم ، قاله الضحاك وقتادة والسدى (مستمر)عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالأخروى وقوله تعالى (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض فتثلغ رأسه

فيبقى جثة بلا رأس ولهذا قال (كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

وهذا اخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحا (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر) يقولون لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا. ثم تعجبوا من القاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا (بل هو كذاب أشر) أى متجاوز في حد الكذب قال الله تعالى (سيعلمون غدا من الكذب الأشر) وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد. ثم قال تعالى (إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم) أى اختبارا لهم ، أخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء طبق ماسألوا لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به ثم قال تعالى آمرا لعبده ورسوله صالح (فارتقبهم واصطبر) أى انتظر مايؤول اليه أمرهم واصبر عليهم فان العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أى يوم لهم ويوم للناقة كقوله (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وقوله تعالى (كل شرب محتضر) قال مجاهد إذا غابت حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن ثم قال تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) قال المفسرون هو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله (إذ انبعث أشقاها) (فتعاطى) أى جسر (فعقر * فكيف كان عذابي ونذر) أى فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) أى فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات قاله غير واحد من المفسرين ، والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح وقال ابن زيد كانت العرب يجعلون حظارا على الإبل والمواشي من يبيس الشوك فهو المراد من قوله (كهشيم المحتظر) وقال سعيد بن جبير هشيم المحتظر هو التراب المتناثر من الحائط وهذا قول غريب والأول أقوى والله أعلم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ * نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ولهذا أهلكهم الله هلاكا لم يهلكه أمة من الأمم فانه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ولهذا قال ههنا (إنا أرسلنا عليهم حاصبا) وهي الحجارة (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) أى خرجوا من آخر الليل فنجوا مما

أصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالما لم يمسسه سوء ولهذا قال تعالى (كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا) أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا اليه بل شكوا فيه وتماروا به (ولقد راودوه عن ضيفه) وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل في صور شباب مرد حسان محنة من الله بهم فاضافهم لوط عليه السلام وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يهرعون اليه من كل مكان فأغلق لوط دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ويقول لهم (هؤلاء بناتي) يعني نساءهم (إن كنتم فاعلين * قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) أي ليس لنا فيهن أرب (وإنك لتعلم ما نريد) فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال إنها غارت من وجوههم وقيل إنه لم تبق لهم عيون بالكلية فرجعوا على ادبارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطا عليه السلام إلى الصباح. قال الله تعالى (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه (فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ * كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ * بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وقومه إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا والنذارة إن كفروا وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر أي فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر. ثم قال تعالى (أكفاركم) أي أيها المشركون من كفار قريش (خير من أولئكم) يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب أأنتم خير من أولئكم؟ (أم لكم براءة في الزبر) أي أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال! ثم قال تعالى مخبرا عنهم (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي يعتقدون أنهم يتناصرون بعضهم بعضا وأن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء قال الله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أي سيتفرق شملهم ويغلبون. قال البخاري حدثنا إسحاق حدثنا خالد عن خالد وقال أيضا حدثنا محمد بن عفان عن وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر «أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبدا» فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال حسبك يارسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد وهو ابن مهران الحذاء به. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن ايوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها يومئذ

وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج اخبرهم اخبرني يوسف بن ماهك قال اني عند عائشة أم المؤمنين فقالت نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) هكذا رواه ههنا مختصرا، ورواه في فضائل القرآن مطولا ولم يخرجه مسلم

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم فى ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب فى الآراء وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق ثم قال تعالى (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) أى كما كانوا فى سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار وكما كانوا ضلالا يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ويقال لهم تقريعا وتوبيخا (ذوقوا مس سقر) . وقوله تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) كقوله (وخلق كل شىء فقدره تقديرا) وكقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) أى قدر قدرا وهدى الخلائق اليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على اثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد فى معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا فى أواخر عصر الصحابة وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وماورد فيه من الأحاديث فى شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى رحمه الله ولنذكرهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة . قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثورى عن زياد بن إسماعيل السهمى عن محمد بن عباد بن جعفر عن أبى هريرة قال : جاء مشركو قريش الى النبى ﷺ يخاصمونه فى القدر فنزلت (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شىء خلقناه بقدر) وهكذا رواه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثورى به . وقال البزار حدثنا عمرو بن على حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال مانزلت هذه الآيات (إن المجرمين فى ضلال وسعر * يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شىء خلقناه بقدر) الا فى أهل القدر . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سهل بن صالح الانطاكى حدثنى قرة بن حبيب عن كنانة حدثنى جرير بن حازم عن سعيد بن عمرو بن جعدة عن ابن زرارة عن أبيه عن النبى ﷺ أنه تلا هذه الآية (ذوقوا مس سقره * إنا كل شىء خلقناه بقدر) قال « نزلت فى أناس من أمتى يكونون فى آخر الزمان يكذبون بقدر الله » . وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزرى عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبى رباح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم فى القدر فقال أوقد فعلوها ! قلت : نعم، قال فوالله مانزلت هذه الآية إلا فيهم (ذوقوا مس سقر * إنا كل شىء خلقناه بقدر) أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعى هاتين . وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعى عن بعض اخوته عن محمد بن عبيد المكى عن عبد الله بن عباس قال قيل له ان رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلونى عليه وهو أعمى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس ! قال والذى نفسى بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه . ولئن وقعت رقبته فى يدى لأدقنها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « كأنى بنساء بنى فهر يطفن بالخزرج تصطفق أليانهن مشركات ، هذا أول شرك هذه الأمة والذى نفسى بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا » ثم رواه أحمد عن أبى المغيرة عن الأوزاعى عن العلاء بن الحجاج عن محمد بن عبيد فذكر مثله لم يخرجوه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عن أبى أيوب حدثنى أبو صخر عن نافع قال : كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه فكتب اليه عبد الله بن عمر إنه بلغنى أنك تكلمت فى شىء من القدر فإياك أن تكتب إلى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيكون فى أمتى

أقوام يكذبون بالقدر » ورواه أبوداود عن أحمد بن حنبل به . وقال أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي الذين يقولون لاقدر إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم » لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون في هذه الأمة مسخ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صخر حميد بن زياد به وقال الترمذي حسن صحيح غريب . وقال الامام أحمد حدثنا إسحاق ابن الطباع أخبرني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال سمعت ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » ورواه مسلم منفردا به من حديث مالك

وفي الحديث الصحيح « استعن بالله ولا تعجز فان أصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان » . وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « واعلم أن الأمة لواجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الأقلام وطويت الصحف » وقال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال أجلسوني فلما أجلسوه قال يابني إنك لم تطعم الايمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ماخير القدر وشره ؟ قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يابني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يابني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي عن أبي داود الطيالسي عن عبدالواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد ابن عبادة عن أبيه به وقال حسن صحيح غريب . وقال سفيان الثوري عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ « لايؤمن أحد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره » وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به ، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن منصور عن ربعي عن علي فذكره وقال هذا عندي أصح وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن ربعي عن علي به وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبدالله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » زاد ابن وهب (وكان عرشه على الماء) ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب

وقوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم فقال (وما أمرنا إلا واحدة) أي إنما نأمر بالشيء مرة واحدة لانحتاج إلى تأكيد بثانية فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر لايتأخر طرفة عين ، وما أحسن ما قال بعض الشعراء :

إذا ما أراد الله أمرا فانما　　يقول له كن قولة فيكون

وقوله تعالى (ولقد أهلكنا أشياعكم) يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل (فهل من مدكر) أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى (وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل) . وقوله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) أي مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام (وكل صغير وكبير) أي من أعمالهم (مستطر) أي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم بن بانك سمعت عامر بن عبدالله بن الزبير حدثني

عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأمها عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول « ياعائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم . وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر . ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي ويحك يا سعيد بن مسلم لقد حدثني سلمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره فأتاه آت في منامه فقال له يا سلمان :

لا تحقرن من الذنوب صغيرا … إن الصغير غدا يعود كبيرا
إن الصغير ولو تقادم عهده … عند الاله مسطر تسطيرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن … صعب القياد وشمرن تشميرا
إن المحب إذا أحب إلهه … طار الفؤاد وألهم التفكيرا
فاسأل هدايتك الاله بنية … فكفى بربك هاديا ونصيرا

وقوله تعالى (إن المتقين في جنات ونهر) أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد . وقوله تعالى (في مقعد صدق) أي في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه (عند مليك مقتدر) أي عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها . وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا » انفرد باخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله آخر تفسير سورة اقتربت ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الرحمن وهي مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن ؟ فقال كل القرآن قد قرأت قال إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال: أهذا كهذا الشعر لا أبالك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل وكان أول مفصل ابن مسعود (الرحمن) وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد « قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم ، وعن عبد الله بن أحمد بن شبويه عن هشام ابن عمارة كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد ابن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالا حدثنا يحيى بن سليم عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال « ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ؟ » قالوا وماذاك يا رسول الله ؟ قال « ماأتيت على قول الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) إلا قالت الجن لا بشيء من نعم ربنا نكذب » ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ * ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ

يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) قال الحسن يعني النطق ، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها وقوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) أي يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

وعن عكرمة أنه قال لوجعل الله نور جميع أبصار الانس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجابا واحداً من سبعين حجابا دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها . ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش ونور العرش جزء من سبعين جزءا من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عيانا ، رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان) قال ابن جرير اختلف المفسرون في معنى قوله والنجم بعد إجماعهم على أن الشجر ماقام على ساق فروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النجم ما انبسط على وجه الأرض يعني من النبات وكذا قال سعيد بن جبير والسدى وسفيان الثوري . وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد : النجم الذي في السماء . وكذا قال الحسن وقتادة وهذا القول هو الأظهر والله أعلم لقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) الآية وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعني العدل كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وهكذا قال ههنا (ألا تطغوا في الميزان) أي خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل . ولهذا قال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي لاتبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وقوله تعالى (والأرض وضعها للأنام) أي كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد : الأنام الخلق (فيها فاكهة) أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح (والنخل ذات الأكمام) أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطبا و يابسا والأكمام قال ابن جريج عن ابن عباس : هي أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود فيكون بسرا ثم رطبا ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي حدثنا أبو قتيبة حدثنا يونس بن الحارث الطائفي عن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب إليه عمر بن الخطاب : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم

إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فأ (ن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقيل الا كمام رفاتها وهو الليف الذى على عنق النخلة وهو قول الحسن وقتادة (والحب ذو العصف والريحان) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (والحب ذو العصف) يعنى التبن . وقال العوفى عن ابن عباس العصف ورق الزرع الأخضر الذى قطع رءوسه فهى يسمى العصف إذا يبس وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك عصفه تبنه ، وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعنى الورق وقال الحسن هو ريحانكم هذا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ، ومعنى هذا والله أعلم أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له فى حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعنى إذا أدجن وانعقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل فى قصيدته المشهورة :

وقولا له من ينبت الحب فى الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه فى رءوسه * ففى ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى فبأى الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان ؟ قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بعده أى النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا بأيها يا رب أى لا نكذب بشىء منها ، قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة عن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلى نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون (فبأى آلاء ربكما تكذبان؟)

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفى عن ابن عباس من مارج من نار من لهب النار من أحسنها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان؟) تقدم تفسيره (رب المشرقين ورب المغربين) يعنى مشرقى الصيف والشتاء ومغربى الصيف والشتاء وقال فى الآية الأخرى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها فى كل يوم وبروزها منه إلى الناس وقال فى الآية الأخرى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ولما كان فى اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان؟) وقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان) قال ابن عباس أى أرسلهما وقوله (يلتقيان)

قال ابن زيد أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين الملح والحلو فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج * وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض ، وهو مروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبزى قال ابن جرير لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه فانه لا يساعده اللفظ فانه تعالى قد قال (بينهما برزخ لا يبغيان) أى وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغى هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التى هى مقصودة منه وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا وقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ؟) والرسل إنما كانوا فى الإنس خاصة دون الجن وقد صح هذا الاطلاق . واللؤلؤ معروف ، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروى عن على ، وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه ابن أبى حاتم عن الربيع ابن أنس وحكاه السدى عمن حدثه عن ابن عباس وروى مثله عن على ومجاهد أيضا ومرة الهمدانى وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون . قال السدى عن أبى مالك عن مسروق عن عبد الله قال : المرجان الخرز الأحمر قال السدى وهو البسد بالفارسية ، وأما قوله (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) فاللحم من كل من الأجاج والعذب والحلية إنما هى من المالح دون العذب . قال ابن عباس ما سقطت قط قطرة من السماء فى البحر فوقعت فى صدفة إلا صار منها لؤلؤة وكذا قال عكرمة وزاد فإذا لم تقع فى صدفة نبتت بها عنبرة ، وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف فى البحر أفواهها فما وقع فيها يعنى من قطر فهو اللؤلؤ . إسناده صحيح ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض امتن بها عليهم فقال (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) . وقوله تعالى (وله الجوار المنشآت) يعنى السفن التى تجرى (فى البحر) قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهى منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت ، وقال قتادة المنشآت يعنى المخلوقات ، وقال غيره المنشئات بكسر الشين يعنى البادئات (كالأعلام) أى كالجبال فى كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم مما فيه صلاح للناس فى جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا العيزار بن سويد عن عميرة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب رضى الله عنه على شاطىء الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عز وجل (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) والذى أنشأها تجرى فى بحوره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحى الذى لا يموت أبدا قال قتادة أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان . وفى الدعاء المأثور : ياحى ياقيوم يا بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك . وقال الشعبى إذا قرأت (كل من

عليها فان) فلا تسكت حتى تقرأ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وهذه الآية كقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والإكرام أي هو أهل أن يجل فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وكقوله إخبارا عن المتصدقين (إنما نطعمكم لوجه الله) قال ابن عباس ذو الجلال والإكرام ذو العظمة والكبرياء ، ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ، وقوله تعالى (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق اليه في جميع الآنات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وأنه كل يوم هو في شأن قال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير (كل يوم هو في شأن) قال من شأنه أن يجيب داعيا أو يعطي سائلا ، أو يفك عانيا أو يشفي سقيما

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيا ويكشف كربا ويجيب مضطرا ؛ ويغفر ذنبا ، وقال قتادة لا يستغني عنه أهل السموات والأرض يحيي حيا ويميت ميتا ، ويربي صغيرا ويفك أسيراً وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم . وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان الحمصي حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزاري قال إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقابا ، ويعطي رغابا ، ويقحم عقابا

وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثني عمرو ابن بكر السكسكي حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن ابيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (كل يوم هو في شأن) فقلنا يارسول الله وماذاك الشأن؟ قال «أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار وسليمان ابن أحمد الواسطي قالا : حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال سمعت يونس بن ميسرة ابن حليس يحدث عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : «قال الله عز وجل (كل يوم هو في شأن) - قال - من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة عن هشام ابن عمار به ، ثم ساقه من حديث أبي الوليد بن شجاع عن الوزير بن صبيح قال ورد فيما علقه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ فذكره قال والصحيح الأول يعني إسناده الأول ﴿قلت﴾ وقد روي موقوفا كما علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء فالله أعلم . وقال البزار حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا محمد بن الحارث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ كل يوم هو في شأن قال « يغفر ذنبا ، ويكشف كربا » ثم قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله ابن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ ، وكذا قال الضحاك هذا وعيد ، وقال قتادة قد دنا من الله فراغ لخلقه ، وقال ابن جريج (سنفرغ

لكم) أى سنقضى لكم وقال البخارى سنحاسبكم لايشغله شىء عن شىء وهو معروف فى كلام العرب يقال لأتفرغن لك ومابه شغل يقول لآخذنك على غرتك وقوله تعالى (أيها الثقلان)الثقلان:الانس والجن كما جا فى الصحيح « يسمعه كل شىء إلا الثقلين » وفى رواية « إلاالانس والجن » وفى حديث الصور « الثقلان الانس والجن » فبأى آلاء ربكما تكذبان ،) . ثم قال تعالى (يامعشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) أى لاتستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لاتقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم . وهذا فى مقام الحشر ؛ الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب (إلا بسلطان) أى الا بأمر الله (يقول الإنسان يومئذ أين المفر *كلالاوزر إلى ربك يومئذ المستقر) . وقال تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا قال تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لهب النار ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان وقال مجاهد هو اللهب الأخضر المنقطع وقال أبو صالح الشواظ هو اللهب الذى فوق النار ودون الدخان . وقال الضحاك (شواظ من النار) سيل من نار . وقوله تعالى (ونحاس) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ونحاس) دخان النار ، وروى مثله عن أبى صالح وسعيد بن جبير وأبى سنان وقال ابن جرير والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراء مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة جعدة :

يضىء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعنى دخانا هكذا قال . وقد روى الطبرانى من طريق جويبر عن الضحاك أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذى لادخان معه فسأله شاهدا على ذلك من اللغة فأنشده بيت أمية بن أبى الصلت فى حسان :

ألا من مبلغ حسان عنى مغلغلة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا فى الحفاظ

يمانيا يظل يشد كيرا وينفخ دائبا لهب الشواظ

قال صدقت فما النحاس ؟ قال هو الدخان الذى لا لهب له ، قال فهل تعرفه العرب ؟ قال نعم أما سمعت نابغة بنى ذبيان[1] يقول :

يضىء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال مجاهد النحاس الصفر يذاب فيصب على رءوسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سيل من نحاس ، والمعنى على كل قول لوذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال (فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟)

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يقول تعالى (فاذا انشقت السماء) يوم القيامة كما دلت عليه هذه الآيات مع ماشاكلها من الآيات الواردة فى معناها

(١) كذا بالأصول وهو مخالف لما ذكره أولا من أنه نابغة بنى جعدة .

كقوله تعالى (وانشقت السماء فهي يؤمئذ واهية) وقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) وقوله (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) . وقوله تعالى (فكانت وردة كالدهان)أى تذوب كما يذوب الدردى والفضة فى السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ،وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبى الصهباء حدثنا نافع أبو غالب الباهلى حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم » قال الجوهرى الطش المطر الضعيف ، وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (وردة كالدهان) قال هو الأديم الأحمر وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (فكانت وردة كالدهان) كالفرس الورد ، وقال العوفى عن ابن عباس تغير لونها . وقال أبو صالح كالبرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان وحكى البغوى وغيره أن الفرس الورد تكون فى الربيع صفراء وفى الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد تغير لونها ، وقال الحسن البصرى تكون ألوانا وقال السدى تكون كلون البغلة الوردة وتكون كالمهل كدردى الزيت ، وقال مجاهد (كالدهان) كألوان الدهان وقال عطاء الخراسانى كلون دهن الورد فى الصفرة وقال قتادة هى اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذى ألوان وقال أبو الجوزاء فى صفاء الدهن وقال ابن جريج تصير السماء كالدهان الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم . وقوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) وهذه كقوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فهذا فى حال وثم فى حال يسئل الخلائق عن جميع أعمالهم قال الله تعالى (فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولهذا قال قتادة (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان قال قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ، فهذا قول ثان . وقال مجاهد فى هذه الآية لا تسأل الملائكة عن المجرمين بل يعرفون بسيماهم ،وهذا قول ثالث ، وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسئلون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم)أى بعلامات تظهر عليهم وقال الحسن وقتادة يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون ﴿ قلت ﴾ وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء . وقوله تعالى (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه فى النار كذلك ، وقال الأعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور ، وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه فى سلسلة من وراء ظهره، وقال السدى يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يعنى جده أخبرنى عبد الرحمن حدثنى رجل من كندة قال أتيت عائشة فدخلت عليها وبينى وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتى عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة ؟ قالت نعم لقد سألته عن هذا وأنا وهو فى شعار واحد قال « نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بى ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بى ــ أوقال يوحى ــ وعند الجسر حين يستحد ويستحر » فقالت وما يستحد وما يستحر ؟ قال ــ يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف ويستحر حتى يكون مثل الجمرة فأما المؤمن فيجوزه لا يضره ، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهوى بيديه إلى قدميه ــ قالت فهل رأيت من يسعى حافيا فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فانها كذلك يهوى بيده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف فى ناصيته وقدمه فتقذفه فى جهنم فيهوى فيها مقدار خمسين عاما ــ قلت ما ثقل الرجل ؟ قالت ــ ثقل عشر خلفات سمان فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام » . هذا حديث غريب جدا وفيه ألفاظ منكر رفعها وفى الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به والله أعلم . وقوله تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) أى هذه النار التى كنتم تكذبون بوجودها هاهى حاضرة تشاهدونها عيانا ، يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا . وقوله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) أى

تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء وهذه كقوله تعالى (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون)

وقوله تعالى (آن) أي حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطاع من شدة ذلك، قال ابن عباس في قوله (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي قد انتهى غليه واشتد حره وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي وقال قتادة قد آن طبخه منذ خلق الله السموات والأرض، وقال محمد بن كعب القرظي يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتي يقول الله تعالى (في الحميم ثم في النار يسجرون) والحميم الآن يعني الحار، وعن القرظي رواية أخرى (حميم آن) أي حاضر وهو قول ابن زيد أيضا والحاضر لا ينافي ما روي عن القرظي أولا أنه الحار كقوله تعالى (تسقى من عين آنية) أي حاضرة شديدة الحر لا تستطاع وكقوله (غير ناظرين إناه) يعني استواءه ونضجه فقوله (حميم آن) أي حميم حار جدا. ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال ممتنا بذلك على بريته (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟)

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

قال ابن شوذب وعطاء الخراساني نزلت هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) في أبي بكر الصديق، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) نزلت في الذي قال أحرقوني بالنار لعلي أضل الله قال تاب يوما وليلة، بعد أن تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى (ولمن خاف مقام ربه) بين يدي الله عز وجل يوم القيامة (ونهى النفس عن الهوى) ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخاري رحمه الله حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به، وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي قوله (ومن دونهما جنتان) جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين. وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر عن محمد بن حرملة عن عطاء بن يسار أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوما هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال «وإن رغم أنف أبي الدرداء» ورواه النسائي من حديث محمد بن أبي حرملة به، ورواه النسائي أيضا عن مؤمل بن هشام عن إسماعيل عن الجريري عن موسى عن محمد بن سعد ابن أبي وقاص عن أبي الدرداء به، وقد روي موقوفا على أبي الدرداء، وروي عنه أنه قال: إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق. وهذه الآية عامة في الانس والجن فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم نعت هاتين الجنتين فقال (ذواتا أفنان) أي أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة (فبأي آلاء

ربكما تكذبان ؟) هكذا قال عطاء الخراسانى وجماعة أن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن على حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبد الله بن النعمان سمعت عكرمة يقول (ذواتا أفنان) يقول ظل الأغصان على الحيطان ألم تسمع قول الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة * تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف طاويا * ذا مخلبين من الصقور قطاما

وحكى البغوى عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكلبى أنه الغصن المستقيم وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد السلام ابن حرب حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا ألوان قال وروى عن سعيد ابن جبير والحسن والسدى وخصيف والنضر بن عربى وابن سنان مثل ذلك ، ومعنى هذا القول أن فيهما فنونا من الملاذ واختاره ابن جرير وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة ، وقال الربيع بن أنس (ذواتا أفنان) واسعتا الفناء وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم ، وقال قتادة ذواتا أفنان يعنى بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها وقال محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير فى ظل الفنن منها الراكب مائة سنة - أو قال يستظل فى ظل الفنن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » ورواه الترمذى من حديث يونس بن بكير به وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قد رفعه فى قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفى قوله (ومن دونهما جنتان) قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين (فيهما عينان تجريان) أى تسرحان لسقى تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال الحسن البصرى إحداهما يقال لها تسنيم والأخرى السلسبيل . وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ، ولهذا قال بعد هذا (فيهما من كل فاكهة زوجان) أى من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) . قال إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل ، وقال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء يعنى أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا فى التفاضل

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يقول تعالى (متكئين) يعنى أهل الجنة والمراد بالاتكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة التربيع (على فرش بطائنها من إستبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال عكرمة والضحاك وقتادة وقال أبو عمران الجونى هو الديباج المزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى قال أبو إسحاق عن هبيرة ابن مريم عن عبد الله بن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر . وقال مالك بن دينار بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور ، وقال سفيان الثورى أو شريك بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال القاسم بن محمد بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة ، وقال ابن شوذب عن أبى عبد الله الشامى ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر المحابس ولا يعلم ما تحت المحابس الا الله تعالى ، ذكر ذلك كله الإمام ابن أبى حاتم رحمه الله (وجنى الجنتين دان) أى ثمرهما قريب اليهم متى شاءوا تناولوه على أى صفة كانوا كما قال تعالى (قطوفها

دانية) وقال(ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) أى لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك(فيهن) أى فى الفرش (قاصرات الطرف) أى غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئا فى الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراسانى وابن زيد وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها والله ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ، ولا فى الجنة شيئا أحب إلى منك فالحمد لله الذى جعلك لى وجعلنى لك (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) أى بل هن أبكار عرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمنى الجن الجنة قال أرطاة بن المنذر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة ؟ قال نعم وينكحون ، للجن جنيات وللانس انسيات ، وذلك قوله (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) . ثم قال ينعتهن للخطاب (كأنهن الياقوت والمرجان) قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم فى صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ . وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الأودى عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها » وذلك قول الله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وهكذا رواه الترمذى من حديث عبيدة بن حميد وأبى الأحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقوفا ثم قال وهو أصح . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه . وقد روى مسلم حديث إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء فقال أبو هريرة أو لم يقل أبو القاسم ﷺ « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على ضوء كوكب درى فى السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده - يعنى سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ورواه البخارى من حديث أبى إسحق عن حميد عن أنس بنحوه ، وقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أى لا لمن أحسن العمل فى الدنيا إلا الإحسان إليه فى الآخرة كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال البغوى حدثنا أبو سعيد الشريحى حدثنا أبو إسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه حدثنا ابن شيبة حدثنا إسحق بن إبراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وقال « هل تدرون ما قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » ولما كان فى الذى ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) ومما يتعلق بقوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ما رواه الترمذى والبغوى من حديث أبى النضر بن هاشم بن القاسم عن أبى عقيل الثقفى عن أبى فروة يزيد بن سنان الرهاوى عن بكر بن فيروز عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة » ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى النضر ، وروى البغوى من حديث على بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن محمد ابن أبى حرملة مولى حويطب بن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ

يقص على المنبر وهو يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثانية وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال «وإن رغم أنف أبي الدرداء» .

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى (ومن دونهما جنتان) وقد تقدم في الحديث : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين وقال أبو موسى : جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين وقال ابن عباس (ومن دونهما جنتان) من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل . والدليل على شرف الأوليين على الأخريين وجوه ﴿أحدها﴾ أنه نعت الأوليين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال (ومن دونهما جنتان) وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك (ذواتا أفنان) وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ وقال ههنا (مدهامتان) أي سوداوان من شدة الري من الماء قال ابن عباس في قوله (مدهامتان) قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مدهامتان قال خضراوان وروى عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك ، وقال محمد بن كعب (مدهامتان) ممتلئتان من الخضرة وقال قتادة خضراوان من الري ناعمتان ولاشك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض وقال هناك (فيهما عينان تجريان) وقال ههنا (نضاختان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجري أقوى من النضخ وقال الضحاك (نضاختان) أي ممتلئتان ولا تنقطعان وقال هناك (فيهما من كل فاكهة زوجان) وقال ههنا (فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة وهي نكرة في سياق الاثبات لا تعم ولهذا ليس قوله (ونخل ورمان) من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما ، قال عبد بن حميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا يامحمد أفي الجنة فاكهة ؟ قال «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ « قال نعم وأضعاف » قالوا فيقضون الحوائج قال « لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله مافي بطونهم من أذى » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الفضل ابن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكربها[1] ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر ، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم ، وحدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبي هارون عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب » ثم قال (فيهن خيرات حسان) قيل

(١) كذا في الأصل ، وفي البغوي : وورقها .

المراد خيرات كثيرة حسنة فى الجنة قاله قتادة ، وقيل خيرات جمع خيرة وهى المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور ، وروى مرفوعا عن أم سلمة وفى الحديث الآخر الذى سنورده فى سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين : نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ، ولهذا قرأ بعضهم (فيهن خيرات) بالتشديد (حسان* فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم قال (حور مقصورات فى الخيام) وهناك قال (فيهن قاصرات الطرف) ولا شك أن التى قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات ، قال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن عبدالله الأودى حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لامرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون ، وقوله تعالى (فى الخيام) قال البخارى حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا عبدالعزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « إن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون » ورواه أيضا من حديث أبى عمران به وقال ثلاثون ميلا ، وأخرجه مسلم من حديث أبى عمران به ولفظه «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن أبى الربيع حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أخبرنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در ، وحدثنا أبى حدثنا عيسى ابن أبى فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن المثنى عن ابن عباس فى قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) قال خيام اللؤلؤ وفى الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ فى أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وقال عبدالله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » ورواه الترمذى من حديث عمرو بن الحارث به . وقوله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد فى وصف الأوائل بقوله (كأنهن الياقوت والمرجان* فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الرفرف المحابس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم هى المحابس ، وقال العلاء بن زيد الرفرف على السرير كهيئة المحابس التدلى ، وقال عاصم الجحدرى (متكئين على رفرف خضر) يعنى الوسائد وهو قول الحسن البصرى فى رواية عنه ، وقال أبو داود الطيالسى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر) قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى (وعبقرى حسان) قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى : العبقرى الزرابى ، وقال سعيد بن جبير هى عتاق الزرابى يعنى جيادها ، وقال مجاهد العبقرى الديباج وسئل الحسن البصرى عن قوله تعالى (وعبقرى حسان) فقال هى بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها ، وعن الحسن رواية أنها المرافق ، وقال زيد بن أسلم العبقرى أحمر وأصفر وأخضر ، وسئل العلاء بن زيد عن العبقرى فقال البسط أسفل من ذلك . وقال أبو حزرة يعقوب بن مجاهد : العبقرى من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد ، وقال أبو العالية العبقرى الطنافس المخملة إلى الرقة ماهى ، وقال القيسى كل ثوب موشى عند العرب عبقرى ، وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشى ، وقال الخليل بن أحمد كل شىء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا ومنه قول النبى ﷺ فى عمر « فلم أر عبقريا يفرى فريه » وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هناك (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأحرى ، وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟) فوصف أهلها بالاحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما فى حديث

جبريل لما سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان فهذه وجوه عديدة فى تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأولين. ثم قال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) أى هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد ، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ، وقال ابن عباس (ذى الجلال والإكرام) ذى العظمة والكبرياء . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هانىء عن أبى العذراء عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجلوا الله يغفر لكم» وفى الحديث الآخر « إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم ، وذى السلطان ، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو يوسف الحربى حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألظوا بياذا الجلال والإكرام » وكذا رواه الترمذى عن محمود ابن غيلان عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به ثم قال غلط المؤمل فيه وهو غريب وليس بمحفوظ وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان المقدسى عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ألظوا بذى الجلال والإكرام» ورواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك به ، وقال الجوهرى ألظ فلان بفلان إذا لزمه ، وقول ابن مسعود ألظوا بياذا الجلال والإكرام أى الزموا يقال الإلظاظ هو الالحاح ﴿ قلت ﴾ وكلاهما قريب من الآخر والله أعلم وهو المداومة واللزوم والالحاح . وفى صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لا يقعد يعنى بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام» . آخر تفسير سورة الرحمن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الواقعة وهى مكية ﴾

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال «شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » رواه الترمذى وقال حسن غريب قال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصرى حدثنا السرى بن يحيى الشيبانى عن أبى شجاع عن أبى ظبية قال مرض عبد الله مرضه الذى توفى فيه فعاده عثمان بن عفان فقال ما تشتكى ؟ قال ذنوبى قال فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى قال ألا آمر لك بطبيب ؟ قال الطبيب أمرضنى قال ألا آمر لك بعطاء ؟ قال لا حاجة لى فيه قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » ثم قال ابن عساكر كذا قال والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب عن السرى . وقال عبد الله بن وهب أخبرنى السرى بن يحيى أن شجاعا حدثه عن أبى ظبية عن عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » فكان أبو ظبية لا يدعها وكذا رواه أبو يعلى عن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن منيب عن السرى بن يحيى عن شجاع عن أبى ظبية عن ابن مسعود به . ثم رواه عن إسحاق بن ابى إسرائيل عن محمد بن منيب العدنى عن السرى بن يحيى عن أبى ظبية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » لم يذكر فى مسنده شجاعا قال وقد أمرت بناتى أن يقرأنها كل ليلة . وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان ابن أبى اليمان عن السرى بن يحيى عن شجاع عن أبى فاطمة قال مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده فذكر الحديث بطوله ، قال عثمان بن اليمان كان أبو فاطمة هذا مولى لعلى بن أبى طالب . وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الصلوات كنحو من صلاتكم التى تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان

يقرأ فى الفجر الواقعة ونحوها من السور

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا * وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة) وقوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) وقال (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وقال تعالى (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) . ومعنى (كاذبة) كما قال محمد بن كعب لابد أن تكون ، وقال قتادة ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة . قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية . وقوله تعالى (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وان كانوا فى الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين الى أعلى عليين الى النعيم المقيم وان كانوا فى الدنيا وضعاء هكذا قال الحسن وقتادة وغيرهما . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابو يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المنى حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسى عن أبيه عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (خافضة رافعة) تخفض أقواما وترفع آخرين وقال عبيد الله العتكى عن عثمان ابن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب (خافضة رافعة) قال الساعة خفضت أعداء الله الى النار ورفعت أولياء الله الى الجنة وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا فى الدنيا مخفوضين ، وقال السدى خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين ، وقال العوفى عن ابن عباس (خافضة رافعة) أسمعت القريب والبعيد ، وقال عكرمة خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الاقصى وكذا قال الضحاك وقتادة

وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد فى قوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت زلزالا وقال الربيع بن أنس ترتج بما فيها كرج الغربال بما فيه وهذا كقوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وقال تعالى (ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) وقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتتت فتا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم ، وقال ابن زيد صارت الجبال كما قال الله تعالى (كثيبا مهيلا)

وقوله تعالى (فكانت هباء منبثا) قال أبو إسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه : هباء منبثا كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شىء ، وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (فكانت هباء منبثا) الهباء الذى يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا ، وقال عكرمة : المنبث الذى قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة (هباء منبثا) كيبيس الشجر الذى تذروه الرياح . وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها أى قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش . وقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) أى ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدى وهم جمهور أهل الجنة ، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار — عياذاً بالله من صنيعهم — وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم ، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ولهذا قال تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون) وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة فى آخر السورة وقت

احتضارهم وهكذا ذكرهم في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه ، قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال هي التي في سورة الملائكة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) . وقال ابن جريج عن ابن عباس هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة ، وقال يزيد الرقاشي سألت ابن عباس عن قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد (وكنتم أزواجا ثلاثة) يعني فرقا ثلاثة . وقال ميمون بن مهران : أفواجا ثلاثة ، وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن سراقة بن خالة عمر بن الخطاب (وكنتم أزواجا ثلاثة) اثنان في الجنة وواحد في النار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ (وإذا النفوس زوجت) قال الضرباء كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله تعالى يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون) قال هم الضرباء .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى حدثنا البراء الغنوي حدثنا الحسن عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . . . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فقبض بيده قبضتين فقال « هذه للجنة ولا أبالي وهذه للنار ولا أبالي » وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة ؟ — قالوا الله ورسوله أعلم قال — الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم » وقال محمد بن كعب وأبو حرزة يعقوب بن مجاهد (والسابقون السابقون) هم الأنبياء عليهم السلام وقال السدي هم أهل عليين ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (والسابقون السابقون) قال يوشع ابن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن هارون الفلاس عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزار عن سفيان بن الضحاك المدائني عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح به . وقال ابن أبي حاتم وذكر عن محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين (والسابقون السابقون) الذين صلوا إلى القبلتين . ورواه ابن جرير من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة (والسابقون السابقون) أي من كل أمة ، وقال الأوزاعي عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية (والسابقون السابقون أولئك المقربون) ثم قال أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا في سبيل الله ، وهذه الأقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) وقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان ، ولهذا قال تعالى (أولئك المقربون في جنات النعيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن زكريا الفزاري الرازي حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال : قالت الملائكة يارب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فاجعل لنا الآخرة فقال لا أفعل فراجعوا ثلاثا فقال لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان . ثم قرأ عبد الله (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم) وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ولفظه : فقال الله عز وجل : لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان .

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ

وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ * جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلة أى جماعة من الأولين وقليل من الآخرين وقد اختلفوا فى المراد بقوله الأولين والآخرين فقيل المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمة ، هذا رواية عن مجاهد والحسن البصرى رواها عنهما ابن أبى حاتم وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد ومما يستأنس بهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا شريك بن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال: لما نزلت (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) شق ذلك على أصحاب النبى ﷺ فنزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) فقال النبى ﷺ « إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثانى » ورواه الإمام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك عن محمد بياع الملاء عن أبيه عن أبى هريرة فذكره

وقد روى من حديث جابر نحو هذا ، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمارة حدثنا عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ لما نزلت إذا وقعت الواقعة ذكر فيها ثلة من الأولين وقليل من الآخرين قال عمر يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا ؟ قال فأمسك آخر السورة سنة ثم نزل (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) فقال رسول الله ﷺ « يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ألا وإن من آدم إلى ثلة وأمتى ثلة وإن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » هكذا أورده فى ترجمة عروة بن رويم إسنادا ومتنا ولكن فى إسناده نظر ، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ « إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » الحديث بتمامه وهو مفرد فى صفة الجنة ولله الحمد والمنة . وهذا الذى اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف لأن هذه الأمة هى خير الأمم بنص القرآن فيبعد أن يكون المقربون فى غيرها أكثر منها اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم ، فالقول الثانى فى هذا المقام هو الراجح وهو أن يكون المراد بقوله تعالى (ثلة من الأولين) أى من صدر هذه الأمة (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة . قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا عبد الله بن بكر المزنى سمعت الحسن أتى على هذه الآية (والسابقون السابقون * أولئك المقربون) فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين. ثم قال حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا السرى بن يحيى قال قرأ الحسن (والسابقون السابقون * أولئك المقربون فى جنات النعيم * ثلة من الأولين) قال ثلة ممن مضى من هذه الأمة ، وحدثنا أبى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقرى حدثنا أبو هلال عن محمد بن سيرين أنه قال فى هذه الآية (ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين) قال كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة ، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها ولهذا ثبت فى الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث بتمامه . فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زياد أبو عمر عن الحسن عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج

إلى أول الأمة فى إبلاغه إلى من بعدهم كذلك هو محتاج إلى القائمين به فى أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها والفضل للمتقدم ، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثانى ولكن العمدة الكبرى على الأول واحتياج الزرع إليه آكد فانه لولاه مانبت فى الأرض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال عليه السلام « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم إلى قيام الساعة » وفى لفظ « حتى يأتى أمر الله تعالى وهم كذلك » والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن فى هذه الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفى لفظ « مع كل ألف سبعون ألفا — وفى آخر — مع كل واحد سبعون ألفا » وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا هشام بن يزيد الطبرانى حدثنا محمد هو ابن اسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم يعنى ابن زرعة عن شريح هو ابن عبيد عن أبى مالك قال : قال رسول الله ﷺ « أما والذى نفسى بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة لما جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام » وحسن أن يذكر ههنا عند قوله تعالى (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة حيث قال أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابى حدثنى أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبدالله بن مسرح الحرانى حدثنا سليمان ابن عطاء القرشى الحرانى عن مسلم بن عبدالله الجهنى عن عمه أبى مشجعة بن ربعى عن أبى زمل الجهنى رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجليه « سبحان الله وبحمده استغفر الله إن الله كان توابا » سبعين مرة ثم يقول « سبعين بسبعمائة لاخير لمن كانت ذنوبه فى يوم واحد أكثر من سبعمائة » ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول « هل رأى أحد منكم شيئا ؟ » قال أبو زمل فقلت أنا يارسول الله فقال « خير تلقاه ، وشر توقاه ، وخير لنا ، وشر على أعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك » فقلت رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب والناس على الجادة منطلقين فبيناهم كذلك إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم ترعينى مثله يرف رفيفا يقطر ماؤه فيه من أنواع الكلأ قال وكانوا بالرعلة الأولى حين أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا قال فكأنى أنظر اليهم منطلقين ، ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا فلما أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل كأنى أنظر اليهم يميلون يمينا وشمالا ، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتى أقصى المرج ، فإذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت فى أعلاها درجة ، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل أقنى إذا هو تكلم يسمو فيقرع الرجال طولا ، وإذا عن يسارك رجل ربعة باز كثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء إذا هو تكلم أصغيتم إكراما له ، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كلكم تأمونه تريدونه وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف ، وإذا أنت يارسول الله كأنك تبعثها قال فامتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سرى عنه ، وقال رسول الله ﷺ « أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذاك ما حملتكم عليه من الهدى وأنتم عليه ، وأما المرج الذى رأيت فالدنيا وغضارة عيشها مضيت أنا وأصحابى لم نتعلق منها بشىء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا ، ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافا فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك ، ثم جاء عظم الناس فمالوا فى المرج يمينا وشمالا فإنا لله وإنا إليه راجعون . وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقانى ، وأما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات وأنا فى أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة أنا فى آخرها ألفا وأما الرجل الذى رأيت على يمينى الآدم الشثل فذلك موسى عليه السلام إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه ، والذى رأيت عن يسارى الباز الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم

شعره بالماء فذلك عيسى بن مريم نكرمه لإكرام الله إياه ، وأما الشيخ الذى رأيت أشبه الناس بى خلقا ووجها فذاك أبونا إبراهيم كلنا نؤمه ونقتدى به ، وأما الناقة التى رأيت ورأيتنى أبعثها فهى الساعة علينا تقوم لانبى بعدى ولا أمة بعد أمتى » قال فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجىء الرجل فيحدثه بها متبرعا وقوله تعالى (على سرر موضونة) قال ابن عباس أى مرمولة بالذهب يعنى منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره ، وقال السدى مرمولة بالذهب واللؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت ، وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين الناقة الذى تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور وكذلك السرر فى الجنة مضفورة بالذهب واللآلىء

وقوله تعالى (متكئين عليها متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى مخلدون على صفة واحدة لايتكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون (بأكواب وأباريق وكأس من معين) أما الأكواب فهى الكيزان التى لاخراطيم لها ولا آذان ، والأباريق التى جمعت الوصفين والكئوس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة وقوله تعالى (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أى لاتصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال فى الخمر أربع خصال السكر ؛ والصداع ، والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال . وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدى (لايصدعون عنها) يقول ليس لهم فيها صداع رأس وقالوا فى قوله (ولا ينزفون) أى لا تذهب بعقولهم وقوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون) أى ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذى رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى رحمه الله فى مسنده حدثنا العباس بن الوليد النرسى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى سوية حدثنا عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال : بعثنى مرة فى صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى قال « من الرجل ؟ » قلت عكراش بن ذؤيب ، قال « ارفع فى النسب » فانتسبت له إلى مرة بن عبيد وهذه صدقة مرة بن عبيد فتبسم رسول الله ﷺ وقال « هذه إبل قومى هذه صدقات قومى » ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم اليها ثم أخذ بيدى فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال «هل من طعام ؟ » فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدى فى جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدى اليمنى فقال ياعكراش : كل من موضع واحد فانه طعام واحد . ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا فجعلت آكل من بين يدى وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق وقال ياعكراش : كل من حيث شئت فانه غير لون واحد . ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا ثم قال : ياعكراش هذا الوضوء مما غيرت النار . وهكذا رواه الترمذى مطولا وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن أبى الهذيل العلاء بن الفضل به وقال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديثه وقال الإمام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعفان ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيبان قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فاذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يارسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان ابن فلان فسمت اثنى عشر رجلا كان النبى ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيذخ قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسره ماشاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم فجاء

البشير من تلك السرية فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : قصى رؤياك . فقصتها وجعلت تقول فجيء بفلان وفلان كما قال . هذا لفظ أبي يعلى قال الحافظ الضياء وهذا على شرط مسلم ،

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا على بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » . وقوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) قال الإمام أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر ابن سليمان الضبعي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة » . فقال أبو بكر يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة فقال « آكلها أنعم منها - قالها ثلاثا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » انفرد به أحمد من هذا الوجه . وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة من حديث إسماعيل بن علي الحطمي عن أحمد بن علي الخيوطي عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى ؟ » قال الله ورسوله أعلم قال « طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هناك لطيرا ناعما ؟ قال « أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى » وقال قتادة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وذكر لنا أن أبا بكر قال يا رسول الله إني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون ، قال « من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال « نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر » فقال عمر إنها لناعمة ، قال رسول الله ﷺ « آكلها أنعم منها » وكذا رواه الترمذي عن عبد ابن حميد عن القعنبي عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه : وقال حسن عن أنس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا على بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة يعني لونا أبيض من اللبن والين من الزبد وأعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير » هذا حديث غريب جدا والوصافي وشيخه ضعيفان ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن عطاء عن كعب قال : إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطففن له فإذا اشتهى منها شيئا أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء ؛ صحيح إلى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا ، وقوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) قرأ بعضهم بالرفع وتقديره ولهم فيها حور عين وقراءة الجر تحتمل معنيين أحدهما أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله كقوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ⁕ لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين) كما قال تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم) وكما قال تعالى (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضا ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين والله أعلم . وقوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات (كأنهن بيض مكنون) وقد تقدم في سورة

الرحمن وصفهن أيضا ولهذا قال (جزاء بما كانوا يعملون) أى هذا الذى أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل ثم قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) أى لا يسمعون فى الجنة كلاما لاغيا أى عبثا خاليا عن المعنى أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف كما قال (لا تسمع فيها لاغية) أى كلمة لاغية (ولا تأثيما) أى ولا كلاما فيه قبح (إلا قيلا سلاما سلاما) أى إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى (تحيتهم فيها سلام) وكلامهم أيضا سالم من اللغو والاثم

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ * فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أى أى شىء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم . ثم فسر ذلك فقال تعالى (فى سدر مخضود) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الأحوص وقسامة بن زهير والسفر بن قيس والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وأبو حزرة وغيرهم هو الذى لا شوك فيه ، وعن ابن عباس هو الموقر بالثمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضا كنا نحدث أنه الموقر الذى لا شوك فيه ، والظاهر أن المراد هذا وهذا فان سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفى الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجار حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوى حدثنى حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم ابن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم قال أقبل أعرابى يوما فقال يا رسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله ﷺ « وما هى ؟ » قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول (فى سدر مخضود) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمرا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر » . ﴿ طريق آخر ﴾ قال أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمد بن المصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنى يحيى بن حمزة حدثنى ثور بن يزيد حدثنى حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمى قال : كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرا أكثر شوكا منها يعنى الطلح فقال رسول الله ﷺ « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر » وقوله (وطلح منضود) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاه واحدته طلحة وهو شجر كثير الشوك وانشد ابن جرير لبعض الحداة

بشرها دليلها وقالا * غدا ترين الطلح والجبالا

وقال مجاهد (منضود) أى متراكم الثمر يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلح وسدر وقال السدى منضود مصفود وقال ابن عباس يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل ، قال الجوهرى والطلح لغة فى الطلع ﴿ قلت ﴾ وقد روى ابن أبى حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت عليا يقول هذا الحرف فى طلح منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذى لا شوك له وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمره والله أعلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن إدريس عن جعفر بن إياس عن أبى نضرة عن أبى سعيد (وطلح منضود) قال الموز ، قال وروى عن ابن عباس وأبى هريرة والحسن

وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حزرة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمن يسمون الموز الطلح ولم يحك ابن جرير غير هذا القول وقوله تعالى (وظل ممدود) قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » ورواه مسلم من حديث الأعرج به . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة : قال قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » وكذا رواه مسلم من حديث الأعرج به وكذا رواه البخاري عن محمد بن سفيان عن فليح به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة وكذا رواه حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة والليث بن سعد عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد ابن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها واقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » إسناد جيد ولم يخرجوه وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبدة وعبد الرحيم والبخاري كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذي من حديث عبد الرحيم بن سليمان به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع ، وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران بن داود القطان عن قتادة به وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله ، وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، قال أبو صالح أتكذب أبا هريرة ؟ قال ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك أنت فشق ذلك على القراء يومئذ . ﴿ قلت ﴾ فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعه إلى رسول الله ﷺ . وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن جده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » ثم قال حسن غريب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا أبو عامر العقدي عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك

تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا . هذا أثر غريب وإسناده جيد قوى حسن : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان حدثنا أبو سفيان حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون فى قوله تعالى (وظل ممدود) قال سبعون ألف سنة وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدى عن سفيان مثله ، ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبى أسحاق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة ألف سنة

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد الطيالسى حدثنا حصين بن نافع عن الحسن فى قول الله تعالى (وظل ممدود) قال فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس فى الجنة شجر لايحمل يستظل به رواه ابن أبى حاتم ، وقال الضحاك والسدى وأبو حزرة فى قوله تعالى (وظل ممدود) لاينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر ، وقال ابن مسعود الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى (وندخلهم ظلا ظليلا) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (فى ظلال وعيون) إلى غير ذلك من الآيات . وقوله تعالى (وماء مسكوب) قال الثورى يجرى فى غير أخدود وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن) الآية بما أغنى عن إعادته ههنا

وقوله تعالى (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة فى الألوان مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) أى يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم ، وفى الصحيحين فى ذكر سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر ، وفيهما أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة ، وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئا فى مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت قال إنى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل عن جابر قال بينا نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب يارسول الله صنعت اليوم فى الصلاة شيئا ما كنت تصنعه قال : « انه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه وروى مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا على بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبى يحى بن أبى كثير عن عامر ابن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى يقول جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابى فيها فاكهة . قال : نعم وفيها شجرة تدعى طوبى . قال فذكر شيئا لا أدرى ماهو قال أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليست تشبه شيئا من شجر أرضك ؟ فقال النبى ﷺ : أتيت الشام ؟ قال لا قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها . قال ماعظم العنقود ؟ قال . مسيرة شهر للغراب الأبقع لايفتر . قال وعظم أصلها ؟ قال : لو ماارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما . قال فيها عنب ؟ قال : نعم قال فما عظم الحبة ؟ قال : هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما قال نعم ، قال : فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال اتخذى لنا منه دلوا ؟ . قال نعم قال الأعرابى فان تلك الحبة لتشبعنى وأهل بيتى ؟ قال : نعم وعامة عشيرتك . وقوله تعالى (لامقطوعة ولا ممنوعة) أى لا تنقطع شتاء ولا صيفا بل أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شىء وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم فى الحديث إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى . وقوله تعالى (وفرش مرفوعة) أى عالية وطيئة ناعمة قال النسائى وأبو عيسى الترمذى حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج عن

أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبي ﷺ فى قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش فى الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد وهو المصرى وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبى كريب عن رشدين به

ثم رواه هو وابن أبى حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبى حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء فى صفة الجنة من حديث حرملة عن ابن وهب به مثله ورواه الإمام احمد عن حسن عن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره . وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبى سهل يعنى كثير بن زياد عن الحسن (وفرش مرفوعة) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة . وقوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا عربا أترابا * لأصحاب اليمين) جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتى يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما فى قوله تعالى (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) يعنى الشمس على المشهور من قولى المفسرين وقال الاخفش فى قوله تعالى (إنا أنشأناهن) أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك وقال أبو عبيد ذكرن فى قوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) فقوله تعالى (إنا أنشأناهن) أى أعدناهن فى النشأة الأخرى بعد ما كن عجائز رمصا صرن أبكارا عربا أى بعد الثيوبة عدن أبكارا عربا متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم عربا أى غنجات قال موسى بن عبيدة الربذى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أنشأناهن إنشاء قال نساء عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا » رواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم ثم قال الترمذى غريب وموسى ويزيد ضعيفان وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا آدم يعنى ابن أبى اياس حدثنا شيبان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) يعنى الثيب والأبكار اللاتى كن فى الدنيا وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلنى الجنة فقال « يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز » قال فولت تبكى قال أخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز إن الله تعالى يقول (إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) وهكذا رواه الترمذى فى الشمائل عن عبد بن حميد وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا بكر بن سهل الدمياطى حدثنا عمرو بن هاشم البيروتى أخبرنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله تعالى (حور عين) قال « حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت أخبرنى عن قوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) قال « صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى » قلت أخبرنى عن قوله (فيهن خيرات حسان) قال « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » قلت أخبرنى عن قوله (كأنهن بيض مكنون) قال « رقتهن كرقة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلى القشر وهو الغرقىء » قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله (عربا أترابا) قال « هن اللواتى قبضن فى الدار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد » قلت يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين « قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عزوجل . ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير . بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب : يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس ابدا ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان

لنا » قالت يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال « يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول يارب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه ياأم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إلى منك . وقال عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له أنطأ في الجنة ؟ قال « نعم : والذي نفسي بيده دحما دحما فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا » وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء قلت يا رسول الله ويطيق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب : وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة قال « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم. وقوله (عربا) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني متحببات إلى أزواجهن ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك ، وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقال ثور بن يزيد عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله (عربا) قال هي الملقة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة هي الغنجة : وقال الأجلح بن عبد الله عن عكرمة هي الشكلة ، وقال صالح بن حسان عن عبد الله بن بريدة في قوله (عربا) قال الشكلة بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينة ، وقال تميم بن حذلم هي حسن التبعل . وقال زيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن : العرب حسنات الكلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « عربا — قال — كلامهن عربي » وقوله (أترابا) قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة ، وقال مجاهد : الأتراب المستويات ، وفي رواية عنه الأمثال ؛ وقال عطية الأقران وقال السدي (أترابا) أي في الأخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف عن الحسن ومحمد (عربا أترابا) قالا المستويات الأسنان يأتلفن جميعا ويلعبن جميعا وقد روى أبو عيسى الترمذي عن أحمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها — قال — يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس

ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » ثم قال هذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن فلان عبدالله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام » قلت اسماعيل بن عمر هذا هوأبوالمنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبدالرحيم بن إبراهيم الملقب بدحيم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبدالله بن رافع عن ابن لأنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الحور العين يغنين في الجنة نحن الحور الحسان خلقنا لأزواج كرام » وقوله تعالى (لأصحاب اليمين) أي خلقنا لأصحاب اليمين أو ادخرن لأصحاب اليمين أو زوجن لأصحاب اليمين والأظهر أنه متعلق بقوله (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين وهذا توجيه ابن جرير

وروى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديدا فجعلت أدعو بيد واحدة فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول يا أباسليمان أتدعو بيد واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة . قلت ويحتمل أن يكون قوله (لأصحاب اليمين) متعلقا بما قبله وهوقوله (أترابا لأصحاب اليمين) أي في أسنانهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة . وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع » . وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين بني ثلاث وثلاثين سنة » ثم قال حسن غريب . وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار » ورواه الترمذي عن سويد ابن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث به . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا القاسم ابن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ! على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون » وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمد بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحلين . ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » . وقوله تعالى (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران ابن حصين عن عبد الله بن مسعود قال وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال « عرضت عليّ الأنبياء وأتباعها بأممها فيمر على النبي والنبي في العصابة ! والنبي في الثلاثة

والنبي وليس معه أحد ـ وتلا قتادة هذه الآية (أليس منكم رجل رشيد) قال ـ حتى مر على موسى بن عمران فى كبكبة من بنى إسرائيل قال : قلت ربى من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بنى إسرائيل ! قال قلت رب فأين أمتى؟ قال انظر عن يمينك فى الضراب قال فاذا وجوه الرجال قال: قال أرضيت ؟ قال قلت قد رضيت رب . قال انظر إلى الأفق عن يسارك فاذا وجوه الرجال قال: أرضيت ؟ قلت قد رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » قال وأنشأ عكاشة بن محصن من بنى أسد قال سعيد. وكان بدريا قال يانبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال: فقال « اللهم اجعله منهم » قال أنشأ رجل آخر قال يانبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال : فقال رسول الله ﷺ فان استطعتم فداكم أبى وأمى أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا وإلا فكونوا من أصحاب الضراب وإلا فكونوا من أصحاب الأفق فانى قد رأيت ناسا كثيرا قد ناشبوا أحوالهم ـ ثم قال ـ إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا ثم قال « إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال فكبرنا قال « إنى لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة » قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال فقلنا بيننا من هؤلاء السبعون ألفا فقلنا هم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا قال فبلغه ذلك فقال « بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به بنحوه وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه فى الصحاح وغيرها قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبى عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين) قال : قال رسول الله ﷺ « هما جميعا من أمتى »

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ * وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ * لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ * فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) أى أى شىء هم فيه أصحاب الشمال ؟ ثم فسر ذلك فقال (فى سموم) وهو الهواء الحار (وحميم) وهو الماء الحار (وظل من يحموم) قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدى وغيرهم وهذه كقوله تعالى (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب * إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر * ويل يومئذ للمكذبين) ولهذا قال ههنا (وظل من يحموم) وهو الدخان الأسود (لا بارد ولا كريم) أى ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة (ولا كريم) أى ولا كريم المنظر وقال الضحاك كل شراب ليس بعذب فليس بكريم

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة فى النفى فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم . وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به بنحوه ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) أى كانوا فى الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل (وكانوا يصرون) أى يقيمون ولا ينوون توبة (على الحنث العظيم) وهو

الكفر بالله وجعل الأوثان والأنداد أربابا من دون الله . قال ابن عباس الحنث العظيم : الشرك . وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ، وقال الشعبي هو اليمين الغموس (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟) يعني أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه قال الله تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحد كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) ولهذا قال ههنا (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون) وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم (فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم) وهي الابل العطاش واحدها أهيم والأنثى هيماء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة :الهيم الابل العطاش الظماء . وعن عكرمة أنه قال الهيم الابل المراض تمص الماء مصا ولا تروى : وقال السدي الهيم داء يأخذ الابل فلا تروى أبدا حتى تموت فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدا . وعن خالد بن معدان أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثا ثم قال تعالى (هذا نزلهم يوم الدين) أي هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى في حق المؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أي ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مقررا المعاد . ورادا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد . من الذين قالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟) وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد . فقال تعالى (نحن خلقناكم) أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الاعادة بطريق الأولى والأحرى ؟ ولهذا قال (فلولا تصدقون ؟) أي فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله (أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟) أي أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) أي صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والأرض (وما نحن بمسبوقين) أي وما نحن بعاجزين (على أن نبدل أمثالكم) أي نغير خلقكم يوم القيامة (وننشئكم فيما لا تعلمون) أي من الصفات والأحوال . ثم قال تعالى (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) أي قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الأخرى وهي الاعادة بطريق الأولى والأحرى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من مني يمنى ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟)

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ * نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى (أفرأيتم ما تحرثون ؟) وهوشق الأرض وإثارتها والبذر فيها (أأنتم تزرعونه ؟) أي تنبتونه في الأرض (أم نحن الزارعون :) أي بل نحن الذي نقره قراره وننبته في الأرض . قال ابن: وقد جرير حدثني أحمد بن الوليد القرشي حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت » قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟) ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن عطاء عن أبي عبد الرحمن : لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا حرثنا . وروى عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) وأمثالها يقول بل أنت يا رب . وقوله تعالى (لو نشاء لجعلناه حطاما) أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم و لو نشاء لجعلناه حطاما أي لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده (فظلتم تفكهون) ثم فسر ذلك بقوله (إنا لمغرمون * بل نحن محرومون) أي لو جعلناه حطاما لظلتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون أي لملقون وقال مجاهد وعكرمة إنا لمولع بنا وقال قتادة معذبون وتارة تقولون بل نحن محرومون . وقال مجاهد أيضا إنا لمغرمون ملقون للشر أي بل نحن محارفون قاله قتادة أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد بل نحن محرومون أي مجدودون يعني لا حظ لنا وقال ابن عباس ومجاهد (فظلتم تفكهون) تعجبون وقال مجاهد أيضا فظلتم تفكهون تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع إلى الأول وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم وهذا اختيار ابن جرير . وقال عكرمة فظلتم تفكهون تلاومون وقال الحسن وقتادة والسدي فظلتم تفكهون تندمون ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائي تفكه من الأضداد تقول العرب تفكهت بمعنى تنعمت وتفكهت بمعنى حزنت . ثم قال تعالى (أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم انزلتموه من المزن) يعني السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد (أم نحن المنزلون) يقول بل نحن المنزلون (لو نشاء جعلناه أجاجا) أي زعاقا مرا لا يصلح لشرب ولا زرع (فلولا تشكرون) أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبا زلالا (لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عثمان بن سعيد ابن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبي جعفر عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال « الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا » : ثم قال (أفرأيتم النار التي تورون) أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها وللعرب شجرتان ﴿ إحداهما ﴾ المرخ ﴿ والأخرى ﴾ العفار إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار . وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) قال مجاهد وقتادة أي تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال « يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم » قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية : قال « إنها قد ضربت بالبحر ضربتين - أو مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها » وهذا الذي أرسله

قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » وقال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم » فقالوا يارسول الله إن كانت لكافية فقال « إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا » رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به وفي لفظ « والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » وقد قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبي سهل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سوادا من ناركم هذه بسبعين ضعفا » قال الضياء المقدسي وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندي على شرط الصحيح . وقوله تعالى (ومتاعا للمقوين) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي يعني بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل أهلها وقال غيره القي والقواء القفر الخالي البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقوي ههنا الجائع وقال ليث ابن أبي سليم عن مجاهد ومتاعا للمقوين للحاضر والمسافر لكل طعام لايصلحه إلا النار وكذا روى سفيان عن جابر الجعفي عن مجاهد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله للمقوين يعني المستمتعين من الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير أعم من غيره فان الحاضر والبادي من غني وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والا صطلاء والاضاءة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه فاذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى بها واشتوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاما في حق الناس كلهم ا وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خداش حبان بن زيد الشرعبي الشامي عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلمون شركاء في ثلاثة : النار والكلأ والماء » وروى ابن ماجه باسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لايمنعن : الماء والكلأ والنار » وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة وثمنه ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم وقوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا أجاجا كالبحار المغرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجرا لهم في المعاد

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

قال جويبر عن الضحاك : إن الله تعالى لايقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته . ثم قال بعض المفسرين لا ههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه (إنه لقرآن كريم) وقال آخرون ليست لا زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسما به على منفي كقول عائشة رضي الله عنها : لا و الله مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، وهكذا ههنا تقدير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم

ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم . وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله (فلا أقسم) فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل أقسم . واختلفوا في معنى قوله (بمواقع النجوم) فقال حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا في السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فهو قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) نجوم القرآن ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حزرة وقال مجاهد أيضا مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها . وعن الحسن أيضا أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة وقال الضحاك (فلا أقسم بمواقع النجوم) يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا . وقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وان هـذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه (إنه لقرآن كريم) أي ان هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم (في كتاب مكنون) أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر وقال ابن جرير حدثني موسى بن إسماعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) قال الكتاب الذي في السماء . وقال العوفي عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) يعني الملائكة ، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور حدثنا معمر عن قتادة (لا يمسه إلا المطهرون) قال لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس ، والمنافق الرجس ، وقال وهي في قراءة ابن مسعود ما يمسه إلا المطهرون وقال أبو العالية (لا يمسه إلا المطهرون) ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب وقال ابن زيد زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به . وقال آخرون (لا يمسه إلا المطهرون) أي من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر . وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عبد أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ولا يمس القرآن إلا طاهر » وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا ينبغي الأخذ به وقد أسنده الدار قطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص وفي إسناد كل منهما نظر والله أعلم : وقوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) أي هذ القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) قال العوفي عن ابن عباس أي مكذبون غير مصدقين ، وكذا قال الضحاك وأبو حزرة والسدي ، وقال مجاهد (مدهنون) أي تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال بعضهم معنى وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون أي تكذبون بدل الشكر ، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) كما سيأتي ، وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان بمعنى شكر فلان : وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « وتجعلون رزقكم يقول شكركم أنكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا » وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مخول بن إبراهيم النهدي وابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبيد الله بن موسى وعن يعقوب بن إبراهيم عن يحيى بن أبي بكير ثلاثتهم عن اسرائيل به مرفوعا وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو المروزي به وقال حسن غريب وقد رواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى ولم يرفعه . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مامطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وقال مالك في الموطأ عن صالح بن كيسان عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم » قالوا الله ورسوله أعلم قال : « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب » أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به . وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد حدثنا عبدالله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا » انفرد به مسلم من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم أبقى من نوء الثريا فقال العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا قال فما مضت سابعة حتى مطروا وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بانزال المطر لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزل المطر فان هذا هو المنهي عن اعتقاده وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أمية فيما أحسبه أوغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد فقال « كذبت بل هو رزق الله » . ثم قال ابن جرير حدثني أبو صالح الصراري حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين — ثم قال — (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا » . وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا « لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدع » . وقال مجاهد (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال قولهم في الأنواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ولهذا قال قبله (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى (فلولا إذا بلغت) أي الروح (الحلقوم) أي الحلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى (كلا إذا

بلغت التراقي وقيل من راق . وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق) ولهذا قال ههنا (وأنتم حينئذ تنظرون) أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت (ونحن أقرب إليه منكم) أي بملائكتنا (ولكن لا تبصرون) أي ولكن لا ترونهم كما قال تعالى في الآية الأخرى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعني محاسبين وروى عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدى وأبي حزرة مثله

وقال سعيد بن جبير والحسن البصري (فلولا إن كنتم غير مدينين) غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس وعن مجاهد (غير مدينين) غير موقنين وقال ميمون بن مهران غير معذبين مقهورين

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ولهذا قال تعالى (فأما إن كان) أي المحتضر (من المقربين) وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات (فروح وريحان وجنة نعيم) أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء إن ملائكة الرحمة تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فروح) يقول راحة وريحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة وقال أبو حزرة الراحة من الدنيا وقال سعيد بن جبير والسدى الروح الفرح وعن مجاهد (فروح وريحان) جنة ورخاء وقال قتادة فروح فرحمة وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فان من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن (وجنة نعيم) وقال أبو العالية لا يفارق احد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه وقال محمد بن كعب لا يموت احد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم أهل النار ، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ولو كتبت ههنا لكان حسنا ،وأجلها حديث تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى فلان فائتني به فانه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ، ائتني فلأريحه ، قال فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك » وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية

قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (فروح وريحان) برفع الراء وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون وهو ابن موسى الأعور به وقال الترمذي لا نعرفه إلا من حديثه وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقون فقرءوا (فروح وريحان) بفتح الراء

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هانىء أنها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يكون النسم طيرا يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها » . هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى يعلق يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضا ما رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» . وهذا إسناد عظيم ومتن قويم

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» الحديث وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا عطاء بن السائب قال كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخا أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعته يقول حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قال فأكب القوم يبكون فقال ما يبكيكم ؟ فقالوا إنا نكره الموت قال ليس ذاك ولكنه إذا احتضر (فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم) فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل والله عز وجل للقائه أحب (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقائه أكره ، هكذا رواه الإمام أحمد ، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها شاهد لمعناه . وقوله تعالى (وأما إن كان من أصحاب اليمين) أي وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين (فسلام لك من أصحاب اليمين) أي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم سلام لك أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم) وقال البخاري (فسلام لك) أي مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت إن وبقي معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل وقد يكون كالدعاء له كقولك سقيا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه والله أعلم . وقوله تعالى (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى (فنزل) أي فضيافة (من حميم) وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود (وتصلية جحيم) أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته : ثم قال تعالى (إن هذا لهو حق اليقين) أي إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه (فسبح باسم ربك العظيم) . قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقي حدثني إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسبح باسم ربك العظيم) قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال رسول الله ﷺ «اجعلوها في سجودكم » وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به ، وقال روح بن عبادة حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة » هكذا رواه الترمذي من حديث روح ورواه هو والنسائي أيضا من حديث حماد ابن سلمة من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم به وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير وقال البخاري في آخر كتابه حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله

آخر تفسير سورة الواقعة ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الحديد وهي مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبي بلال عن عرباض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال « إن فيهن آية أفضل من ألف آية وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقية به وقال الترمذي حسن غريب . ورواه النسائي عن ابن أبي السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ فذكره مرسلا لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرباض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) كما سيأتي بيانه قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض أي من الحيوانات والنباتات كما قال في الآية الأخرى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) وقوله تعالى (وهو العزيز) أي الذي قد خضع له كل شيء (الحكيم) في خلقه وأمره وشرعه (له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) أي هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء (وهو على كل شيء قدير) أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية ، وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة — يعني ابن عمار — حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شيء أجده في صدري؟ قال ماهو؟ قلت والله لا أتكلم به قال : فقال لي أشيء من شك؟ قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك)الآية قال وقال لي إذا وجدت في نفسك شيئا فقل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولا . وقال البخاري قال يحيى : الظاهر على كل شيء علما والباطن على كل شيء علما وقال شيخنا الحافظ المزي يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك ما قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن ليس دونك شيء . اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر » ورواه مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر . وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبة حدثنا يونس حدثنا السري بن إسماعيل

عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فاذا أوى اليه توسد كفه اليمنى ثم همس مايدرى مايقول فاذا كان فى آخر الليل رفع صوته فقال : «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول الذى ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذى ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر» . السرى بن إسماعيل هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جدا والله أعلم . وقال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد المعنى واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبى هريرة قال بينما نبى الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : هل تدرون ما هذا ؟ . قالوا الله ورسوله أعلم قال : هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لايشكرونه ولا يدعونه . ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فانها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف . ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة . ثم قال : هل تدرون مافوق ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة — حتى عد سبع سموات — ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد ما بين السماءين ، ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإنها الأرض . ثم قال : هل تدرون ما الذى تحت ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة — حتى عد سبع أرضين — بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلا إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ثم قال الترمذى هذا حديث غريب من هذا الوجه ويروى عن أيوب ويونس يعنى ابن عبيد وعلى بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبى هريرة وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه انتهى كلامه . وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن شريح عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وعنده وبعد ما بين الأرضين مسيرة سبعمائة عام وقال : لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ورواه ابن أبى حاتم والبزار من حديث أبى جعفر الرازى عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبى حاتم آخره وهو قوله لو دليتم بحبل وإنما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقال البزار لم يروه عن النبى ﷺ إلا أبو هريرة ورواه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر لنا أن نبى الله ﷺ بينما هو جالس فى أصحابه إذ مر عليهم سحاب فقال : هل تدرون ما هذا . وذكر الحديث مثل سياق الترمذى سواء إلا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روى من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه وأرضاه رواه البزار فى مسنده والبيهقى فى كتاب الأسماء والصفات ولكن فى إسناده نظر وفى متنه غرابة ونكارة والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال ابن جرير عند قوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض فقال بعضهم لبعض من أين جئت قال أحدهم أرسلنى ربى عز وجل من السماء السابعة وتركته ، ثم قال الآخر أرسلنى ربى عز وجل من الأرض السابعة وتركته ثم ، قال الآخر أرسلنى ربى من المشرق وتركته ثم ، قال الآخر أرسلنى ربى من المغرب وتركته ثم . وهذا حديث غريب جدا وقد يكون الحديث الأول موقوفا على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها فى سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يعلم مايلج فى الأرض) أى يعلم عدد مايدخل فيها من حب وقطر (وما يخرج منها) من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) أى من الأمطار ، والثلوج والبرد والاقدار . والاحكام مع الملائكة الكرام . وقد تقدم فى سورة البقرة أنه ماينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى المكان الذى يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى وقوله تعالى (وما يعرج فيها) أى من الملائكة والأعمال كما جاء فى الصحيح « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » وقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار الجميع فى علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون إنه عليم بذات الصدور) وقال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) فلا إله غيره ولا رب سواه ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » وروى الحافظ أبوبكر الاسماعيلى من حديث نصر بن خزيمة ابن جنادة بن محفوظ بن علقمة حدثنى أبى عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبدالرحمن بن عامر قال : قال عمر جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال زودنى حكمة أعيش بها فقال « استح الله كما تستحى رجلا من صالحى عشيرتك لايفارقك » هذا حديث غريب وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن عاويه العامرى مرفوعا « ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان إن عبد الله وحده وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه فى كل عام ولم يعط الهرمة ولا الردية ولا الشرطة الائيمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه » وقال رجل يارسول الله ماتزكية المرء نفسه فقال « يعلم أن الله معه حيث كان » . وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى عن محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن عبدالرحمن ابن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » غريب وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

إذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب

وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) أى هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة) وقال تعالى (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) فجميع ما فى السموات والأرض ملك له وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ولهذا قال (وإلى الله

ترجع الأمور) أى إليه المرجع يوم القيامة فيحكم فى خلقه بما يشاء وهو العادل الذى لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وكما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . وقوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى هو المتصرف فى الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعا ثم قيظا ثم خريفا وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه (وهو عليم بذات الصدور) أى يعلم السرائر وإن دقت وان خفيت

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أى مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان فى أيدى من قبلكم ثم صار إليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال فى طاعته فان يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه ، وقوله تعالى (مما جعلكم مستخلفين فيه) فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصى الله فيه فتكون قد سعيت فى معاونته على الاثم والعدوان . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعنى ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول « ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ » ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد « وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » وقوله تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) ترغيب فى الإيمان والإنفاق فى الطاعة ثم قال تعالى (ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ؟) أى وأى شىء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به وقد روينا فى الحديث من طرق فى أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه « أى المؤمنين أعجب إليكم إيمانا ـ قالوا الملائكة قال ـ وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ ـ قالوا فالأنبياء : قال : ومالهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم ـ قالوا فنحن قال : ومالكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها وقد ذكرنا طرفا من هذه فى أول سورة البقرة عند قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) ويعنى بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى صلب آدم وهو مذهب مجاهد فالله أعلم وقوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات) أى حججا واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى

واليقين والإيمان (وإن الله بكم لرؤوف رحيم) أي في انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولا بالإيمان والانفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضا على الإنفاق فقال (ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض ؟) أي أنفقوا ولاتخشوا فقرا وإقلالا فان الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش اقلالا وعلم أن الله سيخلفه عليه وقوله تعالى (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي لايستوي هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الإسلام ظهورا عظيما ودخل الناس في دين الله أفواجا . ولهذا قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أومثل الجبال ذهبا مابلغتم أعمالهم » ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » فقلنا من هم يارسول الله أقريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق افئدة والين قلوبا » فقلنا أهم خير منا يارسول الله ؟ قال : « لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ماأدرك مد أحدكم ولا نصيفة إلا أن هذا فضل مابيننا وبين الناس (لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرني زيد بن أسلم عن أبي سعيد التمار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا من هم يارسول الله ،قريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوبا » وأشار بيده إلى اليمن فقال « هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية » فقلنا يارسول الله هم خير منا ؟ قال : « والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ماأدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال « ألا إن هذا فضل مابيننا وبين الناس لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارا عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل مانزل (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) الآية فهي بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) يعني المنفقين قبل الفتح

وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت فى تفاضل الجزاء كما قال تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) وهكذا الحديث الذى فى الصحيح «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير» وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم عندهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون خبير) أى فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وانفاقه فى حال الجهد والقلة والضيق، وفى الحديث «سبق درهم مائة ألف» ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضى الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها. وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى عند تفسير هذه الآية: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنا عبد الله ابن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن إسحق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيبانى حدثنا أبو إسحق الفزارى حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن على عن ابن عمر قال كنت عند النبى ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال؟ فقال «أنفق ماله على قبل الفتح» قال فان الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط؟» فقال أبو بكر رضى الله عنه: أسخط على ربى عز وجل؟ إنى عن ربى راض. هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) قال عمر بن الخطاب هو الانفاق فى سبيل الله، وقيل هو النفقة على العيال، والصحيح أنه أعم من ذلك فكل من أنفق فى سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل فى عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) كما قال فى الآية الأخرى (أضعافا كثيرة وله أجر كريم) أى جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة

قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال أبو الدحداح الأنصارى يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض؟ قال «نعم يا أبا الدحداح» قال أرنى يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فانى قد أقرضت ربى حائطى وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل، وفى رواية أنها قالت له ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال «كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح» وفى لفظ «رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبى الدحداح فى الجنة»

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ❊ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ❊ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ❊ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ

النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم فى عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره فى إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة ، ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول « من المؤمنين من يضىء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضىء نوره موضع قدميه » وقال سفيان الثورى عن حصين عن مجاهد عن جنادة بن أبى أمية قال إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ (يسعى نورهم بين أيديهم) وقال الضحاك ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا ، وقال الحسن (يسعى نورهم بين أيديهم) يعنى على الصراط . وقد قال ابن أبى حاتم رحمه الله : حدثنا أبو عبيد الله بن أخى ابن وهب أخبرنا عمى عن يزيد بن أبى حبيب عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبى ﷺ قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى فأعرف أمتى من بين الأمم » فقال له رجل يا نبى الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك ؟ فقال : أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم » .

وقوله (وبأيمانهم) قال الضحاك أى وبأيمانهم كتبهم كما قال (فمن أوتى كتابه بيمينه) وقوله (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار) أى يقال لهم بشراكم اليوم جنات أى لكم البشارة بجنات تجرى من تحتها الأنهار (خالدين فيها) أى ماكثين فيها أبدا (ذلك هو الفوز العظيم) وقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة فى العرصات من الأهوال المزعجة . والزلازل العظيمة ، والأمور الفظيعة وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو حدثنى سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة فى باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلى فلما صلى على الجنازة وأخذوا فى دفنها قال أبو أمامة : أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم فى منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا — يشير إلى القبر — بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة فإنكم فى بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن ، نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا ، وهو المثل الذى ضربه الله تعالى فى كتابه فقال (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فلا يستضىء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضىء الأعمى ببصر البصير ، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) وهى خدعة الله التى خدع بها المنافقين حيث قال (يخادعون الله وهو خادعهم) فيرجعون إلى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن ثم قال حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا ارطاة بن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج

عن أبي أمامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون (انظرونا نقتبس من نوركم) وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ (انظرونا نقتبس من نوركم) فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا وراءكم) من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسن بن عرفة بن علويه العطار حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده ، وأما عند الصراط فان الله تعالى يعطى كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا »

وقوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى (وبينهما حجاب) وهكذا روى عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح (باطنه فيه الرحمة) أي الجنة وما فيها (وظاهره من قبله العذاب) أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما ، قال ابن جرير وقد قيل إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم . ثم قال حدثنا ابن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله ابن عمرو يقول إن السور الذي ذكره الله في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم . ثم روى عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار وعلي بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك ، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم فان الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين ، وقول كعب الأحبار إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته وترهاته ، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فاذا انتهى اليه المؤمنون دخلوه من بابه فاذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة (ينادونهم ألم نكن معكم) أي ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ونؤدي معكم سائر الواجبات ؟ (قالوا بلى) أي فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني) قال بعض السلف أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات وتربصتم أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت . وقال قتادة (تربصتم) بالحق وأهله (وارتبتم) أي بالبعث بعد الموت (وغرتكم الأماني) أي قلتم سيغفر لنا وقيل غرتكم الدنيا (حتى جاء أمر الله) أي ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت (وغركم بالله الغرور) أي الشيطان ، قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار : ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين انكم كنتم معنا أي بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا ، قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء ينا كحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ . وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول وهو أصدق القائلين (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب

يوم الدين * حتى أتانا اليقين) فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ . ثم قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) كما قال ههنا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أى لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبا ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ما قبل منه وقوله تعالى (مأواكم النار) أى هى مصيركم وإليها منقلبكم ، وقوله تعالى (هى مولاكم) أى هى أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ * ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه . قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المرى عن قتادة عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية رواه ابن أبى حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن حسين المروزى عن ابن المبارك به . ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن هلال يعنى الليثى عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية إلا أربع سنين كذا رواه مسلم فى آخر الكتاب ، وأخرجه النسائى عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلى عن ابن وهب به . وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعى عن أبى حازم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار فى مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبى حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره وقال سفيان الثورى عن المسعودى عن القاسم قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) قال ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) وقال قتادة (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال « إن أول ما يرفع من الناس الخشوع » .

وقوله تعالى (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال فى دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد (وكثير منهم فاسقون) أى فى الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) أى فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التى أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم فى شىء من الأمور الأصلية والفرعية

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور ابن المعتمر عن الربيع بن أبى عميلة الفزارى قال حدثنا عبد الله بن مسعود حدثنا ما سمعت أعجب إلى منه إلا شيئا من كتاب الله أو شيئا قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم

فقالوا تعالوا ندع بنى إسرائيل إلى كتابنا.هذا فمن تابعنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد إلى مايعرف من كتاب الله فكتبه فى شىء لطيف ثم أدرجه فجعله فى قرن ثم علق ذلك القرن فى عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل فى بنى إسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه ، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا أتؤمن بما فى كتابنا هذا ؟ قال وما فيه ؟ اعرضوه على فعرضوه عليه إلى آخره ثم قالوا أتؤمن بهذا ؟ قال نعم آمنت بما فى هذا وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير مللهم ملة أصحاب ذى القرن » قال ابن مسعود وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أو بقى من بقى منكم أن تروا أمورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره . وروى أبو جعفر الطبرى حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبى معشر عن إبراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال يا أباعبدالله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكرا ، إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله فى قرن ثم جعل القرن بين ثندوتيه فلما قيل له أتؤمن بهذا ؟ قال آمنت به ويومىء إلى القرن بين ثندوتيه ومالى لا أومن بهذا الكتاب ؟ فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن . وقوله تعالى (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدى الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها فكما يحيى الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدى القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذى هو لما يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل فى جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا قال (يضاعف لهم) أى يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك (ولهم أجر كريم) أى ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم . وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون ، قال العوفى عن ابن عباس قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذه مفصولة (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) وقال أبو الضحى (أولئك هم الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال (والشهداء عند ربهم) وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال هم ثلاثة أصناف : يعنى المصدقين والصديقين والشهداء ، كما قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولاشك أن

الصديق أعلى مقاما من الشهيد كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله فى كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قال يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » اتفق البخارى ومسلم على إخراجه من حديث مالك به ، وقال آخرون بل المراد من قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر(١) عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء حكاه ابن جرير عن مجاهد ثم قال ابن جرير حدثنى صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مؤمنو أمتى شهداء » قال ثم تلا النبى ﷺ هذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) هذا حديث غريب . . وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون فى قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) قال يجيئون يوم القيامة معا كالاصبعين . وقوله تعالى (والشهداء عند ربهم) أى فى جنات النعيم كما جاء فى الصحيحين « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تريدون ؟ ! فقالوا نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال إنى قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون » : وقوله تعالى (لهم أجرهم ونورهم) أى لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم فى ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا فى الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن أبى يزيد الخولانى قال سمعت فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فصدق الله فقتل فذاك الذى ينظر الناس إليه هكذا » ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنسوة عمر « والثانى مؤمن لقى العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك فى الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الثالث ، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيرا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الرابعة » وهكذا رواه على بن المدينى عن أبى داود الطيالسى عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال هذا إسناد مصرى صالح ، ورواه الترمذى من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب ، وقوله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) أى إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من ذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا فى أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال (كمثل غيث) وهو المطر الذى يأتى

(١) قوله : فأخبر ، هكذا فى النسخ ولعل فى العبارة تحريفا . والصواب الإخبار ، أو أن يخبر .

بعد قنوط الناس كما قال تعالى (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا)

وقوله تعالى (أعجب الكفار نباته) أى يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذى نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فإنهم أحرص شىء عليها وأميل الناس إليها (ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) أى يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرا نضرا ثم يكون بعد ذلك كله حطاما أى يصير يبسا متحطما هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء ، والإنسان يكون كذلك فى أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريا لين الأعطاف ، بهى المنظر ثم إنه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشىء اليسير كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال (وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان * وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان . وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى هى متاع فان غار لمن ركن إليه فانه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة. قال ابن جرير حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا المحاربى حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) » وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » انفرد بإخراجه البخارى فى الرقاق من حديث الثورى عن الأعمش به . ففى هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التى تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) وقال ههنا (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى هذا الذى أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم كما قدمنا فى الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال « وما ذاك . » قالوا يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال « أفلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم . تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال فرجعوا فقالوا سمع اخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾

يخبر تعالى عن قدره السابق فى خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم) أى فى الآفاق وفى نفوسكم (إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة وقال بعضهم من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها

كما قال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالساً مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) فسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك فى هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففى كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة وقال قتادة ما أصاب من مصيبة فى الأرض قال هى السنون يعنى الجدب (ولا فى أنفسكم) يقول الأوجاع والأمراض ، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر . وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - قبحهم الله - وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا أخبرنا أبو هانىء الخولانى أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » . ورواه مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثتهم عن أبى هانىء به وزاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذى وقال حسن صحيح وقوله تعالى (إن ذلك على الله يسير) أى أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد فى حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أى أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شىء لكان (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى جاءكم، وتفسير آتاكم أى أعطاكم وكلاهما متلازم أى لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) أى مختال فى نفسه متكبر فخور أى على غيره وقال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً . ثم قال تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) أى يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه (ومن يتول) أى عن أمر الله وطاعته (فان الله هو الغنى الحميد) كما قال موسى عليه السلام (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فان الله لغنى حميد) .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أى بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات (وأنزلنا معهم الكتاب) وهو النقل الصدق (والميزان) وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وقال تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) وقال تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) ولهذا قال فى هذه الآية (ليقوم الناس بالقسط) أى بالحق والعدل وهو واتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فان الذى جاءوا به هو الحق الذى ليس وراءه حق كما قال (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا) أى صدقاً فى الاخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسرر المصفوفات (الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . وقوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أى وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وايضاح للتوحيد وبينات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن

وكذب به وعانده . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المنيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولهذا قال تعالى (فيه بأس شديد) يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها (ومنافع للناس) أي في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك . قال علباء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والميقعة يعني المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أي من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله (إن الله قوي عزيز) أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته كما قال تعالى في الآية الأخرى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل) وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) وهم الحواريون (رأفة) أي رقة وهي الخشية (ورحمة) بالخلق ، وقوله (ورهبانية ابتدعوها) أي ابتدعها أمة النصارى (ما كتبناها عليهم) أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم . وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة ﴿ والآخر ﴾ ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ؛ وقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أي فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله ﴿ والثاني ﴾ في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي حدثنا السري بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن مسعود » قلت لبيك يا رسول الله قال « هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) »

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا داود بن المحبر حدثنا الصعق

ابن حزن حدثنا عقيل الجعدى عن أبي إسحاق الهمدانى عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم » وذكر نحو ما تقدم وفيه « (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) هم الذين آمنوا بى وصدقونى (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين كذبونى وخالفونى » ولا يقدح فى هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فانه أحد الوضاعين للحديث ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق ابن حزن به مثل ذلك فقوى الحديث من هذا الوجه وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له أخبرنا الحسين ابن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوارة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرءون التوارة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيئا أشد من شتم يشتموناه هؤلاء إنهم يقرءون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) هذه الآيات مع ما يعيبونا به من أعمالنا فى قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا ، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون إلى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) والآخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) أجرين بإيمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوارة والانجيل وبإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم قال (ويجعل لكم نورا تمشون به) القرآن واتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم قال (لئلا يعلم أهل الكتاب) الذين يتشبهون بكم (أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) هذا السياق فيه غرابة وسيأتى تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير وهو يصلى صلاة خفيفة وقعة كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته ؟ قال إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئا سهوت عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال نعم فركبوا جميعا فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أتعرف هذه الديار ؟ قال ما أعرفنى بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغى والحسد إن الحسد يطفيء نور الحسنات والبغى يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزنى والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . وقال الإمام أحمد حدثنا معمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمى عن أبى إياس عن إياس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبى رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله عز وجل » ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماء عن عبد الله بن المبارك به ولفظه « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله » . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا عياش يعنى إسماعيل عن الحجاج بن هارون الكلاعى وعقيل بن مدرك السلمى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلا جاءه فقال أوصنى فقال سألت عما سألت عنه

رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك في السماء وذكرك في الأرض . تفرد به أحمد والله تعالى أعلم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » أخرجاه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير ، وقال سعيد ابن جبير لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين) أي ضعفين (من رحمته) وزادهم (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ، ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه . وهذه الآية كقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبرا من أحبار يهود أفضل ماضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل (يؤتكم كفلين من رحمته) قال سعيد والكفلان في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير . ومما يؤيد هذا القول مارواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قالوا لا ، قال فانما هو فضلي أوتيه من أشاء » قال أحمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به ، وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله . وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وماعملنا باطل فقال لهم لاتفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر . قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال أكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير فأبوا . فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ماقبلوا من هذا النور » انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أي ليتحققوا انهم لايقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء مامنع الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) قال ابن جرير (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها لكي يعلم

وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير : قال ابن جرير لأن العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله (مامنعك ألا تسجد) (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) آخر تفسير سورة الحديد ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المجادلة مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

قال الإمام علي أحمد حدثنا أبومعاوية حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ماتقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به . وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول يارسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) قالت وزوجها أوس بن الصامت ، وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرءا به لمم فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله فأنزل الله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لمم فذكر مثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعني ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه ؟ قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها . هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التي أنزل الله فيها (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالا حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه قالت فدخل على يوما فراجعته بشيء فغضب فقال أنت على كظهر أمي . قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل على فإذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لاتخلص إلى وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له مالقيت منه وجعلت أشكو إليه ماألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتق الله فيه » قالت فوالله مابرحت حتى نزل في قرآن ، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لي « ياخويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا - ثم قرأ علي - قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير - إلى قوله تعالى - وللكافرين عذاب أليم) » قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « مريه فليعتق رقبة » قالت فقلت يارسول ما عنده مايعتق قال « فليصم شهرين متتابعين » قالت فقلت والله إنه لشيخ كبير مابه من صيام قال « فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر » قالت فقلت والله يارسول الله ماذاك عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانا سنعينه بفرق من تمر » قالت فقلت يارسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال « قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً » قالت ففعلت . ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال لها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الاطعام ، كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن اسحاق بن يسار عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الأنصاري قال كنت امرأ قد أوتيت من جماع النساء مالم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب في ليلتي شيئا فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمري ، فقالوا لا والله لانفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع مابدا لك قال فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال لي « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك فقال « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك قال « أنت بذاك » قلت نعم ها أناذا فأمض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال « أعتق رقبة » قال فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ماأصبحت أملك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » قلت يارسول الله وهل أصابني ماأصابني إلا في الصيام قال « فتصدق » فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا مالنا عشاء قال « اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فأطعم عنك منها وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك » قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلى فدفعوها إلى ، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد

التأمل قال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقا فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوسا ظاهر مني وإنا إن افترقنا هلكنا وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله — إلى قوله تعالى — وللكافرين عذاب أليم) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتقدر على رقبة تعتقها » قال لا والله يارسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه ثم راجع أهله رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثرون إلى ماقلناه والله أعلم فقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية أنت علي كظهر أمي حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الاسلام أوس وكان تحته ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فأسقط في يديه ، وقال ماأراك إلا قد حرمت علي وقالت له مثل ذلك قال فانطلقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال « ياخويلة » ما أمرنا في أمرك بشيء ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال « ياخويلة أبشري » قالت خيرا فقرأ عليها (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما — إلى قوله تعالى — والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) قالت وأي رقبة لنا والله مايجد رقبة غيري قال (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) قالت والله لولا انه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) قالت من أين ما هي إلا أكلة إلى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعا والوسق ستون صاعا فقال : ليطعم ستين مسكينا وليراجعك . وهذا إسناد جيد قوي وسياق غريب ، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا علي بن العاصم عن دواد بن أبي هند عن أبي العالية قال: كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار وكان ضرير البصر فقيرا سيء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت علي كظهر أمي وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوما في شيء فقال أنت علي كظهر أمي فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عيالها فقالت يارسول الله إن زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق وإني نازعته في شيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق ولي منه عيل أو عيلان فقال « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأباصبيتي قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يارسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيء الخلق وإن لي منه عيلا أو عيلين وإني نازعته في شيء فغضب وقال أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق قالت فرفع إلى رأسه وقال «ماأعلمك الا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأباصبيتي قال ورأت عائشة وجه النبي صلى الله عليه وسلم تغير فقالت لها وراءك وراءك فتنحت فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غشيانه ذلك ما شاء الله فلما انقطع الوحي قال ياعائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذهبي فأتيني بزوجك » فانطلقت تسعى فجاءت به فاذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أستعيذ بالله السميع العليم (بسم الله الرحمن الرحيم * قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها — إلى قوله — والذين يظاهرون من نسائهم . ثم يعودون لما قالوا) » قال النبي صلى الله عليه وسلم « أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها » قال لا قال «أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال والذي بعثك بالحق إني إذا لم آكل المرتين

والثلاث يكاد أن يعشو بصرى قال « أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ » قال لا إلا أن تعينني قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أطعم ستين مسكينا » قال وحول الله الطلاق فجعله ظهارا ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبد الأعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق ، وقال سعيد بن جبير كان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الايلاء أربعة أشهر وجعل فى الظهار الكفارة رواه ابن أبى حاتم بنحوه وقد استدل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل فى هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله (من نسائهم) على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل فى هذا الخطاب وقوله تعالى (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) أى لا تصير المرأة بقول الرجل أنت على كأمى أو مثل أمى أو كظهر أمى وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك إنما أمه التى ولدته ولهذا قال تعالى (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أى كلاما فاحشا باطلا (وإن الله لعفو غفور) أى عما كان منكم فى حال الجاهلية ، وهكذا أيضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد إليه التكلم كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لامرأته يا أختى فقال « أختك هى ؟ » فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك

وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف السلف والأئمة فى المراد بقوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا) فقال بعض الناس العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام ، وقال الشافعى هو أن يمسكها بعد المظاهرة زمانا يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق ، وقال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة ، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الامساك ، وعنه أنه الجماع ، وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما لا يرفعه إلا الكفارة وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد وقال ابن لهيعة حدثنى عطاء عن سعيد بن جبير (ثم يعودون لما قالوا) يعنى يريدون أن يعودوا فى الجماع الذى حرموه على أنفسهم ، وقال الحسن البصرى يعنى الغشيان فى الفرج وكان لا يرى بأسا أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (من قبل أن يتماسا) والمس النكاح وكذا قال عطاء والزهرى وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهرى ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر . وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله إنى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال « ما حملك على ذلك يرحمك الله » قال رأيت خلخالها فى ضوء القمر قال « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل » وقال الترمذى حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائى من حديث عكرمة مرسلا قال النسائى وهو أولى بالصواب وقوله تعالى (فتحرير رقبة) أى فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا فههنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفى كفارة القتل مقيدة بالإيمان فحمل الشافعى رحمه الله ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد فى ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمى فى قصة الجارية السوداء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعتقها فانها مؤمنة » وقد رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن إسماعيل بن مسلم بن يسار عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال إنى ظاهرت من امرأتى ثم وقعت عليها قبل أن أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم يقل الله تعالى من قبل أن يتماسا » قال أعجبتنى ، قال « أمسك حتى تكفر » ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا وإسمعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة وقوله تعالى (ذلكم توعظون به) أى تزجرون به (والله بما تعملون خبير) أى خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم

وقوله تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت فى الصحيحين فى قصة الذى جامع امرأته فى رمضان (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أى شرعنا هذا لهذا وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أى محارمه فلا تنتهكوها وقوله تعالى (وللكافرين عذاب أليم) أى الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كما زعموا بل لهم عذاب أليم أى فى الدنيا والآخرة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) أى أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) أى واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر (وللكافرين عذاب مهين) أى فى مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد (فينبئهم بما عملوا) أى فيخبرهم بالذى صنعوا من خير وشر (أحصاه الله ونسوه) أى ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا (والله على كل شىء شهيد) أى لا يغيب عنه شىء ولا يخفى ولا ينسى شيئا ، ثم قال تعالى مخبرا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من سر ثلاثة (إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) أى مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) وقال تعالى (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك فى إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شىء ، ثم قال تعالى (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) قال الإمام أحمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) قال اليهود ، وكذا قال مقاتل ابن حيان وزاد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله تعالى (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير عن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى ؟ ألم تنهوا عن النجوى ؟ » قلنا تبنا إلى الله يارسول الله إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه ؟ » قلنا بلى يا رسول الله ! قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل » هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء . وقوله تعالى (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم (والعدوان) وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة : وعليكم السام قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو ما سمعت أقول وعليكم ؟ » فأنزل الله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » وقال ابن جرير : حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما قال ؟ » قالوا سلم يارسول الله قال « بل قال سام عليكم » أي تسامون دينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوه » فردوه عليه فقال نبي الله « أقلت سام عليكم » قال نعم فقال رسول الله ﷺ « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك » أي عليك ما قلت ، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام وإنما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة (يصلونها فبئس المصير) ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء ابن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ؟ فنزلت هذه الآية (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) إسناد حسن ولم يخرجوه ؟ وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه سام عليك قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي كما يتناجى به الجهلة

من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون) أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها ، قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءا (من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) يعني إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه (ليحزن الذين آمنوا) أي ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئا إلا بإذن الله ومن أحس من ذلك شيئا فليستعذ بالله وليتوكل على الله فإنه لا يضره شيء بإذن الله .

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا : حدثنا الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه » أخرجاه من حديث الأعمش . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه » انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وآمرا لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) وقرىء (في المجلس) (فافسحوا يفسح الله لكم) وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتاً في الجنة » وفي الحديث الآخر « ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى (فافسحوا يفسح الله لكم) قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر « قم يا فلان وأنت يا فلان » فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال « رحم الله رجلا يفسح لأخيه » فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لاخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به . وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » على شرط السنن ولم يخرجوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به ولفظه « لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » تفرد به أحمد . وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث « قوموا إلى سيدكم » ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين « قوموا إلى سيدكم » وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم . فأما اتخاذه ديدنا فانه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك .

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول : « ليلني منكم أولو الأرحام والنهى ثم الذين يلونهم » ثم الذين يلونهم وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر إما لتقصير أولئك في حق البدريين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليما بتقديم الأفاضل إلى الامام وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان رسول الله ﷺ يمسح منا كبنا في الصلاة ويقول « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافا ، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أفناد الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث « ليلني منكم أولو الأحلام والنهى » وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولنقتصر على هذا المقدار من الانموذج المتعلق بهذه الآية وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الموضع وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وأدبر الثالث ذاهبا فقال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخبر الثلاثة ، أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه » وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذى من حديث أسامة بن زيد الليثى به وحسنه الترمذى، وقد روى عن ابن عباس والحسن البصرى وغيرهما أنهم قالوا فى قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعنى فى مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى انهضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبى ﷺ فى بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا انهم إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصا فى حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبى الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادى ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض قاص، فقال عمر رضى الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهرى به، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد فى ذلك من الأحاديث مستقصاة فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله ﷺ أى يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدى ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فان لم تجدوا) أى إلا من عجز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها . ثم قال تعالى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا على بن أبى طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال على رضى الله عنه : آية فى كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن على بن علقمة الأنمارى عن على رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقون قال « نصف دينـار » قال لايطيقون قال « ماترى ؟ » قال شعيرة فقال له النبي ﷺ « إنك لزهيـد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) قال على : فبي خفف الله عن هـذه الأمة . ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الأشجعى عن سفيان الثورى عن عثمان ابن المغيرة الثقفى عن سالم بن أبي الجعد عن على بن علقمة الأنمارى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لى النبي ﷺ « ما ترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هـذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به . وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة - إلى - فان الله غفور رحيم) كان المسلمون يقـدمون بين يدى النجوى صـدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصرى فى قوله تعالى (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) نسختها الآية التى بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال على ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين فى موالاتهم الكفار فى الباطن وهم فى نفس الأمر لامعهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم فى الباطن ثم قال تعالى (ماهم منكم ولا منهم) أى هؤلاء المنافقون ليسوا فى الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

(ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعني المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ولا سيما في مثل حالهم اللعين عياذا بالله منه فانهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الأمر مطابقا ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك . ثم قال تعالى (أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون) أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتربهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس (فلهم عذاب مهين) أي في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الأيمان الكاذبة الحانثة ثم قال تعالى (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أي لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء) أي يحلفون بالله عزوجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال (ويحسبون أنهم على شيء) أي حلفهم ذلك لربهم عزوجل . ثم قال تعالى منكرا عليهم حسبانهم (ألا إنهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا زهير عن سماك بن حرب حدثني سعيد بن جبير أن ابن عباس حدثه أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال « علام تشتمني أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه قال فأنزل الله عزوجل (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون)

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ثم قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عزوجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب بن حبيش عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن ثلاثة في قرية ولابدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » قال زائدة قال السائب يعني الصلاة في الجماعة . ثم قال تعالى (أولئك حزب الشيطان) يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال تعالى (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ * كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعنى الذين هم فى حد والشرع فى حد أى مجانبون للحق مشاقون له هم فى ناحية والهدى فى ناحية (أولئك فى الأذلين) أى فى الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين فى الدنيا والآخرة (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) أى قد حكم وكتب فى كتابه الأول وقدره الذى لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين فى الدنيا والآخرة (وأن العاقبة للمتقين) كما قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال ههنا (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) أى كتب القوى العزيز أنه الغالب لأعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أى لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) الآية وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها فى أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده فى أولئك الستة رضى الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته . وقيل فى قوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) نزلت فى أبى عبيدة قتل أباه يوم بدر (أو أبناءهم) فى الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن (أو إخوانهم) فى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ (أو عشيرتهم) فى عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم

﴿قلت﴾ ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم وقال عمر لا أرى ما رأى يا رسول الله هل تمكننى من فلان قريب لعمر فأقتله ، وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست فى قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها وقوله تعالى (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) أى من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله فى قلبه الإيمان أى كتب له السعادة وقررها فى قلبه وزين الإيمان فى بصيرته قال السدى (كتب فى قلوبهم الإيمان) جعل فى قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس (وأيدهم بروح منه) أى قواهم وقوله تعالى (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه) كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفى قوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر فى الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم . وقوله تعالى (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) أى هؤلاء حزب الله أى عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى (ألا إن حزب الله هم المفلحون) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم فى الدنيا والآخرة فى مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطى حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابى عن الذيال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهرى : اعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدى أوليائه لأوليائه ، وانهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله

عليه وسلم «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة» فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال. قال رسول الله ﷺ «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فاني وجدت فيما أوحيته إلي (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)» قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواه أبو أحمد العسكري. آخر تفسير سورة المجادلة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الحشر وهي مدنية ﴾

﴿ وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير ﴾

قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر، قال أنزلت في بني النضير ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال سورة بني النضير

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات والأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلي له ويوحده كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله تعالى (وهو العزيز) أي منيع الجناب (الحكيم) في قدره وشرعه وقوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني يهود بني النضير. قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئا وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم، وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام وهي أرض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) أي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم، قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة

قبل رجعة بدر إنكم أدنيتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنكم أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي صلى الله عليه وسلم أيقنت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم فقال لهم « إنكم والله لاتؤمنون عندى إلا بعهد تعاهدونى عليه فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بنى قريظة بالكتائب وترك بنى النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم وغدا إلى بنى النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها وكان نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) نقول بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوى حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما وبقى منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى أيدى بنى فاطمة ، ولنذكر ملخص غزوة بنى النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازى والسير أنه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمرى فلما كان فى أثناء الطريق راجعا إلى المدينة قتل رجلين من بنى عامر وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد قتلت رجلين لأدينهما » وكان بين بنى النضير وبنى عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير ليستعينهم فى دية ذينك الرجلين وكانت منازل بنى النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها . قال محمد بن إسحاق بن يسار فى كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فيما حدثنى يزيد بن رومان وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه فى الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبى ابن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل وسويد

وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا الحلقة ففعلوا فاحتملوا من اموالهم مااستقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إنجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة — سماك بن خرشة — ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها . قال ابن إسحاق وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول صلى الله عليه وسلم قال ليامين « ألم تر مالقيت من ابن عمك وماهم به من شأنى » فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون . قال ابن إسحاق ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق بنحو ماتقدم فقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم لأول الحشر) . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن أبى سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال : من شك فى أن أرض المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الآية (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا » قالوا إلى أين ؟ قال « إلى أرض المحشر » وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال « هذا أول الحشر وأنا على الأثر » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن به

وقوله تعالى (ماظننتم أن يخرجوا) أى فى مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ولهذا قال تعالى (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى جاءهم من أمر الله مالم يكن لهم فى بال كما قال تعالى فى الآية الأخرى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

وقوله تعالى (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذى نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتحملها على الابل وكذلك قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فاذا ظهر على درب أودار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود إذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أودار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودربوها يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) . وقوله (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا) أى لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفى من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبى ونحو ذلك قاله الزهرى عن عروة والسدى وابن زيد لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم فى الدار الدنيا مع ما أعدلهم فى الدار الآخرة من العذاب فى نار جهنم . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهى السلاح فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الشام قال والجلاء أنه كتب عليهم فى آى من التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ماسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض — إلى قوله — وليخزى

الفاسقين) وقال عكرمة : الجلاء القتل وفى رواية عنه الفناء، وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد وقال الضحاك أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء فهذا الجلاء

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضى حدثنا محمد بن سعيد العوفى حدثنى أبى عن عمى حدثنى أبى عن جدى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى وروى أيضا من حديث يعقوب بن محمد الزهرى عن إبراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاثة أيام . وقوله تعالى (ولهم فى الآخرة عذاب النار) أى حتم لازم لابد لهم منه . وقوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين فى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) . وقوله تعالى (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين) اللين نوع من التمر وهو جيد . قال أبو عبيدة وهو ماخالف العجوة والبرنى من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين : اللينة ألوان التمر سوى العجوة . قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقلوبهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة أى ماقطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيئته وقدره ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزى لهم ، وإرغام لأنوفهم . وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا إنما هى مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وإنما قطعه وتركه بإذنه ، وقد روى نحو هذا مرفوعا فقال النسائى أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبى عمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين) قال يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك فى صدورهم فقال المسلمون : قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله (ماقطعتم من لينة) وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر وعن أبى الزبير عن جابر قال رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عزوجل (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخل بنى النضير وحرق ، وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخارى من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبى ﷺ فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهود بالمدينة ، ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فأنزل الله عز وجل فيه (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين)

وللبخارى رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

وهان على سراة بنى لؤى   حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبوسفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع   وحرق فى نواحيها السعير . ستعلم أينا منها بنزه   وتعلم أى أرضينا تضير

كذا رواه البخارى ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور   كذاك الدهر ذوصرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب   عظيم أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما   وجاءهمو من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا   وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أوتيت بأمر صدق   وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقا   يصدقنى به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد   ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدرا وكفرا   وجد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبى برأى صدق   وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم   وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهمو كعب صريعا   فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته   بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا   إلى كعب أخا كعب يسير
فما كره فأنزله بمكر   ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء   أبادهمو بما اجترم المبير
غداة أتاهمو فى الزحف زهوا   رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه   على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكمو فصدوا   وحالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهمو وبالا   لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع   وغودر منهمو نخل ودور

قال وكان مما قيل من الأشعار فى بنى النضير قول ابن القيم العبسى ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام الأشجعى :

أهلى فداء لامرىء غير هالك   أجلى اليهود بالحسى الزنم
يقيلون فى جمر العضاه وبدلوا   أهيضب عوذا بالودى المكمم
فان يك ظنى صادقا بمحمد   يروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم   عدو وما حى صديق كمجرم
عليهن أبطال مساعير فى الوغى   يهزون أطراف الوشيج المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهند   تورث من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عنى قريشا رسالة   فهل بعدهم فى المجد من متكرم
بأن أخاكم فاعلمن محمدا   تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم   وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
نبى تلافته من الله رحمة   ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان فى بدر لعمرى عبرة   لكم ياقريش والقليب الملمم
غداة أتى فى الخزرجية عامدا   إليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكى عدوه   رسولا من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه   فلما أنار الحق لم يتلعثم
أرى أمره يزداد فى كل موطن   علوا لأمر حمه الله محكم

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه ولله الحمد والمنة . قال أبو إسحاق كانت وقعة بنى النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة ، وحكى البخارى عن الزهرى عن عروة أنه قال كانت وقعة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى مبينا ما الفيء وما صفته وما حكمه فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بنى النضير هذه فانها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أى لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذى ألقى الله فى قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين فى وجوه البر والمصالح التى ذكرها الله عزوجل فى هذه الآيات فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يعنى الابل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) أى هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء ثم قال تعالى (ما أفاء على رسوله من أهل القرى) أى جميع البلدان التى تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بنى النضير ولهذا قال تعالى (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) إلى آخرها والتى بعدها فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهرى عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقى جعله فى الكراع والسلاح فى سبيل الله عزوجل هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصرا ، وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهرى به وقد رويناه مطولا . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن على ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا حدثنا بشر بن عمر الزهرانى حدثنى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يا مال إنه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم ، قلت لو أمرت غيرى بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك فى عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص؟ قال نعم فأذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك فى العباس وعلى قال نعم ، فأذن لهما فدخلا فقال العباس يا أمير المؤمنين : اقض بينى وبين هذا يعنى عليا ، فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرحهما ، قال مالك بن أوس خيل إلى أنهما قدما أولئك النفر لذلك ، فقال عمر رضى الله عنه اتئد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا نعم ثم أقبل على على والعباس فقال أنشدكما بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فقالا نعم فقال إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحدا من الناس فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) فكان الله تعالى أفاء على رسله أموال بنى النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل ما بقى اسوة المال ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم ثم أقبل على على والعباس

فقال أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ذلك ؟ قالا نعم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « لانورث ماتركنا صدقة » والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر ، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها فقلت إن شئتما فانا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تلياها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فرداها إلى، أخرجوه من حديث الزهري به . قال الإمام أحمد حدثنا عارم وعفان قالا أخبرنا معمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك ، قال وإن أهلي امروني أن آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاه أم ايمن أو كما شاء الله قال فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد اعطانيهن أو كما قالت فقال نبي الله « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله قال ويقول « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله ، قال «ويقول لك كذا وكذا» قال حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة امثاله أو كما قال رواه البخاري ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد وقوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أن مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فانه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال فما وجدت فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فاني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة ، قالت فلعله في بعض أهلك ، قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله عز وجل قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال مالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى ، فقالت إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى ؟ قال فان رسول الله ﷺ نهى عنه قالت إني لأظن أهلك يفعلونه ، قال اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت ما رأيت شيئا قال لو كان كذا لم تجامعنا . أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري ، وقد ثبت في الصحيحين أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » وقال النسائي أخبرنا أحمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حيان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر وابن عباس أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) أى اتقوه فى امتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه .

﴿ لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) أى هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحا للأنصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) أى سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم رواه البخارى ههنا أيضا . قوله تعالى (يحبون من هاجر اليهم) أى من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يارسول الله مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال « لاما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » لم أره فى الكتب من هذا الوجه .

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال « إما لا فاصبروا حتى تلقونى فانه سيصيبكم أثرة » تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم (ولا يجدون فى صدوهم حاجة مما أوتوا) أى ولا يجدون فى أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة . قال الحسن البصرى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) يعنى الحسد (مما أوتوا) قال قتادة يعنى فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن أنس قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إنى لاحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤوينى إليك

حتى تمضى فعلت قال « نعم » قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت ياعبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال ما هو إلا ما رأيت ، فلما وليت دعانى فقال : ماهو إلا مارأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله فهذه التى بلغت بك وهى التى لاتطاق ، ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهرى عن رجل عن أنس فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) يعنى مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم فى أموال بنى النضير بعض من تكلم فى الأنصار فعاتبهم الله فى ذلك فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك » قالوا وماذاك يارسول الله ؟ قال « هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا نعم يارسول الله . وقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعنى حاجة أى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك

وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل » وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) وقوله (وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ماتصدقوا به وقد لايكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضى الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقال رضى الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا الماء الذى عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم . وقال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعى عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصابنى الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخرية شيئا فقالت والله ما عندى إلا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفىء السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد عجب الله عز وجل — أوضحك — من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكذا رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه ، وفى رواية لمسلم تسمية هذا الأنصارى بأبى طلحة رضى الله عنه

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح

قال أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعنبى عن داود بن قيس به .

وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » . ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال جاء رجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله وماذاك ؟ قال سمعت الله يقول (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل. وقال سفيان الثوري عن طارق ابن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم قني شح نفسي . لا يزيد على ذلك فقلت له فقال إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه . رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني محمد بن إسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة . وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في آية براءة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) أي قائلين (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي بغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية وقال إسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم . سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البغوي ، وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن الزهري قال : قال عمر رضي الله عنه (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال الزهري : قال عمر رضي الله عنه : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عرينة وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل - وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق . قال أيوب - أو قال حظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع . وقال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة

ابن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب (إنما الصدقات للفقراء والمساكين — حتى بلغ — عليم حكيم) ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) الآية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى — حتى بلغ — للفقراء — والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم — والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم) قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) أي لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) أي لا يقاتلون معهم (ولئن نصروهم) أي قاتلوا معهم (ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) وهذه بشارة مستقلة بنفسها ، ثم قال تعالى (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ثم قال تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) يعني أنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة . ثم قال تعالى (بأسهم بينهم شديد) أي عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) ولهذا قال تعالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال إبراهيم النخعي يعني أهل الكتاب والمنافقين (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) . ثم قال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحق وهذا القول أشبه بالصواب فان يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا . وقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للانسان — والعياذ بالله — الكفر فإذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل وقال (إني أخاف الله رب العالمين) . وقد ذكر بعضهم

ههنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الله ابن نهيك قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول إن راهباً تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعييتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك فاسجد لي سجدة فسجد له فلما سجد له قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني اخاف الله رب العالمين)

وقال ابن جرير حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني اخاف الله رب العالمين) قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها اربعة إخوة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا فلما اصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ؟ قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال اني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل وكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريجا اتهمته امرأة بغي بنفسها وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولي الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم . قالوا ياعدو الله فعلت بهذه المرأة كذ وكذا ، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال يا غلام من أبوك . قال أبي الراعي وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغاً وقالوا نعيد صومعتك من ذهب ، قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) أي فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ومصيرها إلى نار جهنم خالدين فيها (وذلك جزاء الظالمين) أي جزاء كل ظالم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ * لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة — إلى آخر الآية وقرأ الآية التي في الحشر — ولتنظر نفس ما قدمت لغد — تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره — حتى قال — ولو بشق تمرة » قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه

مذهبة. فقال رسول الله ﷺ « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أمر بتقواه وهو يشمل فعل مابه أمر وترك ما عنه زجر

وقوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيد ثان (إن الله خبير بما تعملون) أى اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير . وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أى لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التى تنفعكم فى معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال كان فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم . فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو فى عمل الله عزوجل فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بالله عزوجل ، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عزوجل أن تكونوا أمثالهم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا فى أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط . قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) لا خير فى قول لا يراد به وجه الله ولا خير فى مال لا ينفق فى سبيل الله . ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم . هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفى ولا إثبات غير أن أبا داود السجستانى قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم .

وقوله تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أى لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض . أم نجعل المتقين كالفجار) . فى آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا (أصحاب الجنة هم الفائزون) أى الناجون المسلمون من عذاب الله عزوجل

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى معظما لأمر القرآن ومبينا علو قدره وأنه ينبغى أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من

الوعد الحق والوعيد الأكيد (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا) إلى آخرها يقول لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وكذا قال قتادة وابن جرير . وقد ثبت فى الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبى ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبى الذى يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد ايراده فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) الآية وقد تقدم أن معنى ذلك أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وأنه عالم الغيب والشهادة أى يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر فى الظلمات وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على ذلك فى أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا ، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء) وقال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك) أى المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله تعالى (القدوس) قال وهب بن منبه أى الطاهر . وقال مجاهد وقتادة أى المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة الكرام (السلام) أى من جميع العيوب والنقائص لكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله . وقوله تعالى (المؤمن) قال الضحاك عن ابن عباس أى أمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة أمن بقوله انه حق وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين فى إيمانهم به وقوله تعالى (المهيمن) قال ابن عباس وغير واحد أى الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله (والله على كل شىء شهيد) وقوله (ثم الله شهيد على ما يفعلون) وقوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) الآية وقوله تعالى (العزيز) أى الذى قد عز كل شىء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى (الجبار المتكبر) أى الذى لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم فى الصحيح « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما عذبته » وقال قتادة : الجبار الذى جبر خلقه على ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم . وقال قتادة المتكبر يعنى عن كل سوء ثم قال تعالى (سبحان الله عما يشركون) وقوله تعالى (هو الله الخالق البارىء المصور) الخلق التقدير والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى أنت تنفذ ما خلقت أى قدرت بخلاف غيرك فانه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والفرى التنفيذ ومنه يقال

قدر الجلاد ثم فرى أي قطع على ما قدره بحسب ما يريده ، وقوله تعالى (الخالق البارئ المصور) أي الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى (في أي صورة ماشاء ركبك) ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها وقوله تعالى (له الأسماء الحسنى) قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف . ونذكر الحديث المروى في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » وتقدم سياق الترمذى وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضا وزاد بعد قوله : « وهو وتر يحبّ الوتر » . واللفظ للترمذى : « هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز المذل ، السميع البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، المقسط الجامع ، الغنى ، المغنى ، المعطى ، المانع ، الضار النافع ، النور الهادى البديع ، الباقى ، الوارث الرشيد الصبور » وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يسبح له مافي السموات والأرض) كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) وقوله تعالى (وهو العزيز) أي فلا يرام جنابه (الحكيم) في شرعه وقدره ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا خالد يعنى ابن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيرى به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . آخر تفسير سورة الحشر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال

« اللهم عم عليهم خبرنا » فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته . قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو أخبرني حسن بن محمد بن علي أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجي الكتاب ، قالت ما معي كتاب ، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، قال فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ياحاطب ماهذا ؟ » قال لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ﷺ « إنه صدقكم » فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وزاد البخاري في كتاب المغازي فأنزل الله السورة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال في كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو قال البخاري قال علي يعني ابن المديني قيل لسفيان في هذا نزلت (لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فقال سفيان هذا في حديث الناس حفظته من عمرو ماتركت منه حرفاً ولا أرى أحداً حفظه غيري . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا الكتاب ؟ فقالت ما معي كتاب فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر يارسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال النبي ﷺ « ما حملك على ما صنعت ! » قال حاطب والله مابي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال « صدق لا تقولوا له إلا خيراً » فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال « أليس من أهل بدر ! — فقال — لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة — أو قد غفرت لكم — » فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم ، هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر . وقد روي من وجه آخر عن علي قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني حدثنا عبيد بن يعيش حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن أبي سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الجملي عن أبي البختري الطائي عن الحارث عن علي قال لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسر إلى أناس من أصحابه انه يريد مكة منهم حاطب بن أبي بلتعة وأفشى في الناس انه يريد خيبر قال فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال « ائتوا روضة خاخ فانكم ستلقون بها امرأة معها كتاب

فخذوه منها » فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذى ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها هات الكتاب فقالت مامعى كتاب فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده فى متاعها فقال أبو مرثد لعله أن لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لنعرينك ، فقالت أما تتقون الله ! ألستم مسلمين ! فقلنا لتخرجنه أو لنعرينك قال عمرو بن مرة فأخرجته من حجزتها وقال حبيب بن أبى ثابت أخرجته من قبلها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة فقام عمر فقال يارسول الله خان الله ورسوله فائذن لى فلأضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس قد شهد بدرا ؟ » قالوا بلى ، قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله ﷺ « فلعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم إنى بما تعملون بصير » ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال « ياحاطب ماحملك على ماصنعت ؟ » فقال يارسول الله إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وكان لى بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك اليهم ووالله يارسول الله إنى لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيرا » قال حبيب بن أبى ثابت فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان باسناده مثله . وقد ذكر ذلك أصحاب المغازى والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لبنى عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه لقريش فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا لهم من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بنى أبى أحمد فاستنزلاها بالحليفة فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها على بن أبى طالب إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال « ياحاطب ماحملك على هذا ! » فقال يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أهل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك ياعمر ! لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله عز وجل فى حاطب (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة — إلى قوله — قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) إلى آخر القصة ، وروى معمر عن الزهرى عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة أنه بعث سارة مولاة بنى هاشم وأنه أعطاها عشرة دراهم وأن رسول الله ﷺ بعث فى أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ماتقدم ، وعن السدى قريبا منه وهكذا قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يعنى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم

ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ؟) وقال تعالى (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر انه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد

ويذكر ههنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلح عن قيس بن أبى مسلم عن ربعى ابن حراش سمعت حذيفة يقول : ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلا وترك سائرها قال « إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » وقوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ماقبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لماهم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) أى لم يكن لكم عندهم ذنب الا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) . وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) أى إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى باغين لمرضاتى عنكم فلا توالوا أعدائى وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال (وودوا لو تكفرون) أى ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً وقوله تعالى (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) أى قراباتكم لاتنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءا ونفعهم لايصل اليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا الى نبى من الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يارسول الله أين أبى قال « فى النار » فلما قفى دعاه فقال « إن أبى وأباك فى النار » ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبرى منهم (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذى معه) أى وأتباعه الذين آمنوا معه (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم) أى تبرأنا منكم (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أى بدينكم وطريقكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) يعنى وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أى إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لاشريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد . وقوله تعالى (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أى لكم فى إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها الا فى استغفار إبراهيم لأبيه فانه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله عز وجل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم) . وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذى معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم — إلى قوله تعالى — إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وماأملك لك من الله من شىء) أى ليس لكم فى ذلك أسوة أى فى الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد .

ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه (فقالوا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) أى توكلنا عليك فى جميع الأمور وسلمنا أمورنا اليك وفوضناها إليك وإليك المصير أى المعاد فى الدار الآخرة (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) قال مجاهد : معناه لاتعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا ، وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة لاتظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لاتسلطهم علينا فيفتنونا ، وقوله تعالى (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) أى واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك (إنك أنت العزيز) أى الذى لايضام من لاذ بجنابك (الحكيم) فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ماتقدم أيضا لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هى الأولى بعينها ، وقوله تعالى (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد ، وقوله تعالى (ومن يتول) أى عما أمر الله به (فان الله هو الغنى الحميد) كقوله تعالى (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : الغنى الذى قد كمل فى غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغى إلا له ليس له كفء وليس كمثله شىء سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد إلى خلقه أى هو المحمود فى جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) أى محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة (والله قدير) أى على مايشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة

والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الأنصار (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الآية وكذا قال لهم النبي ﷺ « ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ » وقال الله تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) ، وفي الحديث « أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال الشاعر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى (والله غفور رحيم) أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان

وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه ، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف ، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال قرىء على محمد بن عزيز حدثني سلامة حدثني عقيل حدثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن أنزل الله فيه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) الآية . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطنيهن ، قال « نعم » قال تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال « نعم » قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك ، قال « نعم » قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها — الحديث — وقد تقدم الكلام عليه . وقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ولم يظاهروا أي يعاونوا على إخراجكم أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم (أن تبروهم) أي تحسنوا إليهم (وتقسطوا إليهم) أي تعدلوا (إن الله يحب المقسطين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال « نعم صلي أمك » أخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها ، فسألت عائشة النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به ، وفي رواية لأحمد وابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حسل وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في المهادنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها ، قال « نعم فصلاها » ثم قال وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة إلا من هذا الوجه ﴿قلت﴾ وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة والله أعلم ؛ وقوله تعالى (إن الله يحب المقسطين) قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات ؛ وأورد الحديث الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا »

وقوله تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) أي إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين)

﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

تقدم فى سورة الفتح ذكر صلح الحديبية الذى وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه : على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وفى رواية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهرى ومقاتل بن حيان والسدى فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فان الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فان علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وقد ذكرنا فى ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبى بكر بن أبى عاصم عن محمد بن يحيى الذهلى عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن مجمع بن يعقوب عن حنين بن أبى أبانة عن عبد الله بن أبى أحمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى الهجرة فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فيها أن يردها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين فى النساء خاصة فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آية الامتحان . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبى نصر الأسدى قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء ، قال كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله ، ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به ، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذى كان يحلفهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له عمر بن الخطاب ، وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وقال مجاهد (فامتحنوهن) فاسألوهن عما جاء بهن فان كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن ، وقال عكرمة يقال لها ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله (فامتحنوهن) وقال قتادة كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن ، وقوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله تعالى (لا هن حل لهم

ولاهم يحلون لهن) هـذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا » ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداقا ، كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا ابن إسحاق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقا ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذي ليس بإسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين ، وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود إسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد والله أعلم

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذي عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه . وقال آخرون بل إذا انقضت العدة هي بالخيار إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم وقوله تعالى (وآتوهم ما أنفقوا) يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وغير واحد وقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن

وفي الصحيح عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات — إلى قوله — ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية . وقال ابن ثور عن معمر عن الزهري : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده اليهم فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال وإنما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد وقال محمد بن إسحاق عن الزهري طلق عمر يومئذ قريبة[1] بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي أم عبدالله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة ابن غانم رجل من قومه وهما على شركهما ، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص . وقوله تعالى (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أي وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين وقوله تعالى (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) أي في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه (والله

(١) كذا في الأصل ، وفي تفسير البغوي : فاطمة

عليم حكيم) أى عليم بما يصلح عباده حكيم فى ذلك ثم قال تعالى (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) قال مجاهد وقتادة هذا فى الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئا فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شىء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها ، وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن الزهرى قال أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التى أنفقوا على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به ﴿ وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من العقب الذى بأيديهم الذى أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم اللاتى آمن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقى لهم ، والعقب ما كان بقى من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية : يعنى إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ انه يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة ، وهكذا قال مجاهد (فعاقبتم) أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) يعنى مهر مثلها . وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهرى أيضا . وهذا لا ينافى الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتى تؤخذ من أيدى الكفار ، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير ولله الحمد والمنة

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال أخبرنى عروة أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك — إلى قوله — غفور رحيم) قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد بايعتك» كلاما ، ولا والله ما مست يده يد امرأة فى المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله « قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخارى . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء لنبايعه فأخذ علينا ما فى القرآن أن لا نشرك بالله شيئا الآية وقال « فيما استطعتن وأطقتن » قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا يارسول الله ألا تصافحنا ؟ قال «إنى لا أصافح النساء إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة » هذا إسناد صحيح وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائى أيضا من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به وقال الترمذى حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد : ولم يصافح منا امرأة، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به. ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى جعفر الرازى عن محمد بن المنكدر حدثتنى أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها إلى فى فذكره وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثنى سليط بن أيوب بن الحكم بن سليم عن أمه سلمى بنت قيس وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بنى عدى بن النجار قالت جئت رسول الله صلى الله

عليه وسلم نبايعه فى نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف قال « ولا تغششن أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعى فسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا؟ قال فسألته فقال : « تأخذ ماله فتحابى به غيره » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن حاطب حدثنى أبى عن أمه عائشة بنت قدامة يعنى ابن مظعون قالت أنا مع أمى رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينى فى معروف – قلن نعم – فيما استطعتن » فكن يقلن وأقول معهن وأمى تقول لى أى بنية نعم فكنت أقول كما يقلن وقال البخارى حدثنا معمر حدثنا عبدالوارث حدثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا (ولا تشركن بالله شيئا) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتنى فلانة فأريد أن أجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها ، ورواه مسلم وفى رواية فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان وللبخارى عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة أبى سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبى سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخارى حدثنا محمد بن عبدالرحيم حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد فنزل نبى الله صلى الله عليه وسلم فكأنى أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف) حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ « أنتن على ذلك ؟ » فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدرى حسن من هى قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتم فى ثوب بلال وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام فقال « أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئا ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى » وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبى إدريس الخولانى عن عبادة ابن الصامت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال (تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم – قرأ الآية التى أخذت على النساء إذا جاءك المؤمنات – فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » أخرجاه فى الصحيحين .

وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى عبدالله عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف وقال « فإن وفيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبى حاتم ، وقد روى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال « قل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا » وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التى شقت بطن حمزة متنكرة فى النساء فقالت إنى إن أتكلم يعرفنى وإن عرفنى قتلنى وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله

عليه وسلم فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال ؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر « قل لهن ولا يسرقن » قالت هند والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلهن لي أم لا قال أبو سفيان ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال « أنت هند ؟ » قالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة قال « لا والله ما تزني الحرة — قال — ولا يقتلن أولادهن » قالت هند أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال (ولا يعصينك في معروف) قال منعهن أن ينحن وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور . وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم ، فان أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما بل أظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الأمر من جانبه عليه السلام لهما . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفاء وعمر بايع النساء يحلفهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيته كما تقدم وزاد : فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت هند ربيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن أبي حاتم حدثني أبي حدثنا نصر بن علي حدثتني أم عطية بنت سليمان حدثني عمي عن جدي عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه فنظر إلى يدها فقال « اذهبي فغيري يدك » فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال « أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً » فبايعته وفي يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول في هذين السوارين فقال « جمرتان من نار جهنم »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وفي يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن فقوله تعالى (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أي من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » أخرجاه في الصحيحين ، وقوله تعالى (ولا يزنين) كقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) وفي حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها (أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين) الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة أقري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا قالت فنعم إذا فبايعها بالآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال : ولا تقتلن أولادكن . فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصي بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن ، وقوله تعالى (ولا يقتلن أولادهن) وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الاملاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه

وقوله تعالى (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال ابن عباس يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود ، حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو

يعنى ابن الحارث عن ابن الهاد عن عبدالله بن يونس عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين » وقوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) يعنى فيما أمرتهن بهمن معروف ونهيتهن عنهمن منكر . قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء . وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لنبيه إلا فى المعروف والمعروف طاعة ، وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه فى المعروف . وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبى الجعد وأبى صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية فى ذلك أيضا . وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فى هذه الآية ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال إلا رجلا منكن محرما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يارسول الله إن لنا أضيافا وإنا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس أولئك عنيت ، ليس أولئك عنيت » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبى زائدة حدثنى مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم فان الرجل لايزال يحدث المرأة حتى يمذى بين فخذيه . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الأنصارية قالت كان فيما اشترط علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف حين بايعناه أن لا ننوح فقالت امرأة من بنى فلان إن بنى فلان أسعدونى فلا حتى أجزيهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فما وفى منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك ، وقد روى البخارى هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الأنصارية رضى الله عنها . وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا قال : حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القتات حدثنى مصعب بن نوح الأنصارى قال : أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فأتيته لأبايعه فأخذ علينا فيما أخذ أن لاتنحن فقالت عجوز يارسول الله إن ناسا قد كانوا أسعدونى على مصائب أصابتنى وانهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال « فانطلقى فكافئيهم » فانطلقت فكافأتهم ثم إنها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذى قال الله عز وجل (ولا يعصينك فى معروف) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا الضبى حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبى أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لانعصيه فى معروف أن لا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعوا ويلا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب حدثنى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار فى بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن فقالت فقلنا : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ، فقال تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ، قالت : فقلنا نعم ، قالت فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال : اللهم اشهد ، قالت وأمرنا فى العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل فسألت جدتى عن قوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قالت النياحة

وفى الصحيحين من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وفى الصحيحين أيضا عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والشاقة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هدبة

ابن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيداً حدثه أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت - وقال - النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ورواه مسلم في صحيحه منفرداً به من حديث أبان بن يزيد العطار به وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة رواه أبو داود . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر ابن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (ولا يعصينك في معروف) قال النوح ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد عن أبي نعيم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي حسن غريب

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل . وقوله تعالى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) فيه قولان أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه . قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) إلى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل ، وقال الحسن البصري (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات ، وقال قتادة كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال الضحاك رواهن ابن جرير ، والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير قال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله . آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الصف وهي مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء ابن يسار عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها ، هكذا رواه الإمام أحمد وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مرثد البيروتي قراءة قال أخبرني أبي سمعت الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني عبد الله بن سلام أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل فلم يذهب إليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة (سبح لله) الصف قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها . قال أبو سلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها قال الأوزاعي وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها قال أبي وقرأها علينا الأوزاعي كلها ، وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي

حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرا من أصحاب رسـول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا لو نعـلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجـل لعملناه فأنزل الله تعالى (سـبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال عبدالله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحي فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الأوزاعي قال عبدالله فقرأها علينا ابن كثير ، ثم قال الترمذي وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي فروى ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قلت وهكذا رواه الإمام أحمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الأوزاعي كما رواه ابن كثير قلت وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو المنجا عبدالله بن عمر بن اللتي أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندي. أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي فذكر بإسناده مثله وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أميا وضاق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبي أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمرو أخبرنا أبو المنجا بن اللتي فذكره بإسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها علي بكمالها ولله الحمد والمنة .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

قد تقدم الكلام على قوله تعالى (سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم) غير مرة بما أغنى عن إعادته : وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) إنكار على من يعد وعدا أو يقول قولا لا يفي به ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسـول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان » . وفي الحديث الآخر في الصحيح « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها » فذكر منهن اخلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى أعطك فقال لها رسـول الله ﷺ « وما أردت أن تعطيه ؟ » قالت تمرا فقال « أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة » وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك لأنه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وقال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ؟ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟) وهذا اختيار ابن جرير . وقال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) وقال : أحبكم إلى من قاتل في سبيلي . ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم (لم تقولون مالا تفعلون؟) قال الجهاد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (لم تقولون مالا تفعلون – إلى قوله – كأنهم بنيان مرصوص) فما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبد الله بن رواحة لا أبرح حبيسا في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيداً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي عن أبيه قال بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه منهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيناها غير أني قد حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ولهذا قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان

قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الأسود يعني ابن شيبان حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك فقال لله أبوك فقد لقيت فهات فقلت كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ﷺ قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل ؟ قال رجل غزا في سبيل الله خرج محتسبا مجاهدا فلقي العدو فقتل وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره ، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه

في موضع آخر ولله الحمد . وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه الشام وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال ، وفي كل منزلة لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر ، يوضون أطرافهم ويأتزرون على انصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة » ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث ادركتهم ولو على ظهر دابة . رواه ابن أبي حاتم . وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) قال كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) أي ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه إلى بعض وقال ابن عباس (كأنهم بنيان مرصوص) مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض . وقال قتادة (كأنهم بنيان مرصوص) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه . فكذلك الله عزوجل لا يحب أن يختلف أمره وان الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بأمر الله فانه عصمة لمن أخذ به ، أورد ذلك كله ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي عن أبي بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عزوجل (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) قال وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتموني التفت في الصف فجؤا في لحي

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ * وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه (لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) أي لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة . وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال « رحمة الله على موسى : لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولهذا قال تعالى في هذه الآية (والله لا يهدي القوم الفاسقين) . وقوله تعالى (وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة ، وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري قال أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لي

أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال « أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة والتوبة والملحمة » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به ، وقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) الآية ، وقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه . وقال محمد بن إسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول أخبرنا عن نفسك قال « دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام » وهذا إسناد جيد وروي له شواهد من وجوه أخر فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » ، وقال أحمد أيضا حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان ابن عامر قال سمعت أبا أمامة قال : قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك . قال « دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » ، وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم قالا : هم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك . قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك . قال إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم ، قال ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه . قال نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفترضها ولد ، قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال « دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت » أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك ، والإرهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه . وقوله تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) قال ابن جريج وابن جرير (فلما جاءهم) أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقادمة

المنوه بذكره في القرون السالفة . لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون (هذا سحر مبين)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ولهذا قال تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) ثم قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم فى ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس بفيه وكما أن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى (والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهروه على الدين كله ولو كره المشركون) وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين فى سورة براءة بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

تقدم فى حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضى الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور ، التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى من تجارة الدنيا والكد لها والتصدى لها وحدها ثم قال تعالى (يغفر لكم ذنوبكم) أى إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) ثم قال تعالى (وأخرى تحبونها) أى وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى (نصر من الله وفتح قريب) أى إذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وقوله تعالى (وفتح قريب) أى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى (وبشر المؤمنين)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله فى جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (من أنصارى إلى الله) أى من معينى فى الدعوة إلى الله عز وجل ؟ (قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) أى نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ولهـذا بعثهم دعاة إلى النـاس فى بلاد الشام فى الإسرائيليين واليونانيين ، وهكذا كان رسـول الله ﷺ يقول فى أيام الحج « من رجل يؤوينى حتى أبلغ رسـالة ربى فان قريشا قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى » حتى قيض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشـارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم فلما هـاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهـذا سماهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علما عليهم رضى الله عنهم وأرضاهم

وقوله تعالى (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) أى لما بلغ عيسى بن مريم عليـه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بمـا جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم إنه ابن الله ، وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب والابن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله ، وكل هذه الأقوال مفصلة فى سورة النساء

وقوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى (فأصبحوا ظاهرين) أى عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنى أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال يعنى ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشر مرة بعد أن آمن بى ، قال ثم قال أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى : قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم فقام الشـاب فقال أنا فقال : نعم أنت ذاك . قال فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليـه السلام من روزنة فى البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمنوا به فتفرقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشـاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسـوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليـه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الـكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمـدا صلى الله عليه وسـلم (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) يعنى الطائفة التى كفرت من بنى إسرائيل فى زمن عيسى والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الـكفار . هـذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الـكريمة ، وهكذا رواه النسائى عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبى كريب عن محمد بن العلاء عن أبى معاوية بمثله سواء فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم . آخر تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الجمعة وهى مدنية ﴾

عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسـول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم فى صحيحه

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) ثم قال تعالى (الملك القدوس) أى هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه وهو المقدس أى المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال (العزيز الحكيم) تقدم تفسيرهما غير مرة . وقوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) الأميون هم العرب كما قال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفى من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى فى قوله (وإنه لذكر لك ولقومك) وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) وهذا وأمثاله لا ينافى قوله تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) وقوله (لأنذركم به ومن بلغ) وقوله تعالى إخبارا عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة

وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أى نزرا يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهى عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الأصول والفروع ، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه مالم يعط أحدا من الأولين ولا يعطيه أحدا من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وقوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) قال الإمام أبو عبدالله البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور عن أبى الغيث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قالوا من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا وفينا سلمان الفارسى فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسى ثم قال « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الديلى عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة به ، ففى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس لأنه فسر قوله تعالى (وآخرين منهم) بفارس ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد فى قوله تعالى

(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال هم الأعاجم وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ «إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» ثم قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) يعني بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره، وقوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني ما أعطاه الله محمداً صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثه ﷺ إليهم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقال تعالى ههنا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين). وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أنصت ليس له جمعة» ثم قال تعالى (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي إن كنتم تزعمون أنكم على هدى وأن محمدا وأصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين أي فيما تزعمونه قال الله تعالى (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بما يعلمون لهم من الكفر والظلم والفجور (والله عليم بالظالمين) وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) وقد أسلفنا الكلام هناك وبينا أن المراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) ومباهلة المشركين في سورة مريم (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا). وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن يزيد الزرقي حدثنا أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لعنه الله إن رأيت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال: فقال رسول الله ﷺ «لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا» رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم قال البخاري وتبعه عمرو بن

خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبي عن عبيد الله ابن عمرو الرقي به أتم

وقوله تعالى (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) كقوله تعالى في سورة النساء (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وفي معجم الطبراني من حديث معاذ محمد بن محمد الهذلي عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا « مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره فقالت له الأرض ياثعلب ديني فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات »

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فان أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرثع الضبي حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم ﷺ « ياسلمان ما يوم الجمعة ؟ » قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواكم - أو أبوكم - » وقد روى عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم ، وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد » لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها ، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرآنها (فامضوا إلى ذكر الله) فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الاقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا » لفظ البخاري وعن أبي قتادة قال : بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال « ماشأنكم ؟ » قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال « فلا تفعلوا : إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا » أخرجاه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا » . رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد

ابن زريع عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بمثله ، قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة في قوله (فاسعوا إلى ذكر الله) يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها وكان يتأول قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي) أي المشي معه ، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولهما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه أحمد والنسائي وابن حبان . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام واستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجاه ، ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبي سعيد المتقدم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله » وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم التيمي عن عمران بن أبي يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الأنصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » . وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته » رواه ابن ماجه . وقوله تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فانما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم هو ابن أبي إياس حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به ، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادي قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع

وقوله تعالى (وذروا البيع) أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضى الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثانى ، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم . وقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى تركـكم البيع وإقبالـكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون . وقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) لما حجر عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الارض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إنى أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبى حاتم . وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) وقوله تعالى (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى فى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة ، ولهذا جاء فى الحديث « من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة » وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى (وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) أى على المنبر تخطب ، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة ، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال قدمت عير مرة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلا فنزلت (وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها) أخرجاه فى الصحيحين من حديث سالم به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبى الجعد وأبى سفيان عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا » ونزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) وقال كان فى الاثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفى قوله تعالى (وتركوك قائما) دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شىء ينبغى أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود فى كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرنى أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعنى فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير

وقوله تعالى (قل ما عند الله) أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته . آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المنافقين وهي مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال (والله يعلم إنك لرسوله) . ثم قال تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم . وقوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى (فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها (اتخذوا إيمانهم جنة) أي تصديقهم الظاهر جنة أي تقية يتقون به القتل ، والجمهور يقرؤها (أيمانهم) جمع يمين وقوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون . أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي

وقوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) أي كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى (أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) فهم جهامات وصور بلا معاني ، ولهذا قال تعالى (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي عن إسحاق بن بكير بن أبي الفرات عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب بالليل صخب بالنهار » وقال يزيد بن مرة : سخب بالنهار

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم (إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) أى صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) كما قال فى سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر العدنى قال : قال سفيان (لووا رءوسهم) قال ابن أبى عمر حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزرا ثم قال هو هذا . وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل فى عبد الله بن أبى ابن سلول كما سنورده قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، وقد قال محمد بن إسحق فى السيرة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعنى مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كما حدثنى ابن شهاب الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعنى مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال قمت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبونى ويعنفونى لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال والله ما أبتغى أن يستغفر لى ، وقال قتادة والسدى : أنزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوى رأسه أى لست فاعلا . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبى ابن سلول قال ليخرجن الأعز منها الأذل فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبى ائت النبى ﷺ حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى (إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير ، وقوله : إن ذلك كان فى غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فإن عبد الله بن أبى ابن سلول لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازى والسير أن ذلك كان فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة

فى قصة بنى المصطلق فبينا رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن إسحق فحدثنى محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الأنصار وقال الجهجاه يامعشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبى فلما سمعها قال قد ثاورونا فى بلادنا والله مامثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال هذا ماصنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضى الله عنه فذهب بها إلى رسول ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضى الله عنه: يا رسول الله مر عباد ابن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فكيف إذا تحدث الناس ياعمر أن محمدا يقتل أصحابه لا، ولكن ناد ياعمر الرحيل » فلما بلغ عبد الله بن أبى أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال، ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يارسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجرا فى ساعة كان لا يروح فيها فلقيه أسيد بن الحضير رضى الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبى ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل » قال فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فانه ليرى أن قد سلبته ملكا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصارى يا للأنصار وقال المهاجرى ياللمهاجرين فقال رسول الله ﷺ « مابال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فانها منتنة » وقال عبد الله بن أبى ابن ساول وقد فعلوها: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال جابر وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبى ﷺ « دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزى عن سفيان بن عيينة ورواه البخارى عن الحميدى ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وغيره عن سفيان به نحوه: وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظى عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبى لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأتيت النبى ﷺ فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبى أنه لم يكن شيء من ذلك قال فلامنى قومى وقالوا ما أردت إلى هذا؟ قال فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال فأرسل إلى نبى الله ﷺ فقال « إن الله قد أنزل عذرك وصدقك » قال فنزلت هذه الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — حتى بلغ — لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ورواه البخارى عند هذه الآية عن آدم بن أبى إياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبى زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبى ليلى عن زيد عن النبى ﷺ ورواه الترمذى والنسائى عندها أيضا من حديث شعبة به. ﴿طريق أخرى عن زيد﴾ قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبى بكير قالا: حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكير عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمى فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى ابن ساول يقول لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبى ابن ساول وأصحابه فحلفوا

بالله ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ! قال حتى أنزل الله (إذا جاءك المنافقون) قال فبعث إلى رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ على ثم قال « إن الله قد صدقك » . ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا : كذب زيد يارسول الله ، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي (إذا جاءك المنافقون) قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رءوسهم .

وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) قال كانوا رجالا أجمل شيء ، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد به . ﴿ طريق أخرى عن زيد ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي سعد الأزدي قال حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا اليه فسبق أعرابي أصحابه ليملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه قال فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن معه ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد وأنا ردف عمي ، قال فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني ، قال فجاء إلى عمي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون قال فوقع علي من الهم مالم يقع على أحد قط ، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ماقال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت ماقال شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر ، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين . انفرد بإخراجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن عبيد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ــ حتى بلغ ــ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ــ حتى بلغ ــ ليخرجن الأعز منها الأذل)

وقد روى عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلا الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي ابن سلول إنما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الايلي حدثني سلام حدثني عقيل أخبرت محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فكسر مناة فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز ، وهم

حلفاء الأنصار فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي يامعشر الأنصار فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجري يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي ابن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لاتضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبي عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آذنوا بالرحيل » فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ « أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم ، فقال رسول الله ﷺ والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبرا وأنزل الله عز وجل (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — إلى قوله تعالى — يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لاتوجد إلا فيه ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا » وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك: فقال مالك ويلك ؟ فقال والله لاتجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه فقال ابنه عبد الله : والله يارسول الله لايدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لأبيه والله لاتدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، قال وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغني انك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق ماتأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فاني أكره أن أرى قاتل أبي

﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرا لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق فى طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات ، كان ما كان وأتى ما هو آت ؛ وكل بحسب تفريطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) أى لا ينظر أحدا بعد حلول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا فى قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خبير بما تعملون) . وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبى عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - إلى قوله - والله خبير بما تعملون) قال فما يوجب الزكاة ؟ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا ؛ قال فما يوجب الحج . قال الزاد والبعير . ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن يحيى بن أبى حية وهو أبو جناب الكلبى عن الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبى جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح، وضعف أبا جناب الكلبى ﴿ قلت ﴾ ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهنى عن عمه يعنى أبا مشجعة بن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة فى العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم فى قبره » . آخر تفسير سورة المنافقين ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة التغابن وهى مدنية وقيل مكية ﴾

قال الطبرانى حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا مكتوب فى تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أورده ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى (له الملك وله الحمد) أي هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره وقوله تعالى (وهو على كل شيء قدير) أي مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون بصير) ثم قال تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) أي بالعدل والحكمة (وصوركم فأحسن صوركم) أي أحسن أشكالكم كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك .) وكقوله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قرار والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات) الآية وقوله تعالى (وإليه المصير) أي المرجع والمآب ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية فقال تعالى (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأمم الماضين وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) أي خبرهم وما كان من أمرهم (فذاقوا وبال أمرهم) أي وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي (ولهم عذاب أليم) أي في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي ثم علل ذلك فقال (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج والدلائل والبراهين (فقالوا أبشر يهدوننا) أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم (فكفروا وتولوا) أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل (واستغنى الله) أي عنهم (والله غني حميد)

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون (قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أي لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها (وذلك على الله يسير) أي بعثكم ومجازاتكم وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس (ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين) والثانية في سورة سبأ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم) الآية والثالثة هي هذه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي

لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)

ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن (والله بما تعملون خبير) أى فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية وقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع)وهو يوم القيامة سمى بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم)

وقوله تعالى (ذلك يوم التغابن)قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار وكذا قال قتادة ومجاهد ، وقال مقاتل بن حيان لاغبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا بما أخبر به فى سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وهكذا قال ههنا (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) قال ابن عباس بأمر الله يعنى عن قدره ومشيئته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم) أى ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه . وعوضه عما فاته من الدنيا هدى فى قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وقال الأعمش عن أبى ظبيان قال كنا عند علقمة فقرئ عنده هذه الآية (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. رواه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما ، وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يسترجع يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون)

وفى الحديث المتفق عليه « عجبا للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا المؤمن » وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن على بن رباح أنه سمع جنادة بن أبى أمية يقول :سمعت عبادة بن الصامت يقول: إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله وتصديق به وجهاد فى سبيل الله» قال أريد أهون من هذا يا رسول الله . قال « لا تتهم الله فى شىء قضى لك به » لم يخرجوه

وقوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر و ترك ما عنه نهى وزجر ثم قال تعالى (فان توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أى إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة . قال الزهرى :من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم

ثم قال تعالى مخبرا أنه الأحد الصمد الذى لا إله غيره فقال تعالى (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فالأول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أى وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه ، كما قال تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ولهذا قال تعالى ههنا (فاحذروهم) قال ابن زيد يعنى على دينكم ، وقال مجاهد (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد ابن خلف الصيدلانى حدثنا الفريابى حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) وكذا رواه الترمذى عن محمد بن يحيى عن الفريابى وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبرانى من حديث إسرائيل به وروى من طريق العوفى عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولاه سواء وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) يقول تعالى إنما الأموال والأولاد فتنة أى اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، وقوله تعالى (والله عنده) أى يوم القيامة (أجر عظيم) كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الدنيا الحياة والله عنده حسن المآب) والتى بعدها ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به ، وقال الترمذى حسن غريب إنما نعرفه من حديثه ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبى حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله ﷺ فى وفد كندة فقال لى « هل لك من ولد ؟ » قلت : غلام ولد لى فى مخرجى إليك من ابنة جمد ولوددت أن بمكانه سبع القوم فقال « لا تقولن ذلك فان فيهم قرة عين وأجرا إذا قبضوا » ثم قال « ولئن قلت ذلك إنهم لمجبنة محزنة » تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبى عن عيسى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الولد ثمرة القلوب وإنهم مجبنة مبخلة محزنة » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد ، وقال الطبرانى حدثنا هاشم ابن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال « ليس عدوك الذى إن قتلته كان فوزا لك وان قتلك دخلت الجنة ولكن الذى لعله عدو لك ولدك الذى خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالك الذى ملكت يمينك »

وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أى جهدكم وطاقتكم كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » . وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتى فى آل عمران وهى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحي بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الآية الأولى وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى (واسمعوا وأطيعوا) أى كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدى الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم . ولا تركبوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى (وأنفقوا خيرا لأنفسكم) أى وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم فى الدنيا والآخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم فى الدنيا والآخرة وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره فى سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة فى معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة ، وقوله تعالى (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم) أى مهما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شىء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت فى الصحيحين أن الله تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم فى سورة البقرة (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) (ويغفر لكم) أى ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى (والله شكور) أى يجزى على القليل بالكثير (حليم) أى يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) تقدم تفسيره غير مرة آخر تفسير سورة التغابن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الطلاق وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾

خوطب النبى ﷺ أولا تشريفا وتكريما ثم خاطب الأمة تبعا فقال تعالى (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) وقال ابن أبى ثنا حاتم محمد بن ثواب بن سعيد الهبارى ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة وهى من أزواجك ونسائك فى الجنة ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلا وقد ورد من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها

وقال البخارى ثنا يحي بن بكير ثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى سالم أن عبد الله بن عمر أخبر أنه طلق امرأة له وهى حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر بها الله عز وجل » هكذا رواه البخارى ههنا وقد رواه فى مواضع من كتابه ومسلم ولفظه « فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الأحكام وأمس لفظ يورد ههنا ما رواه مسلم فى صحيحه من طريق ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ، كيف ترى فى الرجل طلق امرأته حائضا؟ فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها — فردها وقال — إذا طهرت فليطلق أو يمسك » قال ابن عمر : وقرأ النبي ﷺ (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن) وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال الطهر من غير جماع ، وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة (فطلقوهن لعدتهن) العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلى هي أم لا ، ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها ، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحملت أم لا ، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (وأحصوا العدة) أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج (واتقوا الله ربكم) أي في ذلك . وقوله تعالى (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضا وقوله تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدى وسعيد بن أبي هلال وغيرهم وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي شرائعه ومحارمه (ومن يتعد حدود الله) أي يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها (فقد ظلم نفسه) أي بفعل ذلك . وقوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أي إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل ، قال الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) قالت هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثورى ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة أي المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو ابن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة ، فأتت رسول الله ﷺ فقال « ليس لك عليه نفقة » ولمسلم « ولا سكنى » وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال « تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك » الحديث . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال حدثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال : قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه رسول الله ﷺ في سرية قالت : فقال لي أخوه اخرجي من الدار فقلت إن لي نفقة وسكنى حتى يحل الأجل قال : لا ، قالت فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إن فلانا طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له « مالك ولابنة آل قيس ؟ » قال يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثا جميعا قالت : فقال رسول الله ﷺ « انظرى يابنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة » ثم قال إنه يتحدث إليها « انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعمى لا يراك » وذكر تمام الحديث .

وقال أبو القاسم الطبرانى ثنا أحمد بن عبد الله البزار التسترى ثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلى ثنا عامر الشعبى أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشى وزوجها أبو عمرو ابن حفص بن المغيرة المخزومى فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى وهو منطلق فى جيش إلى اليمن بطلاقى فسألت أولياءه النفقة على والسكنى فقالوا ما أرسل الينا فى ذلك شيئا ولا أوصانا به فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى بطلاقى فسألت أولياءه السكنى والنفقة على فقال أولياؤه لم يرسل الينا فى ذلك بشىء فقال رسول الله ﷺ « إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فاذا كانت لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولاسكنى » وكذا رواه النسائى عن أحمد بن يحيى الصوفى عن أبى نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الأحمسى البجلى الكوفى قال أبو حاتم الرازى هو شيخ يروى عنه

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾

يقول تعالى فاذا بلغت المعتدات أجلهن أى شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده (بمعروف) أى محسنا اليها فى صحبتها ، وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف أى من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن

وقوله تعالى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أى على الرجعة إذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران ابن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة ورجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد ، وقال ابن جريج كان عطاء يقول (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قال لا يجوز فى نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر . وقوله تعالى (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى هذا الذى أمرناكم به من الاشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله فى الدار الآخرة ، ومن ههنا ذهب الشافعى فى أحد قوليه إلى وجوب الاشهاد فى الرجعة كما يجب عنده فى ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لاتصح إلا بالقول ليقع الاشهاد عليها . وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) أى ومن يتق الله فيما أمره به وترك مانهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى من جهة لاتخطر بباله قال الامام أحمد ثنا يزيد أنا كهمس بن الحسن ثنا أبو السليل عن أبى ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) حتى فرغ من الآية ثم قال « يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » قال فجعل يتلوها ويرددها على حتى نعست ثم قال « يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ » قلت إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة قال « كيف تصنع إذا خرجت من مكة ؟ » قال : قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة ، قال « وكيف تصنع إذا أخرجت من الشام » قلت إذا والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى ، قال « أوخير من ذلك » قلت أوخير من ذلك ؟ قال تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا »

وقال ابن أبى حاتم ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا على بن عبيد ثنا زكريا عن عامر عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول إن أجمع آية فى القرآن (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكبر آية فى القرآن فرجا

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وفي المسند حدثني مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب». وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يقول ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال الربيع بن خيثم (يجعل له مخرجا) أي من كل شيء ضاق على الناس، وقال عكرمه من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا، وكذا روي عن ابن عباس والضحاك، وقال ابن مسعود ومسروق (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع (من حيث لا يحتسب) أي من حيث لا يدري. وقال قتادة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أي من شبهات الأمور والكرب عند الموت (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من حيث يرجو ولا يأمل، وقال السدي (ومن يتق الله) يطلق للسنة، ويراجع للسنه، وزعم أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو اليه مكان ابنه وحالته التي هو بها وحاجته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له «إن الله سيجعل لك فرجا» فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا أن انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم فنزلت فيه هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن جرير، وروي أيضا من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلا نحوه. وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر» ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به. وقال محمد بن إسحاق: جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسر ابني عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرسل اليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله» وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فاذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة فقالت أمه: وا سوأتاه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد فاستبقا الباب والخادم فاذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه قفا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بمالك» ونزل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان ثنا إبراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله اليها». وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال الامام أحمد حدثنا يونس ثنا ليث ثنا قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا بشير بن سلمان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنا أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل» ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيار

أبى حمزة ثم قال وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق وقوله تعالى (إن الله بالغ أمره) أى منفذ قضاياه وأحكامه فى خلقه بما يريده ويشاؤه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) كقوله تعالى (وكل شيء عنده بمقدار)

﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا * ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾

يقول تعالى مبينا لعدة الآيسة وهى التى قد انقطع عنها الحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء فى حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللائى لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى (واللائى لم يحضن) ، وقوله تعالى (إن ارتبتم) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهرى وابن زيد أى إن رأين دما وشككتم فى كونه حيضا أو استحاضة وارتبتم فيه ﴿ والقول الثانى ﴾ إن ارتبتم فى حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر ، وهذا مروى عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر فى المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبى كريب وأبى السائب قالا ثنا ابن ادريس انا مطرف عن عمرو ابن سالم قال قال أبى بن كعب يارسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر فى الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال ، قال فأنزل الله عز وجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، ورواه ابن أبى حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : ثنا أبى ثنا يحى بن المغيرة أنا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم عن أبى بن كعب قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناسا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية فى البقرة فى عدة النساء قالوا لقد بقى من عدة النساء عدد لم يذكرن فى القرآن الصغار والكبار اللائى قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فأنزلت التى فى النساء القصرى (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) ، وقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة فى قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية ، وقد روى عن على وابن عباس رضى الله عنهم أنهما ذهبا فى المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر عملا بهذه الآية والتى فى سورة البقرة وقال البخارى ثنا سعيد بن حفص ثنا شيبان عن يحى قال أخبرنى أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال أفتنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الأجلين قلت أنا (وأولات الأحمال اجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة أنا مع ابن أخى — يعنى أبا سلمة — فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها فقالت . قتل زوج سبيعة الأسلمية وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها ، هكذا أورد البخارى هذا الحديث ههنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الإمام أحمد : ثنا حماد بن أسامة أنا هشام عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حامل فلم تمكث إلا ليالى حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ فى النكاح فأذن لها ان تنكح فنكحت ورواه البخارى فى صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثنى أبو الطاهر أنا ابن وهب حدثنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان أباه كتب الى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهرى يأمره ان يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبد الله يخبره ان سبيعة أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها

بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج ان بدالي ، هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصرا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية ، وقال أبو سليمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة قال فضمزلي بعض أصحابه قال محمد ففطنت له فقلت له إني لجريء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة قال فاستحيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سبيعة فقلت هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال كنا عند عبد الله فقال أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل ابن علية عن أيوب به مختصرا ، ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره . وقال ابن جرير : حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر حدثني ابن شبرمة الكوفي عن إبراهيم عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لاعنته مانزلت (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها ، قال : وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت يريد بآية المتوفى عنها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به ، ثم قال ابن جرير : ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين فقال من شاء قاسمته بالله إن هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر ثم قال : أجل الحامل أن تضع مافي بطنها . وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضي الله عنه يقول آخر الأجلين فقال من شاء لاعنته إن التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الأعمش

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي أنا عبد الوهاب الثقفي حدثني المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي ﷺ (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها زوجها ، فقال : هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها . هذا حديث غريب جدا بل منكر لأن في إسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السمناني ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري أمشتركة أم مبهمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أية آية ؟ » قال (أجلهن أن يضعن حملهن) المتوفى عنها والمطلقة ، قال نعم وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى بن داود عن ابن لهيعة به ثم رواه عن أبي كريب أيضا عن مالك بن إسماعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه حدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ عن (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال « أجل كل حامل أن تضع مافي بطنها » عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبيا ، وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى (ذلك أمر الله أنزله إليكم) أي حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن

تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال (أسكنوهن من حيث سكنتم) أي عندكم (من وجدكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سعتكم حتى قال قتادة : إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه وقوله تعالى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال مقاتل بن حيان يعني يضاجرها لتفتدي منه بما لها أو تخرج من مسكنه ، وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال يطلقها فإذا بقي يومان راجعها، وقوله تعالى (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا ، وقال آخرون بل السياق كله في الرجعيات وإنما نص على الانفاق على الحامل وإن كانت رجعية لأن الحمل تطول مدته غالبا فاحتيج إلى النص على وجوب الانفاق إلى الوضع لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة، ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده؟ على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع

وقوله تعالى (فإن أرضعن لكم) أي إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بن بانقضاء عدتهن ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالبا إلا به ، فإن أرضعت استحقت أجر مثلها ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة ولهذا قال تعالى (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) وقوله تعالى (وائتمروا بينكم بمعروف) أي ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) وقوله تعالى (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) أي وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيرا ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها . وقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) أي لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) كقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل إنه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار وقال للرسول انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها ؟ فما لبث أن لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: ثنا هاشم بن يزيد الطبراني ثنا محمد ابن إسماعيل بن عياش أخبرني أبي أخبرني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبي مالك الأشعري واسمه الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية ، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — هم في الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله قال الله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) » هذا حديث غريب من هذا الوجه . وقوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) وعد منه تعالى ووعده حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) . وقد روى الإمام أحمد حديثا يحسن أن نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال : قال أبو هريرة بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعا قد أصابته مسغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء ؟ قالت نعم أبشر أتانا رزق الله فاستحثها فقال ويحك ابتغي إن كان عندك شيء قالت نعم هنية نرجو رحمة الله ، حتى إذا طال عليه الطول قال ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فائتيني به فإني قد بلغت وجهدت ، فقالت نعم ،

الآن نفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحييها تطحنان فقامت إلى الرحى فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم، قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد ﷺ «لو أخذت ما في رحييها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة»

وقال في موضع آخر ثنا أبو عامر ثنا أبو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها وإلى التنور فسجرته ثم قالت اللهم ارزقنا، فنظرت، فإذا الجفنة قد امتلأت، قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدي شيئا قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحى فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ «أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة»

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبرا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أي تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حسابا شديداً وعذبناها عذاباً نكراً) أي منكراً فظيعا (فذاقت وبال أمرها) أي غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم (وكان عاقبة أمرها خسرا * أعد الله لهم عذابا شديدا) أي في الدار الآخرة مع ما حل لهم من العذاب في الدنيا ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء (فاتقوا الله يا أولي الألباب) أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (قد أنزل الله إليكم ذكرا) يعني القرآن كقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى (رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات) قال بعضهم: رسولا منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر. وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيراً له ولهذا قال تعالى (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) أي في حال كونها بينة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) كقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) وقال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم (الله الذى خلق سبع سموات) كقوله تعالى إخبارا عن نوح أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) . وقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أى سبعا أيضا كما ثبت فى الصحيحين « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » وفى صحيح البخارى « خسف به إلى سبع أرضين » وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه فى أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنة ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وقد تقدم فى سورة الحديد عند قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر الأرضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام . وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا فى الحديث الآخر « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ثنا وكيع ثنا الأعمش عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها ، وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمى الأشعرى عن جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى قالا : ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى هذه الآية (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال عمرو قال فى كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى فى حديثه فى كل سماء إبراهيم ، وروى البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعى أنا على بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس أنه قال (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى . ثم رواه البيهقى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى قول الله عز وجل (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال فى كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام ثم قال البيهقى إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبى الضحى عليه متابعا والله أعلم . قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى فى كتابه التفكر والاعتبار حدثنى إسحاق بن حاتم المدائنى ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبى دهرس قال بلغنى أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال « فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها — أو قال بياضها نورها — مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط » قالوا فأين الشيطان عنهم ؟ قال « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » قالوا أمن ولد آدم ؟ قال « لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » وهذا حديث مرسل وهو منكر جدا وعثمان بن أبى دهرس ذكره ابن أبى حاتم فى كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبى العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفى وابن المبارك سمعت أبى يقول ذلك . آخر تفسير سورة الطلاق ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة التحريم وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ

لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾

اختلف فى سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت فى شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغى مرضات أزواجك) الآية

قال أبو عبد الرحمن النسائى أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عز وجل (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟) إلى آخر الآية . وقال ابن جرير حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ثنا ابن أبى مريم ثنا أبو غسان حدثنى زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم فى بيت بعض نسائه فقالت : أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى ! فجعلها عليه حراما فقالت: أى رسول الله كيف يحرم عليك الحلال ! فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله تعالى (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟) قال زيد بن أسلم فقوله أنت على حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : قال لها « أنت على حرام والله لا أطؤك » وقال سفيان الثورى وابن علية عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب فى التحريم وأمر بالكفارة فى اليمين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبى نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وروى العوفى عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبى ثنا محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان ؟ قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث فى شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت حفصة فى نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا نبى الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك فى يومى وفى دورى وعلى فراشى قال « ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها » قالت بلى فحرمها وقال لها « لا تذكرى ذلك لأحد » فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغى مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن كليب فى مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : قال النبى ﷺ لحفصة « لا تخبرى أحدا وإن أم إبراهيم على حرام » فقالت أتحرم ما أحل الله لك ؟ قال « فوالله لا أقربها » قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأنزل الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره ، الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج . وقال ابن جرير أيضا حدثنى يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائى قال كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول فى الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) يعنى أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ - إلى قوله - قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصير الحرام يمينا . ورواه البخارى

عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائى عن يحيى هو ابن أبى كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائى به وقال النسائى أنا عبد الله بن عبد الصمد بن على ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال إنى جعلت امرأتى على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة ، تفرد به النسائى من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبرانى : ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة ، وذهب الشافعى إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عينهما أو أطلق التحريم فيهما فى قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الظهرانى أنا حفص بن عمر العدنى أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) فى المرأة التى وهبت نفسها للنبى ﷺ وهذا قول غريب والصحيح أن ذلك كان فى تحريمه العسل كما قال البخارى عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير إنى أجد منك ريح مغافير . قال « لا ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا » (تبتغى مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ ، وقال فى كتاب الأيمان والنذور : ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل له إنى أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما النبى ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له » فنزلت (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ - إلى قوله تعالى - إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا » وهكذا رواه فى كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال المغافير شبيه بالصمغ يكون فى الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهرى قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطلح قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاه ينضح المغفور . وقد روى مسلم هذا الحديث فى كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرنى عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخارى فى الأيمان والنذور ، ثم قال البخارى فى كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبى المغراء ثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فاذا دنا منك فقولى أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولى له ماهذه الريح التى أجد فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى جرست نحله العرفط وسأقول ذلك ، وقولى له أنت ياصفية ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ماهو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتنى فرقا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يارسول الله أكلت مغافير ؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التى أجد

لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾

اختلف فى سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت فى شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغى مرضات أزواجك) الآية

قال أبو عبد الرحمن النسائى أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عز وجل (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك !) إلى آخر الآية . وقال ابن جرير حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ثنا ابن أبى مريم ثنا أبو غسان حدثنى زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم فى بيت بعض نسائه فقالت : أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى ! فجعلها عليه حراما فقالت: أى رسول الله كيف يحرم عليك الحلال ! فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك !) قال زيد بن أسلم فقوله أنت على حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : قال لها « أنت على حرام والله لا أطؤك » وقال سفيان الثورى وابن علية عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب فى التحريم وأمر بالكفارة فى اليمين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبى نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وروى العوفى عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبى ثنا محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان ؟ قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث فى شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت حفصة فى نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا نبى الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك فى يومى وفى دورى وعلى فراشى قال « ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها » قالت بلى فحرمها وقال لها « لا تذكرى ذلك لأحد » فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ! تبتغى مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن كليب فى مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : قال النبى ﷺ لحفصة « لا تخبرى أحدا وإن أم إبراهيم على حرام » فقالت أتحرم ما أحل الله لك ! قال « فوالله لا أقربها » قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأنزل الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره ، الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج . وقال ابن جرير أيضا حدثنى يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائى قال كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول فى الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) يعنى أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ! – إلى قوله – قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصير الحرام يمينا . ورواه البخارى

عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال إني جعلت امرأتي على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة ، تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني : ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة ، وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهراني أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وهذا قول غريب والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير . قال « لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » (تبتغي مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ ، وقال في كتاب الأيمان والنذور : ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما النبي ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له » فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ — إلى قوله تعالى — إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا » وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال المغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهري قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطلح قال والرمث بالكسر مرعى من مراعي الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاه ينضح المغفور . وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور ، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي المغراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فاذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي له ماهذه الريح التي أجد فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط وسأقول ذلك ، وقولي له أنت ياصفية ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ماهو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يارسول الله أكلت مغافير ؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التي أجد

منك ؟ قال « سقتني حفصة شربة عسل » قالت جرست نحله العرفط فلما دار إلي قلت نحو ذلك فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال « لاحاجة لي فيه » قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتي ، هذا لفظ البخاري . وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثتهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به وعنده قالت وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح ، يعني الريح الخبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لأن ريحها فيه شيء ، فلما قال « بل شربت عسلا » قلن جرست نحله العرفط أي رعت نحله شجر العرفط الذي صمغه المغافير فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته قال الجوهري جرست النحل العرفط تجرس إذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر ✱ تظل على الثمراء منها جوارس ✱ وقال الجرس والجرس الصوت الخفي ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله ، وفي الحديث « فيسمعون جرس طير الجنة » قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر إلي فقال : خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفي طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ان زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وإن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم . وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد في ذلك الا ان كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين : من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) فقال عمر : واعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهري : كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هي عائشة وحفصة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال : وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي ، قال فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت نعم ، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل قالت : نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت لاتراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئا وسليني من مالي مابدالك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم — أي أجمل — وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك — يريد عائشة — قال وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك ، قال وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال : حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان ، قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة ، فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إلي فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت ، فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال : قد ذكرتك له ، فصمت ، فوليت

مدبرا فإذا الغلام يدعونى فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكىء على رمال حصير — قال الإمام أحمد : وحدثناه يعقوب فى حديث صالح قال رمال حصير — وقد أثر فى جنبه فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال « لا » فقلت الله أكبر ولو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتى يوما فإذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت ماتنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هى قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسم أو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله . قال « نعم » فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فى البيت شيئا يرد البصر الا أهب مقامة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال « أفى شك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا » فقلت استغفر لى يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عزوجل . وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى به ، وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبى صلى الله عليه وسلم . هذا لفظ البخارى ولمسلم : من المرأتان اللتان قال الله تعالى (وإن تظاهرا عليه) قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره . وقال مسلم أيضاً حدثنى زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفى ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن الوليد أبى زميل حدثنى عبدالله بن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبى الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث فى دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة فناديت فقلت يا رباح استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم — إلى أن قال — فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت — وأحمد الله — بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولى فنزلت هذه الآية آية التخيير (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن) وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فقلت أطلقتهن . قال « لا » فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر زاد الحسن البصرى وعثمان ، وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (وصالح المؤمنين) قال على بن أبى طالب .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين ثنا محمد بن أبى عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرنى رجل ثقة يرفعه إلى على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وصالح المؤمنين) قال « هو على بن أبى طالب » إسناده ضعيف وهو منكر جدا وقال البخارى ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال : قال عمر اجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة عليه فقلت لهن (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) فنزلت هذه الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن فى أماكن منها فى نزول الحجاب ومنها فى أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى

فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الأنصاري ثنا حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقريتهن أقول : لتكففن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن . فأمسكت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) وهذه المرأة التي ردته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ثنا إسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) قال دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة ، إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت) فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنبأك هذا ؟ قال (نبأني العليم الخبير) فقالت عائشة لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) إسناده فيه نظر وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ، ومعنى قوله (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات) ظاهر وقوله تعالى (سائحات) أي صائمات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (السائحون) في سورة براءة ولفظه « سياحة هذه الأمة الصيام » وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (سائحات) أي مهاجرات وتلا عبد الرحمن (السائحون) أي المهاجرون والقول الأول أولى والله أعلم

وقوله تعالى (ثيبات وأبكارا) أي منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليكون ذلك أشهى إلى النفس فان التنوع يبسط النفس ولهذا قال (ثيبات وأبكارا) . وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله بن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه (ثيبات وأبكارا) قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه فالثيب آسية امرأة فرعون وبالأبكار مريم بنت عمران . وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرت خديجة فقال : إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ، ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال « يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام » فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي . قال « لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى » ضعيف أيضا ، وقال أبو يعلى ثنا إبراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يوسف بن شعيب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون » فقلت هنيئا لك يا رسول الله ، وهذا أيضا ضعيف وروى مرسلا عن ابن أبي داود

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قال سفيان الثورى عن منصور عن رجل عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول أدبوهم وعلموهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ، وقال مجاهد (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فاذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها ، وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه . وفى معنى هذه الآية الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والترمذى من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » هذا لفظ أبى داود وقال الترمذى هذا حديث حسن وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا فى الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكى يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق

وقوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) وقودها أى حطبها الذى يلقى فيها جثث بنى آدم (والحجارة) قيل المراد بها الأصنام التى تعبد لقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدى : هى حجارة من كبريت ، زاد مجاهد : أنتن من الجيفة ، وروى ذلك ابن أبى حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبى ثنا عبد الرحمن بن سنان المنقرى ثنا عبد العزيز — يعنى ابن أبى رواد — قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ : يارسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها » قال فوقع الشيخ مغشيا عليه فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فاذا هو حى فناداه قال « ياشيخ قل لا إله إلا الله » فقالها فبشره بالجنة قال : فقال أصحابه يارسول الله أمن بيننا ؟ قال « نعم يقول الله تعالى (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) » هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد) أى طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله (شداد) أى تركيبهم فى غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج. كما قال ابن حاتم ثنا أبى ثنا سلمة بن شبيب ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبى عن عكرمة أنه قال إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس فى قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهوون من باب إلى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ماوجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا إلى آخرها ، وقوله (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) أى مهما أمرهم به تعالى يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء هم الزبانية — عياذا بالله منهم — وقوله (يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال للكفرة يوم القيامة لاتعتذروا فانه لا يقبل منكم ولاتجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون اليوم بأعمالكم ، ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أى توبة صادقة جازمة تمحو ماقبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات

قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله

عنه يقول (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه ، وقال الثورى عن سماك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه وقال أبو الأحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال : أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود اليه أبدا . وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله (توبة نصوحا) قال يتوب ثم لا يعود

وقد روى هذا مرفوعا فقال الامام أحمد ثنا على بن عاصم عن إبراهيم الهجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه » تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم ، ولهذا قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب فى الحاضر ويندم على ماسلف منه فى الماضى ويعزم على أن لا يفعل فى المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمى رده اليه بطريقه . قال الامام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرنى زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن معقل قال دخلت مع أبي على عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي ﷺ يقول « الندم توبة ؟ » قال نعم وقال مرة : نعم سمعته يقول « الندم توبة » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزرى به وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثنى الوليد بن بكير أبو جناب عن عبد الله بن محمد العبدى عن أبي سنان البصرى عن أبي قلابة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون فى آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها نكاح الرجل امرأته أو أمته فى دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحا ، قال زر : فقلت لأبي بن كعب فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبدا » . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا عمرو بن على ثنا عباد بن عمرو ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه إذا ذكرته ، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ماقبلها من الخطيئات كما ثبت فى الصحيح : « الاسلام يجب ماقبله ، والتوبة تجب ماقبلها » . وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى الممات ـ كما تقدم فى الحديث وفى الأثر ـ ثم لا يعود فيه أبدا . أو يكفى العزم على أن لا يعود فى تكفير الماضى بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارا فى تكفير ماتقدم لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ماقبلها ؟ » وللأول أن يحتج بما ثبت فى الصحيح أيضا « من أحسن فى الاسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية ، ومن أساء فى الاسلام أخذ بالأول والآخر » فاذا كان هذا فى الاسلام الذى هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم

وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) وعسى من الله موجبة (يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه) أى ولا يخزيهم معه يعنى يوم القيامة (نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم) كما تقدم فى سورة الحديد (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) قال مجاهد والضحاك والحسن البصرى وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفىء . وقال الامام أحمد ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقانى ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بنى كنانة قال : صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعته يقول « اللهم لا تخزنى يوم القيامة » وقال محمد بن نصر المروزى : ثنا محمد بن مقاتل المروزى ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من يؤذن له فى السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدى فأعرف أمتى من بين الأمم وأنظر عن يمينى فأعرف أمتى من بين الأمم ، وأنظر عن شمالى فأعرف أمتى من بين الأمم » فقال رجل يارسول الله : وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال « غر محجلون

من آثار الطهور ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم »

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) أى فى الدنيا (ومأواهم جهنم وبئس المصير) أى فى الآخرة ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أى فى مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدى عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلا فى قلوبهم ثم ذكر المثل فقال (امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) أى نبيين رسولين عندهما فى صحبتهما ليلا ونهارا يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط (فخانتاهما) أى فى الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما فى الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أى لكفرهما (وقيل) أى للمرأتين (ادخلا النار مع الداخلين) وليس المراد بقوله (فخانتاهما) فى فاحشة بل فى الدين فان نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا فى سورة النور ، قال سفيان الثورى عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية (فخانتاهما) قال ما زنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وقال العوفى عن ابن عباس قال كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء . وقال الضحاك عن ابن عباس مابغت امرأة نبى قط إنما كانت خيانتهما فى الدين ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى يأثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له . وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبى ﷺ فى المنام فقال : يارسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكنى الآن أقوله .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾ .

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه . وقال ابن جرير : ثنا إسماعيل بن حفص الإيلى ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربى عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمى به . ثم قال ابن جرير

حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ، فقولها (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار ، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع (ونجني من فرعون وعمله) أي خلصني منه فاني أبرأ إليك من عمله (ونجني من القوم الظالمين) وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبي ؟ قالت ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها فأرسل إليها فرعون فقال تعبدين ربا غيري ؟ قالت نعم ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد ، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك فأتى عليها يوما فقال لها ما أنت منتهية فقالت له ربي وربك ورب كل شيء الله فقال لها إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلي فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها أبشري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيمانا ويقينا وتصديقا فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها فقال لهم إنها تعبد غيري فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك ، فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها . وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) أي حفظته وصانته ، والاحصان : هو العفاف والحرية (فنفخنا فيه من روحنا) أي بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي بقدره وشرعه (وكانت من القانتين) قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا ﴿البداية والنهاية﴾ ولله الحمد والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله (ثيبات وأبكارا) آخر تفسير سورة التحريم ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الملك وهي مكية ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشمي عن أبي هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفرله : تبارك الذى بيده الملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به ، وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقرى الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخارى ومسلم لكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب أبي عبيد بن حربويه وخلق سواهم ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن رجلا ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها إنك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك وإني لا أملك لك ولا له ولا لنفسى ضرا ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقي إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعي له فتنطلق إلى الرب فتقول يارب ان فلانا عمد إلى من بين كتابك فتعلمنى وتلانى أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه ؟ فان كنت فاعلا ذاك به فامحنى من كتابك ، فيقول ألا أراك غضبت ، فتقول وحق لى أن أغضب فيقول اذهبى فقد وهبته لك وشفعتك فيه ـ قال ـ فتجيء فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يحل منه بشيء ـ قال ـ فتجيء فتضع فاها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلانى ومرحبا بهذا الصدر فربما وعانى ومرحبا بها تين القدمين فربما قامتا بي وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه » قال فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية . ﴿ قلت ﴾ وهذا حديث منكر جدا وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو حاتم والدارقطني وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهرى من قوله مختصرا وروى البيهقى في كتاب إثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا ما يشهد لهذا وقد كتبناه في كتاب الجنائز ﴿ من الأحكام الكبرى ﴾ ولله الحمد والمنة ، وقد روى الطبرانى والحافظ الضياء المقدسى من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذى بيده الملك » وقال الترمذى حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكرى عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا إنسان يقرأ سورة الملك : تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي الباب عن أبي هريرة ، ثم روى الترمذى أيضا من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل ، وتبارك الذى بيده الملك ، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة .

وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهانى حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتى » يعنى تبارك الذى بيده الملك ، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله في سورة يس ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد في مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلى ، قال : اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتى » .

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ

فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾

يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى (وهو على كل شيء قدير) ثم قال تعالى (الذي خلق الموت والحياة) واستدل بهذه الآية من قال إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أي يختبرهم أيهم أحسن عملا كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) فسمى الحال الأول وهو العدم موتا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى (ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليد عن قتادة في قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » ورواه معمر عن قتادة . وقوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى (وهو العزيز الغفور) أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعد ما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء ، فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره ، وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي شقوق وقال السدي (هل ترى من فطور) أي من خروق ، وقال ابن عباس في رواية (من فطور) أي من وهاء ، وقال قتادة (هل ترى من فطور) أي هل ترى خللا يا ابن آدم ؟ وقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) قال قتادة مرتين (ينقلب إليك البصر خاسئا) قال ابن عباس ذليلا؟ وقال مجاهد وقتادة صاغرا (وهو حسير) قال ابن عباس يعني وهو كليل ، وقال مجاهد وقتادة والسدي : الحسير المنقطع من الاعياء ، ومعنى الآية إنك لو كررت البصر مهما كررت لا نقلب إليك أي لرجع إليك البصر (خاسئا) عن أن يرى عيبا أو خللا (وهو حسير) أي كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصا ، ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى كما قال تعالى في أول الصافات (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) قال قتادة إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ

فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تعالى (و) أعتدنا (للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) أى بئس المآل والمنقلب (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) قال ابن جرير يعنى الصياح (وهى تفور) قال الثورى تغلى بهم كما يغلى الحب القليل فى الماء الكثير. وقوله تعالى (تكاد تميز من الغيظ) أى تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) يذكر تعالى عدله فى خلقه وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) أى لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى الطائى قال أخبرنى من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم» وفى حديث آخر «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة»

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس فينكف عن المعاصى ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أى تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت فى الصحيحين «سبعة يظلهم الله تعالى فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» فذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا طالوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال: قالوا يا رسول الله: إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيره قال «كيف أنتم وربكم؟» قالوا الله ربنا فى السر والعلانية، قال «ليس ذلكم النفاق» لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه، ثم قال تعالى منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) أى بما يخطر فى القلوب (ألا يعلم من خلق؟) أى ألا يعلم الخالق، وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه؟ والأول أولى لقوله (وهو اللطيف الخبير)، ثم ذكر نعمته على خلقه فى تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها) أى فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى (وكلوا من

رزقه) فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول إنه سمع أبا سهم الجيشاني يقول إنه سمع عمر بن الخطاب يقول إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي حسن صحيح ، فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب (وإليه النشور) أي المرجع يوم القيامة . قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة : مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها ، وقال ابن عباس وقتادة أيضا : مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الأزدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامشوا في مناكبها) فقال لأم ولد له : إن علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال : هي الجبال .

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾

وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) وقال ههنا (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أي تذهب وتجيء وتضطرب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) أي ريحا فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا) وهكذا توعدهم ههنا بقوله (فستعلمون كيف نذير) أي كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به . ثم قال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من الأمم السالفة والقرون الخالية (فكيف كان نكير) أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم ، أي عظيما شديدا أليما . ثم قال تعالى (أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن) أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا (ما يمسكهن) أي في الجو (إلا الرحمن) أي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه (إنه بكل شيء بصير) أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله * إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون)

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومخبرا لهم أنه

لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) أى ليس لكم من دونه من ولى ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى (إن الكافرون إلا فى غرور) . ثم قال تعالى (أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه) أى من هذا الذى إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أى لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له أى وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى (بل لجوا) أى استمروا فى طغيانهم وإفكهم وضلالهم (فى عتو ونفور) أى فى معاندة واستكبار ونفور على إدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ، ثم قال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكبا على وجهه أى يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه أى لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهذا أهدى (أمن يمشى سويا) أى منتصب القامة (على صراط مستقيم) أى على طريق واضح بين وهو فى نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم فى الدنيا وكذلك يكونون فى الآخرة ، فالمؤمن يحشر يمشى سويا على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فانه يحشر يمشى على وجهه إلى نار جهنم (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) الآيات أزواجهم أشباههم قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم فقال « أليس الذى أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طريق[1] وقوله تعالى (قل هو الذى أنشأكم) أى ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أى العقول والادراك (قليلا ما تشكرون) أى قلما تستعملون هذه القوى التى أنعم الله بها عليكم فى طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره (قل هو الذى ذرأكم فى الأرض) أى بثكم ونشركم فى أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم فى لغاتكم وألوانكم ، وحلاكم وأشكالكم وصوركم (وإليه تحشرون) أى تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم . ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أى متى يقع هذا الذى تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق (قل إنما العلم عند الله) أى لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل لكنه أمرنى أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه (وإنما أنا نذير مبين) أى وإنما على البلاغ وقد أديته إليكم

قال الله تعالى (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) أى لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريبا لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون مالهم هناك من الشر أى فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله مالم يكن لهم فى بال ولا حساب (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون * وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ (هذا الذى كنتم به تدعون) أى تستعجلون

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه (أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا * فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى خلصوا أنفسكم فانه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والانابة والرجوع إلى دينه

(١) هنا بياض بالأصول ، والحديث فى صحيح البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الفرقان عن أنس بن مالك أيضا .

ولا ينفعكم توقع ما تمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم . ثم قال تعالى (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أى آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا فى جميع أمورنا كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) ولهذا قال تعالى (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) أى منا ومنكم ولمن تكون العاقبة فى الدنيا والآخرة ، ثم قال تعالى إظهارا للرحمة فى خلقه (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) أى ذاهبا فى الأرض إلى أسفل فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد ، والغائر عكس النابع ولهذا قال تعالى (فمن يأتيكم بماء معين) أى نابع سائح جار على وجه الأرض ، أى لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها فى سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فلله الحمد والمنة . آخر تفسير سورة الملك الحمد .

﴿ تفسير سورة ن وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة وأن قوله تعالى (ن) كقوله (ص ، ق) ونحو ذلك من الحروف المقطعة فى أوائل السور وتحرير القول فى ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقيل المراد بقوله (ن) حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثورى حدثنا سليمان هو الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا أكتب ، قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على الأرض وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن سنان عن أبى معاوية عن الأعمش به وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع عن الأعمش به ، وزاد شعبة فى روايته ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) وقد رواه شريك عن الأعمش عن أبى ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ، ورواه معمر عن الأعمش أن ابن عباس قال : فذكره ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبى الضحى عن ابن عباس قال إن أول شىء خلق ربى عز وجل القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه . وقد روى الطبرانى ذلك مرفوعا فقال حدثنا أبو حبيب زيد بن المهدى المروزى حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال للقلم اكتب قال ما أكتب ؟ قال كل شىء كائن إلى يوم القيامة » ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) فالنون الحوت ، والقلم القلم ﴿ حديث آخر ﴾ فى ذلك رواه ابن عساكر عن أبى عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول شىء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ثم قال له اكتب ، قال وما أكتب قال اكتب ما يكون أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله (ن والقلم وما يسطرون) ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزتى لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت »

وقال ابن أبى نجيح إن إبراهيم بن أبى بكر أخبره عن مجاهد قال كان يقال النون الحوت العظيم الذى تحت الأرض السابعة وقد ذكر البغوى وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة

سمكها كغلظ السموات والأرض وعلى ظهرها ثورله أربعون ألف قرن وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن ومابينهن والله أعلم ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء قال إنى سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى ، قال ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه؟ قال « أخبرنى بهن جبريل آنفا » قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال « أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت » ورواه البخارى من طرق عن حميد ورواه مسلم أيضا وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفى صحيح مسلم من حديث أبى أسماء الرحبى عن ثوبان أن حبرا سأل رسول الله ﷺ عن مسائل فكان منها أن قال فما تحفتهم يعنى أهل الجنة حين يدخلون الجنة قال « زيادة كبد الحوت » قال فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال فما شرابهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلا » وقيل المراد بقوله (نۤ) لوح من نور . قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزرى عن فرات بن أبى الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (نۤ والقلم وما يسطرون) لوح من نور وقلم من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » وهذا مرسل غريب ، وقال ابن جريج أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله (نۤ) دواة والقلم القلم قال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة فى قوله (ن) قالا هى الدواة ، وقد روى فى هذا حديث مرفوع غريب جدا فقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا أبو عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خلق الله النون وهى الدواة » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخى عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت الثمالى عن ابن عباس قال ، إن الله خلق النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما أكتب قال اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم ألزم كل شىء من ذلك شأنه دخوله فى الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة مانجد لصاحبكم عندنا شيئا فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهل يكون لا ستنساخ إلا من أصل وقوله تعالى (والقلم) الظاهر انه جنس القلم الذى يكتب به كقوله (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التى بها تنال العلوم ، ولهذا قال (ومايسطرون) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعنى وما يكتبون وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أى وما يعملون وقال السدى وما يسطرون يعنى الملائكة وما تكتب من أعمال العباد ، وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذى أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف عام ، وأوردوا فى ذلك الأحاديث الواردة فى ذكر القلم فقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى ابن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمى عن عطاء هو ابن أبى رباح حدثنى الوليد بن عبادة بن الصامت قال دعانى أبى حين حضره الموت فقال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب القدر وماهو كائن إلى الأبد » وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد من طرق عن الوليد بن عبادة عن أبيه به ، وأخرجه الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى به وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود فى كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر عن

يحيى بن حسان عن ابن رباح عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي حفصة واسمه حبيش بن شريح الحبشي الشامي عن عبادة فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا علي بن الحسن بن شقيق أنبأنا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح ابن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال « إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء » غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: والقلم ، يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى (وما يسطرون) أي يكتبون كما تقدم

وقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون (وإن لك لأجراً غير ممنون) أي بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم ، ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله (عطاء غير مجذوذ) (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع إلى ما قلناه وقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) قال العوفي عن ابن عباس وإنك لعلى دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال عطية: لعلى أدب عظيم . وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (وإنك لعلى خلق عظيم) ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست تقرأ القرآن ؟ قال بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أتقرأ القرآن ؟ فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن . هذا مختصر من حديث طويل . وقد رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل إن شاء الله تعالى وبه الثقة . وقال الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن قال :سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن . وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أما تقرأ القرآن ! (وإنك لعلى خلق عظيم) قال: قلت حدثيني عن ذاك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاريتي اذهبي فان جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطرحي الطعام قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اقتصوا — أو اقتصي شك أسود — ظرفا مكان ظرفك » قالت فما قال شيئا .
وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ (وإنك لعلى خلق عظيم) ؟ . وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي . ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح به

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا مسست خزاً ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطراً

كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال البخارى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إبراهيم بن يونس عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير . والأحاديث فى هذا كثيرة ولأبى عيسى الترمذى فى هذا كتاب الشمائل

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فاذا كان إثما كان أبعد الناس من الاثم ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » تفرد به

وقوله تعالى (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) أى فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذا كقوله تعالى (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) كقوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) قال ابن جريج قال ابن عباس فى هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفى عن ابن عباس بأيكم المفتون أى المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم المفتون أى أولى بالشيطان ومعنى المفتون ظاهر أى الذى قد افتتن عن الحق وضل عنه وإنما دخلت الباء فى قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل فى قوله (فستبصر ويبصرون) وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم ثم قال تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم تعالى أى الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ويعلم الحزب الضال عن الحق

﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾

يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون) قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد (ودوا لو تدهن) تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقى بأيمانه الكاذبة التى يجترىء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها فى كل وقت فى غير محلها قال ابن عباس : المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب ، قال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف ، وقوله تعالى ، (هماز) قال ابن عباس وقتادة يعنى الاغتياب (مشاء بنميم) يعنى الذى يمشى بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهى الحالقة وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم من طرق عن مجاهد به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثورى عن منصور عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » يعنى نماما وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الأحول عن الأعمش حدثنى إبراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحارث قال مر رجل على حذيفة فقيل إن هذا

يرفع الحديث إلى الأمراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة قتات » وقال أحمد حدثنا هشام حدثنا مهدى عن واصل الأحدب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة نمام » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل » ثم قال « ألا أخبركم بشراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت » ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم « خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت »

وقوله تعالى (مناع للخير معتد أثيم) أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير (معتد) في تناول ما أحل الله يتجاوز فيها الحد المشروع (أثيم) أي يتناول المحرمات ، وقوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع « كل جواظ جعظرى مستكبر » أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثورى وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظرى الفظ الغليظ والجواظ الجموع المنوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال « هو الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف » وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى العتل الزنيم » وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه ، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضما[1] فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى في الأكل والشرب والمنكح وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس (عتل بعد ذلك زنيم) قال رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها ، وإنما الزنيم في لغة العرب هو الدعى في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعني يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر : زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغى الأم ذو حسب لئيم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا أسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (زنيم) قال : الدعى الفاحش اللئيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد في عرض الأديم الأكارع

وقال العوفي عن ابن عباس : الزنيم الدعى ويقال الزنيم رجل كانت به زنمة يعرف بها ويقال هو الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة ، وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الأسود بن عبد يغوث الزهرى وليس به ، وقال ابن أبي نجيح

(١) في تفسير ابن جرير : مقضيا .

عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق النسب ، وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية (عتل بعد ذلك زنيم) قال سعيد: هو الملصق بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عقبة بن خالد عن عامر ابن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء ، والزنماء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها . وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها والزنيم الملصق . رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم: نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها قال : وقال آخرون كان دعيا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زنمة مثل زنمة الشاة ، وقال الضحاك كانت له زنمة في أصل أذنه ويقال هو اللئيم الملصق في النسب ، وقال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالشر ، وقال مجاهد الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها . والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا وله زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث « لا يدخل الجنة ولد زنا » وفي الحديث الآخر « ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه » وقوله تعالى (أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر) وقال تعالى ههنا (سنسمه على الخرطوم) قال ابن جرير سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم ، وهكذا قال قتادة (سنسمه على الخرطوم) شين لا يفارقه آخر ما عليه ، وفي رواية عنه : سيما على أنفه ، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس (سنسمه على الخرطوم) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال ، وقال آخرون (سنسمه) سمة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم ، حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه ، وقد قال ابن أبي حاتم في سورة (عم يتساءلون) حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى ابن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافرا أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه راض ومن مات همازا لمازا ملقبا للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ *

وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ * قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ * كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى (إنا بلوناهم) أى اختبرناهم (كما بلونا أصحاب الجنة وهى البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أى حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشىء (ولا يستثنون) أى فيما حلفوا به ، ولهذا حنثهم الله فى أيمانهم فقال تعالى (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أى أصابتها آفة سماوية (فأصبحت كالصريم) قال ابن عباس أى كالليل الأسود وقال الثورى والسدى مثل الزرع إذا حصد أى هشيما يبسا . وقال ابن أبى حاتم . ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبى سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والمعاصى إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيء له » ثم تلا رسول الله ﷺ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) قد حرموا خير جنتهم بذنبهم (فتنادوا مصبحين) أى لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجذاذ أى القطع (أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أى تريدون الصرام قال مجاهد : كان حرثهم عنبا (فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم . ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أى يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيرا يدخلها عليكم ؟ قال الله تعالى (وغدوا على حرد) أى قوة وشدة ، وقال مجاهد (وغدوا على حرد) أى جد ، وقال عكرمة على غيظ ، وقال الشعبى (على حرد) على المساكين ، وقال السدى (على حرد) أى كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدى فى قوله هذا (قادرين) أى عليها فيما يزعمون ويرومون (فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أى فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهى على الحالة التى قال الله عزوجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشىء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا والطريق ولهذا قالوا (إنا لضالون) أى قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها قاله ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هى فقالوا (بل نحن محرومون) أى بل هى هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب (قال أوسطهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أى أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟) قال مجاهد والسدى وابن جريج (لو لا تسبحون) أى لو لا تستثنون قال السدى وكان استثناؤهم فى ذلك الزمان تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله ، وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أى هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا (إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب (قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) أى اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون) قيل رغبوا فى بذلها لهم فى الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها فى الدار الآخرة والله أعلم ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب . وقد كان أبوهم يسير

فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها ثم قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟) أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال (مالكم كيف تحكمون !) أي كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى (أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون) يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا كما تدعونه ؟ (إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون) أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة (إن لكم لما تحكمون) أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون (سلهم أيهم بذلك زعيم !) أي قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا ! قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل (أم لهم شركاء) أي من الأصنام والأنداد (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين)

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ * فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ * أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى : أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم . بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخاري ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي ﷺ يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور ، وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس — الشك من ابن جرير — (يوم يكشف عن ساق) قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق *

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة ، وقال ابن جرير عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر وجده . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال . وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة حدثنا هارون بن عمر المخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرون له سجدا » ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) أي في الدار الآخرة باجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون

ثم قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) يعني القرآن ، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه مني ومنه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ، ولهذا قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ولهذا قال ههنا (وأملي لهم إن كيدي متين) أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم ولهذا قال تعالى (إن كيدي متين) أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وقوله تعالى (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ؟ * أم عندهم الغيب فهم يكتبون !) تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى (فاصبر) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) قال الله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) . وقال تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) وقال ههنا (إذ نادى وهو مكظوم) قال ابن عباس ومجاهد والسدي : وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك مكروب ، وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال (لا إله

إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) خرجت الكلمة تحن حول العرش فقالت الملائكة يارب: هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا، قالوا لا، قال هذا يونس، قالوا يارب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم، قالوا أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء. فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين). وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (ليزلقونك) لينفذونك (بأبصارهم) أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة

﴿حديث أنس بن مالك رضي الله عنه﴾ قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لا رقية إلا من عين أو حمة أودم لا يرقأ» لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان

﴿حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه﴾ قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا إسحاق ابن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ «لا رقية إلا من عين أو حمة» هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي. وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا «لا رقية إلا من عين أو حمة»

﴿حديث أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة بن البرند السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دبي عن ابن حرب عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «إن العين لتولع الرجل بإذن الله فيتصاعد حالقا ثم يتردى منه) إسناده غريب ولم يخرجوه.

﴿حديث حابس التميمي﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حية بن حابس التميمي أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لا شيء في الهام والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل) وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن أبي غسان يحيى بن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب. قال وروى سنان عن يحيى بن أبي كثير عن حية بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد عن شيبان بن أبي حية حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا بأس في الهام، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل». ﴿حديث ابن عباس رضي الله عنه﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد حدثني إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «العين حق، العين حق، تستنزل الحالق» غريب.

﴿طريق أخرى﴾ قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا» انفرد به دون البخاري وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة. ومن كل عين لامة» ويقول «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام» أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث المنهال به.

﴿ حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه ﴾ قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة فما لبث أن لبط به فأتي به رسول الله ﷺ فقيل له أدرك سهلا صريعا قال « من تتهمون به » قالوا عامر بن ربيعة قال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ . إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه ، وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به ، ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضا عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة ويكفأ الاناء من خلفه ، ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضا عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه به.

﴿ حديث أبي سعيد الخدري ﴾ قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الانس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن أبي إياس أبي مسعود الجريري به وقال الترمذي حسن

﴿ حديث آخر عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال « نعم » قال باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنيك والله يشفيك ، باسم الله أرقيك . ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث به

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ورواه أيضا عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد به ، قال أبو زرعة الرازي روى عبد الصمد ابن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح ﴿ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجاه من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن علية عن الجريري عن مضارب بن حزن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العين حق » تفرد به ورواه أحمد عن إسماعيل بن علية عن سعيد الجريري به وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت إذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق » ﴿ حديث أسماء بنت عميس ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال : قالت أسماء يارسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال « نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، ورواه الترمذي أيضا والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذي حسن صحيح ﴿ حديث عائشة رضي الله عنها ﴾ قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الخصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقي من العين . ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به ، وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو هشام المخزومي حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « استعيذوا بالله فان النفس حق » تفرد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان ان ابن حسنة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا(١) الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل »

« حديث سهل بن حنيف » قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ان أباه حدثه ان رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يارسول الله هل لك في سهل ! والله مايرفع رأسه ولايفيق ، قال « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرا فتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت مايعجبك بركت ؟ » ثم قال — اغتسل له » فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس ﴿ حديث عامر بن ربيعة ﴾ قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال فانطلقا يلتمسان الخمر قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبني فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياض ساقيه قال فضرب صدره بيده ثم قال « اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » قال فقام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله مايعجبه فليبرك فان العين حق » . ﴿ حديث جابر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب ابن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري ويقال له ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه حدثني عبد الرحمن بن جابر ابن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » . قال البزار يعني العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد قلت بل قد روى من وجه آخر عن جابر . قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة حدثنا الرمادي حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين » . ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر » . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه . ﴿ حديث عبد الله بن عمرو ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين ابن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق » تفرد به أحمد

﴿ حديث عن علي ﴾ روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتما فقال يامحمد ماهذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال « الحسن والحسين أصابتهما عين » قال صدق بالعين فان العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال « وماهن ياجبريل ؟ » قال : قل اللهم ذا السلطان العظيم والمن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين

(١) بياض بأصله

من شر الجن وأعين الإنس فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا الحسن بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » قال الخطيب البغدادي تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطي من أهل تستر ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه . وقوله تعالى (ويقولون إنه لمجنون) أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون إنه لمجنون أي لمجيئه بالقرآن قال الله تعالى (وما هو إلا ذكر للعالمين) آخر تفسير سورة ن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الحاقة وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾

الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها فقال (وما أدراك ما الحاقة) ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان وقرأ ابن زيد (كذبت ثمود بطغواها) وقال السدي فأهلكوا بالطاغية قال يعني عاقر الناقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري (عاتية) أي شديدة الهبوب قال قتادة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال علي وغيره عتت الخزنة فخرجت بغير حساب (سخرها عليهم) أي سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي كوامل متتابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والربيع بن خثيم مشائيم عليهم كقوله تعالى (في أيام نحسات) قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الأربعاء ويقال إنها التي تسميها الناس الأعجاز ، وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقيل لأنها تكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلها الريح في اليوم الثامن ، حكاه البغوي والله أعلم

قال ابن عباس (خاوية) خربة وقال غيره بالية أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى ابن الضريس العبدي حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مافتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة » وقال الثوري عن ليث عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب (فهل ترى لهم من باقية ؟) أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قال تعالى (وجاء

فرعون ومن قبله) قرىء بكسر القاف أى ومن عنده ممن فى زمانه من أتباعه من كفار القبط ، وقرأ آخرون بفتحها أي ومن قبله من الأمم المشبهين له وقوله تعالى (والمؤتفكات) وهم الأمم المكذبون بالرسل (بالخاطئة) وهى التكذيب بما أنزل الله قال الربيع (بالخاطئة) أى بالمعصية ، وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى (فعصوا رسول ربهم) وهذا جنس أى كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى (إن كل كذب الرسل فحق وعيد) ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) كذبت عاد المرسلين (كذبت ثمود المرسلين) وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أى عظيمة شديدة أليمة ، قال مجاهد رابية شديدة وقال السدى مهلكة

ثم قال تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود ، وقال ابن عباس وغيره طغى الماء كثر . وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن على بن أبى طالب قال لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى ملك فلما كان يوم نوح أذن الماء دون الخزان فطغى الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى (إنا لما طغى الماء) أي زاد على الحد بإذن الله (حملناكم فى الجارية) ولم ينزل شىء من الريح إلا بكيل على يدى ملك إلا يوم عاد فانه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى عتت على الخزان ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) وهى السفينة الجارية على وجه الماء (لنجعلها لكم تذكرة) عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه أى وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء فى البحار كما قال (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) وقال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، والأول أظهر ولهذا قال تعالى (وتعيها أذن واعية) أى وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية ، قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة (أذن واعية) عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك (وتعيها أذن واعية) سمعتها أذن ووعت أى من له سمع صحيح وعقل رجيح ، وهذا عام فى كل من فهم ووعى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقى حدثنا زيد بن يحيى حدثنا على بن حوشب سمعت مكحولا يقول : لما نزل على رسول الله ﷺ (وتعيها أذن واعية) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سألت ربى أن يجعلها أذن على » قال مكحول فكان على يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا قط فنسيته وهكذا رواه ابن جرير عن على بن سهل عن الوليد بن مسلم عن على ابن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل . وقد قال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر ابن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعنى والد أبى أحمد الزبيرى حدثنى صالح بن الهيثم سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله ﷺ لعلى « إنى أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعى وحق لك أن تعى » قال فنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الأعمى عن بريدة به ولا يصح أيضا

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ههنا (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) أي فمدت مد الأديم العكاظي وتبدلت الأرض غير الأرض (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) قال سماك عن شيخ من بني أسد عن علي قال: تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جريج هي كقوله (وفتحت السماء فكانت أبوابا) وقال ابن عباس متخرقة والعرش بحذائها (والملك على أرجائها) الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على مالم يه منها أي حافاتها وكذا قال سعيد بن جبير والأوزاعي ، وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصري أبوابها ، وقال الربيع بن أنس في قوله (والملك على أرجائها) يقول على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض . وقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب ، وفي حديث عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أوعال ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو السمح البصري حدثنا أبو قبيل حيي بن هانىء أنه سمع عبدالله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال كتب إلي أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام » وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبدالله حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » هذا لفظ أبي داود.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ثمانية صفوف من الملائكة قال : وروى عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك ، وكذا روى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: ثمانية صفوف وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة وقوله تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى (لا تخفى منكم خافية) وقد قال ابن أبي الدنيا أخبرنا إسحق بن إسماعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فانه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا علي ابن رفاعة عن الحسن عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن عن أبي هريرة به ، وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليم بن حيان عن مروان الأصفر عن أبي وائل عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا مثله .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لـكل من لقيه (هاؤم اقرءوا كتابيه) أي خذوا اقراءوا كتابيه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معنى (هاؤم اقرءوا كتابيه) أي ها اقرءوا كتابيه وؤم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى هاكم

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الأحول عن أبي عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول : هاؤم اقرءا كتابيه . وحدثنا أبي حدثنا إبراهيم ابن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبدالله بن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدى أي يظهر سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أي رب ، فيقول له إني لم أفضحك به وإني قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه (إني ظننت أني ملاق حسابيه) حين نجا من فضيحته يوم القيامة . وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الـكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » وقوله تعالى (إني ظننت أني ملاق حسابيه) أي قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) قال الله تعالى (فهو في عيشة راضية) أي مرضية (في جنة عالية) أي رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة ، قال « نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم » وقد ثبت في الصحيح « إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والأرض » وقوله تعالى (قطوفها دانية) قال البراء بن عازب أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره وكذا قال غير واحد قال الطبراني عن الدبري عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعطى المؤمن جوازا على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) أي يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وإنعاما وإحسانا وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ

ٱلْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ * إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطى أحدهم كتابه فى العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية) قال الضحاك يعنى موتة لا حياة بعدها وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدى وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء فى الدنيا أكره إليه منه (ماأغنى عنى ماليه*هلك عنى سلطانيه) أى لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذاب الله وبأسه بل خلص الأمر إلى وحدى فلا معين لى ولا مجير فعندها يقول الله عزوجل (خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه) أى يأمر الزبانية أن تأخذه عنفا من المحشر فتغله أى تضع الأغلال فى عنقه ثم توره إلى جهنم فتصليه إياها أى تغمره فيها . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو قال إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقى سبعين ألفا فى النار . وروى ابن أبى الدنيا فى الأهوال أنه يبتدره أربعمائة ألف ولا يبقى شيء إلا دقه فيقول مالى ولك فيقول: إن الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك ،وقال الفضيل بن عياض : إذا قال الرب عزوجل خذوه فغلوه ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل فى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى اغمروه فيها ، وقوله تعالى (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا ، وقال العوفى عن ابن عباس وابن جريج بذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس (فاسلكوه) تدخل فى استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين يشوى وقال العوفى عن ابن عباس يسلك فى دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحاق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبى السمح عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن رصاصة مثل هذه ـ وأشار إلى جمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها » وأخرجه الترمذى عن سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك به وقال هذا حديث حسن . وقوله تعالى (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين) أى لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم ، فان لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقبض النبى ﷺ وهو يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » وقوله تعالى (فليس له اليوم ههنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون) أى ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الربيع والضحاك هو شجرة فى جهنم ، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدرى ما الغسلين ولكنى أظنه الزقوم وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال على بن أبى طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

يقول تعالى مقسما لخلقه بما يشاهدونه من آياته فى مخلوقاته الدالة على كماله فى أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لايشاهدونه من المغيبات عنهم إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذى اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى (فلاأقسم بماتبصرون ومالاتبصرون * إنه لقول رسول كريم) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم، أضافه إليه على معنى التبليغ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه فى سورة التكوير إلى الرسول الملكى (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين) وهذا جبريل عليه السلام ، ثم قال تعالى (وماصاحبكم بمجنون) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى أن محمداً رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها (وماهو على الغيب بضنين) أى بمتهم (وما هو بقول شيطان رجيم) وهكذا قال ههنا (وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاماتذكرون) فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملكى وتارة إلى الرسول البشرى لأن كلامهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى (تنزيل من رب العالمين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال : فقلت هـذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال فقرأ (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون) قال فقلت كاهن ، قال فقرأ (ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) إلى آخر السورة ، قال فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع ، فهذا من جملة الأسباب التى جعلها الله تعالى مؤثرة فى هداية عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوردنا كيفية إسلامه فى سيرته المفردة ولله الحمد والمنة

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى (ولو تقول علينا) أى محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد فى الرسالة أو نقص منها أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى (لأخذنا منه باليمين)قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد فى البطش ، وقيل لأخذنا بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذى القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه . وقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك . والمعنى فى هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له مايبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات . ثم قال تعالى (وإنه لتذكرة للمتقين) يعنى القرآن كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) ثم قال تعالى (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين) أى مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن. ثم قال تعالى (وإنه لحسرة على الكافرين) قال ابن جرير وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة . وحكاه عن قتادة بمثله وروى ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبى مالك (وإنه لحسرة على الكافرين) يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أى وإن القرآن والإيمان به لحسرة فى نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى (كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به) وقال تعالى (وحيل بينهم وبين مايشتهون) ولهذا قال ههنا (وإنه لحق اليقين)أى الخبر الصدق الحق الذى لامرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أى الذى أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة سأل سائل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾

(سأل سائل بعذاب واقع) فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) أى وعذابه واقع لامحالة . قال النسائى حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفى عن ابن عباس (سأل سائل بعذاب واقع) قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى (سأل سائل) دعا داع بعذاب واقع يقع فى الآخرة قال وهو قولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ابن زيد وغيره (سال سائل بعذاب واقع) أى واد فى جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله تعالى (واقع للكافرين) أى مرصد معد للكافرين . وقال ابن عباس واقع جاء (ليس له دافع) أى لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى (من الله ذى المعارج) قال الثورى عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (ذى المعارج) قال ذو الدرجات ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ذى المعارج يعنى العلو والفواضل وقال مجاهد ذى المعارج معارج السماء ، وقال قتادة ذى الفواضل والنعم . وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناسا ، قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم فانها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء ، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو دواد والنسائى وابن ماجه من حديث المنهاج عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله فى قبض الروح الطيبة قال فيه « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله » والله أعلم بصحته فقد تكلم فى بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد فى حديث أبى هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه من طريق ابن أبى الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه ، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) . وقوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنه) فيه أربعة أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن المراد بذلك مسافة مابين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذى فى وسط الأرض السابعة ، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وانه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبى حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا حكام عن عمرو بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة (فى يوم كان مقداره ألف سنة) يعنى بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض

مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سالم عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إبراهيم بن منصور حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ﴿ القول الثاني ﴾ أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبوزرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوما (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم) قال اليوم الدنيا ، وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل ﴿ القول الثالث ﴾ أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى ابن عبيدة أخبرني محمد بن كعب (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة ﴿ القول الرابع ﴾ أن المراد بذلك يوم القيامة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال يوم القيامة وإسناده صحيح ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر الغداني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة : ردوه إلي فردوه فقال نبئت انك ذومال كثير فقال العامري إي والله إن لي لمائة حمرا ومائة أدما حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ماذاك يا أبا هريرة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها » قلنا يارسول الله ما نجدتها ورسلها ، قال « في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فاذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذ جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى

سبيله » فقال العامري وما حق الإبل يا أباهريرة ؟ قال أن تعطى الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقى الإبل وتطرق الفحل وقد رواه أبوداود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به
﴿ طريق أخرى لهذا الحديث ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أبوكامل حدثنا حماد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من صاحب كنز لا يؤدى حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم وفيه « الخيل لثلاثة لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر » إلى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام ، والغرض من إيراده ههنا قوله « حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه ، فقال إنما سألتك لتحدثني ، قال هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) أى اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) ولهذا قال (إنهم يرونه بعيدا) أى وقوع العذاب . وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع (ونراه قريبا) أى المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين (يوم تكون السماء كالمهل) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد أى كدردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) أى كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدى ، وهذه الآية كقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) . وقوله تعالى (ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم) أى لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوإ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره قال العوفي عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق) وكقوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) وكقوله تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) وقوله تعالى (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه * كلا) أى لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهبا أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدى من عذاب الله به ولا يقبل منه قال مجاهد والسدى (فصيلته) قبيلته وعشيرته ، وقال عكرمة فخذه الذي هو منهم وقال أشهب عن مالك : فصيلته أمه

وقوله تعالى (إنها لظى) يصف النار وشدة حرها (نزاعة للشوى) قال ابن عباس ومجاهد : جلدة الرأس ، وقال العوفى عن ابن عباس (نزاعة للشوى) الجلود والهام ؛ وقال مجاهد مادون العظم من اللحم ، وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب وقال أبو صالح (نزاعة للشوى) يعنى أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا (نزاعة للشوى) لحم الساقين، وقال الحسن البصرى وثابت البنانى (نزاعة للشوى) أى مكارم وجهه ، وقال الحسن أيضا تحرق كل شىء فيه ويبقى فؤاده يصيح وقال قتادة (نزاعة للشوى) أى نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه . وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا ، وقال ابن زيد الشوى: الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم . وقوله تعالى (تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى) أى تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها : وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه (وجمع فأوعى) أى جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أى أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد فى الحديث « ولا توعى فيوعى الله عليك » وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول سمعت الله يقول (وجمع فأوعى) وقال الحسن البصرى يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا . وقال قتادة فى قوله (وجمع فأوعى) قال كان جموعا قموما للخبيث

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة (إن الإنسان خلق هلوعا) ثم فسره بقوله (إذا مسه الشر جزوعا) أى إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير (وإذا مسه الخير منوعا) أى إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن على بن رباح سمعت أبى يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « شر ما فى رجل: شح هالع وجبن خالع » ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح عن أبى عبد الرحمن المقرى به وليس لعبد العزيز عنده سواه . ثم قال تعالى (إلا المصلين) أى الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون (الذين هم على صلاتهم دائمون) قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعى ، وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد ، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة فى الصلاة فان الذى لا يطمئن فى ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح فى صلاته ، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ

أنه قال « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » وفى لفظ « ما داوم عليه صاحبه » قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا داوم عليه ، وفى لفظ أثبته ، وقال قتادة فى قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن

وقوله تعالى (والذين فى أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم) أى فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الذاريات . وقوله تعالى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجوا الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون (إن عذاب ربهم غير مأمون) أى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) أى يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أى من الإماء (فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد تقدم تفسير هذا فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أى إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا ، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد فى الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » وقوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)

ثم قال تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) سواء ولهذا قال هناك (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال ههنا (أولئك فى جنات مكرمون) أى مكرمون بأنواع الملاذ والمسار

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون يمينا وشمالا فرقا فرقا ، وشيعا شيعا ، كما قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة) الآية وهذه مثلها فإنه قال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) أى فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أى مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصرى مهطعين أى منطلقين (عن اليمين وعن الشمال عزين) واحدها عزة أى متفرقين وهو حال من مهطعين أى فى حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفى عن ابن عباس (فما للذين كفروا قبلك

مهطعين قال قبلك ينظرون (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن في قوله (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي متفرقين يأخذون يمينا وشمالا يقولون: ما قال هذا الرجل ؟ وقال قتادة (مهطعين) عامدين (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي فرقا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثوري وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال «مالي أراكم عزين ؟» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الأعمش به وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال «مالي أراكم عزين ؟» وهذا إسناده جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه

وقوله تعالى (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا) أي أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا بل مأواهم جهنم . ثم قال تعالى مقررا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداءة التي الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى (إنا خلقناهم مما يعلمون) أي من المني الضعيف كما قال تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين) وقال (فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر) ثم قال تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) أي الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها . وتقرير الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير) وقال تعالى في الآية الأخرى (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال ههنا (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فإن قدرته صالحة لذلك (وما نحن بمسبوقين) أي بعاجزين كما قال تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوي بنانه) وقال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) واختار ابن جرير (على أن نبدل خيرا منهم) أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ، ثم قال تعالى (فذرهم) أي يا محمد (يخوضوا ويلعبوا) أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير إلى غاية يسعون إليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب ، وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الصنم أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون يبتدرون أيهم

يستلمه أول . وهذا مروى عن مجاهد ويحيى بن أبى كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وأبى صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم) أى خاضعة (ترهقهم ذلة) أى فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) . آخر تفسير سورة سأل سائل ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة نوح عليه السلام وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنابوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى (أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال يا قوم إنى لكم نذير مبين) أى بين النذارة ظاهر الأمر واضحه أن اعبدوا الله واتقوه أى اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه (يغفر لكم من ذنوبكم) أى إذا فعلتم ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم ، ومن ههنا قيل إنها زائدة ولكن القول بزيادتها فى الإثبات قليل ، ومنه قول بعض العرب : قد كان من مطر ، وقيل إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير ، وقيل إنها للتبعيض أى يغفر لكم الذنوب العظام التى وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أى يمد فى أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذى إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم ، وقد يستدل بهذه الآية من يقول إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها فى العمر حقيقة كما ورد به الحديث « صلة الرحم تزيد فى العمر » . وقوله تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أى بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فانه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذى قد قهر كل شىء العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقى من قومه وما صبر عليهم فى تلك المدة الطويلة التى هى ألف سنة إلا خمسين عاما وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال :

(رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا) أى لم أترك دعاءهم فى ليل ولانهار امتثالا لأمرك وابتغاء لطاعتك (فلم يزدهم دعائى إلا فرارا) أى كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه (وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم) أى سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ماأدعوهم اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (واستغشوا ثيابهم) قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم. وقال سعيد بن جبير والسدى غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا مايقول (وأصروا) أى استمروا على ماهم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع (واستكبروا استكبارا) أى واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له (ثم إنى دعوتهم جهارا) أى جهرة بين الناس (ثم إنى أعلنت لهم) أى كلاما ظاهرا بصوت عال (وأسررت لهم إسرارا) أى فيما بينى وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) أى ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فانه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت فى الكفر والشرك؛ ولهذا قال (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) أى متواصلة الأمطار، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة فى صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر ليستسق فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات فى الاستغفار ومنها هذه الآية (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر. وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا. وقوله تعالى (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) أى إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أى أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال (مالكم لا ترجون لله وقارا؟) أى عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك، وقال ابن عباس لاتعظمون الله حق عظمته أى لاتخافون من بأسه ونقمته (وقد خلقكم أطوارا) قيل معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدى وابن زيد. وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا؟) أى واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الامور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فان الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا فأدناها القمر فى السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد فى الثانية والزهرة فى الثالثة، والشمس فى الرابعة والمريخ فى الخامسة والمشترى فى السادسة وزحل فى السابعة وأما بقية الكواكب وهى الثوابت ففى فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسى والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير عندهم الذى حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهى من المغرب إلى المشرق؛ وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه فى كل شهر مرة والشمس فى كل سنة مرة وزحل فى كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع فى السرعة متناسبة، هذا ملخص مايقولونه فى هذا المقام على اختلاف بينهم فى مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى (خلق سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) أى فاوت بينهما فى الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع فى النقص حتى يستسر ليدل على مضى الشهور والأعوام كما قال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا اسم مصدر والاتيان به ههنا أحسن (ثم يعيدكم فيها) أى إذا متم (ويخرجكم إخراجا) أى يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة (والله جعل

لكم الأرض بساطا) أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهادا وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عديل له ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أنهى إليه وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) قرىء وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب وقوله تعالى (ومكروا مكرا كبارا) قال مجاهد كبارا أي عظيما ، وقال ابن زيد كبارا أي كبير والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ، ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والمعنى في قوله تعالى (ومكروا مكرا كبارا) أي بأتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) ولهذا قال ههنا (ومكروا مكرا كبارا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله قال البخاري حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد : أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ؛ وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هذه أصنام كانت تعبد في زمن نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس (ويغوث ويعوق ونسرا) قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر قال: أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم عليه السلام أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمن الذي كان سماه عبد الحارث ، وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر وقال ابن حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الدوري حدثني أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن أبي حزرة عن عروة بن الزبير قال : اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث ويعوق وسواع ونسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبي المطهر

قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب ، قال فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله ، قال ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه؛ فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه قالوا نعم، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذه إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله : الصنم الذي سموه ودا .

وقوله تعالى (وقد أضلوا كثيرا) يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم ، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴾

يقول تعالى (مما خطيئاتهم) وقرىء خطاياهم (أغرقوا) أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم (أغرقوا فأدخلوا نارا) أي نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك : ديارا واحدا وقال السدي: الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبها فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة » هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه . وقوله تعالى (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) أي إنك إن أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أي فاجرا في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قال (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا) قال الضحاك يعني مسجدي ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان ان الوليد بن قيس التجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي

إنما نعرفه من هذا الوجه. وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة المشروعة، وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) قال السدي إلا هلاكا وقال مجاهد إلا خسارا أي في الدنيا والآخرة. آخر تفسير سورة نوح عليه السلام ولله الحمد.

﴿ تفسير سورة الجن وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى (قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد) أي إلى السداد والنجاح (فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا

وقوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (جد ربنا) أي فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه وروي عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة تعالى جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير (تعالى جد ربنا) أي تعالى ربنا، فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد الكوفي حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال: الجد أب ولو علمت الجن أن في الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا فهذا إسناد جيد ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم. وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي قالت الجن: تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا (وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا) قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي (سفيهنا) يعنون إبليس (شططا) قال السدي عن أبي مالك (شططا) أي جورا، وقال ابن زيد أي ظلما كبيرا ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيهنا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا ولهذا قالوا (وانه كان يقول سفيهنا) أي قبل إسلامه (على الله شططا) أي باطلا وزورا ولهذا قالوا (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي ما حسبنا أن الانس والجن يتمالئون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك، وقوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي كنا نرى أن لنا فضلا على الانس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وإرهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة (فزادوهم رهقا) أي إثما وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (فزادوهم رهقا) أي ازدادت الجن عليهم جرأة. وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من

الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ما شيتي ، قال قتادة : فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد فكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادي فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي إثما . وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أي خوفا . وقال العوفي عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أي إثما وكذا قال قتادة . وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن المغراء الكندي حدثنا القاسم بن مالك — يعني المزني — عن عبد الرحمن ابن إسحق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال : ياعامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله . فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) ثم قال وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الإنسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم ، وقوله تعالى (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله الكلبي وابن جرير .

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديداً وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قال الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) أي ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد في الصحيح « والشر ليس إليك » وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث العباس بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمي بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » فقلنا كنا نقول يولد عظيم ، يموت عظيم فقال « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء » وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الآية ولا شك أنه لما حدث

هذا الأمر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لخراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبيا رسولا رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمدا ﷺ وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم ففزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من ﴿ كتاب السيرة ﴾ المطول والله أعلم ولله الحمد والمنة

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا * وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أي غير ذلك (كنا طرائق قددا) أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة . قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كنا طرائق قددا) أي منا المؤمن ومنا الكافر وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه حدثنا الحسن بن أسلم بن سهل بحشل حدثنا علي بن سليمان وهو أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم حدثنا أبو معاوية قال سمعت الأعمش يقول تروح إلينا جني فقلت له ما أحب الطعام إليكم فقال الأرز قال فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال نعم ، فقلت فما الرافضة فيكم ؟ قال: شرنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش ، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد : قلوب براها الحب حتى تعلقت * مذاهبها في كل غرب وشارق

تهيم بحب الله والله ربها * معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا) أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض ولو أمعنا في الهرب فانه علينا قادر لا يعجزه أحد منا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة ، وقولهم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى (فلا يخاف ظلما ولا هضما) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أي منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فانه العادل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي طلبوا لأنفسهم النجاة (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أي وقودا تسعر بهم

وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنفتنهم فيه) اختلف المفسرون في معنى هذا على

قولين ﴿ أحدهما ﴾ وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها (لأسقيناهم ماء غدقا) أى كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وكقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وعلى هذا يكون معنى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ﴿ ذكر من قال بهذا القول ﴾ قال العوفى عن ابن عباس (وأن لو استقاموا على الطريقة) يعنى بالاستقامة الطاعة ، وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) قال الإسلام وكذا قال سعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدى ومحمد بن كعب القرظى ، وقال قتادة (وأن لو استقاموا على الطريقة) يقول لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا . وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنبتليهم به . وقال مقاتل نزلت فى كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين . ﴿ والقول الثانى ﴾ (وأن لو استقاموا على الطريقة) الضلال (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وكقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ؟) وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حميد فانه قال فى قوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وحكاه البغوى عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبى وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه . وقوله (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) أى عذابا مشقا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد (عذابا صعدا) أى مشقة لا راحة معها ، وعن ابن عباس : جبل فى جهنم وعن سعيد بن جبير : بئر فيها

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا * حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه فى محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة فى قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده . وقال ابن أبى حاتم : ذكر على بن الحسين حدثنا إسماعيل بن بنت السدى أخبرنا رجل سماه عن السدى عن أبى مالك أو أبى صالح عن ابن عباس فى قوله (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وقال الأعمش قالت الجن يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات فى مسجدك فأنزل الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) يقول صلوا لا تخالطوا الناس . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن محمود عن سعيد بن جبير (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال : قالت الجن لنبى الله ﷺ كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن ناءون ؟ أى بعيدون عنك ، وكيف نشهد الصلاة ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)

وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة نزلت فى المساجد كلها ، وقال سعيد بن جبير نزلت فى أعضاء السجود أى هى

لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة — أشار بيده إلى أنفه — واليدين والركبتين وأطراف القدمين » ، وقوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال العوفى عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) يستمعون القرآن . هـذا قول وهو مروى عن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وقال ابن جرير حدثنى محمد بن معمر حدثنا أبو مسلم عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال لما رأوه يصلى وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال عجبوا من طواعية أصحابه له قال : فقالوا لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وهذا قول ثان وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا ، وقال الحسن لما قام رسول الله ﷺ يقول لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة فى قوله (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبد) قال تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه ، وهذا قول ثالث وهو مروى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله بعده (قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا) أى قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته (إنما ادعو ربى) أى إنما أعبد ربى وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه (ولا أشرك به أحدا)، وقوله تعالى (قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أى إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى وعبد من عباد الله ليس إلى من الأمر شىء فى هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع فى ذلك كله إلى الله عز وجل ، ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد أى لو عصيته فانه لا يقدر أحد على انقاذى من عذابه (ولن أجد من دونه ملتحدا) قال مجاهد وقتادة والسدى لا ملجأ وقال قتادة أيضا (قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) أى لا نصير ولا ملجأ وفى رواية لا ولى ولا موئل

وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله ورسالاته) قال بعضهم هو مستثنى من قوله (قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا) ويحتمل أن يكون استثناء من قوله (لن يجيرنى من الله أحد) أى لا يجيرنى منه ويخلصنى إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها على كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) أى أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أى لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها . وقوله تعالى (حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) أى حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا ، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى ؟ أى بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا * عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد (قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا) أى مدة طويلة وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى

يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض كذب لا أصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال يا محمد فأخبرني عن الساعة ؟ قال «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال يا محمد متى الساعة. قال « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ » قال أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله قال « فأنت مع من أحببت » قال أنس فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثني أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يابني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت » وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود

وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) هذه كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وانه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) وهذا يعم الرسول الملكي والبشري . ثم قال تعالى (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحي الله ولهذا قال (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله (ليعلم) إلى من يعود ؟ فقيل إنه عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل (ليعلم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به . وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها ، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير ، وقيل غير ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل إليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم من كذب الرسل ان قد أبلغوا رسالات ربهم وفي هذا نظر . وقال البغوي قرأ يعقوب (ليعلم) بالضم أي ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا . ويحتمل ان يكون الضمير عائدا إلى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وكقوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ، ولهذا قال بعد هذا (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) . آخر تفسير سورة الجن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المزمل عليه السلام وهى مكية ﴾

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطى حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش فى دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما يصد الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فتزمل فى ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال (ياأيها المزمل) (ياأيها المدثر) ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لايتابع عليها .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل وهو التغطى فى الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وههنا بين له مقدار مايقوم فقال تعالى (ياأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا) قال ابن عباس والضحاك والسدى (ياأيها المزمل) يعنى ياأيها النائم . وقال قتادة : المزمل فى ثيابه . وقال إبراهيم النخعى : نزلت وهو متزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (ياأيها المزمل) قال يامحمد زملت القرآن . وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) أى أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك فى ذلك . وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أى اقرأه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضى الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وفى صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سفيان الثورى به وقال الترمذى : حسن صحيح وقد قدمنا فى أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء فى الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » و « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » و « لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود » يعنى أبا موسى فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبرته لك تحبيرا ، وعن ابن مسعود أنه قال لاتنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البغوى وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة فى ركعة . فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين فى ركعة وقوله تعالى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال الحسن وقتادة أى العمل به وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضى الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تقبض » تفرد به أحمد . وفى أول صحيح البخارى عن عبدالله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحى ؟ فقال « أحيانا يأتى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى صلى الله عليه وسلم فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام ابن عروة عن أبيه أن النبى ﷺ كان إذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل ، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما ثقل فى الدنيا ثقل يوم القيامة فى الموازين

وقوله تعالى (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا) قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: نشأ قام بالحبشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ إذا قام من الليل وفى رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض أن ناشئة الليل هى ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهى الآنات ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى (هى أشد وطأ وأقوم قيلا) أى أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا إبراهيم ابن سعيد الجوهرى حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا) فقال له رجل إنما نقرؤها وأقوم قيلا ، فقال له إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد . ولهذا قال تعالى (إن لك فى النهار سبحا طويلا) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبى مسلم : الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثورى : فراغا طويلا . وقال قتادة فراغا وبغية ومتقلبا . وقال السدى (سبحا طويلا) تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى (إن لك فى النهار سبحا طويلا) قال لحوائجك فأفرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرأ (قم الليل إلا قليلا) إلى آخر الآية ثم قرأ (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه — حتى بلغ — فاقرءوا ماتيسر منه) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهذا الذى قاله كما قاله

والدليل عليه مارواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد هو ابن أبى عروبة عن قتادة عن زرارة ابن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله فى الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقى رهطا من قومه فحدثوه أن رهطا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال « أليس لكم فى أسوة حسنة ؟ » فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال ائت عائشة

فسلها ثم ارجع إلى فأخبرنى بردها عليك قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته اليها فقال ما أنا بقاربها إنى نهيتها أن تقول فى هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما إلا مضياً ، فأقسمت عليه فجاء معى فدخلنا عليها فقالت: حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا الذى معك ؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام ؟ قال ابن عامر قال فترحمت عليه وقالت نعم المرء كان عامرا قلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدالى قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل ؟) قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهرا ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة . فهممت أن أقوم ثم بدا لى وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلى ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم ، ثم يقوم ليصلى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك احدى عشرة ركعة يابنى ، فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يابنى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة ولا أعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله فى ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان . فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بتمامه وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث قتادة بنحوه

﴿طريق أخرى عن عائشة رضى الله عنها فى هذا المعنى﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قالا جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثنى محمد بن طحلاء عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يصلى عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحيما فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه » ونزل القرآن (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل . ورواه ابن أبى حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف والحديث فى الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هى مكية وقوله فى هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم فى رواية أحمد أنه كان بينهما سنة

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفى سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى أسامة به وقال الثورى ومحمد بن بشر العبدى كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة ، وروى ابن جرير عن أبى كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبى عبد الرحمن قال لما نزلت (يا أيها المزمل) قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقرءوا ما تيسر منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصرى والسدى . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا معاذ بن هشام

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال : فقلت يعني لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ (يا أيها المزمل) ؟ قلت بلى قالت فإنها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة (قم الليل إلا قليلا) قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (يا أيها المزمل) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ـ إلى قوله تعالى ـ وأقيموا الصلاة) فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا) فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ـ إلى قوله تعالى ـ فاقرءوا ما تيسر منه) فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق ، وقوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) أي أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى (فإذا فرغت فانصب) أي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي (وتبتل إليه تبتيلا) أي أخلص له العبادة ، وقال الحسن : اجتهد وأبتل إليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث المروي نهى عن التبتل يعني الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج . وقوله تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلا كما قال تعالى في الآية الأخرى (فاعبده وتوكل عليه) وكقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا * إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجرا جميلا وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء (وذرني والمكذبين أولي النعمة) أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم (ومهلهم قليلا) أي رويدا كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ولهذا قال ههنا (إن لدينا أنكالا) وهي القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد (وجحيما) وهي السعير المضطرمة (وطعاما ذا غصة) قال ابن عباس ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج (وعذابا أليما * يوم ترجف الأرض والجبال) أي تزلزل (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء

إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أي واديا ولا أمتا أي رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) أي بأعمالكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري (أخذا وبيلا) أي شديدا أي فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد، وقوله تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم، وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه، وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. قال الطبراني حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال «ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار، قال من كم يا رب؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد» فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم «إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جنة لكم» هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث. وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى، وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوي لأنه لم يجر له ذكر ههنا، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أي كان وعد هذا اليوم مفعولا أي واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾

يقول تعالى (إن هذه) أي السورة (تذكرة) أي يتذكر بها أولو الألباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة الأخرى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أي تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن تحصوه) أي الفرض الذي أوجبه عليكم (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أي من غير تحديد بوقت أي ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما

قال في سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك (ولا تخافت بها) وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهي قوله (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية أجزأه واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج فهي خداج غير تمام » وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعا « لا تجزىء صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » . وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) أي علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهي من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه) أي قوموا بما تيسر عليكم منه. قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلي المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك ، قال الله تعالى للعبد الصالح (وإنه لذو علم لما علمناه) (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل : وفي السنن « أوتروا يا أهل القرآن » وفي الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان فالله أعلم . وقال الطبراني حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الجدي حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (فاقرءوا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى : وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل « خمس صلوات في اليوم والليلة » . قال هل علي غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعني من الصدقات فان الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال : قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال « اعلموا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال « إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به ، ثم قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره. آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المدثر وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ * فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى. قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت أمامي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا على ماء باردا - قال - فدثروني وصبوا علي ماء باردا - قال - فنزلت (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر) » هكذا ساقه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه « فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل (يا أيها المدثر . قم فأنذر - إلى - فاهجر) - قال أبو سلمة والرجز الأوثان - ثم حمي الوحي وتتابع » هذا لفظ البخاري ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله « فإذا الملك الذي كان بحراء » وهو جبريل حين أتاه بقوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم) ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول ﷺ يقول « ثم فتر الوحي عني فترة فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمي الوحي وتتابع » خرجاه من حديث الزهري به . وقال الطبراني حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلي حدثنا المعافى بن عمران عن إبراهيم بن يزيد سمعت ابن أبي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم ليس بكاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) وقوله تعالى (قم فأنذر) أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة (وربك فكبر) أي عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الأجلح الكندي عن عكرمة عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه

الآية (وثيابك فطهر) قال لاتلبسها على معصية ولا على غدرة ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر   لبست ولا من غدرة أتقنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال إبراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثوري عن رجل عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الاثم ، وكذا قال إبراهيم النخعي وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفي رواية عنه (وثيابك فطهر) أي عملك فأصلح ، وكذا قال أبو رزين وقال في رواية أخرى (وثيابك فطهر) أي لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أي طهرها من المعاصي وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد الله إنه لدنس الثياب وإذا وفى وأصلح إنه لمطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لاتلبسها على معصية . وقال الشاعر :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعني لاتكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب ويقال لاتلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أي اغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان المشركون لايتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل   وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي

وإن تك قد ساءتك مني خليقة   فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبير (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري : وخلقك فحسن ، وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الأصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد : إنها الأوثان ، وقال إبراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أي اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى (ياأيها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين) (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين) . وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لاتعط العطية تلتمس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (ولاتمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصري : لاتمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خصيف عن مجاهد في قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف ، وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال والأظهر القول الأول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي اصبر عطيتك لله عز وجل . وقوله تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد (الناقور) الصور قال مجاهد وهو كهيئة القرن . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفي عن ابن عباس (فاذا نقر في الناقور) فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به .

وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أي شديد (على الكافرين غير يسير) أي غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول

الكافرون هذا يوم عسر) ، وقد روينا عن زرارة بن أوفى قاضى البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) شهق شهقة ثم خر ميتا رحمه الله تعالى

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذى أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خرج من بطن أمه وحده لامال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى (مالا ممدودا) أى واسعا كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له (بنين شهودا) قال مجاهد لايغيبون أى حضورا عنده لايسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم ، وكانوا فيما ذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ فى النعمة وهو إقامتهم عنده (ومهدت له تمهيداً) أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك (ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً) أى معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم ، قال الله تعالى (سأرهقه صعودا) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبدا » وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لانعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن المعروف بعلان المقرى قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهنى عن عطية العوفى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم (سأرهقه صعوداً) قال « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدى صعودا صخرة ملساء فى جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد (سأرهقه صعوداً) أى مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لاراحة فيه واختاره ابن جرير . وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أى إنما أرهقناه صعودا أى قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول فى القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال (وقدر) أى تروى (فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر) دعاء عليه (ثم نظر) أى أعاد النظرة والتروى (ثم عبس) أى قبض بين عينيه وقطب (وبسر) أى كلح وكره ومنه قول توبة بن حمير :

وقد رابنى منها صدود رأيته وإعراضها عن حاجتى وبسورها

وقوله (ثم أدبر واستكبر) أى صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال (إن هذا إلا قول البشر) أى ليس بكلام الله وهذا المذكور فى هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومى أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره فى هذا ما رواه

العوفى عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال ياعجباً لما يقول ابن أبى كبشة فوالله ماهو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبوجهل بن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال ألست أكثرهم مالا وولدا فقال له أبوجهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبى قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتى ! فلا والله لا أقرب ابن أبى قحافة ولا عمر ولا ابن أبى كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (ذرنى ومن خلقت وحيدا ـ إلى قوله ـ لاتبقى ولاتذر) وقال قتادة : زعموا أنه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقتل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض مابين عينيه وكلح ، وقال ابن جرير حدثنا ابن عبدالأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أباجهل بن هشام فأتاه فقال أى عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال لم ، قال يعطونكه فانك أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أنى أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال وانك كاره له ، قال فماذا أقول فيه ، فوالله مامنكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذى يقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعلو وما يعلى ، وقال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعنى حتى أتفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره فنزلت (ذرنى ومن خلقت وحيدا ـ حتى بلغ ـ تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوا من هذا ، وقد زعم السدى أنهم لما اجتمعوا فى دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلايستطيعون سبيلا) كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، قال الله تعالى (سأصليه سقر) أى سأغمره فيها من جميع جهاته ، ثم قال تعالى (وما أدراك ماسقر) وهذا تهويل لأمرها وتفخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لاتبقى ولا تذر) أى تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم فى ذلك لايموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريدة وأبوسنان وغيرهما

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أى للجلد ، وقال أبورزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة (لواحة للبشر) أى حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى (عليها تسعة عشر) أى من مقدمى الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبوزرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبى زائدة أخبرنى حارث عن عامر عن البراء فى قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال « ادعهم أما إنى سائلهم عن تربة الجنة إن أتونى ، أما إنها درمكة بيضاء » فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام فى الثانية ثم قال « أخبرونى عن تربة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن الخبز إنما يكون من الدرمك » هكذا وقع عند ابن أبى حاتم عن البراء والمشهور عن جابر بن عبدالله كما قال الحافظ أبوبكر البزار فى مسنده حدثنا مندة حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد : غلب أصحابك اليوم فقال « بأى شىء »

قال ما أتاهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا لانعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفغلب قوم يسألون عما لايعلمون فقالوا لانعلم حتى نسأل نبينا ﷺ ؟ علي بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة» فأرسل إليهم فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال «هكذا» وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه «إن سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك» فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ «ما تربة الجنة» فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبزة يا أبا القاسم فقال «الخبز من الدرمك» وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر عن سفيان به وقال هو والبزار لايعرف إلا من حديث مجالد وقد رواه الامام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بقصة الدرمك فقط

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

يقول تعالى (وما جعلنا أصحاب النار) أي خزانها (إلا ملائكة) أي زبانية غلاظا شدادا ؟ وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم ، فقال الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أي شديدي الخلق لايقاومون ولا يغالبون ، وقد قيل إن أبا الأشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يامعشر قريش اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه ، قال السهيلي وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعته وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن ، قال وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ﴿قلت﴾ ولا منافاة بين ماذكراه والله أعلم ، وقوله تعالى (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا منا للناس (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أي يعلمون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله تعالى (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي من المنافقين (والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا ؟ قال الله تعالى (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، وقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت في حديث الاسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة «فاذا هو

يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم » .

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » فقال أبو ذر والله لوددت أني شجرة تعضد ، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذي حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا » . وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط . ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »

وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم ثم قرأ (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف حدثني سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحبلى حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يوما لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما تسمع يا رسول الله ؟ قال « أطت السماء وحق لها أن تئط إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا إسناد غريب جدا

ثم قال حدثنا إسحق بن محمد بن إسماعيل الفروي حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثي فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشا فيصرعني ثم يدس وجهي في التراب قال عمر فصرعته ودسست وجهه في التراب فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما رأيك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « إن رضى عمر رحمة ، والله على ذلك لوددت أنك جئتني برأس الخبيث » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش إن لله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت رفعوا رءوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال

« أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذى الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذى العزة والجبروت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحى الذى لا يموت ، فقلها ياعمر فى صلاتك » فقال عمر يارسول الله فكيف بالذى كنت علمتنى وأمرتنى أن أقوله فى صلاتى؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذى أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك جل وجهك » هذا حديث غريب جدا بل منكر نكارة شديدة ، وإسحق الفروى روى عنه البخارى ، وذكره ابن حبان فى الثقات وضعفه أبو داود والنسائى والعقيلى والدارقطنى ، وقال أبو حاتم الرازى كان صدوقا إلا أنه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة ، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحى تكلم فيه أيضا ، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلا قريبا منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبى ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا إسناد لا بأس به

وقوله تعالى (وما هى إلا ذكرى للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هى) أى النار التى وصفت (إلا ذكرى للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر * والليل إذ أدبر) أى ولى (والصبح إذا أسفر) أى أشرق (إنها لإحدى الكبر) أى العظائم يعنى النار ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويولى ويردها

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ * فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً * كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ * كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾

يقول تعالى مخبرا أن (كل نفس بما كسبت رهينة) أى معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فإنهم (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسألون المجرمين وهم فى الغرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم (ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) أى ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نتكلم فيما لا نعلم : وقال قتادة : كلما غوى غاو غوينا معه (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) يعنى الموت كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال رسول الله ﷺ « أما هو — يعنى عثمان بن مظعون — فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى من كان

متصفا بمثل هذه الصفات فانه لاتنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فانه له النار لا محالة خالدا فيها ، ثم قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين ؟) أى فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) أى كأنهم فى نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد ، قاله أبو هريرة وابن عباس فى رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ، أو رام ، وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور . وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس : الأسد بالعربية ويقال له بالحبشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أوبا . وقوله تعالى (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أى بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبى ﷺ قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفى رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى (كلا بل لا يخافون الآخرة) أى إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها

ثم قال تعالى (كلا إنه تذكرة) أى حقا ان القرآن تذكرة (فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) كقوله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قاله قتادة . وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرنى سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) وقال « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله فمن اتقى أن يجعل معى إلها كان أهلا أن غفر له » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعى به وقال الترمذى حسن غريب وسهيل ليس بالقوى ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن هدبة بن خالد عن سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبغوى وغيرهم من حديث سهيل القطعى به : آخر تفسير سورة المدثر ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة القيامة وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفيا جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفى . والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ، ولهذا قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، وقال قتادة بل أقسم بهما جميعا هكذا حكاه ابن أبى حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج أنهما قرآ (لأقسم بيوم القيامة) وهذا يوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة ، والصحيح أنه أقسم بهما جميعا معا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصرى فى هذه الآية إن المؤمن والله مانراه إلا يلوم نفسه : ماأردت بكلمتى ، ما أردت بأكلتى ، ماأردت

بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه ، وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن إسرائيل عن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال تلوم على الخير والشر ، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي النفس اللئوم ، وقال علي بن أبي نجيح عن مجاهد تندم على مافات وتلوم عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : اللوامة المذمومة ، وقال قتادة (اللوامة) الفاجرة . قال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات

وقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟) أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس أن نجعله خفاً أو حافراً وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا والظاهر من الآية أن قوله تعالى (قادرين) حال من قوله تعالى (نجمع) أي أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه ؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج ، وقوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) قال سعيد عن ابن عباس يعني يمضي قدماً ، وقال العوفي عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة . وقال مجاهد (ليفجر أمامه) ليمضي أمامه راكباً رأسه ، وقال الحسن لا يلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصمه الله تعالى ، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب بيوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) أي يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) . وقال تعالى ههنا (فإذا برق البصر) قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الأول : والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور . وقوله تعالى (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) وروي عن ابن مسعود أنه قرأ (وجمع بين الشمس والقمر) . وقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لا نجاة وهذه الآية كقوله تعالى (ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير) أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المرجع والمصير . ثم قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) وهكذا قال ههنا (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) . وقال علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس (بل الإنسان على نفسه بصيرة) يقول سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه . وقال قتادة شاهد على نفسه ، وفي رواية قال إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه : وكان يقال إن في الإنجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره !

وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه . وقال السدي (ولو ألقى معاذيره) حجته . وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه . وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر المعذار . والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وكقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال (لا ينفع الظالمين معذرتهم) وقال (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) (فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء) وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين)

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما) ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي أن تقرأه (فإذا قرأناه) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به . ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن نجمعه لك (وقرآنه) أن نقرئك فلا تنسى ، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه) تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة . وقوله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة

ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم إنهم إنما همتهم الى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة . ثم قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة (الى ربها ناظرة) أي تراه عيانا كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟ » قالوا لا ، قال « إنكم ترون ربكم كذلك » . وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا » وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » . وفي افراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة — قال — يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة » ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وفي افراد مسلم عن جابر في حديثه « ان الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعني في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر الى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهداة الأنام ، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟) قال الشافعي رحمه الله تعالى . ما حجب الفجار الا وقد علم أن الابرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن (وجوه يومئذ ناضرة) قال حسنة (الى ربها ناظرة) قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق وقوله تعالى (ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة : كالحة وقال السدي تغير ألوانها وقال ابن زيد (باسرة) أي عابسة (تظن) أي تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدي تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية — إلى قوله — وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية) في أشباه ذلك من الآيات والسياقات

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى (كلا إذا بلغت التراقى) إن جعلنا كلا رادعة فمعناها لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا، وإن جعلناها بمعنى حقا فظاهر أي حقا إذا بلغت التراقى أي انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقى جمع ترقوة وهى العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون، فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين) وهكذا قال ههنا (كلا إذا بلغت التراقى) ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس. والتراقى جمع ترقوة وهى قريبة من الحلقوم (وقيل من راق؟) قال عكرمة عن ابن عباس أي من راق يرقى وكذا قال أبو قلابة (وقيل من راق) أي من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس (وقيل من راق) قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة، وبهذا الإسناد عن ابن عباس في قوله (والتفت الساق بالساق) قال التفت عليه الدنيا والآخرة، وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (والتفت الساق بالساق) يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحمه الله. وقال عكرمة (والتفت الساق بالساق) الأمر العظيم بالأمر العظيم، وقال مجاهد بلاء ببلاء وقال الحسن البصرى في قوله تعالى (والتفت الساق بالساق) هما ساقاك إذا التفتا، وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا وكذا قال السدى عن أبي مالك وفي رواية عن الحسن: هو لفهما في الكفن، وقال الضحاك (والتفت الساق بالساق) اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه وقوله تعالى (إلى ربك يومئذ المساق) أي المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبدى إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما ورد في حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله جل وعلا (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي جذلان أشرا بطرا كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال تعالى (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) وقال تعالى (إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور) أي يرجع (بلى إنه كان به بصيرا) وقال الضحاك عن ابن عباس (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى (أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى) وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه أي يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) وكقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) وكقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وكقوله جل جلاله (اعملوا ما شئتم) إلى غير ذلك. وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن مهدى عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) قال: قاله النبي ﷺ لأبي جهل ثم نزل به القرآن

وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) ؟ قال : قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل ، قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن إسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى) وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » فقال عدو الله أبو جهل أتوعدني يا محمد ؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإني لأعز من مشى بين جبليها وقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) . قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى ، والظاهر أن الآية تعم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة ، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلا على الاعادة بالبداءة فقال تعالى (ألم يك نطفة من مني يمنى) أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنى يراق من الأصلاب في الأرحام . (ثم كان علقة فخلق فسوى) أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الأعضاء ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره . ولهذا قال تعالى (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) ثم قال تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدءه . وتناول القدرة للاعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة وإما مساوية على القولين في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شبابة عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى .) قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى .) قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين .) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فانتهى إلى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فليقل بلى ، ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ (فبأي حديث بعده يؤمنون .) فليقل آمنا بالله » ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له من حدثك : قال رجل صدق عن أبي هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال « سبحانك وبلى » . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) قال سبحانك فبلى . آخر تفسير سورة القيامة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الانسان وهي مكية ﴾

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و (هل أتى على الإنسان ؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ

قرأ هذه السورة (هل أتى على الانسان حين من الدهر ؟) وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرج نفس صاحبكم — أو قال أخيكم — الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الانسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أي أخلاط ، والمشج والمشيج : الشيء المختلط بعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعدمن طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى (نبتليه) أي نختبره كقوله جل جلاله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (فجعلناه سميعا بصيراً) أي جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا (إنا هديناه السبيل) أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وكقوله جل وعلا (وهديناه النجدين) أي بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . وروى عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى (إنا هديناه السبيل) يعني خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى (إما شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من الهاء في قوله (إنا هديناه السبيل) تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها » .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة « أعاذك الله من إمارة السفهاء . » قال وما إمارة السفهاء ؟ قال « أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهداي ، ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي يا كعب بن عجرة : الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة ، والصلاة قربات — أو قال برهان — يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، يا كعب : الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها » ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله (فطرة الله التي فطر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً » .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؛ وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته » .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب والحريق فى نار جهنم كما قال تعالى (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون * فى الحميم ثم فى النار يسجرون) ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) وقد علم ما فى الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة فى الجنة . قال الحسن: برد الكافور فى طيب الزنجبيل ولهذا قال (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) أى هذا الذى مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز ، قال بعضهم هذا الشراب فى طيبه كالكافور ، وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقوله تعالى (يفجرونها تفجيراً) أى يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الانباع كما قال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) وقال (وفجرنا خلالهما نهراً) . وقال مجاهد (يفجرونها تفجيراً) يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة، وقال الثورى يصرفونها حيث شاءوا ، وقوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلى عن القاسم بن مالك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى من حديث مالك . ويتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذى شره مستطير أى منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس: فاشياً ، وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، قال ابن جرير : ومنه قولهم: استطار الصدع فى الزجاجة واستطال ، ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أسأرت فى الفؤا د صدعا على نأيها مستطيرا

يعنى ممتدا فاشيا . وقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أى ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى (وآتى المال على حبه) وكقوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وروى البيهقى من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعنى امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفى الصحيح « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أى فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس كان أسراؤهم

يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية المسلم والمشرك ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى انه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أي رجاء ثواب الله ورضاه (لانريد منكم جزاء ولا شكورا) أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد ابن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه في قوله (يوما عبوسا قمطريرا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قمطريرا) قال يقبض الوجه بالبسور ، وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقليص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضي الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي آمنهم مما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أي في وجوههم (وسرورا) أي في قلوبهم ، قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة) وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضي الله عنها دخل على رسول الله ﷺ مسرورا تبرق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أي منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال قرىء على أبي سليمان الداراني سورة (هل أتى على الإنسان ؟) فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهوة وأسير أف من مشتهى خلاف الجميل

شهوات الإنسان تورثه الذل وتلقيه في البلاء الطويل

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الصافات وذكر الخلاف فى الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرفق أو التربع أو التمكن فى الجلوس وأن الأرائك هى السرر تحت الحجال وقوله تعالى (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) أى ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هى مزاج واحد دائم سرمدى لا يبغون عنها حولا (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة إليهم أغصانها (وذللت قطوفها تذليلا) أى متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وجنى الجنتين دان) وقال جل وعلا (قطوفها دانية) قال مجاهد (وذللت قطوفها تذليلا) إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن قعد تذللت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلا) وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه . وقوله جلت عظمته (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) أى يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام وهى من فضة وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم وقوله (قوارير قوارير من فضة) فالأول منصوب بخبر كان أى كانت قوارير ، والثانى منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا (قوارير من فضة) قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وغير واحد بياض الفضة فى صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هى من فضة وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له فى الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس فى الجنة شىء إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبى حاتم وقوله تعالى (قدروها تقديرا) أى على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هى معدة لذلك مقدرة بحسب رى صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح وقتادة وابن أبزى وعبد الله بن عبيد بن عمير وقتادة والشعبى وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفى عن ابن عباس (قدروها تقديرا) قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافى القول الأول فإنها مقدرة فى القدر والرى

وقوله تعالى (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أى ويسقون يعنى الأبرار أيضا فى هذه الأكواب (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم قوله جل وعلا (عينا يشرب بها عباد الله) وقال ههنا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا قال عكرمة : اسم عين فى الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها ، وقال قتادة (عينا فيها تسمى سلسبيلا) عين سلسة مستقيد ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الحلق واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال . وقوله تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أى على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الأقرطة فإنما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن قال قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا (وإذا رأيت) أى وإذا رأيت يا محمد (ثم) أى هناك يعنى فى الجنة ونعيمها

وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور (رأيت نعيما وملكا كبيرا) أى مملكة لله هنالك عظيمة وسلطاناً باهراً. وثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا فى الحديث المروى من طريق ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون فى الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى . وقد روى الطبرانى ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إنى لكائن معك فى الجنة قال « نعم والذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر — إلى قوله — ملكا كبيرا) فقال الحبشى وإن عينى لترى ما ترى عيناك فى الجنة قال « نعم » فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه فى حفرته بيده

وقوله جل جلاله (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلى الظاهر كما هو المعهود فى اللباس (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما فأذهب الله ما فى بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى يقال لهم ذلك تكريما لهم وإحسانا إليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) أى جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً * فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً * نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً * إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

يقول تعالى ممتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا (فاصبر لحكم ربك) أى

كما أكرمناك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أي لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإن الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أي أول النهار وآخره (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) كقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وكقوله تعالى (يا أيها المزمل* قم الليل إلا قليلا *نصفه أو انقص منه قليلا* أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) يعني يوم القيامة ثم قال تعالى (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني خلقهم (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا ، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) وكقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) ثم قال تعالى (إن هذه تذكرة) يعني هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي طريقا ومسلكا أي من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا (إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) أي عليم عمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى (إن الله كان عليما حكيما) ثم قال (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . آخر تفسير سورة الإنسان ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة المرسلات وهي مكية ﴾

قال البخاري ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله — هو ابن مسعود — رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ « اقتلوها » فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ « وقيت شركم كما وقيتم شرها » وأخرجه مسلم أيضا من طريق الأعمش وقال الإمام أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا ، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفا) فقالت يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك به

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا زكريا بن سهل المروزي ثنا علي بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة (والمرسلات عرفا) قال الملائكة ، وروي عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدي

والربيع بن أنس مثل ذلك وروى عن أبي صالح أنه قال هي الرسل وفي رواية عنه أنها الملائكة ، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات أنها الملائكة . وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الريح ، وكذا قال في (العاصفات عصفا والناشرات نشرا) إنها الريح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (والمرسلات عرفا) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح إذا هبت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، وممن قال ذلك في العاصفات عصفا أيضا على بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشرا هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم ، وعن أبي صالح أن الناشرات نشرا هي المطر ، والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وهكذا العاصفات هي الرياح ، يقال عصفت الرياح إذا هبت بتصويت ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل . وقوله تعالى (فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا، عذرا أو نذرا) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغي ، والحلال والحرام ، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره . وقوله تعالى (إنما توعدون لواقع) هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام أي ماوعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة . ثم قال تعالى (فإذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) وكقوله تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) (وإذا السماء فرجت) أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها (وإذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) الآية وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) . وقوله تعالى (وإذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت . وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) . ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجيء أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) وهو يوم الفصل كما قال تعالى (ليوم الفصل) ثم قال تعالى معظما لشأنه (وما أدراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله غدا وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به (ثم نتبعهم الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نفعل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير . ثم قال تعالى ممتنا على خلقه

ومحتجا على الإعادة بالبداءة (ألم نخلقكم من ماء مهين) أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة البارى عز وجل كما تقدم في سورة يس في حديث بشر بن جحاش « ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (فجعلناه في قرار مكين) يعني جمعناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعني إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا) قال ابن عباس كفاتا كنا وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شيء وقال الشعبي بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة (وجعلنا فيها رواسي شامخات) يعني الجبال رسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب (وأسقيناكم ماء فراتا) أي عذبا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض (ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) يعني لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لا ظليل ولا يغني من اللهب) أي ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ولا يغني من اللهب يعني ولا يقيهم حر اللهب . وقوله تعالى (إنها ترمي بشرر كالقصر) أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعني أصول الشجر (كأنه جمالة صفر) أي كالإبل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (جمالة صفر) يعني حبال السفن ، وعنه أعني ابن عباس (جمالة صفر) قطع نحاس وقال البخاري ثنا عمرو ابن علي ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما (إنها ترمي بشرر كالقصر) قال كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للبناء فنسميه القصر (كأنه جمالة صفر) حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أي لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وعرصات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر . وقوله تعالى (فإن كان لكم كيد فكيدون) تهديد شديد ووعيد أكيد أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضرونه شيئا) وفي الحديث « يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني » .

وقد قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن المنذر الطريقي الأودي ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان

ابن أبي الخارق عن أبي عبد الله الجدلي قال : أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون) اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، فقال عبد الله بن عمرو فأنا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت : أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لا يغيبهم عني وزر ولا تخفيهم عني خافية ، الذي جعل مع الله إلها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مريد ، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الأسود المنتن ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفا (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للمكذبين) . وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا) أي مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها (ويل يومئذ للمكذبين) كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟) أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به ؟ كقوله تعالى (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟)

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلا أعرابيا بدويا يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفا ـ فقرأ ـ فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ فليقل آمنت بالله وبما أنزل . وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة . آخر تفسير سورة المرسلات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

﴿ تفسير سورة النبأ وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا * لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين فى تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارا لوقوعها (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) أى عن أى شىء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعنى الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد: النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن . والأظهر الأول لقوله (الذى هم فيه مختلفون) يعنى الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدا لمنكرى القيامة (كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد . ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على مايشاء من أمر المعاد وغيره فقال (ألم نجعل الأرض مهادا) أى ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادا) أى جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجا) يعنى ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعى فى المعايش فى عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية فى سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسا) أى يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل إذا يغشاها) وقال الشاعر:

فلما لبسن الليل أوحين نصبت له من خذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة فى قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أى سكنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أى جعلناه مشرقا نيرا مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجىء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شدادا) يعنى السموات السبع فى إتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس المنيرة على جميع العالم التى يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم . وقوله تعالى (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) قال العوفى عن ابن عباس : المعصرات الريح وقال ابن أبى حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن الأعمش عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وأنزلنا من المعصرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبى وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن إنها الرياح ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من المعصرات أى من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثورى واختاره ابن جرير ، وقال الفراء هى السحاب التى تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد ، كما يقال امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعنى السموات وهذا قول غريب ، والاظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أى من بينه ، وقوله جل وعلا (ماء ثجاجا) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ثجاجا منصبا وقال الثورى متتابعا وقال ابن زيد كثيرا ، قال ابن جرير ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « أفضل الحج العج والثج » يعنى صب دماء البدن هكذا قال، قلت وفى حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنعت لك الكرسف » يعنى أن تحتشى بالقطن فقالت يارسول الله هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجا ، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج فى الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى (لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا) أى لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حبا) يدخر للأناسى والأنعام (ونباتا) أى خضرا يؤكل رطبا (وجنات) أى بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك فى بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّاغِينَ مَآبًا * لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عزوجل كما قال تعالى (وما نؤخره إلا لأجل معدود) (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) قال مجاهد: زمرا زمرا قال ابن جرير يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بامامهم)وقال البخاري (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قالوا أربعون يوما ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون شهرا ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون سنة ؟ قال « أبيت » قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء الا يبلى الاعظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة »(وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي طرقا ومسالك لنزول الملائكة (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال ههنا (فكانت سرابا) أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعا صفصفا * لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ، وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) أي مرصدة معدة (للطاغين) وهم المردة العصاة المخالفون للرسل (مآبا) أي مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) يعني أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس ؛ وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لا بثين فيها أحقابا) أي ماكثين فيها أحقابا وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل ؟ قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة ، وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك ، وعن الحسن والسدي أيضا سبعون سنة كذلك ، وعن عبد الله بن عمرو : الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواهما ابن أبي حاتم . وقال بشير بن كعب ذكر لي أن الحقب الواحد ثلثمائة سنة اثنا عشر شهرا كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر الاسفيدي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك . وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد ؟ فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصري مشهور

وقال السدي (لابثين فيها أحقابا) سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون ، وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) وقال خالد ابن معدان هذه الآية وقوله تعالى (إلا ما شاء ربك) في أهل التوحيد رواهما ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) متعلقا بقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى (لابثين فيها أحقابا) وهو ما لا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الربيع بن أنس (لابثين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عز وجل ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواهما أيضا ابن جرير ، وقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي لا يجدون في جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى (إلا حميما وغساقا) قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الربيع بن أنس ، فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه ، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه ، وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما أغنى عن إعادته – أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه – قال ابن جرير وقيل المراد بقوله (لا يذوقون فيها بردا) يعني النوم كما قال الكندي

بردت مراشفها علي فصدني * عنها وعن قبلاتها البرد

يعني بالبرد النعاس والنوم . هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد ، وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا . وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضا ؛ وقوله تعالى (جزاء وفاقا) أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا : قاله مجاهد وقتادة وغير واحد . ثم قال تعالى (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون (وكذبوا بآياتنا كذابا) أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة وقوله (كذابا) أي تكذيبا ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا وقد سمع أعرابي يستفتي الفراء على المروة : الحلق أحب إليك أو القصار ؟ وأنشد بعضهم :

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي * وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه كتابا) أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال فهم في مزيد من العذاب أبدا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال « هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل » جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إن للمتقين مفازا)

قال ابن عباس والضحاك: متنزهاً، وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار. والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده (حدائق) والحدائق البساتين من النخيل وغيرها (وأعنابا وكواعب أترابا) أي وحورا كواعب، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أي نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أي في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة. قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثني أبي عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي عن أبي أمامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال « إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب » وقوله تعالى (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة متتابعة. وقال عكرمة صافية، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد (دهاقا) الملأى المترعة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المتتابعة. وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) كقوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومنه وإحسانه ورحمته. عطاء حسابا أي كافيا وافيا سالما كثيرا، تقول العرب أعطاني فأحسبني أي كفاني ومنه حسبي الله أي الله كافيّ

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا * يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال ﴿أحدها﴾ ما رواه العوفي عن ابن عباس أنهم أرواح بني آدم ﴿الثاني﴾ هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه ﴿الثالث﴾ أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش ﴿الرابع﴾ هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل وصاحب الوحي ﴿الخامس﴾ أنه القرآن قاله ابن زيد كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الآية ﴿والسادس﴾ أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يقوم الروح) قال هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا. وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا وحده. وهذا قول غريب جداً. وقد قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس المصري حدثنا وهب الله بن رزق ابن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحه سبحانك حيث كنت » وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندى والله أعلم أنهم بنو آدم . وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن) كقوله (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) وكما ثبت فى الصحيح « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » وقوله تعالى (وقال صوابا) أى حقا ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى (ذلك اليوم الحق) أى الكائن لا محالة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) أى مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه وقوله تعالى (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لأن كل ما هو آت آت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أى يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها ، قديمها وحديثها كقوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) وكقوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) أى يود الكافر يومئذ أنه كان فى الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدى الملائكة السفرة الكرام البررة ، وقيل إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت فى الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجور حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها كونى ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر (ياليتنى كنت ترابا) أى كنت حيوانا فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا فى حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما . آخر تفسير سورة النبإ ولله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة النازعات وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى (النازعات غرقا) الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق فى نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله (والناشطات نشطا) قاله ابن عباس وعن ابن عباس (والنازعات) هى أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق فى النار . رواه ابن أبى حاتم وقال مجاهد (والنازعات غرقا) الموت ، وقال الحسن وقتادة (والنازعات غرقا * والناشطات نشطا) هى النجوم ، وقال عطاء بن أبى رباح فى قوله تعالى والنازعات والناشطات هى القسى فى القتال والصحيح الأول وعليه الأكثرون . وأما قوله تعالى (والسابحات سبحا) فقال ابن مسعود هى الملائكة ، وروى عن على ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابحات سبحا) الموت ، وقال قتادة هى النجوم ، وقال عطاء بن أبى رباح : هى السفن . وقوله تعالى (فالسابقات سبقا) روى عن على ومسروق ومجاهد وأبى صالح والحسن البصرى يعنى الملائكة ، قال الحسن سبقت إلى الإيمان والتصديق وعن مجاهد الموت وقال قتادة : هى النجوم ، وقال عطاء هى الخيل فى سبيل الله . وقوله تعالى (فالمدبرات أمرا) قال على ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى هى الملائكة زاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا فى هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شىء من ذلك إلا أنه حكى فى المدبرات أمرا أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفى . وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الأولى وهى قوله جل وعلا (يوم ترجف الراجفة) فكقوله جلت عظمته (يوم ترجف الأرض والجبال) والثانية وهى الرادفة فهى

كقوله (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن أبي الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » فقال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ، قال « إذاً يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري باسناده مثله ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعني خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال . وقوله تعالى (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) يعنى مشركى قريش ومن قال بقولهم فى إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد ، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) وقرىء ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم إذا بلى ودخلت الريح فيه (قالوا تلك إذاً كرة خاسرة) وعن ابن عباس ومحمد ابن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار ، وما أكثر أسماءها! هى النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة ، وأما قولهم (تلك إذاً كرة خاسرة) فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله تعالى (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) أى فإنما هو أمر من الله لامثنوية فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور نفخة البعث فاذا الأولون والآخرون قيام بين يدى الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أوهو أقرب) قال مجاهد (فإنما هى زجرة واحدة) صيحة واحدة وقال إبراهيم التيمى أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصرى زجرة من الغضب وقال أبومالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هى النفخة الآخرة وقوله تعالى (فإذاهم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الأرض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبوصالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الأرض ، وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها قال والساهرة المكان المستوى ، وقال الثورى الساهرة أرض الشام ، وقال عثمان بن أبي العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم ، وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السرى حدثنا مصعب ابن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدى (فإذا هم بالساهرة) قال أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقى ، وقال الربيع بن أنس (فإذا هم بالساهرة) يقول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) ويقول تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجاً ولا أمتا) وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وبرزت الأرض التى عليها الجبال وهى لاتعد من هذه الأرض وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ * إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) فقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت بخبره (إذ ناداه ربه) أي كلمه نداء (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي تجبر وتمرد وعتا (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك إلى ربك) أي أدلك إلى عبادة ربك (فتخشى) أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاءه به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة ، وحاصله أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له . وقوله تعالى (ثم أدبر يسعى) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الأعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) كما قال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة ، وقيل المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية ، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لا شك فيه الأول ، وقوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينزجر

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا * مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه (أأنتم) أيها الناس (أشد خلقا أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقوله تعالى (بناها) فسره بقوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء . وقوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) أي جعل ليلها مظلما أسود حالكا ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا ، قال ابن عباس : أغطش ليلها أظلمه ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أنار نهارها . وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) فسره بقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (دحاها) ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك . وقوله تعالى (والجبال أرساها) أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم . الرءوف بخلقه الرحيم . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب

عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم : الحديد ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم : النار ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم : الماء ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم : الريح ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم : ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله » وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : لما خلق الله الأرض قمصت وقالت تخلق على آدم وذريته يلقون على نتنهم ويعجلون على بالخطايا ، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لاترون وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه . غريب جدا . وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أى دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون اليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ * إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾

يقول تعالى (فاذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر) (يوم يتذكر الإنسان ماسعى) أى حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى) (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا (فأما من طغى) أى تمرد وعتا (وآثر الحياة الدنيا) أى قدمها على أمر دينه وأخراه (فان الجحيم هى المأوى) أى فان مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أى خاف القيام بين يدى الله عزوجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها الى طاعة مولاها (فان الجنة هى المأوى) أى منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها) أى ليس علمها اليك ولا الى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها الى الله عز وجل فهو الذى يعلم وقتها على التعيين (ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله) وقال ههنا (الى ربك منتهاها) ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشى الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية أوضحاها) أى اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أوضحى من يوم ، قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أما عشية فما بين الظهر الى غروب الشمس (أوضحاها) ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار وقال قتادة : وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الآخرة . آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة عبس وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته . وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى) أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه (أو يذكر فتنفعه الذكرى) أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم (أما من استغنى فأنت له تصدى) أي أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي (وما عليك ألا يزكى) أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة (وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى) أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له (فأنت عنه تلهى) أي تتشاغل ، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يخص بالانذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى (عبس وتولى) جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه . قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثني أبي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدني قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول « أترى بما أقول بأسا ؟ » فيقول لا ! ففي هذا أنزلت (عبس وتولى) . وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي باسناده مثله ، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة ﴿ قلت ﴾ كذلك هو في الموطأ . ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس قوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل اليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرىء النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يارسول الله علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله

ﷺ وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ! - وإذا ذهب من عنده قال - هل لك حاجة في شيء ؟ » وذلك لما أنزل الله تعالى (أما من استغنى فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى) فيه غرابة ونكارة وقد تكلم في إسناده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وهو الأعمى الذي أنزل الله تعالى فيه (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى (كلا إنها تذكرة) أي هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدي (كلا إنها تذكرة) يعني القرآن (فمن شاء ذكره) أي فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظمة موقرة (مرفوعة) أي عالية القدر (مطهرة) أي من الدنس والزيادة والنقص وقوله تعالى (بأيدي سفرة) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد : هي الملائكة . وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جرير والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعني بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر : وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت

وقال البخاري : سفرة : الملائكة ، سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم وقوله تعالى (كرام بررة) أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ * ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ * ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ * ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ * فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم (قتل الإنسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس (قتل الإنسان) لعن الإنسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج (ما أكفره) أي ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافراً أي ما حمله على التكذيب بالمعاد . وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي وقال قتادة (ما أكفره) ما ألعنه ، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى (من أي شيء خلقه ؟

من نطفة خلقه فقدره) أى قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد (ثم السبيل يسره) قال العوفى عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدى واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أى أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أى جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه ، وأقبره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وابتره الله ، وطردت عنى فلاناً وأطرده الله ، أى جعله طريداً ، قال الأعشى

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقوله تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) ، (وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « يأكل التراب كل شىء من الإنسان إلا عجب ذنبه » قيل وما هو يارسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنشأون » وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » . وقوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عزوجل. ثم روى هو وابن أبى حاتم من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لم يقض ما أمره) قال لا يقضى أحد أبدا كل ما افترض عليه ، وحكاه البغوى عن الحسن البصرى بنحو من هذا ، ولم أجد المتقدمين فيه كلاما سوى هذا ، والذى يقع لى فى معنى ذلك والله أعلم أن المعنى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أى لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة ويفرغ القدر من بنى آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرا فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه قال : قال عزير عليه السلام قال الملك الذى جاءنى فان القبور هى بطن الأرض ، وإن الأرض هى أم الخلق فاذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التى مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الأرض مافى جوفها وأخرجت القبور مافيها ، وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وقوله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا (أنا صببنا الماء صبا) أى أنزلناه من السماء على الأرض (ثم شققنا الأرض شقا) أى أسكناه فيها فيدخل فى تخومها وتخلل فى أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) فالحب كل مايذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التى تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى ، وقال الحسن البصرى : القضب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به (ونخلا) يؤكل بلحا بسرا ورطبا وتمرا ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل (وحدائق غلبا): أى بساتين قال الحسن وقتادة : غلبا نخل غلاظ كرام ، وقال ابن عباس ومجاهد كل ما التف واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذى يستظل به ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وحدائق غلبا) أى طوال ، وقال عكرمة غلبا أى غلاظ الأوساط. وفى رواية غلاظ الرقاب ، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل والله إنه لأغلب ، رواه ابن أبى حاتم وأنشد ابن جرير للفرزدق

عوى فأثار أغلب ضيغميا فويل ابن المراغة ما استثار

وقوله تعالى (وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفى رواية عنه هو الحشيش للبهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبير

وأبو مالك : الأب الكلأ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم ، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب ، وقال الضحاك كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب

وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدّ ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام وهذا لفظ حديث أبي كريب، وقال أبو السائب في حديثه ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام ، وقال العوفي عن ابن عباس : الأب الكلأ والمرعى ، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله مالا أعلم ، وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكهة وأبا) قال قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟. فقال لعمرك يا ابن الخطاب إن هـذا لهو التكلف فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده . قال ابن جرير لعله اسم للنفخة في الصور وقال البغوي : الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أي يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخاف . قال وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني بخير . فيقول له يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) . وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي حتى إن عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم إلا نفسي لا أسأله مريم التي ولدتني ولهذا قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) قال قتادة الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم . وقوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي هو في شغل شاغل عن غيره، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال : فقالت زوجته يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ـ أو قال : ما أشغله عن النظر ـ »

وقد رواه النسائي منفردا به عن أبي داود عن عارم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الأحول البصري أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت امرأة أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال النسائي أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائي من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به قال « إن كان عندي منه علم » قالت يا نبي الله كيف يحشر الرجال ؟ قال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت : يا رسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت : واسوأتاه من يوم القيامة قال « وعن أي ذلك تسألين إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أولا يكون » قالت أية آية هي يا نبي الله قال (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال البغوي في تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض . فقال « قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازي عائذ بن شريح ضعيف في حديثه ضعف ، وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أي يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أي مستنيرة (ضاحكة مستبشرة) أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة) أي يعلوها وتغشاها قترة أي سواد ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » قال فهو قوله تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) وقال ابن عباس (ترهقها قترة) أي يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى (أولئك هم الكفرة الفجرة) أي الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) . آخر تفسير سورة عبس ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة التكوير وهي مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بحير القاص أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق به

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ

قُتِلَتْ * وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) يعنى أظلمت وقال العوفى عنه : ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعنى رمى بها وقال أبوصالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع فى الأرض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا فى ذلك أن التكوير جمع الشىء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض فمعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى حدثنا أبوأسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس إذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبى ، ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبوصالح حدثنى معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبى مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال فى قول الله (إذا الشمس كورت) قال « كورت فى جهنم » ، وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حيان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشى حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار » هذا حديث ضعيف لأن يزيد الرقاشى ضعيف ، والذى رواه البخارى فى الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز ابن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثنى أبوسلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخارى وهذا لفظه وإنما أخرجه فى كتاب بدء الخلق وكان جديرا أن يذكره ههنا أو يكرره كما هى عادته فى أمثاله وقد رواه البزار فجود إيراده فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أباسلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسرى فى هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الشمس والقمر ثوران فى النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول أحسبه قال وما ذنبهما ثم قال لا يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) أى انتثرت كما قال تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) وأصل الانكدار الانصباب . قال الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك إذ تناثرت النجوم فبيناهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم فى بعض (وإذا الوحوش حشرت) قال اختلطت (وإذا العشار عطلت) قال أهملها أهلها (وإذا البحار سجرت) قال: قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا إلى البحر فاذا هو نار تتأجج ، قال فبيناهم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبيناهم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبى حاتم ببعضه وهكذا قال مجاهد والربيع بن خيثم والحسن البصرى وأبوصالح وحماد بن أبى سليمان والضحاك فى قوله جل وعلا (وإذا النجوم انكدرت) أى تناثرت ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وإذا النجوم انكدرت) أى تغيرت . وقال يزيد بن أبى مريم عن النبى صلى الله عليه وسلم (وإذا النجوم انكدرت) قال « انكدرت فى جهنم وكل من عبد من دون الله فهو فى جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها » رواه ابن أبى حاتم بالاسناد المتقدم ، وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) أى زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعا صفصفا وقوله (وإذا العشار عطلت) قال عكرمة ومجاهد : عشار الإبل ، قال مجاهد:

عطلت تركت وسيبت وقال أبي بن كعب والضحاك أهملها أهلها وقال الربيع بن خيثم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها وقال الضحاك تركت لاراعى لها والمعنى في هذا كله متقارب ، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لاسبيل لهم اليها ، وقد قيل في العشار إنها السحاب تعطل عن السير بين السماء والأرض لخراب الدنيا وقيل إنها الأرض التي تعشر ، وقيل انها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الامام أبوعبدالله القرطبي في كتابه التذكرة ورجح أنها الإبل وعزاه إلى أكثر الناس ﴿ قلت ﴾ لايعرف عن السلف والأئمة سواه والله أعلم وقوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت كما قال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الذباب رواه ابن أبي حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم والسدى وغير واحد ، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية إن هذه الخلائق موافية فيقضي الله فيها مايشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإذا الوحوش حشرت) قال حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فانهما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم (وإذا الوحوش حشرت) قال أتى عليها أمر الله ، قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال (وإذا الوحوش حشرت) اختلطت قال ابن جرير والأولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى (والطير محشورة) أي مجموعة ، وقوله تعالى (وإذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ما أراه إلا صادقا (والبحر المسجور) (وإذا البحار سجرت) وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى (والبحر المسجور) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفي سنن أبي داود « لايركب البحر إلا حاج أومعتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا » الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم : سجرت أوقدت وقال الحسن : يبست وقال الضحاك وقتادة : غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت ، وقال السدي فتحت وسيرت ، وقال الربيع بن خيثم سجرت فاضت ، وقوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (وإذا النفوس زوجت) - قال - الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون) قال هم الضرباء ، ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم ، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفي رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار فذلك تزويج الأنفس . وفي رواية عن النعمان

أن عمر قال للناس : ماتقولون فى تفسير هذه الآية (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا . قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) . وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (وإذا النفوس زوجت) قال الأمثال من الناس جمع بينهم ؛ وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح .

﴿ قول آخر ﴾ فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث بن سرار عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يسيل وادمن أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاما فينبت منه كل خلق بلى من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا ثم توسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى (وإذا النفوس زوجت) وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبى والحسن البصرى أيضا فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أى زوجت بالأبدان . وقيل زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبى فى التذكرة وقوله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت) هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسئل الموءودة على أى ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدا لقاتلها فانه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وإذا الموءودة سئلت) أى سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أى طالبت بدمها . وعن السدى وقتادة مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبى أيوب حدثنى أبو الأسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جدامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم وفارس فاذاهم يغيلون أولادهم ولايضر أولادهم ذلك شيئا » ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الوأد الخفى وهو الموءودة سئلت » ورواه مسلم من حديث أبى عبد الرحمن المقرى وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبى أيوب . ورواه أيضا ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن إسحاق السيلحينى عن يحيى بن أيوب ، ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبى الأسود به

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن داود ابن أبى هند عن الشعبى عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفى قال : انطلقت أنا وأخى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل، هلكت فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال « لا » قلنا فانها كانت وأدت أختا لنا فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال « الوائدة والموءودة فى النار إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها » ورواه النسائى من حديث داود بن أبى هند به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن علقمة وأبى الأحوص عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوائدة والموءودة فى النار » وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق أخبرنا عوف حدثتنى خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قال : قلت يارسول الله من فى الجنة ؟ قال « النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة والمولود فى الجنة والموءودة فى الجنة »

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول : قيل يارسول الله من فى الجنة ؟ قال « الموءودة فى الجنة » هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله . وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس أطفال المشركين فى الجنة فمن زعم أنهم فى النار فقد كذب يقول الله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت) قال ابن عباس هى المدفونة . وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب فى قوله تعالى (وإذا

الموءودة سئلت) قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية قال « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال يارسول الله إني صاحب إبل قال « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة » قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه ، وقد رواه ابن أبي حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهراني فيما كتب إلي قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله ، إلا أنه قال: وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية وقال في آخره « فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة » ثم قال حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أوثلاث عشرة قال « أعتق عددهن نسما » قال فأعتق عددهن نسما ، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يارسول الله هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين قال علي ابن أبي طالب فكنا نريحها ونسميها القيسية . وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملي في صحيفته

وقوله تعالى (وإذا السماء كشطت) قال مجاهد اجتذبت وقال السدي كشفت وقال الضحاك تنكشط فتذهب . وقوله تعالى (وإذا الجحيم سعرت) قال السدي أحميت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم . وقوله تعالى (وإذا الجنة أزلفت) قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أي قربت إلى أهلها ، وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجري الحديث .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد بن سريع عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ (فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس) ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبي الأسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبي إسحاق عن رجل من مراد عن علي (فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس) قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خالد بن عرعرة سمعت عليا وسئل عن لاأقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن خالد عن علي قال هي النجوم وهذا إسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعرة وهو السهمي الكوفي قال أبو حاتم الرازي روى عن علي وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فالله أعلم ، وروى يونس عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي أنها النجوم رواه ابن أبي حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة

والسدى وغيرهم أنها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبدالله في قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) قال هي النجوم الدرارى التى تجرى تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس أى في حال طلوعها ثم هى جوار فى فلكها وفى حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبى إلى كناسه إذا تغيب فيه وقال الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبدالله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثورى عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة عن عبدالله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ماهى ياعمرو ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبى إسحاق عن أبيه وقال أبوداود الطيالسى عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس إلى الظل وكذا قال سعيد بن جبير ، وقال العوفى عن ابن عباس هى الظباء وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هى الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فقال إبراهيم لمجاهد قل فيها بما سمعت ، قال: فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون إنها النجوم قال فقال إبراهيم قل فيها بما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس فى حجرتها ، قال فقال إبراهيم إنهم يكذبون على علي هذا كما رووا عن على أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل ، وتوقف ابن جرير فى المراد بقوله (الخنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مرادا ، وقوله تعالى (والليل إذا عسعس) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ إقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير إذا نشأ ، وقال الحسن البصرى إذا غشى الناس ، وكذا قال عطية العوفى وقال على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس (إذا عسعس) إذا أدبر ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن (إذا عسعس) أى إذا ذهب فتولى

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى سمع أبا عبد الرحمن السلمى قال : خرج علينا على رضى الله عنه حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ؟) هذا حين أدبر حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أدبر قال لقوله (والصبح إذا تنفس) أى أضاء واستشهد بقول الشاعر أيضا : حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أى أدبر وعندى أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أقبل وإن كان يصح استعماله فى الإدبار أيضا لكن الاقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضيائه إذا أشرق كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجى) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا) وغير ذلك من الآيات ، وقال كثير من علما الأصول إن لفظة عسعس تستعمل فى الاقبال والإدبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم . قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النحوى ينشد بيتاً : عسعس حتى لو يشا أدنى كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الذال فى الدال ؟ قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع . وقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) قال الضحاك إذا طلع ، وقال قتادة إذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبير إذا نشأ وهو المروى عن على رضى الله عنه . وقال ابن جرير يعنى ضوء النهار إذا أقبل وتبين . وقوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) يعنى إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أى ملك شريف حسن الخلق بهى المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبى وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذى قوة) كقوله تعالى (علمه شديد القوى * ذو مرة) أى شديد الخلق شديد البطش والفعل (عند ذى العرش مكين) أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ، قال أبو صالح فى قوله تعالى (عند ذى العرش مكين) قال جبريل يدخل فى سبعين حجابا من نور بغير إذن (مطاع ثم) أى له وجاهة وهو مسموع القول مطاع فى الملأ الأعلى قال قتادة (مطاع ثم) أى فى السموات يعنى ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالأمانة وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وماصاحبكم بمجنون) قال الشعبي وميمون ابن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله (وما صاحبكم بمجنون) يعني محمدا ﷺ ، وقوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح (بالأفق المبين) أي البين وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله (علمه شديد القوى . ذومرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أوأدنى . فأوحى إلى عبده ماأوحى) كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة مايغشى) فتلك إنما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أي وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أي بمتهم ، ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أي ماهو بكاذب وما هو بفاجر . والظنين المتهم والضنين البخيل . وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿ قلت ﴾ وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أي وماهذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لايقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين . وماينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) ، وقوله تعالى (فأين تذهبون ؟) أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال : ويحكم أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أي من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أي عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فانه منجاة له وهداية ، ولاهداية فيما سواه (وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين). آخر تفسير سورة التكوير ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة الانفطار وهي مكية ﴾

قال النسائي أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يامعاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت ! » وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت) في أفراد النسائي . وقد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال « من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ *

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

يقول تعالى (إذا السماء انفطرت) أى انشقت كما قال تعالى (السماء منفطر به) (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض وقال الحسن فجر الله بعضها فى بعض فذهب ماؤها، وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها.

وقال الكلبى ملئت (وإذا القبور بعثرت) قال ابن عباس بحثت، وقال السدى تبعثر تحرك فيخرج من فيها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) أى إذا كان هذا حصل هذا، وقوله تعالى (ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم؟) هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى فى هذه الآية ماغرك يا ابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق. كما جاء فى الحديث «يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بى؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟»

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان أن عمر سمع رجلا يقرأ (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) فقال عمر: الجهل. وقال أيضا حدثنا عمر بن شبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله قال وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك. وقال قتادة (ما غرك بربك الكريم) شىء، ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان. وقال الفضيل ابن عياض لو قال لى ما غرك بى لقلت ستورك المرخاة، وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم. وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغى أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور. وقد حكى البغوى عن الكلبى ومقاتل أنهما قالا نزلت هذه الآية فى الأسود بن شريق ضرب النبى ﷺ ولم يعاقب فى الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى (ما غرك بربك الكريم؟)

وقوله تعالى (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى ما غرك بالرب الكريم (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبها فى أحسن الهيئات والأشكال، قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشى أن رسول الله ﷺ بصق يوما فى كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال «قال الله عز وجل: يا ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة؟» وكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد فى أى شبه أب أو أم أو خال أو عم. وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سنان القزارى حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن على بن رباح حدثنى أبى عن جدى أن النبى ﷺ قال له «ما ولد لك» قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لى إما غلام وإما جارية. قال «فمن يشبه» قال يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه فقال النبى ﷺ عندها «مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم؟ أما قرأت هذه الآية فى كتاب الله تعالى فى أى صورة ما شاء ركبك» قال شكلك

وهكذا رواه ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا فى هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان:

يروى عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود ، قال « هل لك من إبل ؟ » قال نعم ، قال « فما ألوانها » قال حمر . قال « فهل فيها من أورق » قال نعم ، قال « فأنى أتاها ذلك » قال عسى أن يكون نزعه عرق قال « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » وقد قال عكرمة في قوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير ، وكذا قال أبو صالح (في أي صورة ما شاء ركبك) إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير وقال قتادة (في أي صورة ما شاء ركبك) قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة . وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب ، وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون) يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة ابن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه » . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو بعيره » ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث ﴿ قلت ﴾ وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالفلوسي حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان . نجا الليلة فلان وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البزار : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال (يصلونها يوم الدين) أي يوم الحساب والجزاء والقيامة (وما هم عنها بغائبين) أي

لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحدا ، وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى (ثم ما أدراك ما يوم الدين) ثم فسره بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ونذكر ههنا حديث « يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئا » وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال (والأمر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) والأمر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانفطار ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المطففين وهى مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالا : حدثنا على بن الحسين بن واقد حدثنى أبى عن يزيد وهو ابن أبى سعيد النحوى مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسنوا الكيل بعد ذلك . وقال ابن أبى حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين) وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتب عن رجل عن عبد الله قال : قال له رجل ياأبا عبدالرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين - حتى بلغ - يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد بالتطفيف ههنا البخس فى المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس) أى من الناس (يستوفون) أى يأخذون حقهم بالوافى والزائد (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى ينقصون، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم فى محل نصب ، ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر فى قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب . وقد أمر الله تعالى بالوفاء فى الكيل والميزان فقال تعالى (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس فى الميزان والمكيال . ثم قال تعالى متوعدا لهم (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم ؟) أى ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدى من يعلم السرائر والضمائر فى يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل نارا حامية ؟ وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى يقومون حفاة عراة غرلا فى موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه

قال الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » رواه البخارى من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ومحمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف

آذانهم ﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد يعني ابن الأسود الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين ـ قال ـ فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به

﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا ، تغلي منها الهوام كما تغلي القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حي بن يؤمن أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه ـ وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا ـ ومنهم من يغطيه عرقه » وضرب بيده إشارة ، انفرد به أحمد ، وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون ، وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عون الزيادي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري « كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ » قال بشير : المستعان الله ، قال « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به . وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رءوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير . وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل: يكبر عشرا ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول « اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني » ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا (إن كتاب الفجار لفي سجين) أي إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون : هي تحت الأرض السابعة ، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه

الطويل : يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين، وسجين هي تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بئر في جهنم ، وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطى حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطى حدثنا نصر بن خزيمة الواسطى عن شعيب ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الفلق جب فى جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح » والصحيح أن سجينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ماتسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فان الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذى دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التى دونها حتى ينتهى السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز فى وسط الأرض السابعة ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهى أسفل السافلين كما قال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ههنا (كلا إن كتاب الفجار لفى سجين وما أدراك ماسجين)وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى (وإذا ألقوا منهامكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله (وما أدراك ماسجين) وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين أى مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظى ثم قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) أى إذا صاروا يوم القيامة الى ماأوعدهم الله من السجن والعذاب المهين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن إعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء فى المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة (الذين يكذبون بيوم الدين) أى لايصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره ، قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أى معتد فى أفعاله من تعاطى الحرام والمجاوزة فى تناول المباح والأثيم فى أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر ، وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آيتنا قال أساطير الأولين) أى إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل كما قال تعالى (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين) وقال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذى قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) والرين يعترى قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين للمقربين وقد روى ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » وقال الترمذى حسن صحيح ولفظ النسائى « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذى قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . وقال الحسن البصرى هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة وابن زيد وغيرهم . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم ، قال الإمام أبو عبدالله الشافعى وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل

يومئذ وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية . كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة . وقد قال ابن جرير حدثنا أبو معمر القرى حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه ، وقوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ * يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ * عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا إن كتاب الأبرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين . قال الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار ، وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد إنها السماء السابعة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) يعني الجنة . وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة عليون ساق العرش اليمنى ، وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه (وما أدراك ما عليون) ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها . ثم قال تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم (على الأرائك) وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد وقيل معناه (على الأرائك ينظرون) إلى الله عز وجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي تعرف إذا نظرت اليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم . وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أي يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي المجاهد الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء على ظمإ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن مسعود في قوله (ختامه مسك) أي خلطه مسك ، وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي

الدرداء (ختامه مسك) قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ختامه مسك) قال طيبه مسك . وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهي ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) ، وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال (عينا يشرب بها المقربون) أي يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ * وَمَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ * فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أي وإذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أي لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى (وما أرسلوا عليهم حافظين) أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى (اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فاليوم) يعني يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الأرائك ينظرون) أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته وقوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا ، يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله . آخر تفسير سورة المطففين ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الانشقاق وهي مكية ﴾

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم (إذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به . وقال البخاري حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذي خلق)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ

لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى (إذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإنشاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء ثم قال (وإذا الأرض مدت) أي بسطت وفرشت ووسعت

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض — قال — وهو المقام المحمود » . وقوله تعالى (وألقت ما فيها وتخلت) أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها وحقت) كما تقدم . وقوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أي إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا (فملاقيه) ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر . ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه . واعمل ما شئت فإنك ملاقيه » ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أي فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك ، وعلى هذا فكلا القولين متلازم قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا . وقال قتادة (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) إن كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله . ثم قال تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) أي سهلا بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال « ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السختياني به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا » فقلت أليس الله يقول (فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت وقد رواه أيضا عن عمرو بن علي عن ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا مسلم عن الحريش بن الخريت أخي الزبير عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب أو من حوسب عذب . قال ثم قالت إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم وقال أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا محمد بن إسحاق حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ

عليه وسلم يقول فى بعض صلاته « اللهم حاسبنى حسابا يسيرا » فلما انصرف قلت يارسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال « أن ينظر فى كتابه فيتجاوزله عنه إنه من نوقش الحساب ياعائشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم ، وقوله تعالى (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى ويرجع إلى أهله فى الجنة ، قاله قتادة والضحاك: مسروراً أى فرحا مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبرانى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال إنكم تعملون أعمالا لاتعرف ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور أو مكظوم ، وقوله تعالى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) أى بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك (فسوف يدعو ثبورا) أى خسارا وهلاكا (ويصلى سعيرا * إنه كان فى أهله مسرورا) أى فرحا لا يفكر فى العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل (إنه ظن أن لن يحور) أى كان يعتقد أنه لايرجع إلى الله ولايعيده بعد موته قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما ، والحور هو الرجوع قال الله (بلى إن ربه كان به بصيرا) يعنى بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه كان به بصيرا أى عليما خبيرا

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

روى عن على وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبى هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن على بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزنى وبكير بن الأشج ومالك وابن أبى ذئب وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون أنهم قالوا الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق عن معمر ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبى هريرة قال الشفق البياض ، فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة . قال الخليل بن أحمد : الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فاذا ذهب قيل غاب الشفق . وقال الجوهرى : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أول الليل إلى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « وقت المغرب مالم يغب الشفق » ففى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهرى والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية (فلا أقسم بالشفق) هو النهار كله وفى رواية عنه أيضا أنه قال الشفق الشمس رواهما ابن أبى حاتم ، وانما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى (والليل وما وسق) أى جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا . وقال ابن جرير: وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الأضداد . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة (وما وسق) وما جمع قال قتادة وماجمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر :

* مستوسقات لو يجدن سائقا *

قد قال عكرمة (والليل وما وسق) يقول ماساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شىء إلى مأواه ، وقوله تعالى (والقمر إذا اتسق) قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد (والقمر إذا اتسق) إذا استوى . وقال الحسن إذا اجتمع إذا امتلأ وقال قتادة إذا استدار ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسق ، وقوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق) قال البخارى أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال : قال ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ، هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ . وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبى صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون

قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الأظهر والله أعلم كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ . وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتركبن طبقا عن طبق) قال يعني نبيكم ﷺ يقول حالا بعد حال ، هذا لفظه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومرة والطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح ويحتمل أن يكون المراد (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعا على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبرا والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) قال : محمد ﷺ ، ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن الشعبي (لتركبن طبقا عن طبق) قال: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء . وهكذا روي عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية (طبقا عن طبق) سماء بعد سماء ﴿ قلت ﴾ يعنون ليلة الإسراء ؟ وقال أبو إسحاق والسدي عن رجل عن ابن عباس (طبقا عن طبق) منزلا على منزل ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد ويقال أمرا بعد أمر وحالا بعد حال ، وقال السدي نفسه (لتركبن طبقا عن طبق) أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل ﴿ قلت ﴾ كأنه أراد معنى الحديث الصحيح «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى قال « فمن ؟ » وهذا محتمل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولا يقول في قول الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال في كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الأعمش حدثنا إبراهيم قال : قال عبد الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال السماء تنشقق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون . قال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود (طبقا عن طبق) قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركبن طبقا عن طبق) يا محمد يعني حالا بعد حال ، ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير (لتركبن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا فاتضعوا في الآخرة ، وقال عكرمة (طبقا عن طبق) حالا بعد حال فطيما بعد ما كان رضيعا ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصري (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره ، اكتب شقيا أو سعيدا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه فإذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحدا سائقا وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) » قال رسول الله ﷺ (لتركبن طبقا عن طبق) قال « حالا بعد حال » ثم قال النبي ﷺ « إن قدامكم لأمرا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمرا بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله

ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحوالها أهوالا ، وقوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أي فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما وإكراما واحتراما وقوله تعالى (بل الذين كفروا يكذبون) أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق (والله أعلم بما يوعون) قال مجاهد وقتادة يكتمون في صدورهم (فبشرهم بعذاب أليم) أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما

وقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم وعملوا الصالحات أي بجوارحهم (لهم أجر) أي في الدار الآخرة (غير ممنون) قال ابن عباس غير منقوص، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى (عطاء غير مجذوذ) وقال السدي قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده أبدا ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. آخر تفسير سورة الانشقاق ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة البروج وهي مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبي سلمة حدثنا أبو المهزم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق . وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسي سمعت أبا المهزم يحدث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء ، تفرد به أحمد

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي : البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التي فيها الحرس وقال يحيى بن رافع : البروج قصور في السماء ، وقال المنهال بن عمرو (والسماء ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجا تسير الشمس في كل واحد منها شهرا ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستتر ليلتين ، وقوله تعالى (واليوم الموعود وشاهد ومشهود) اختلف المفسرون في ذلك . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد ابن عمرو الغزي حدثنا عبيدالله يعني ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه (ومشهود) يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث وقد روي موقوفا على أبي هريرة وهو أشبه

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت على بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بنى هاشم عن أبى هريرة أما على فرفعه إلى النبى ﷺ وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال فى هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال يعنى الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بنى هاشم يحدث عن أبى هريرة أنه قال فى هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة . وقد روى عن أبى هريرة أنه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون فى ذلك ولله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ «اليوم الموعود يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا» ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازى حدثنا ابن أبى فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » . وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن على بن زيد عن يوسف المكى عن ابن عباس قال:الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال سأل رجل الحسن بن على عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحدا قبلى ؟ قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة ، فقال لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهود يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصرى وقال سفيان الثورى عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب: ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس(وشاهد ومشهود) قال الشاهد الإنسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبى حاتم

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثورى عن مغيرة عن إبراهيم قال يوم الذبح ويوم عرفة يعنى الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا فى ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى عمى عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة » وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن، حكاه البغوى، وقال:الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . وقوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) أى لعن أصحاب الأخدود وجمعه أخاديد وهى الحفر فى الأرض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم فى الأرض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أى مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أى وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد فى جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدى الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفى سبب ذلك . على كثير من الناس . ثم قال تعالى (الذى له ملك السموات والأرض)من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما (والله على كل شىء شهيد) أى لا يغيب عنه شىء فى جميع السموات

والأرض ولا تخفى عليه خافية . وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ؟ فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي، وقال العوفي عن ابن عباس (قتل أصحاب الأخدود* النار ذات الوقود) قال ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاما لأعلمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ماحبسك وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ماحبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وانك ستبتلي فان ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفني ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل فان آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يافلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربي ؟ فقال أنا ! قال لا ، ربي وربك الله، قال ولك رب غيري؟ قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الادواء ! قال ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ، قال لا. قال أولك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر في قرقور فقال إذا لججتم به البحر فان رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتني وإلا فانك لاتستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي ثم قل باسم الله رب الغلام فانك إذا فعلت ذلك قتلتني . ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال باسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام . فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي : اصبري ياأماه فانك على الحق .

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ، ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن

عثمان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله ، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد – المعنى واحد – قالا: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم تحريك شفتيه كأنه يتكلم. فقيل له إنك يارسول الله إذا صليت العصر همست قال « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء . فأوحى الله اليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختاروا النقمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفا » قال وكان إذا حدث بهذا الحديث ، حدث بهذا الحديث الآخر قال: كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا لي غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمي هذا ، فذكر القصة بتمامها وقال في آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود – حتى بلغ – العزيز الحميد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذي : حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم . وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران – ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد – ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيمون ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبدالله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه مايرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لايظن إلا أن ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى أقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتمه فقال وما هو ؟ قال هو كذا وكذا ، قال وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع فقال أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال له ياعبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ، قال لاتقدر على ذلك قال فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الأرض مابه بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبدالله بن التامر إنك والله لاتقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت علي فقتلتني قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبدالله ابن التامر ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله ابن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران . قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فالله أعلم أي ذلك كان ، قال فسار إليهم ذو نواس بجنده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخد الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنده

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذهم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد) هكذا ذكر محمد بن إسحاق فى السيرة أن الذى قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس واسمه زرعة ويسمى فى زمان مملكته بيوسف وهو ابن بيان أسعد أبى كريب وهو تبع الذى غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان تهود من تهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطا فقتل ذو نواس فى غداة واحدة فى الأخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشى ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدى اليهود وذهب ذو نواس هاربا فلجج فى البحر فغرق واستمر ملك الحبشة فى أيدى النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذى يزن الحميرى من أيدى النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فأرسل معه من فى السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير وسنذكر طرفا من ذلك إن شاء الله فى تفسير سورة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخذت يده عنها انبعثت دما ، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفى يده خاتم مكتوب فيه ربى الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذى كان عليه ففعلوا . وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعرى حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب حدثنى بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقيل له إن تحته رجلا صالحا فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائما معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نقمت على أصحاب الأخدود فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت (قلت) هو الحارث بن مضاض ابن عمرو بن مضاض الجرهمى أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن وهو القائل فى شعره الذى قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت فى زمن الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل أن ذلك قد وقع فى العالم كثيراً كما قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الأخدود فى اليمن زمان تبع وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفى العراق فى أرض بابل بختنصر الذى صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وقال أسباط عن السدى فى قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ، وخد بالشام ، وخد باليمن . رواه ابن أبى حاتم ، وعن مقاتل قال كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار أما التى بالشام فهو انطانوس الرومى وأما التى بفارس فهو بختنصر ، وأما التى بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فأما التى بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل فى التى كانت بنجران ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكى حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس فى قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال سمعنا أنهم كانوا قوما فى زمان الفترة فلما رأوا ما وقع فى الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التى اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لانعبد إلا الله وحده لاشريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هذه الآلهة التى عبدت فانى قاتلكم فأبوا عليه فخد أخدودا من نار وقال لهم الجبار وقفهم عليها اختاروا هذه أو الذى نحن فيه فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم أى آباؤهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففى ذلك أنزل الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد) ورواه ابن جرير: حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبى جعفر به نحوه. وقوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى (ثم لم يتوبوا) أى لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصرى انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن (لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير) ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أى إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوة المتين الذى ماشاء كان كما يشاء فى مثل لمح البصر أوهو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبدىء ويعيد) أى من قوته وقدرته التامة يبدىء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أى يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أى شىء كان، والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أى صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق، والمجيد فيه قراءتان الرفع على أنه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أى مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له وهو فى مرض الموت هل نظر إليك الطبيب؟ قال نعم. قالوا فما قال لك؟ قال: قال لى إنى فعال لما أريد وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود) أى هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التى لم يردها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أى إذا أخذ الظالم أخذه أخذا أليما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود) فقام يستمع فقال «نعم قد جاءنى» وقوله تعالى (بل الذين كفروا فى تكذيب) أى هم فى شك وريب وكفر وعناد (والله من ورائهم محيط) أى هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أى عظيم كريم (فى لوح محفوظ) أى هو فى الملأ الأعلى محفوظ

من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل . قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي حدثنا قرة بن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ) في جبهة إسرافيل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح أن أبا الأعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال : ما من شيء قضى الله : القرآن ، فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصري إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوي من طريق إسحق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء » . آخر تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الطارق وهي مكية ﴾

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعته أنا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه وقال النسائي حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يا معاذ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره إنما سمي النجم طارقا لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا أي يأتيهم فجأة بالليل ، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن » وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس المضيء وقال السدي يثقب الشياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضيء ومحرق للشيطان

وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) . وقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق؟) تنبيه للانسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الأولى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعني المنى يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تريبة المرأة موضع القلادة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير . وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: الترائب بين ثدييها ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقى ، وقال سفيان الثورى فوق الثديين وعن سعيد بن جبير الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل . وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي حبيبة المدنى أنه بلغه في قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد . وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره وقوله تعالى (إنه على رجعه لقادر) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما ﴿ والقول الثاني ﴾ إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداءة قدر على الاعادة ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان بن فلان » وقوله تعالى (فماله) أي الإنسان يوم القيامة (من قوة) أي في نفسه (ولا ناصر) أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾

قال ابن عباس : الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسماء ذات الرجع) تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا (والأرض ذات الصدع) قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدى وغير واحد ، وقوله تعالى (إنه لقول فصل) قال ابن عباس: حق، وكذا قال قتادة وقال آخر: حكم عدل (وما هو بالهزل) أي بل هو جد حق ، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال (إنهم يكيدون كيدا) أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن ثم قال تعالى (فمهل الكافرين) أي أنظرهم ولا تستعجل لهم (أمهلهم رويدا) أي قليلا أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) . آخر تفسير سورة الطارق ولله الحمد والمنة

تفسير سورة سبح وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخارى حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال: أول

من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) في سور مثلها . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الأعلى) تفرد به أحمد . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى » . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا . هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبوداود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثتهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير به ، قال الترمذي وكذا رواه الثوري ومسعر عن إبراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كما رواه الجماعة فالله أعلم ، ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما . وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل ياأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين . وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدى بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ولولا خشية الاطالة لأوردنا ماتيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى * سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى * فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى يعني ابن أيوب الغافقي حدثنا عمي إياس بن عامر سمعت عقبة ابن عامر الجهني لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) قال « سبحان ربي الأعلى » وهكذا ورواه أبوداود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا . وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ (سبح ربك الأعلى) فقال : سبحان ربي الأعلى . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الهمداني أن ابن عباس كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) يقول سبحان ربي الأعلى وإذا قرأ (لاأقسم بيوم القيامة) فأتى

على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانك وبلى ، وقال قتادة (سبح اسم ربك الأعلى) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحان ربي الأعلى ، وقوله تعالى (الذي خلق فسوى) أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات . وقوله تعالى (والذي قدر فهدى) قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقوله تعالى (والذي أخرج المرعى) أي من جميع صنوف النباتات والزروع (فجعله غثاء أحوى) قال ابن عباس هشيما متغيرا وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه . قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى أحوى أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل . وقوله تعالى (سنقرئك) أي يا محمد (فلا تنسى) وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لاينساها (إلا ماشاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لاينسى شيئا إلا ماشاء الله وقيل المراد بقوله (فلا تنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا مايقع من النسخ أي لاتنسى مانقرئك إلا مايشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه . وقوله تعالى (انه يعلم الجهر وما يخفى) أي يعلم مايجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لايخفى عليه من ذلك شيء وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر . وقوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى) أي ذكر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ، وقال : حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، وقوله تعالى (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه (ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أي لايموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه لأن بسببها يشعر مايعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان يعني التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم — أو قال — ينبتون في نهر الحيا — أو قال الحياة — أو قال الحيوان — أو قال نهر الجنة فينبتون — نبات الحبة في حميل السيل» قال وقال: النبي صلى الله عليه وسلم « أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء ؟ » قال : فقال بعضهم كأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبادية . وقال أحمد أيضا حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس — أو كما قال — تصيبهم النار بذنوبهم — أو قال بخطاياهم — فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » قال : فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ، ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل » . وقد قال الله تعالى إخبارا عن أهل النار (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) إلى غير ذلك من

الآيات في هذا المعنى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾

يقول تعالى (قد أفلح من تزكى) أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه (وذكر اسم ربه فصلى) أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العرزمي حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم (قد أفلح من تزكى) قال « من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله » (وذكر اسم ربه فصلى) قال « هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » ثم قال لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس ان المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي حدثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال دخلت على أبي العالية فقال لي إذا غدوت غدا إلى العيد فمر بي قال فمررت به فقال هل طعمت شيئا ؟ قلت نعم قال أفضت على نفسك من الماء ؟ قلت نعم قال فأخبرني ما فعلت زكاتك ؟ قلت قد وجهتها قال إنما أردتك لهذا ثم قرأ (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء ﴿ قلت ﴾ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال أبو الأحوص إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاة فان الله تعالى يقول (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال قتادة في هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) زكى ماله وأرضى خالقه

ثم قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم (والآخرة خير وأبقى) أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبي إسحاق عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة الثقفي قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الأعلى — فلما بلغ — بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل ، وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى » تفرد به أحمد ، وقد رواه أيضا عن أبي سلمة الخزاعي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء ، وقوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن علي حدثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) قال النبي صلى الله عليه وسلم « كان كل هذا — أو كان هذا — في صحف إبراهيم وموسى » ثم قال لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثا آخر رواه مثل هذا

وقال النسائي أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن علي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال كلها في صحف إبراهيم وموسى ، ولما نزلت (وإبراهيم الذي وفى) قال وفّى إبراهيم (ألا تزر وازرة وزر أخرى) يعني أن هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى) الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) يقول الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى ، وقال أبو العالية : قصة هذه السورة في الصحف الأولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا إشارة إلى قوله (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى) ثم قال تعالى (إن هذا) أي مضمون هذا الكلام (لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) وهذا الذي اختاره حسن قوي وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم . آخر تفسير سورة سبح ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الغاشية وهي مكية ﴾

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة . وقال الإمام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لأنها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية) فقام يستمع ويقول « نعم قد جاءني » . وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) أي ذليلة قاله قتادة ، وقال ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أي قد عملت عملا كثيرا ونصبت فيه أو صليت يوم القيامة نارا حامية . قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا إبراهيم بن محمد المزكي حدثنا محمد بن إسحاق السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني يقول مر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه يا راهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر إليه ويبكي فقيل له يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه (عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية) فذاك الذي أبكاني . وقال البخاري قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والاهلاك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة (تصلى نارا حامية) أي حارة شديدة الحر (تسقى من عين آنية) أي قد انتهى حرها وغليانها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي . وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع ، قال عكرمة وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض . وقال البخاري قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع

إذا يبس وهوسم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو الشبرق إذا يبس سمى الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه ؟ وقوله تعالى (لايسمن ولا يغنى من جوع) يعنى لايحصل به مقصود ولا يندفع به محذور .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أى يوم القيامة (ناعمة) أى يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسعيها راضية) قد رضيت عملها . وقوله تعالى (فى جنة عالية) أى رفيعة بهية فى الغرفات آمنون (لاتسمع فيها لاغية) أى لاتسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى (لايسمعون فيها لغوا إلا سلاما) وقال تعالى (لالغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الإثبات وليس المراد بها عينا واحدة وإنما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات . قال ابن أبى حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال ـ أو من تحت جبال ـ المسك » (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فاذا أراد ولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم ، وقوله تعالى (وزرابى مبثوثة) قال ابن عباس الزرابى البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ، ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ؛ ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، فى محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها ، قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟) فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل وكان شريح القاضى يقول اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ! أى كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (وإلى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة فانها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ماجعل من المنافع والمعادن (وإلى

الأرض كيف سطحت !) أى كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه والسماء التى فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والأرض التى تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه ؟ وهكذا أقسم ضمام فى سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يامحمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال « صدق » قال فمن خلق السماء ! قال « الله » قال فمن خلق الأرض ! قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ! قال « الله » قال فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا قال « صدق » قال ثم ولى فقال والذى بعثك بالحق لاأزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبى النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخارى ورواه الترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن أنس به بطوله ، وقال فى آخره وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة فى الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبى : قالت الله ، قال فمن خلقنى قالت الله ، قال فمن خلق السماء : قالت الله قال فمن خلق الأرض ، قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال فإنى لأسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايحدثنا هذا . قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا مايحدثنا بهذا فى إسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو المدينى ضعفه ولده الامام على بن المدينى وغيره ، وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أى فذكر يامحمد الناس بما أرسلت به إليهم (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال (لست عليهم بمسيطر) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (لست عليهم بجبار) أى لست تخلق الإيمان فى قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذى تكرههم على الإيمان قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وهكذا رواه مسلم فى كتاب الإيمان والترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثورى به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من رواية أبى هريرة بدون ذكر هذه الآية ، وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) أى تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى (فلاصدق ولاصلى ولكن كذب وتولى) ولهذا قال (فيعذبه الله العذاب الأكبر) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبى هلال عن على بن خالد أن أبا أمامة الباهلى مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » تفرد بإخراجه الامام أحمد وعلى بن خالد هذا ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه ولم يزد على ماههنا روى عن أبى أمامة وعنه سعيد بن أبى هلال ، وقوله تعالى (إن إلينا إيابهم) أى مرجعهم ومنقلبهم (ثم إن علينا حسابهم) أى نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر . آخر تفسير سورة الغاشية ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الفجر وهى مكية ﴾

قال النسائى أنا عبد الوهاب بن الحكم أخبرنى يحيى بن سعيد عن سليمان عن محارب بن دثار وأبى صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال يا رسول الله جئت أصلى معه فطول على فانصرفت وصليت فى ناحية المسجد فعلفت ناقتى فقال رسول الله ﷺ « أفتان يامعاذ ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى - والشمس وضحاها - والفجر - والليل إذا يغشى »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

أما الفجر فمعروف وهو الصبح قاله على وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدى وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالى العشر ، وقيل المراد بذلك الصلاة التى تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس ، والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا « مامن أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعنى عشر ذى الحجة قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه إلى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الأول من رمضان ، والصحيح القول الأول قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثنى خير بن نعيم عن أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ورواه النسائى عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندى أن المتن فى رفعه نكارة والله أعلم . وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم فى هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضا ﴿ قول ثان ﴾ وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنى عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا ؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى ﴿ قول ثالث ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد ابن عامر بن إبراهيم الأصبهانى حدثنى أبى عن النعمان يعنى ابن عبد السلام عن أبى سعيد بن عوف حدثنى بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى (فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه) والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا إثم عليه) وقال ابن جريج أخبرنى محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفى الصحيحين من رواية أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » ﴿ قول رابع ﴾ قال الحسن البصرى وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه

وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الأول وقال العوفي عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال : الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

﴿ قول خامس ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد (والشفع والوتر) قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عزوجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد : الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شيء خلقه الله شفع ، السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا ، ونحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد ﴿ قول سادس ﴾ قال قتادة عن الحسن (والشفع والوتر) هو العدد منه شفع ومنه وتر . ﴿ قول سابع في الآية الكريمة ﴾ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ، ثم قال ابن جرير وروى عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن ابن الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث » هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم . قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما : هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل . وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبي ﷺ ولفظه عام . قال الإمام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام أن شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » هكذا وقع في المسند ، وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين ، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو ابن علي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم ﴿ قلت ﴾ ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ فذكره هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام . وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن علي حدثني أبي حدثني خالد بن قيس عن قتادة عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال « هي الصلاة منها شفع ومنها وتر » فأسقط ذكر الشيخ المبهم وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري إمام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلا حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الزاوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد ، وعندي أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قال العوفي عن ابن عباس أي إذا ذهب ، وقال عبد الله بن الزبير (والليل إذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضا ، وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل إذا يسر) إذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أي ذهب ويحتمل أن يكون المراد إذا سار أي أقبل وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله (والفجر) فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل فإذا حمل قوله (والليل إذا يسر) على إقباله كان قسما باقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) وكذا قال الضحاك (والليل إذا يسر)

أى يجرى ، وقال عكرمة (والليل إذا يسر) يعنى ليلة جمع ليلة المزدلفة . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول فى قوله (والليل إذا يسر) قال: اسر ياسار ولا تبيتن إلا بجمع. وقوله تعالى (هل فى ذلك قسم لذى حجر) أى لذى عقل ولب وحجا ، وإنما سمى العقل حجرا لأنه يمنع الإنسان من تعاطى مالا يليق به من الأفعال والأقوال ، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ، ومنه حجر اليمامة ، وحجر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف (ويقولون حجرا محجورا) كل هذا من قبيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟) وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد ؟) وهؤلاء عاد الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن إسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟ وقد ذكر الله قصتهم فى القرآن فى غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله تعالى (إرم ذات العماد) عطف بيان زيادة تعريف بهم وقوله تعالى (ذات العماد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التى ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس فى زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقال ههنا (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى القبيلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم ، قال مجاهد: إرم، أمة قديمة يعنى عادا الأولى ، قال قتادة بن دعامة والسدى : إن إرم بيت مملكة عاد ، وهذا قول حسن جيد قوى وقال مجاهد وقتادة والكلبى فى قوله (ذات العماد) كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال العوفى عن ابن عباس إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم ، واختار الأول ابن جرير ورد الثانى فأصاب ، وقوله تعالى (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال بنوا عمدا بالأحقاف لم يخلق مثلها فى البلاد ، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى البلاد يعنى فى زمانهم ، وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال التى لم يعمل مثلها فى البلاد وإنما قال (لم يخلق مثلها فى البلاد) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عمن حدثه عن المقدام عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد فقال « كان الرجل منهم يأتى على الصخرة فيحملها على الحى فيهلكهم » ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور بن زيد الديلى قال قرأت كتابا قد سمى حيث قرأته أنا شداد بن عاد وأنا الذى رفعت العماد وأنا الذى شددت بذراعى نظر واحد وأنا الذى كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرجه إلا أمة محمد ﷺ ﴿ قلت ﴾ فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحا يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون فى القرآن فى غير ما موضع المقرونون بثمود كما ههنا والله أعلم

ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العماد) مدينة إما دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو إسكندرية كما روى عن القرظى أو غيرهما ففيه نظر فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد) إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك

القبيلة المسماة بعاد وبما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم . وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها لآلىء وجواهر وترابها بنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب ، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك . وذكر الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت فبينما هو يتيه في ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا . وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلىء والإكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب . وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العماد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف ، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتابي النمار إذا خرقوها واجتاب الثوب إذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر :

ألا كل شيء ماخلا الله بائد * كما باد حي من شنيف ومارد

هم ضربوا في كل صماء صعدة * بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن إسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذي الأوتاد) قال العوفي عن ابن عباس الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي . قال السدي كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مظال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البناني عن أبي رافع قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت . وقوله تعالى (الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد) أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين

وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والأخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي إسناده نظر وفي صحته ، فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الحذاء عن أبي حمزة البيساني عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يامعاذ إن المؤمن

لذى الحق أسير ، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يامعاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محجته والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد » قال ابن أبي حاتم : يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أي لو كان من كلامه لكان حسنا ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول (قفوهم إنهم مسؤلون) قال فيحاسبون على الصلاة ويسئلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمر بالاكرام له كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه — ثم قال باصبعه — أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » . وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل يعني ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام (ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك (وتأكلون التراث) يعني الميراث (أكلا لما) أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا زاد بعضهم فاحشا

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *

وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى (كلا) أى حقا (إذا دكت الأرض دكا دكا) أى وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم (وجاء ربك) يعنى لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد ما يسألون أولى العزم من الرسل واحدا بعد واحد فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهى النوبة إلى محمد ﷺ فيقول « أنا لها أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى فى ذلك وهى أول الشفاعات وهى المقام المحمود كما تقدم بيانه فى سورة سبحان فيجىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى (وجىء يومئذ بجهنم) قال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى عن العلاء بن خالد الكاهلى عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبى عامر عن سفيان الثورى عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزارى عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قوله . وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان) أى عمله وما كان أسلفه فى قديم دهره وحديثه (وأنى له الذكرى) أى وكيف تنفعه الذكرى (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) يعنى يندم على ما كان سلف منه من المعاصى إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله يعنى ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن عبدا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت فى طاعة الله لحقره يوم القيامة ولود أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب . قال الله تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه (ولا يوثق وثاقه أحد) أى وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم عز وجل وهذا فى حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) أى إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته (راضية) أى فى نفسها (مرضية) أى قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملتهم (وادخلى جنتى) وهذا يقال لها عند الاحتضار وفى يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت فى عثمان بن عفان : وعن بريدة ابن الحصيب نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه . وقال العوفى عن ابن عباس يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) يعنى صاحبك وهو بدنها الذى كانت تعمره فى الدنيا (راضية مرضية) وروى عنه أنه كان يقرؤها (فادخلى فى عبدى وادخلى جنتى) وكذا قال عكرمة والكلبى واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الأول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (وأن مردنا إلى الله) أى إلى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال « أما إنه سيقال لك هذا » ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضى الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أما إن الملك

سيقول لك هذا عند الموت » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن .

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدري من تلاها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ورواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الأفطس به فذكره . وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال : أسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقى رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يافلان ويافلان ويافلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ثم غاص في الماء وقال فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي عن أبيها حدثني سليمان بن حبيب المحاربي حدثني أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك » ثم روى عن أبي سليمان بن وبر أنه قال: حديث رواحة هذا واحد أمه آخر تفسير سورة الفجر ، ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة البلد وهي مكية)

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ)

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها ، قال خصيف عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) لارد عليهم . أقسم بهذا البلد ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (لا أقسم بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به ، وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد ، وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك ، وقال قتادة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت به من غير حرج ولا إثم ، وقال الحسن البصري أحلها الله له ساعة من نهار وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وفي لفظ آخر « فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » ، وقوله تعالى (ووالد وما ولد) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ووالد وما ولد) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم . وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده وقال أبو عمران الجوني هو إبراهيم وذريته ، رواه ابن جرير وابن

أبي حاتم واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضا ؛ وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) روي عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني منتصبا زاد ابن عباس في رواية عنه منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وقال ابن أبي نجيح وجريج وعطاء عن ابن عباس: في كبد قال في شدة خلق ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه ، وقال مجاهد (في كبد) نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد في الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير (لقد خلقنا الإنسان في كبد) في شدة وطلب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروى من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من أمر الآخرة وفي رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها ، وقوله تعالى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الحسن البصري يعني (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال ابن آدم يظن أن لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وقال السدي (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الله عز وجل ، وقوله تعالى (يقول أهلكت مالا لبدا) أي يقول ابن آدم أنفقت مالا لبدا أي كثيرا قاله مجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم (أيحسب أن لن يره أحد) قال مجاهد أي أيحسب أن لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف : وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما (ولسانا) أي ينطق به فيعبر عما في ضميره (وشفتين) يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءها وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصب بفرجك ما أحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي » (وهديناه النجدين) الطريقين قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الخير والشر وكذا روى عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث ، وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن — يعني البصري — لا يشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمر ويونس بن عبيد وأبو وهب عن الحسن مرسلا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى بن عقان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال الثديين وروى عن الربيع بن خيثم وقتادة وأبي حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن عيسى بن عقال به ثم قال والصواب القول الأول

ونظير هذه الآية قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ * أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴾

قال ابن جرير حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى (فلا اقتحم) أى دخل (العقبة) قال جبل في جهنم وقال كعب الأحبار (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصرى (فلا اقتحم العقبة) قال عقبة في جهنم وقال قتادة إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبة ؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقبة أو إطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبة) أى أفلا سلك الطريق التى فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة * فك رقبة أو إطعام) قرىء فك رقبة بالإضافة وقرىء على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناهما متقارب . قال الإمام أحمد حدثنا على بن إبراهيم حدثنا عبد الله يعنى ابن سعيد بن أبى هند عن إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب — أى عضوا — منها إربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج» فقال على بن الحسين أنت سمعت هذا من أبى هريرة ؟ فقال سعيد نعم فقال على بن الحسين لغلام له أفره غلمانه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فأنت حر لوجه الله ، وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا الغلام الذى أعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن أبى نجيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبى ﷺ قال «من بنى مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة، ومن أعتق نفسه مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة»

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو ابن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضوا بعضو ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كمعتق رقبة من بنى إسماعيل » وروى أبو داود والنسائى بعضه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبى أمامة عن عمرو بن عبسة: قال السلمى قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أولاد فى الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فى سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين فى سبيل الله فان للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أى باب شاء منها »

وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عبلة عن الغريف بن عياش الديلمي قال أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار » وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة عن الغريف بن عياش الديلمي عن واثلة به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار » وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار » تفرد به أحمد من هذا الوجه . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ابن عازب قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال « لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة ، أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليستا بواحدة ، قال « لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها ، والمنحة الوكوف ، والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير » . وقوله تعالى (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذي مجاعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع ، وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة في يوم مشتهى فيه الطعام . وقوله تعالى (يتيما) أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيما (ذا مقربة) أي ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة » وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى (أو مسكينا ذا متربة) أي فقيرا مدقعا لاصقا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفي رواية هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفي رواية عنه هو البعيد التربة ، قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج ، وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال ، وكل هذه قريبة المعنى . وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية . وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) أي كان من المؤمنين العاملين صالحا المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وفي الحديث الآخر « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها اقال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي (مؤصدة) أي مطبقة قال ابن عباس مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلغة

قريش أى أغلقه وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة (ويل لكل همزة لمزة) . وقال الضحاك (مؤصدة) حيط لا باب له وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد ، وقال أبو عمران الجونى إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم أى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبى حاتم . آخر تفسير سورة البلد ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية ﴾

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ؟ »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

قال مجاهد (والشمس وضحاها) أى وضوئها وقال قتادة (وضحاها) النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (والقمر إذا تلاها) قال مجاهد تبعها ، وقال العوفى عن ابن عباس (والقمر إذا تلاها) قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال ، وقال ابن زيد هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ثم هى تتلوه وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى (والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء وقال قتادة (والنهار إذا جلاها) إذا غشيها النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها ﴿ قلت ﴾ ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاها) فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد (والنهار إذا جلاها) انه كقوله تعالى (والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاها) يعنى إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثنى يزيد بن ذى حمامة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادى خلقى العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبى حاتم ، وقوله تعالى (والسماء وما بناها) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعنى والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد — أى بقوة — وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون) وهكذا قوله تعالى (والأرض وما طحاها) قال مجاهد : طحاها دحاها ، قال العوفى عن ابن عباس (وما طحاها) أى خلق فيها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : طحاها قسمها . وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدى والثورى وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى طحوته مثل دحوته أى بسطته ، وقوله تعالى (ونفس وما سواها) أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » ، وقوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ماقدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عزرة ابن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الديلي قال : قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما تستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت بل شيء قضي عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال ففزعت منه فزعا شديدا قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك إن رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت مايعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال « بل شيء قد قضي عليهم » قال ففيم نعمل ؟ قال « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) » رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به ، وقوله تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) (وقد خاب من دساها) أي دسسها أي أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو ابن الحارث عن عمرو بن هشام عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاها) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلحت نفس زكاها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجويبر هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس ، وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » ﴿حديث آخر﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ (فألهمها فجورها وتقواها) قال « اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح ابن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع . وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكوهن ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب (بطغواها) أي بأجمعها والأول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (إذ انبعث أشقاها) أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيبا رئيسا مطاعا كما قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال « إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة » ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طرق عن هشام بن عروة به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار ابن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي « ألا أحدثك بأشقى الناس ؛ » قال بلى قال « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه » يعني لحيته . وقوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه السلام (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى (فكذبوه فعقروها) أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أي غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها . وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرىء فلا يخاف (عقباها) قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي (ولا يخاف عقباها) أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم . آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الليل وهي مكية ﴾

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ « فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن المغيرة عن إبراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جليسا صالحا : قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت ؟ قال من أهل الكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى) قال علقمة (والذكر

والأنثى) فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككونى ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره والذى أجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخارى ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبى الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا كلنا ، قال أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى - قال - والذكر والأنثى) قال أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهو لا يريدنى على أن أقرأ (وما خلق الذكر والأنثى) والله لا أتابعهم هـذا لفظ البخارى . هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعه أبو الدرداء وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت فى المصحف الإمام العثمانى فى سائر الآفاق (وما خلق الذكر والأنثى) فأقسم تعالى (بالليل إذا يغشى) أى إذا غشى الخليقة بظلامه (والنهار إذا تجلى) أى بضيائه وإشراقه (وما خلق الذكر والأنثى) كقوله تعالى (وخلقناكم أزواجا) وكقوله (ومن كل شىء خلقنا زوجين) ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أى أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أى أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره (وصدق بالحسنى) أى بالمجازاة على ذلك قاله قتادة ، وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أى بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمى والضحاك (وصدق بالحسنى)أى بلا إله إلا الله وفى رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أى بما أنعم الله عليه ، وفى رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى)قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال « الحسنى : الجنة »

وقوله تعالى (فسنيسره لليسرى) قال ابن عباس يعنى للخير ، وقال زيد بن أسلم يعنى للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أى بما عنده (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أى بخل بماله واستغنى عن ربه عزوجل . رواه ابن أبى حاتم (وكذب بالحسنى) أى بالجزاء فى الدار الآخرة (فسنيسره للعسرى) أى لطريق الشر كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عزوجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة ﴿ رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا على بن عياش حدثنى العطاف بن خالد حدثنى رجل من أهل البصرة عن طلحة ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبى يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال « كل ميسر لما خلق له » ﴿ رواية على رضى الله عنه ﴾ قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - إلى قوله - للعسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع عن الأعمش بنحوه . ثم رواه عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد - أوما من نفس منفوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من

أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به ﴿ رواية عبد الله بن عمر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال: قال عمر يارسول الله أرأيت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلا ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء » ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح

﴿ حديث آخر من رواية جابر ﴾ قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال يارسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه ؟ فقال « لأمر قد فرغ منه » فقال سراقة ففيم العمل إذاً ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل عامل ميسر لعمله » ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سأل غلامان شابان النبي ﷺ فقالا: يارسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف ؟ فقال « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قالا : ففيم العمل إذاً ؟ قال « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » قالا : فنجد ونعمل ﴿ رواية أبي الدرداء ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان ابن عتبة السلمي عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قال : قالوا يارسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال « بل أمر قد فرغ منه » فقالوا فكيف بالعمل يارسول الله ؟ قال « كل امرىء مهيأ لما خلق له » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خليد العصري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكا تلفاً » وأنزل الله في ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة باسناده مثله ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا كان له نخيل ومنها . نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فاذا جاء الرجل فدخل داره فيأخذ الثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل اصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ « اذهب » ولقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له « أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخلا كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة من ثمرها فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يارسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها أتعطيني ما أعطيته بها نخلة في الجنة ؟ قال « نعم » ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أتراك إذا بعتها قال لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاه قال : وما مناك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل : لقد جئت بأمر عظيم نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ، ثم سكتا وأنشآ في كلام آخر ثم قال أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال اشهد لي إن كنت صادقا فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا أني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول

فقال صاحب النخلة قد رضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفترق فقال له قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال تعطينيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق فتفرقا فذهب الرجل إلى رسول ﷺ فقال يارسول الله إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له « النخلة لك ولعيالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى ـ إلى قوله ـ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) إلى آخر السورة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن إدريس الأصم حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعتق أناسا ضعفاء فلو أنك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال أي أبت إنما أريد ـ أظنه قال ـ ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) ، وقوله تعالى (وما يغني عنه ماله إذا تردى) قال مجاهد : أي إذا مات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم إذا تردى في النار .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ * فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

قال قتادة (إن علينا للهدى) أي نبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله وجعله كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) حكاه ابن جرير ، وقوله تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما ، وقوله تعالى (فأنذرتكم ناراً تلظى) قال مجاهد أي توهج . قال الإمام أحمد حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول « أنذرتكم النار » حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه » رواه البخاري ، وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا » ، وقوله تعالى (لا يصلاها إلا الأشقى) أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال (الذي كذب) أي بقلبه (وتولى) أي عن العمل بجوارحه وأركانه

قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الله بن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار إلا شقي » قيل ومن الشقي قال « الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية »

وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قالا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى » قالوا ومن يأبى يارسول الله ؟

قال « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » ورواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح به .

وقوله تعالى (وسيجنبها الأتقى) أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى ثم فسره بقوله (الذي يؤتي ماله يتزكى) أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وماوهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفا فهو يعطي في مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى (ولسوف يرضى) أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فان لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقياً كريماً جواداً بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ، ولهذا قال تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم » ، آخر تفسير سورة الليل ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الضحى وهي مكية ﴾

روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرى قال: قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لي : كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك . وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة وكان إماما في القراآت . فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلي قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر والليل إذا يغشى ، وقال آخرون من آخر والضحى ، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر . وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحى والليل إذا سجى) السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا ، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عز وجل (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلي ثم العلقى به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودع محمدا ربه فأنزل الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي قالا حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جندبا يقول رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر في اصبعه فقال : « هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت ؟ »

قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) والسياق لأبي سعيد قيل إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب ، وذكر أن اصبعه عليه السلام دميت ، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سببا لتركه القيام ونزول هذه السورة . فأما مارواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك قال فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا إليه وتدلى منهبطا عليه وهو بالأبطح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال : قال له هذه السورة (والضحى والليل إذا سجى) قال العوفي عن ابن عباس لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء (والليل إذا سجى) أي سكن فأظلم وادلهم ؟ قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (ما ودعك ربك) أي ما تركك (وما قلى) أي وما أبغضك (وللآخرة خير لك من الأولى) أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية ، قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يارسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي حسن صحيح . وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتي وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله ابن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر

في كل قصر ماينبغي له من الأزواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا مايقال إلا عن توقيف وقال السدى عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن على بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى».

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (ألم يجدك يتيما فآوى) وذلك أن أباه توفى وهو حمل في بطن أمه وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به، وقوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغوى، وقوله تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) أي كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر صلوات الله وسلامه عليه. وقال قتادة في قوله (ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أي كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أي لاتذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به، قال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أي وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن إسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أي فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله، وقال قتادة يعنى رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أي وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوى «واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا» وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن إياس الجريرى عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب» وإسناده ضعيف وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يارسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال «لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم». وقال أبو داود حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لايشكر الله من لايشكر الناس» ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم

وقال صحيح . وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود . وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره » قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي (وأما بنعمة ربك فحدث) قال ما عملت من خير فحدث إخوانك ، وقال محمد بن إسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى . آخر تفسير سورة الضحى ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾

يقول تعالى (ألم نشرح لك صدرك) يعني أما شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق . وقيل المراد بقوله (ألم نشرح لك صدرك) شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وإن كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فالله أعلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد ابن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال أغد واسلم فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ، ورحمة للكبير » وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) بمعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الذي أنقض ظهرك) الانقاض الصوت وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أنقض ظهرك) أي أثقلك حمله ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول كيف رفعت ذكرك : قال الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج : وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحوضي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله قلت قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى، قال: يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك؟ قلت بلى يا رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك، قلت بلى يارب قال ألم أشرح لك صدرك، ألم أرفع لك ذكرك، قلت بلى يارب» وقال أبو نعيم في دلائل النبوة حدثنا أبو أحمد الغطريفي حدثنا موسى بن سهل الجويني حدثنا أحمد بن القاسم بن بهزان الهيتي حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لما فرغت مما أمرني به من أمر السموات والأرض قلت يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلا وموسى كليما وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله أني لا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة وأعطيتك كنزا من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه، وما أحسن ما قال الصرصري رحمه الله:

لا يصح الأذان في الفرض إلا ... باسمه العذب في الفم المرضي

وقال أيضاً:

ألم تر أنا لا يصح أذاننا ... ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما

وقوله تعالى (فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم حدثنا عائذ بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ جالسا وحياله حجر فقال «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه» فأنزل الله عز وجل (فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه «لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه» ثم قال (فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) ثم قال البزار لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح (قلت) وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبد الله بن مسعود موقوفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين. وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول «لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً» وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلا وقال سعيد عن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال «لن يغلب عسر يسرين» ومعنى هذا أن العسر معرف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد ولهذا قال (لن يغلب عسر يسرين) يعني قوله (فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) فالعسر الأول عين الثاني واليسر تعدد. وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثير عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «نزل المعونة من السماء على قدر المئونة، ونزل الصبر على قدر المصيبة» ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني

إذا اشتملت على اليأس القلوب ۞ وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت ۞ وأرست فى أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ۞ ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ۞ يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ۞ فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ۞ ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها ۞ فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى (فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب) أى إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة، ومن هذا القبيل قوله ﷺ فى الحديث المتفق على صحته «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان» وقوله صلى الله عليه وسلم «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء» قال مجاهد فى هذه الآية إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك وفى رواية عنه إذا قمت إلى الصلاة فانصب فى حاجتك وعن ابن مسعود إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وعن ابن عياض نحوه وفى رواية عن ابن مسعود (فانصب*وإلى ربك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فإذا فرغت فانصب يعنى فى الدعاء، وقال زيد بن أسلم والضحاك (فإذا فرغت) أى من الجهاد (فانصب) أى فى العبادة (وإلى ربك فارغب) قال الثورى اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل. آخر تفسير سورة ألم نشرح، ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة والتين والزيتون وهى مكية ﴾

قال مالك وشعبة عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبى ﷺ يقرأ فى سفره فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه، أخرجه الجماعة فى كتبهم.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ * أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة فقيل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هى نفسها وقيل الجبل الذى عندها وقال القرطبى هو مسجد أصحاب الكهف وروى العوفى عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذى على الجودى، وقال مجاهد هو تينكم هذا (والزيتون) قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس. وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذى تعصرون (وطور سينين) قال كعب الأحبار وغير واحد هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الأمين) يعنى مكة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعى وابن زيد وكعب الأحبار ولا خلاف فى ذلك، وقال بعض الأئمة هذه محال ثلاثة بعث الله فى كل واحد منها نبيا مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار ﴿فالأول﴾ محلة التين والزيتون وهى بيت المقدس التى بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام ﴿والثانى﴾ طور سينين وهو طور سيناء الذى كلم الله عليه موسى بن عمران ﴿والثالث﴾ مكة وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمنا وهو الذى أرسل فيه محمدا ﷺ قالوا وفى آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء — يعنى الذى كلم الله عليه موسى بن عمران — وأشرق من ساعير — يعنى جبل

بيت المقدس الذى بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران - يعنى جبال مكة التى أرسل الله منها محمدا ﷺ فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما

وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوى الأعضاء حسنها (ثم رددناه أسفل سافلين) أى إلى النار قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال بعضهم (ثم رددناه أسفل سافلين) أى إلى أرذل العمر ، وروى هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم وإنما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر *إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقوله (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع كما تقدم ، ثم قال (فما يكذبك) أى يا ابن آدم (بعد بالدين ؟) أى بالجزاء فى المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى فأى شىء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ . قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد ابن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال: قلت لمجاهد (فما يكذبك بعد بالدين) عنى به النبى ﷺ قال: معاذ الله ، عنى به الإنسان وهكذا قال عكرمة وغيره . وقوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أما هو أحكم الحاكمين الذى لا يجور ولا يظلم أحدا ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم فى الدنيا ممن ظلمه . وقد قدمنا فى حديث أبى هريرة مرفوعا « فإذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين » آخر تفسير سورة والتين والزيتون ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة اقرأ - وهى أول شىء نزل من القرآن ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الوحى وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله ﷺ « فقلت ما أنا بقارىء - قال - فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق - حتى بلغ - مالم يعلم » قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زملونى زملونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة « مالى ؟ » وأخبرها الخبر وقال « قد خشيت على نفسى » فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة أخى أبيها وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ « أو مخرجى هم ؟ » فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا

مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى فمن أراده فهو هناك محرر ولله الحمد والمنة فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان . وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي . والرسمي يستلزمهما من غير عكس فلهذا قال (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) وفي الأثر قيدوا العلم بالكتابة ، وفيه أيضا من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ * أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ * أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال (إن إلى ربك الرجعى) أي إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته . قال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال : قال عبدالله : منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان ، قال ثم قرأ عبدالله (إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) وقال للآخر (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقد روى هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » .

ثم قال تعالى (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) نزلت في أبي جهل لعنه الله ، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال (أرأيت إن كان على الهدى) أي فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله أو أمر بالتقوى بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ولهذا قال (ألم يعلم بأن الله يرى ؟) أي أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء . ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا (كلا لئن لم ينته) أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد (لنسفعا بالناصية) أي لنسمنها سوادا يوم القيامة ثم قال (ناصية كاذبة خاطئة) يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها (فليدع ناديه) أي قومه وعشيرته أي ليدعهم يستنصر بهم (سندع الزبانية) وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه ؟ قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن عبدالكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال « لئن فعل لأخذته الملائكة » ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني ابن عمرو عن عبد الكريم . وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به ، وروى

أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا فأنزل الله (فليدع ناديه * سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال الامام أحمد أيضا حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال : فقال « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه فأنزل الله عز وجل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ هذه الآية (لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية) فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فصلى فقيل ما يمنعك ؟ قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن عباس والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم . قالوا : نعم ، قال : فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك : فقال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة قال : فقال رسول الله « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » قال وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به ، وقوله تعالى (كلا لا تطعه) يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباله فان الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس (واسجد واقترب) كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » وتقدم أيضا أن رسول الله ﷺ كان يسجد في (إذا السماء انشقت) و(اقرأ باسم ربك الذي خلق) . آخر تفسير سورة اقرأ ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة القدر وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى معظما لشأن ليلة القدر التي اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال (وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) . قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود ابن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن ابن علي بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال : لا تؤنبني رحمك الله فان النبي صلى الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت (إنا أعطيناك الكوثر) يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية

يا محمد ، قال القاسم فعددنا فاذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص . ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدى قال وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن رجل مجهول ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذي إن يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين قال : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف ابن مازن كذا قال وهذا يقتضي اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي هو حديث منكر ﴿قلت﴾ وقول القاسم بن الفضل الحداني إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فإن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين واجتمعت البيعة لمعاوية وسمي ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الإمرة بالكلية بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكأن القاسم ابن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير وعلى هذا فيقارب ما قاله الصحة في الحساب والله أعلم ، ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فان تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر : إذا أنت فضلت امرءا ذا براعة على ناقص كان المديح من النقص

ثم الذي يفهم من الآية أن الألف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارته والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا مسلم يعني ابن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال فعجب المسلمون من ذلك قال فأنزل الله عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن المثنى بن الصباح عن مجاهد قال كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي فعمل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية (ليلة القدر خير من ألف شهر) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثني مسلمة بن علي عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل فقال يا محمد : عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد أنزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال : فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس

منه وقال سفيان الثورى: بلغنى عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فى تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعى وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائى عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لا ماعداه وهو كقوله ﷺ « رباط ليلة فى سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » رواه أحمد وكما جاء فى قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعانى المشابهة لذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن أبى قلابة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ « قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » ورواه النسائى من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) أى يكثر تنزل الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له ، وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم فى سورة النبأ والله أعلم ، وقوله تعالى (من كل أمر) قال مجاهد: سلام هى من كل أمر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الأعمش عن مجاهد فى قوله (سلام هى) قال هى سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) ، وقوله تعالى (سلام هى حتى مطلع الفجر) قال سعيد بن منصور حدثنا هشام عن أبى إسحاق عن الشعبى فى قوله تعالى (من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر) قال تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر ، وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ (من كل امرىء سلام هى حتى مطلع الفجر) وروى البيهقى فى كتابه فضائل الأوقات عن على أثرا غريبا فى نزول الملائكة ومرورهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين ، وروى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار أثرا غريبا عجيبا مطولا جدا فى تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام إلى الأرض ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات ، وقال أبو داود الطيالسى حدثنا عمران يعنى القطان عن قتادة عن أبى ميمونة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر « إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » وقال الأعمش عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله (من كل أمر سلام) قال لا يحدث فيها أمر . وقال قتادة وابن زيد فى قوله (سلام هى) يعنى هى خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ، ويؤيد هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليلة القدر فى العشر البواقى ، من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهى ليلة وتر : تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى به حتى يصبح ، وان أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » وهذا إسناد حسن وفى المتن غرابة وفى بعض ألفاظه نكارة وقال أبو داود الطيالسى حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : فى ليلة القدر « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » وروى ابن أبى عاصم النبيل

بإسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي طلقة بلجة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمرا لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها »

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة أوهي من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين . قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر ، وقد أسند من وجه آخر ، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فالله أعلم . وحكى الخطابي عليه الاجماع ونقله الرافعي جازما به عن المذهب ، والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمتنا .

قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيي بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سماك الحنفي حدثني مالك بن مرثد ابن عبد الله حدثني مرثد قال سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يارسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال « بل هي في رمضان » قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة ؟ قال « بل هي إلى يوم القيامة » قلت في أي رمضان هي قال « التمسوها في العشر الأول والعشر الأخر » ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت في أي العشرين هي ؟ قال « ابتغوها في العشر الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها » ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت يارسول الله أقسمت عليك بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي ؟ فغضب علي غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته وقال « التمسوها في السبع الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها » ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيي ابن سعيد القطان به ، ففيه دلالة على ما ذكرناه وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام « فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم » لأن المراد رفع علم وقتها عينا . وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء .

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال ﴿ باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان ﴾ حدثنا حميد بن زنجويه النسائي أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه وقد حكي عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي واستغربه الرافعي جدا

﴿ فصل ﴾ ثم قد قيل إنها تكون في أوله ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبي رزين وقيل إنها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه أبو داود حديثا مرفوعا عن ابن مسعود وروي موقوفا عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبي العاص وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي ، ويحكى عن الحسن البصري ، ووجهوه بأنها ليلة بدر وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان وفي صبيحتها كانت وقعة بدر وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه (يوم الفرقان) وقيل ليلة تسع عشرة يحكى عن علي وابن مسعود أيضا رضي الله عنهما ، وقيل ليلة احدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال : إن الذي تطلب أمامك فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال الذي تطلب أمامك ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال « من كان اعتكف معي فليرجع فاني رأيت ليلة القدر وإني أنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وتر وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء » وكان سقف

المسجد جريدا من النخل وما نرى فى السماء شيئا فجاءت قزعة فمطرنا فصلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه وفى لفظ فى صبح إحدى وعشرين أخرجاه فى الصحيحين قال الشافعى وهذا الحديث أصح الروايات ، وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس فى صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبى سعيد الله فالله أعلم ، وقيل ليلة أربع وعشرين . قال أبو داود الطيالسى حدثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » إسناد رجاله ثقات وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن الصنابحى عن بلال قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » ابن لهيعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخارى عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن أبى عبد الله الصنابحى قال أخبرنى بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أول السبع من العشر الأواخر فهذا الموقوف أصح والله أعلم . وهكذا روى عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتادة وعبد الله بن وهب أنها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم فى سورة البقرة حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخارى عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى » فسره كثيرون بليالى الأوتار وهو أظهر وأشهر ، وحمله آخرون على الأشفاع كما رواه مسلم عن أبى سعيد أنه حمله على ذلك والله أعلم ، وقيل إنها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصما عن زر سألت أبى بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر قال يرحمه الله لقد علم أنها فى شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك ؟ قال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها يعنى الشمس وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعى عن عبدة عن زر عن أبى فذكره وفيه فقال: والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان يحلف ما يستثنى ووالله إنى لأعلم أى ليلة القدر هى التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هى ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحتها بيضاء لا شعاع لها ، وفى الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبى حنيفة أيضا وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله (هى) لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فالله أعلم وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا إسحق بن إبراهيم الدبرى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنها فى العشر الأواخر قال ابن عباس فقلت لعمر إنى لأعلم ــ أو إنى لأظن ــ أى ليلة القدر هى فقال عمر : وأى ليلة هى ؟ فقلت سابعة تمضى ــ أو سابعة تبقى ــ من العشر الأواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الشهر يدور على سبع وخلق الإنسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع لأشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لأمر ما فطنا له ، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس فى قوله ويأكل من سبع قال هو قول الله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا) الآية وهذا إسناد جيد قوى ومتن غريب جدا فالله أعلم وقيل إنها تكون فى ليلة تسع وعشرين . وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى رمضان فالتمسوها فى العشر الأواخر فإنها فى وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو فى آخر ليلة » وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسى حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبى ميمونة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر «إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى» تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وقيل إنها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آنفا ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال « في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر » وقال الترمذي حسن صحيح وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر «إنها آخر ليلة» ﴿فصل﴾ قال الشافعي في هذه الروايات : صدرت من النبي ﷺ جوابا للسائل إذا قيل له أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول « نعم » وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل. نقله الترمذي عنه بمعناه وروي عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الأشبه والله أعلم . وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » وفيهما أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » ولفظه للبخاري ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط اللهم إلا أن يقال إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط وقوله « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » فيه استئناس لما يقال إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع كما جاء في الحديث « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وقوله «فرفعت» أي رفع علم تعيينها لكم لا أنها رفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لأنه قد قال بعد هذا « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وقوله «وعسى أن يكون خيرا لكم » يعني عدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده ، أخرجاه من حديث عائشة . ولهما عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر أخرجاه ، ولمسلم عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره ، وهذا معنى قولها وشد المئزر ، وقيل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين لما رواه الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره واعتزل نساءه انفرد به أحمد . وقد حكي عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيته في شرح الرافعي رحمه الله. والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر وفي العشر الأخير منه ثم في أوتاره أكثر والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني لما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا الجريري وهو سعيد بن إياس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت يا رسول الله : إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال « قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر

ما أقول فيها ؟ قال « قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » وهذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ورواه النسائي أيضا من طريق سفيان الثوري عن علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» ﴿ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر﴾ رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن أبي زياد القطواني حدثنا سيار بن حاتم حدثنا موسى ابن سعيد يعني الراسبي عن هلال بن أبي جبلة عن أبي عبد السلام عن أبيه عن كعب أنه قال: إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها في الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على أغصانها في كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة القدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك إما ساجد وإما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو وثن أو بعض أما كنكم التي تطرحون فيها الخبث أو بيت فيه سكران أو بيت فيه مسكر أو بيت فيه وثن منصوب أو بيت فيه جرس معلق أو مبولة أو مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين إلا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فإن ذلك من مصافحة جبريل

وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر: لا إله إلا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلنا لكعب الأحبار يا أبا إسحاق صادقا فقال كعب الأحبار وهل يقول لا إله إلا الله في ليلة القدر إلا كل صادق والذي نفسي بيده إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما إلا في تلك الساعة فتصير الشمس لاشعاع لها ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولمن صام رمضان إيمانا واحتسابا ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله فإذا أمسوا دخلوا إلى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه العام؟ فيقولون وجدنا فلانا عام أول في هذه الليلة متعبدا ووجدناه العام مبتدعا ووجدنا فلانا مبتدعا ووجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقبلون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راكعا وفلانا ساجدا ووجدناه تاليا لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون إلى السماء الثانية ففي كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى ياسكاني حدثوني عن الناس وسموهم لي فإن لي عليكم حقا وإني أحب من أحب الله فذكر كعب الأحبار أنهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم إلي فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهمه الله فيقول وجدت فلانا ساجدا فاغفر له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان، ويقول يارب وجدت عبدك فلانا الذي وجدته عام أول على السنة والعبادة ووجدته العام قد أحدث حدثا وتولى عما أمر به فيقول الله: يا جبريل إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل لك الحمد إلهي أنت أرحم من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم، قال فيرتج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم. قال وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر رمضان أن لا يعصي الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب

آخر تفسير سورة ليلة القدر، ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة لم يكن وهي مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا علي هو ابن زيد عن عمار بن أبي عمار قال سمعت أبا حبة البدري وهو مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري قال لما نزلت (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها قال جبريل : يارسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيا . فقال النبي ﷺ لأبي « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة » قال أبي وقد ذكرت ثم يا رسول الله؟ قال « نعم » قال فبكى أبي ﴿حديث آخر﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب « إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) » قال وسماني لك ؟ قال « نعم » فبكى ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به

﴿حديث آخر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم المنقري عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا » قلت يارسول الله وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » فقلت له يا أبا المنذر ففرحت بذلك . قال وما يمنعني والله يقول (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال مؤمل قلت لسفيان القراءة في الحديث ؟ قال نعم . تفرد به من هذا الوجه ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن — قال فقرأ — (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) — قال فقرأ فيها — ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره » ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح ﴿طريق أخرى﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن خليد الحلبي حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا المنذر إني أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال بالله آمنت وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت ، قال فرد النبي ﷺ القول ، قال : فقال يارسول الله وذكرت هناك ؟ قال : « نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى » قال فاقرأ إذا يارسول الله ، هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتا له وزيادة لإيمانه فانه كما رواه أحمد والنسائي من طريق أنس عنه ، ورواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه — كان قد أنكر على إنسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأهما وقال لكل منهما « أصبت » قال أبي فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ في صدره قال أبي ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله فرقا وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه في أول التفسير فلما نزلت هذه السورة وفيها (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة) قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار لا قراءة تعلم واستذكار والله أعلم وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة وكان فيما قال أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ، قال

« بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا » قال: لا قال « فانك آتيه ومطوف به » فلما رجعوا من الحديبية وأنزل الله على النبي ﷺ سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية كما تقدم

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن إسماعيل الجعفرى المدنى حدثنا عبد الله بن سلمة ابن أسلم عن ابن شهاب عن إسماعيل بن أبى حكيم المزنى حدثنى فضيل سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى » حديث غريب جدا . وقد رواه الحافظ أبو موسى المدينى وابن الأثير من طريق الزهرى عن إسماعيل بن أبى كاثم عن مطر المزنى - أو المدنى - عن النبى ﷺ « إن الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أبشر عبدى فوعزتى لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب ومن العجم ، وقال مجاهد لم يكونوا (منفكين) يعنى منتهين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة (حتى تأتيهم البينة) أى هذا القرآن ولهذا قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) . ثم فسر البينة بقوله (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يعنى محمدا ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذى هو مكتتب فى الملأ الأعلى فى صحف مطهرة كقوله (فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام بررة) ، وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) قال ابن جرير أى فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل قال قتادة (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثنى عليه بأحسن الثناء وقال ابن زيد (فيها كتب قيمة) مستقيمة معتدلة ، وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) كقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعنى بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا فى الذى أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا كما جاء فى الحديث المروى من طرق « إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابى »

وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) كقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (حنفاء) أى متحنفين من الشرك إلى التوحيد كقوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقد تقدم تقرير الحنيف فى سورة الأنعام بما أغنى عن إعادته ههنا (ويقيموا الصلاة) وهى أشرف عبادات البدن (ويؤتوا الزكاة) وهى الاحسان إلى الفقراء والمحاويج (وذلك دين القيمة) أى الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة ، وقد استدل كثير من الأئمة كالزهرى والشافعى بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة فى الإيمان ولهذا قال (وما أمروا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة أنهم يوم القيامة فى نار جهنم خالدين فيها أى ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون (أولئك هم شر البرية) أى شر الخليقة التى برأها الله وذرأها . ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله (أولئك هم خير البرية) ثم قال تعالى (جزاؤهم عند ربهم) أى يوم القيامة (جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) أى بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم . وقوله تعالى (ذلك لمن خشى ربه) أى هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه وعبده كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فانه يراه . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبى وهب مولى أبى هريرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يا رسول قال « رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه . ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « رجل فى ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ألا أخبركم بشر البرية ؟ » قالوا بلى قال « الذى يسأل بالله ولا يعطى به » . آخر تفسير سورة لم يكن ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة إذا زلزلت ، وهى مكية ﴾

قال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجرشى البصرى حدثنا الحسن بن مسلم العجلى حدثنا ثابت قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو قال : أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنى يا رسول الله قال له « اقرأ ثلاثا من ذوات الر » فقال له الرجل كبر سنى واشتد قلبى وغلظ لسانى ، قال « فاقرأ من ذوات حم » فقال مثل مقالته الأولى ، فقال « اقرأ ثلاثا من المسبحات » فقال مثل مقالته ، فقال الرجل ولكن أقرئنى يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى إذا فرغ منها قال الرجل والذى بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفلح الرويجل ، أفلح الرويجل — ثم قال — على به — فجاءه فقال له — أمرت بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة » فقال له الرجل أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أنثى فأضحى بها ؟ قال « لا ولكنك تأخذ من شعرك وتقلم أظفارك وتقص شاربك وتحلق عانتك فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل » وأخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى عبد الرحمن المقرى به . وقال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجرشى البصرى حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلى حدثنا ثابت البنانى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن مسلم ، وقد رواه البزار عن محمد ابن موسى الجرشى عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن » هذا لفظه . وقال الترمذى أيضا : حدثنا على بن حجر حدثنا يزيد ابن هارون حدثنا يمان بن المغيرة العنزى حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا

زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ، ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة . وقال أيضا حدثنا عقبة بن مكرم العمى البصرى حدثنى ابن أبى فديك أخبرنى سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه « هل تزوجت يا فلان» قال لا والله يا رسول الله ولا عندى ما أتزوج ؟ قال « أليس معك قل هو الله أحد — قال بلى قال — ثلث القرآن — قال أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ — قال بلى ، قال ربع القرآن — قال — أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ — قال بلى قال — ربع القرآن — قال — أليس معك إذا زلزلت الأرض — قال بلى ، قال — ربع القرآن ، تزوج » ثم قال هذا حديث حسن ، تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى لم يروهن غيره من أصحاب الكتب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

قال ابن عباس (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أى تحركت من أسفلها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعنى ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) وكقوله (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت) وقال مسلم فى صحيحه حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » وقوله عز وجل (وقال الإنسان مالها) أى استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، وقوله تعالى (يومئذ تحدث أخبارها) أى تحدث بما عمل العاملون على ظهرها . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبى أيوب عن يحيى بن أبى سليمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها » ثم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لهيعة حدثنى الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجرشى أن رسول الله ﷺ قال « تحفظوا من الأرض فانها أمكم وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا إلا وهى مخبرة » . وقوله تعالى (بأن ربك أوحى لها) قال البخارى أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها أى أوحى إليها ، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يومئذ تحدث أخبارها) قال : قال لها ربها قولى فقالت ؟ وقال مجاهد أوحى لها أى أمرها وقال القرظى أمرها أن تنشق عنهم . وقوله تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) أى يرجعون عن موقف الحساب أشتاتا أى أنواعا وأصنافا ما بين شقى وسعيد مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار ، قال ابن جريج يتصدعون أشتاتا فلا يجتمعون آخر ما عليهم وقال السدى أشتاتا فرقا . وقوله تعالى (ليروا أعمالهم) أى ليعملوا ويجازوا بما عملوه فى الدنيا من خير وشر ولهذا قال (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . قال البخارى حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنى مالك عن

زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر . فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى به كان ذلك حسنات له ، وهي لذلك الرجل أجر . ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ، ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر » فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال « ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال : حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها . وهكذا رواه النسائي في التفسير عن إبراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصري قال حدثنا صعصعة عم الفرزدق فذكره . وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعا « اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وله أيضا في الصحيح « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » وفي الصحيح أيضا « يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » يعني ظلفها وفي الحديث الآخر « ردوا السائل ولو بظلف محرق » وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » تفرد به أحمد . وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر ابن عبد الله بن الزبير حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل أن عائشة أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به

وقال ابن جرير حدثني أبو الخطاب الحساني حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا سماك بن عطية عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال « يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة » ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه أبي الخطاب به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال في كتاب أبي قلابة عن أبي إدريس أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ فذكره ورواه أيضا عن يعقوب عن ابن علية عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا بكر وذكره ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لما نزلت (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى حين أنزلت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يبكيك يا أبا بكر » قال يبكيني هذه السورة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم » . ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن المغيرة المعروف بعلان المصري قالا حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال لما أنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قلت يا رسول الله إني لراء عملي ؟ قال « نعم » قلت تلك الكبار الكبار قال « نعم » قلت الصغار الصغار قال « نعم » قلت واثكل أمي قال « أبشر يا أبا سعيد فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلى سبعمائة ضعف - ويضاعف الله لمن يشاء والسيئة بمثلها أو يعفو الله ولن ينجو أحد منكم بعمله » قلت ولا أنت يا رسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه

برحمة » قال أبو زرعة لم يرو هذا غير ابن لهيعة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وذلك لما نزلت هذه الآية (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه ، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك يقولون إنما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك أن يكثر فنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة) يعنى وزن أصغر النمل (خيرا يره) يعنى فى كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرا ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة

وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبى عياض عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها . آخر تفسير سورة إذا زلزلت، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة العاديات وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت فى سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو (فالموريات قدحا) يعنى اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار (فالمغيرات صبحا) يعنى الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمع الأذان فان سمع أذانا وإلا أغار . وقوله تعالى (فأثرن به نقعا) يعنى غبارا فى مكان معترك الخيول (فوسطن به جمعا) أى توسطن ذلك المكان كلهن جمع . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبدة عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله (والعاديات ضبحا) قال: الإبل وقال على هى الإبل وقال ابن عباس هى الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس: إنما كان ذلك فى سرية بعثت . قال ابن أبى حاتم وابن جرير وحدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى أبو صخر عن أبى معاوية البجلى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا فى الحجر جالسا جاءنى رجل فسألنى عن (العاديات ضبحا) فقلت له الخيل حين تغير فى سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عنى فذهب إلى على رضى الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلى ؟ قال نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير فى سبيل الله قال اذهب فادعه لى فلما وقف على رأسه قال أتفتى الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أول غزوة فى الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا . إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى ، قال ابن عباس فنزعت عن قولى ورجعت إلى الذى قال على رضى الله عنه ، وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قال على إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى المزدلفة فإذا أووا إلى المزدلفة

أوروا النيران ، وقال العوفي وغيره عن ابن عباس: هي الخيل . وقد قال بقول علي إنها الإبل جماعة منهم إبراهيم وعبيد ابن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب وقال ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح أح أح ، وقال أكثر هؤلاء في قوله (فالموريات قدحا) يعني بحوافرها وقيل أسعرن الحرب بين ركبانهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد (فالموريات قدحا) يعني مكر الرجال وقيل هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرها بالخيل هو إيقاد النار بالمزدلفة . قال ابن جرير والصواب الأول :أنها الخيل حين تقدح بحوافرها

وقوله تعالى (فالمغيرات صبحا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني إغارة الخيل صبحا في سبيل الله ، وقال من فسرها بالإبل هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى وقالوا كلهم في قوله (فأثرن به نقعا) هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو . وقوله تعالى (فوسطن به جمعا) قال العوفي عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك يعني جمع الكفار من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعهن ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة ، وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت (والعاديات ضبحا) ضبحت بأرجلها (فالموريات قدحا) قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا (فالمغيرات صبحا) صبحت القوم بغارة (فأثرن به نقعا) أثارت بحوافرها التراب (فوسطن به جمعا) قال صبحت القوم جميعا . وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) هذا هو المقسم عليه بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود. قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الكنود الكفور قال الحسن : الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «(إن الإنسان لربه لكنود). قال الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده» ورواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف، وقد رواه ابن جرير أيضا من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفا وقوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد) قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وإن الإنسان على كونه كنودا لشهيد أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) . وقوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) أي وإنه لحب الخير وهو المال لشديد ، وفيه مذهبان ﴿ أحدهما ﴾ أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال ﴿ والثاني ﴾ وإنه لحريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح . ثم قال تبارك وتعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة ومنبها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الإنسان من الأهوال (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ؟) أي أخرج ما فيها من الأموات (وحصل ما في الصدور) قال ابن عباس وغيره يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة . آخر تفسير سورة العاديات ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة القارعة وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ *

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك . ثم قال تعالى معظما أمرها ومهولا لشأنها (وما أدراك ما القارعة) ثم فسر ذلك بقوله (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أى فى انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث كما قال تعالى فى الآية الأخرى (كأنهم جراد منتشر) وقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) يعنى قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق . قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدى (العهن) الصوف ثم أخبر تعالى عما يؤول اليه عمل العاملين وما يصيرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال (فأما من ثقلت موازينه) أى رجحت حسناته على سيئاته (فهو فى عيشة راضية) يعنى فى الجنة (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيئاته على حسناته ، وقوله تعالى (فأمه هاوية) قيل معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم وعبر عنه بأمه يعنى دماغه روى نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبى صالح وقتادة ، قال : قتادة يهوى فى النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهوون فى النار على رءوسهم ، وقيل معناه فأمه التى يرجع اليها ويصير فى المعاد اليها هاوية وهى اسم من أسماء النار قال ابن جرير وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لامأوى له غيرها ، و قال ابن زيد : الهاوية النار هى أمه ومأواه التى يرجع اليها ويأوى اليها وقرأ (ومأواهم النار) قال ابن أبى حاتم وروى عن قتادة أنه قال هى النار وهى مأواهم ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية (وما أدراك ماهيه * نار حامية)

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فانه كان فى غم الدنيا قال ويسألونه مافعل فلان ؟ فيقول : مات أوما جاءكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية ، وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعا بأبسط من هذا وقد أوردناه فى كتاب صفة النار — أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه — وقوله تعالى (نار حامية) أى حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير . قال أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » قالوا يارسول الله إن كانت لكافية ؟ فقال «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا» ورواه البخارى عن إسماعيل بن أبى أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتيبة عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد به ، وفى بعض ألفاظه « انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبى زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت أبا القاسم ﷺ يقول « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » فقال رجل إن كانت لكافية ؟ فقال « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا حرا فحرا » تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم وروى الإمام أحمد أيضا حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمرو عن يحيى بن جعدة « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد » وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق (1)

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود وأبى سعيد الخدرى « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا »

وقد قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا عبد العزيز هو ابن محمد الدراوردى عن سهل عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » تفرد به أيضا من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضا وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا معن ابن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرون

(1) هنا بياض بالأصل .

ما مثل ناركم هذه من نار جهنم لهي أشد سوادا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفا » وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه . وروى الترمذي وابن ماجه عن عباس الدوري عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب وجاء في الحديث عند الإمام أحمد من طريق أبي عثمان النهدي عن أنس وأبي نضرة العبدي عن أبي سعيد وعجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلي منهما دماغه » وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشد ما تجدون في الصيف من حرها » وفي الصحيحين « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » . آخر تفسير سورة القارعة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة التكاثر وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

يقول تعالى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد المصري حدثني خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ألهاكم التكاثر — عن الطاعة — حتى زرتم المقابر — حتى يأتيكم الموت » وقال الحسن البصري (ألهاكم التكاثر) في الأموال والأولاد ، وفي صحيح البخاري في الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت (ألهاكم التكاثر) يعني « لو كان لابن آدم واد من ذهب » . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول « (ألهاكم التكاثر) يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ » ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به ، وقال مسلم في صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول العبد مالي مالي ، وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » تفرد به مسلم

وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان : الحرص والأمل » أخرجاه في الصحيحين وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس واسمه الضحاك أنه رأى في يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل لي فقال إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته * فإذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة قال صالح بن حيان حدثني عن ابن بريدة في قوله (ألهاكم التكاثر) قال نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما

فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل وقال قتادة (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ونحن أعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم والصحيح أن المراد بقوله : زرتم المقابر أي صرتم إليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعوده فقال « لابأس طهور إن شاء الله » فقال : قلت طهور بل هي حمى تفور ، على شيخ كبير ، تزيره القبور ، قال « فنعم إذن » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد ابن سعيد الأصبهاني أخبرنا حكام بن سالم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن المنهال عن زر بن حبيش عن علي قال ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) ورواه الترمذي عن أبي كريب عن حكام ابن سالم به وقال غريب ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سلمة بن داود العرضي حدثنا أبو المليح الرقي عن ميمون بن مهران قال كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنيهة ثم قال ياميمون ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله . قال أبو محمد يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية حتى زرتم المقابر فقال بعث اليوم ورب الكعبة أي إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره ، وقوله تعالى (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن البصري هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك (كلا سوف تعلمون) يعني أيها الكفار (ثم كلا سوف تعلمون) يعني أيها المؤمنون ، وقوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال على ماجاء به الأثر المروي في ذلك ، وقوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أي ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المقرى حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فوجد أبا بكر في المسجد فقال « ما أخرجك هذه الساعة ؟ » فقال أخرجني الذي أخرجك يارسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال « ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ » قال أخرجني الذي أخرجكما قال فقعد عمر وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما ثم قال « هل بكما من قوة تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا ؟ » قلنا نعم قال « مروا بنا إلى منزل ابن التيهان أبي الهيثم الأنصاري » قال فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد أن يزيدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم فقالت يارسول الله قد والله سمعت تسليمك ولكن أردت أن تزيدني من سلامك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرا » ثم قال « أين أبو الهيثم لا أراه » قالت يارسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه يأتي الساعة إن شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله ﷺ « حسبك يا أبا الهيثم » فقال يا رسول الله تأكلون من بسره ومن رطبه ومن تذنوبه ثم أتاهم بماء فشربوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » هذا غريب من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني الحسين بن علي الصدائي حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ماأجلسكما ههنا ؟ » قالا : والذي

بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع قال « والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره » فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ « أين فلان ؟ » فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذق فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا كنت اجتنيت » فقال أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبي ﷺ « إياك والحلوب » فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لتسئلن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعيم » ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث المحاربي عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق به ، وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبي نضرة عن أبي عسيب يعني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بي فدعاني فخرجت إليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط « أطعمنا » فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » قال: فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال يارسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم إلا من ثلاثة : خرقة لف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه من الحر والقر » تفرد به أحمد ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذي تسئلون عنه » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال لما نزلت (ألهاكم التكاثر) فقرأ حتى بلغ (لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالوا يارسول الله عن أي نعيم نسئل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل ؟ قال « أما إن ذلك سيكون » وقال أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمه قال كنا في مجلس فطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يارسول الله نراك طيب النفس قال « أجل » قال ثم خاض الناس في ذكر الغنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى وطيب النفس من النعيم » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عرزب الأشعري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ « إن أول ما يسئل عنه — يعني يوم القيامة — العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونروك من الماء البارد » تفرد به الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبير به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير لما نزلت (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالوا يارسول الله لأي نعيم نسئل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال « إن ذلك سيكون » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذي حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالت الصحابة يارسول الله: وأي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم .
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن ابن أبي ليلى

أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال « الأمن والصحة » وقال زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ، رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة . وقال سعيد ابن جبير حتى عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا ، وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء وقال أبو قلابة : من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي بن الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ما فوق الإزار وظل الحائط وجر ، يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحق ابن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل ـ قال عفان يوم القيامة ـ : يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ » تفرد به من هذا الوجه . آخر تفسير سورة التكاثر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة العصر وهى مكية ﴾

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال : وما هي ؟ فقال (والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد أنزل علي مثلها ، فقال له عمرو وما هو ؟ فقال : ياوبر ياوبر وإنما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر ، ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو ، والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب . وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف ﴿ بمساوى الأخلاق ﴾ في الجزء الثاني منه شيئا من هذا أو قريبا منه . والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شيء فيه أذناه وصدره وباقيه دميم فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن . فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان . وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حفص قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر ، وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم : هو العشي ، والمشهور الأول فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم (وتواصوا بالحق) وهو أداء

الطاعات ، وترك المحرمات (وتواصوا بالصبر) أى على المصائب والأقدار وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر . آخر تفسير سورة العصر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة ، وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾

الهماز بالقول واللماز بالفعل يعنى يزدرى الناس وينتقص بهم ، وقد تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (هماز مشاء بنميم) قال ابن عباس : همزة لمزة ، طعان معياب . وقال الربيع بن أنس الهمزة يهمزه فى وجهه واللمزة من خلفه . وقال قتادة الهمزة واللمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ، ثم قال بعضهم المراد بذلك الأخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهد هى عامة . وقوله تعالى (الذى جمع مالا وعدده) أى جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى (وجمع فأوعى) قاله السدى وابن جرير وقال محمد بن كعب فى قوله (جمع مالا وعدده) ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة . وقوله تعالى (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار (كلا) أى ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى (لينبذن فى الحطمة) أى ليلقين هذا الذى جمع مالا فعدده فى الحطمة وهى اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها ولهذا قال (وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة * التى تطلع على الأفئدة) قال ثابت البنانى : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكى وقال محمد بن كعب : تأكل كل شىء من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده ، وقوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة كما تقدم تفسيره فى سورة البلد . وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا على ابن سراج حدثنا حماد بن حرزاد حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ (إنها عليهم مؤصدة) قال : مطبقة . وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الله بن أسد عن إسماعيل ابن خالد عن أبى صالح قوله ولم يرفعه . وقوله تعالى (فى عمد ممددة) قال عطية العوفى عمد من حديد ، وقال السدى من نار ، قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (فى عمد ممددة) يعنى الأبواب هى الممددة ، وقال قتادة فى قراءة عبد الله بن مسعود إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة ، وقال العوفى عن ابن عباس أدخلهم فى عمد ممددة عليهم بعماد فى أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب ، وقال قتادة كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد فى النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح (فى عمد ممددة) يعنى القيود الثقال . آخر تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الفيل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾

هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى

وكان دينهم إذا ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فانه فى ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ولكن صيانة للبيت العتيق الذى سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبى الأمى محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء . وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الايجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم فى قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذى قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصرانيا فكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم فى جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا فى البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران أرياط وأبرهة فاختلفا فى أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال أحدهما للآخر إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز إلى وأبرز إليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه إلى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب إليه النجاشى يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول فى كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتى قد بعثت بها إليك فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ورضى عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشى إنى سأبنى لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع فى بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة الأرجاء سمتها العرب القليس لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها ، وعزم ابرهة الأشرم على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك فى مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلا فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذى ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجرا حجرا . وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت إلى الأرض فتأهب أبرهة لذلك وصار فى جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه إليه النجاشى ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره فالله أعلم ، يعنى ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل فى الأركان وتوضع فى عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة ، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا أن حقا عليهم المحاجبة دون البيت ورد من أراده بكيد فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخرابه فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريده الله عزوجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل ابن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذى عندهم الذى يسمونه اللات فأكرمهم وبعثوا معه أبا رغال دليلا فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب ، وكان الذى أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة وكان يقال له الأسود ابن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن إسحاق وبعث أبرهة حناطة الحميرى إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف

قريش وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال : فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلى بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فاذهب معى إليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط؟ وقال لترجمانه قل له ما حاجتك؟ فقال للترجمان : إن حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه، فقال له عبد المطلب :إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه . قال ما كان ليمتنع منى قال أنت وذاك ، ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب إبله ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن فى رءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده ،فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لا هم إن المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

قال ابن إسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رءوس الجبال ، وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وعبأ جيشة فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا فى رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم فى مراقه فنزعوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق، هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة ، وجعل نفيل يقول :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن إسحاق وقال نفيل فى ذلك أيضا :

ألا حييت عنا يا ردينا نعمنا كم مع الاصباح عينا

ردينة لو رأيت ولا تريه لدى جنب المحصب ما رأينا

إذا لعذرتنى وحمدت أمرى ولم تأسى على ما فات بينا

حمدت الله إذا أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا

فكل القوم تسأل عن نفيل كأن على للحبشان دينا

وذكر الواقدى باسناده أنهم لما تعبئوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح ، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل فى ذلك ، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدى وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفى على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون وماذا يلقون من أمر الفيل

وهو العجب العجاب ، فبينا هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل أى قطعا قطعا صفرا دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت عليهم وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا . وقال محمد بن إسحاق جاءوا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب . وقال وهب بن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدى به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب فى الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم . وقال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة قال ابن إسحاق وحدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ما رؤى به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعسر ذلك العام وهكذا روى عن عكرمة من طريق جيد . قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول) (لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال وأما السجيل فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو سنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقضب واحدته عصفة انتهى ما ذكره ، وقد قال حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله وأبو سلمة بن عبد الرحمن (طيرا أبابيل) قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصرى وقتادة الأبابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الأبابيل المختلفة تأتى من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل إبيل

وقال ابن جرير حدثنى عبد الأعلى حدثنى داود عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال فى قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) هى الأقاطيع كالإبل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) قال لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله تعالى (طيرا أبابيل) قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رءوس كرءوس السباع ، وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدى عن سفيان عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير (طيرا أبابيل) قال هى طيور سود بحرية فى مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه أسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الأبابيل مثل التى يقال لها عنقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبى حاتم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين فى رجليه وحجرا فى منقاره قال فجاءت حتى صفت على رءوسهم ثم صاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شىء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا ، وقال السدى عن عكرمة عن ابن عباس: حجارة من سجيل، قال طين فى حجارة

سنابك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول) قال سعيد بن جبير يعني التبن الذي تسميه العامة هبور وفي رواية عن سعيد ورق الحنطة ، وعنه أيضا العصف التبن والمأكول القصيل يجز للدواب وكذلك قال الحسن البصري ، وعن ابن عباس العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة

وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار درينا ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات فملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة . ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستعانه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله اليهم ملكهم وما كان في آبائهم من الملك وجاءته وفود العرب بالتهنئة . وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان . ورواه الواقدي عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم (قلت) كان اسم قائد الفيل أنيسا . وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وانما بعث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مقصود وكان الجيش عشرين ألفا وذكر أن الطير طرقتهم ليلا فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار . وهكذا روي عن ابن لهيعة عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على كتيبة معهم الفيل ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله أعلم . ثم ذكر ابن إسحاق شيئا من أشعار العرب فيما كان من قصة أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبعرى :

تنكلوا عن بطن مكة إنها ... كانت قديما لا يرام حريمها

لم تخلق الشعرى ليالي حرمت ... إذ لا عزيز من الأنام يرومها

سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... فلسوف ينبي الجاهلين عليمها

ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها

كانت بها عاد وجرهم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المدني :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كل ما بعثوه رزم

محاجنهم تحت أقرابه ... وقد شرموا أنفه فانخرم

وقد جعلوا سوطه مغولا ... إذا يمموه قفاه كلم

فولى وأدبر أدراجه ... وقد باء بالظلم من كان ثم

فأرسل من فوقهم حاصبا ... يلفهم مثل لف القزم

يحض على الصبر أحبارهم ... وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ويروى لأمية بن أبي الصلت بن ربيعة :

إن آيات ربنا باقيات ... ما يماري فيهن إلا الكفور

خلق الليل والنهار فكل ... مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهاة شعاعها منشور

حبس الفيل بالمغمس حتى ... صار يحبو كأنه معقور

لازما حلقه الجران كما قطر ... من ظهر كبكب محدور

حوله من ملوك كندة أبطال ... ملاويث في الحروب صقور

خلفوه ثم ابذعروا جميعا ... كلهم عظم ساقه مكسور

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة بور

وقد قدمنا فى تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التى تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت فقالوا خلأت القصواء أى حرنت فقال رسول الله ﷺ « ماخلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - والذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها » ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخارى ، وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب » . آخر تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة لإيلاف قريش وهى مكية ﴾

﴿ ذكر حديث غريب فى فضلها ﴾ قال البيهقى فى كتاب الخلافيات حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفى بمرو حدثنا أحمد بن عبد الله الزينى حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت ابن شرحبيل حدثنى عثمان بن عبد الله بن أبى عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدته أم هانىء بنت أبى طالب أن رسول الله ﷺ قال « فضل الله قريشا بسبع خلال : إنى منهم وإن النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل وإنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن - ثم تلا رسول الله ﷺ - (بسم الله الرحمن الرحيم * لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾

هذه السورة مفصولة عن التى قبلها فى المصحف الامام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أى لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمهم بل من صوفى إليهم وسار معهم أمن بهم وهذا حالهم فى أسفارهم ورحلتهم فى شتائهم وصيفهم وأما فى حال إقامتهم فى البلد فكما قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ولهذا قال تعالى (لإيلاف قريش إيلافهم) بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) ، وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتى عليهم فى ذلك ، قال وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان . ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال (فليعبدوا رب هذا البيت) أى فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما كما قال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين) وقوله تعالى (الذى أطعمهم من جوع) أى هو رب البيت وهو الذى أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أى تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ، وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله ابن عمرو الغزى حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله

ﷺ يقول « ويل لكم قريش لئلاف قريش ثم قال حدثنا أبى حدثنا المؤمل بن الفضل الحرانى حدثنا عيسى يعنى ابن يونس عن عبد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضى الله عنها فلعله وقع غلط فى النسخة أو فى أصل الرواية والله أعلم . آخر تفسير سورة لإيلاف قريش ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير السورة التى يذكر فيها الماعون وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

يقول تعالى أرأيت يا محمد الذى يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب (فذلك الذى يدع اليتيم) أى هو الذى يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه (ولا يحض على طعام المسكين) كما قال تعالى (كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين) يعنى الفقير الذى لا شىء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى (فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعنى المنافقين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال (للمصلين) الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذى قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل فى صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشىء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلا ولعله إنما حمله على القيام إليها مراآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالكلية . قال الله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون) . وقال الطبرانى حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادى حدثنى أبى حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « إن فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادى للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق فى غير ذات الله وللحاج إلى بيت الله وللخارج فى سبيل الله » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبى عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبى يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ « من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ فذكره ، ومما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك أن هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الأعمش

عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية » قال أبو علي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه ، قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يارسول الله الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار بن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلا . وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية ابن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) : « الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم به ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا: سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصح إسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم

وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى ، وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال علي الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري إن صلى راءى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها . وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الخراز أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال المسعودي عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيدين أنه سئل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحق عن أبي العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وقال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه . وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك . وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة بإسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ويمنعون الماعون) يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد

وإبراهيم النخعى وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد أنها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجىء أهلها بعد وقال العوفى عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلف الناس فى ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير. ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبى سليم عن أبى إسحق عن الحارث عن على: الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو. وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبى حاتم وهذا الذى قاله عكرمة حسن فانه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شىء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد ابن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف. ولهذا جاء فى الحديث «كل معروف صدقة» وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن ابن أبى ذئب عن الزهرى (ويمنون الماعون) قال بلسان قريش المال. وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا فى إسناده ومتنه فقال حدثنا أبى وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمى حدثنا دلهم بن دهثم العجلى حدثنا عائذ بن ربيعة النميرى حدثنى قرة بن دعموص النميرى أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ما تعهد إلينا؟ قال «لا تمنعوا الماعون» قالوا يا رسول الله وما الماعون؟ قال «فى الحجر وفى الحديدة وفى الماء» قالوا فأى الحديدة؟ قال «قدوركم النحاس وحديد الفأس الذى تمتهنون به» قالوا ما الحجر؟ قال «قدوركم الحجارة» غريب جدا ورفعه منكر وفى إسناده من لا يعرف والله أعلم. وقد ذكر ابن الأثير فى الصحابة ترجمة على النميرى فقال روى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النميرى عن على بن فلان النميرى سمعت رسول الله ﷺ يقول «المسلم أخو المسلم إذا لقيه حياه بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون» قلت يا رسول الله ما الماعون. قال «الحجر والحديد وأشباه ذلك» والله أعلم. آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الكوثر وهى مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسما إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت فقال رسول الله ﷺ «إنه أنزلت على آنفا سورة» فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «هو نهر أعطانيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتى، فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثى وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد فى صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وأن آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائى من طريق على بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس، ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يا رسول الله. قال «لقد أنزلت على آنفا سورة» فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال «أتدرون ما الكوثر. — قلنا الله ورسوله أعلم قال — فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فى السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتى، فيقول إنك لا تدرى ما أحدث بعدك»

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وأنها منزلة معها. فأما قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) فقد تقدم فى هذا الحديث أنه نهر فى الجنة وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر)

قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجرى ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى فى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبى عدى عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى إلى مايجرى فيه الماء فإذا مسك أذفر قلت ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل » ورواه البخارى فى صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر » وهو لفظ البخارى رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسرى برسول الله ﷺ مضى به جبريل فى السماء الدنيا فإذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك قال « ياجبريل ما هذا النهر ؟ قال هو الكوثر الذى خبأ لك ربك » وقد تقدم حديث الاسراء فى سورة سبحان من طريق شريك عن أنس عن النبى ﷺ وهو مخرج فى الصحيحين . وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا أسير فى الجنة إذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقال الملك — الذى معه — أتدرى ماهذا ؟ هذا الكوثر الذى أعطاك الله ، وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبى شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنى محمد بن عبد الوهاب ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال « هو نهر أعطانيه الله تعالى فى الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر » قال أبو بكر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها »

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعى حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلا قال يارسول الله ما الكوثر ؟ قال « هو نهر فى الجنة أعطانيه ربى لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها ياعمر » رواه ابن جرير من حديث الزهرى عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء . وقال البخارى حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة رضى الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم ، ثم قال البخارى رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبى إسحاق ورواه أحمد والنسائى من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر فى الجنة شاطئاه در مجوف ، وقال إسرائيل : نهر فى الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء . وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق قال : قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثينى عن الكوثر قالت : نهر فى بطنان الجنة ، قلت وما بطنان الجنة ؟ قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت ، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبى جعفر الرازى عن ابن أبى نجيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل اصبعيه فى أذنيه ، وهذا منقطع بين ابن أبى نجيح وعائشة وفى بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لا أنه يسمعه بنفسه والله أعلم . قال السهيلى ورواه الدارقطنى مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة عن النبى ﷺ . ثم قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الكوثر هو الخير الذى أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير : فإن ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة

فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه ، ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبى بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الكوثر الخير الكثير ، وقال الثورى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لأن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبى الحسن البصرى حتى قال مجاهد هو الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ، وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل ، وروى العوفى عن ابن عباس نحو ذلك ، وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء ابن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أنه قال الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وكذا رواه الترمذى عن ابن حميد عن جرير عن عطاء ابن السائب به مثله موقوفا ، وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد حدثنا على بن حفص حدثنا ورقاء قال : وقال عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب والماء يجرى على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه وابن أبى حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا . وقال الترمذى حسن صحيح

وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لى محارب بن دثار ما قال سعيد ابن جبير فى الكوثر ؟ قلت حدثنا عن ابن عباس أنه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله إنه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت (إنا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب يجرى على الدر والياقوت » . وقال ابن جرير حدثنى ابن البرقى حدثنا ابن مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بنى النجار فقالت خرج يانبى الله آنفا عامدا نحوك فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار ، أولا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل فقدمت إليه حيسا فأكل منه فقالت يارسول الله هنيئا لك ومريئا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك أخبرنى أبو عمارة أنك أعطيت نهرا فى الجنة يدعى الكوثر فقال « أجل وعرضه - يعنى أرضه - ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض ، وهكذا روى عن أنس وأبى العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر فى الجنة ، وقال عطاء هو حوض فى الجنة ، وقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أى كما أعطيناك الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذى تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك فاعبده وحده لاشريك له وانحر على اسمه وحده لاشريك له كما قال تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعنى بذلك نحر البدن ونحوها ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظى والضحاك والربيع وعطاء الخراسانى والحكم وسعيد بن أبى خالد وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم عليه وإنه لفسق) الآية ، وقيل المراد بقوله (وانحر) وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروى هذا عن على ولا يصح ، وعن الشعبى مثله وعن أبى جعفر الباقر (وانحر) يعنى رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل (وانحر) أى استقبل بنحرك القبلة ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقد روى ابن أبى حاتم ههنا حديثا منكرا جدا فقال حدثنا وهب بن إبراهيم القاضى سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزى حدثنا

مقاتل بن حيان عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟ » فقال : ليست بنحيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وإن لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه الحاكم في المستدرك من حديث إسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراساني (وانحر) أي ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وأبرز نحرك يعني به الاعتدال رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم قال « شاتك شاة لحم » قال فان عندي عناقا هي أحب إلي من شاتين أفتجزىء عني ؟ قال « تجزئك ولا تجزىء أحداً بعدك » قال أبو جعفر بن جرير والصواب قول من قال إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصك به ، وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء . وقوله تعالى (إن شانئك هو الأبتر) أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت في العاص بن وائل وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان : قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة ، وقال شمر بن عطية نزلت في عقبة بن أبي معيط ، وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش ، وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنتم خير منه قال فنزلت (إن شانئك هو الأبتر) هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء نزلت في أبي لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك (إن شانئك هو الأبتر)

وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه إن شانئك يعني عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة : الأبتر الفرد ، وقال السدي كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد فأنزل الله (إن شانئك هو الأبتر) وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد . آخر تفسير سورة الكوثر ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهي مكية ﴾

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال: رمقت

النبي صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين أو خمسا وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . وقال أحمد حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال : رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أحمد الزبيري وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي إسحاق به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » قال أراها زينب قال ثم جاء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عنها قال « ما فعلت الجارية ؟ » قال تركتها عند أمها قال « فمجيء ما جاء بك » قال جئت لتعلمني شيئا أقوله عند منامي قال « اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك » تفرد به أحمد . وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمر القطراني حدثنا محمد بن الطفيل حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن جبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فإنها براءة من الشرك » . وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن بن[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يختمها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال قلت يا رسول الله علمني شيئا أقوله عند منامي قال « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك » والله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله تعالى (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال (لا أعبد ما تعبدون) يعني من الأصنام والأنداد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له ، فما ههنا بمعنى من ، ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ولهذا قال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئا من تلقاء أنفسكم كما قال (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه فإن العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه فالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أي لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (لكم دينكم ولي دين) كما قال تعالى (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقال (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) . وقال البخاري يقال (لكم دينكم) الكفر (ولي دين) الإسلام ولم يقل ديني لأن الآيات بالنون فحذف الياء كما قال (فهو يهدين) (ويشفين) وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم الذين قال (وليزيدن

(١) كذا بالأصل .

كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله (فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) وكقوله (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) وحكاه بعضهم كابن الجوزى وغيره عن ابن قتيبة فالله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال ﴿ أولها ﴾ ما ذكرناه أولا ﴿ الثانى ﴾ ما حكاه البخارى وغيره من المفسرين أن المراد (لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الماضى (ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى المستقبل ﴿ الثالث ﴾ أن ذلك تأكيد محض ﴿ وثم قول رابع ﴾ نصره أبو العباس بن تيمية فى بعض كتبه وهو أن المراد بقوله (لا أعبد ما تعبدون) نفى الفعل لأنها جملة فعلية (ولا أنا عابد ما عبدتم) نفى قبوله لذلك بالكلية لأن النفى بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الامكان الشرعى أيضاً وهو قول حسن أيضاً والله أعلم . وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة (لكم دينكم ولى دين) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشىء الواحد فى البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شتى » . آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

﴿ تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهى مدنية ﴾

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائى أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا جعفر عن أبى العميس ح وأخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لى ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت نعم : (إذا جاء نصر الله والفتح) قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة الربذى عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة . وقال الحافظ البيهقى أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا الاسقاطى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال « إنه قد نعيت إلى نفسى » فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرنى أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ثم قال « اصبرى فانك أول أهلى لحاقا بى » فضحكت وقد رواه النسائى كما سيأتى بدون ذكر فاطمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرد به البخارى . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثورى عن عاصم

عن أبي رزين عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعيت إلى نفسي » فانه مقبوض في تلك السنة تفرد به أحمد . وروى العوفي عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد إنها أجل رسول الله ﷺ نعى اليه . وقال ابن جرير حدثني إسماعيل بن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري عن أبي حازم عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن - قيل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال - قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » ثم رواه ابن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسلا . وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمه عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) حتى ختم السورة قال نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت قال فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال : لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قد نعيت اليه نفسه فقيل إذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) قال لما نزلت نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه

وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن أبي العميس عن أبي بكر ابن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا (إذا جاء نصر الله والفتح) وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لما نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال « الناس حيز وأنا وأصحابي حيز - وقال - لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا : صدق . تفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح « لاهجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فانفروا » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره ، معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون هي صلاة الضحى وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحوا من عشرة آلاف قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدا أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم يصليها كلها بتسليمة واحدة ، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان

توابا) قال النسائي أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس : قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة قال نعيت لرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فأخذ في أشد ما كان اجتهادا في أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقة يمان » وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور به . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال: قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في آخر أمره من قول « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » وقال : « إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان توابا فقد رأيتها (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) » ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند به . وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال « سبحان الله وبحمده » فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده قال « إني أمرت بها فقال (إذا جاء نصر الله والفتح) » إلى آخر السورة ، غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد فيكتب هينا

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء نصر الله والفتح) كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » ثلاثا تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به والمراد بالفتح هينا فتح مكة قولا واحداً فان أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للاسلام ولله الحمد والمنة ، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبي الحديث وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا « السيرة » فمن أراده فليراجعه هناك ولله الحمد والمنة . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي حدثني أبو عمار حدثني جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم علي فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا » . آخر تفسير سورة النصر ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة تبت وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقال « أرأيتم إن

حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ » قالوا نعم ، قال « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا ، تبا لك فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخرها . وفي رواية فقام ينفض يديه وهو يقول تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) الأول دعاء عليه والثاني خبر عنه فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما سمي أبا لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول إنه صابىء كاذب ، يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيرا ؟ قال لا والله إني يومئذ لأعقل أني أزفر القربة تفرد به أحمد . وقال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول « يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به » وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لأبي من هذا ؟ قال عمه أبو لهب رواه أحمد أيضا والطبراني بهذا اللفظ ، فقوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه (وتب) أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه . وقوله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن عباس وغيره (وما كسب) يعني ولده ، وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله ، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) . وقوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد (وامرأته حمالة الحطب) وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم ، ولهذا قال تعالى (حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له (في جيدها حبل من مسد) قال مجاهد وعروة : من مسد النار ، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي (حمالة الحطب) كانت تمشي بالنميمة واختاره ابن جرير . وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدلي والضحاك وابن زيد كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعزه إلى أحد والصحيح الأول والله أعلم قال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال المسد الليف وقال عروة بن الزبير المسد : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ، وعن الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا ، وقال الجوهري : المسد ، الليف ، والمسد أيضا حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسداً إذا أجدت فتله

وقال مجاهد (في جيدها حبل من مسد) أي طوق من حديد ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدا ؟ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر

وهى تقول : مذمما أبينا ودينه قلينا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك فقال رسول الله ﷺ « إنها لن ترانى » وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر إنى أخبرت أن صاحبك هجانى قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهى تقول قد علمت قريش أنى ابنة سيدها. قال: وقال الوليد فى حديثه أو غيره فعثرت أم جميل فى مرطها وهى تطوف بالبيت فقالت تعس مذمم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب إنى لحصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم ، وكلتانا من بنى العم ، وقريش بعد أعلم ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحق قالا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (تبت يدا أبى لهب) جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشىء فقال رسول الله ﷺ « إنه سيحال بينى وبينها » فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت إنك لمصدق فلما ولت قال أبو بكر ما رأتك ؟ قال « لا ، ما زال ملك يسترنى حتى ولت » ثم قال البزار لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبى بكر رضى الله عنه . وقد قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى (فى جيدها حبل من مسد) أى فى عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائما ، قال أبو الخطاب بن دحية فى كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد فى ذلك :

وبكرة ومحورا صرارا * ومسدا من أبق مغارا

قال والأبق القنب . وقال آخر : يا مسد الخوص تعوذ منى * إن تك لدنا لينا فإنى * ما شئت من أشمط مقسئن

قال العلماء وفى هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا ، لا مسرا ولا معلنا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة . آخر تفسير السورة ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الإخلاص وهى مكية ﴾

﴿ ذكر سبب نزولها وفضلها ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد بن ميسر الصاغانى حدثنا أبو جعفر الرازى حدثنا الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا للنبى ﷺ يا محمد : انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله هو أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) وكذا رواه الترمذى وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خداش عن أبى سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذى قال (الصمد) الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت وليس شىء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شىء . ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى سعيد محمد بن ميسر به ، ثم رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فذكره مرسلا ولم يذكر حدثنا ثم قال الترمذى وهذا أصح من حديث أبى سعيد

﴿ حديث آخر فى معناه ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ فقال انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد) إلى آخرها إسناد متقارب ، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن سريج فذكره وقد أرسله غير

واحد من السلف وروى عبيد بن إسحق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال الطبراني ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلا ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد ، الله الصمد ، والصمد ليس بأجوف

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري حدثنا محمد هو الذهلي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ « أخبروه أن الله تعالى يحبه » هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر محمد الذهلي ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضا من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري في كتاب الصلاة وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » قال إني أحبها ، قال « حبك إياها أدخلك الجنة » هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به . وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر بإسناده مثله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت . قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال « إن حبك إياها أدخلك الجنة » وهذا الذي علقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلا فقال حدثنا أبو النضر حدثنا مبارك ابن فضالة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبك إياها أدخلك الجنة » . ﴿ حديث في كونها تعدل ثلث القرآن ﴾ قال البخاري حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » زاد إسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي سعيد قال أخبرني أخي قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ وقد رواه البخاري أيضا عن عبد الله بن يوسف والقعنبي ، ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن مالك به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة » فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله . فقال « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي كلاهما عن أبي سعيد ، قال الفربري : سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق

أبي عبدالله قال : قال أبو عبدالله البخاري عن إبراهيم مرسل وعن الضحاك مسند .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « والذي نفسي بيده إنها لتعدل نصف القرآن ـ أو ثلثه ـ » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال فإن (قل هو الله أحد) ثلث القرآن قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب فقال « صدق أبو أيوب »

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ (قل هو الله أحد) ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله ﷺ « فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال « إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب واسم أبي حازم سلمان

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خيثم عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن امرأة من الأنصار عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فإنه من قرأ (قل هو الله أحد * الله الصمد) في ليلة فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » هذا حديث تساعي الاسناد للامام أحمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد بن بشار بندار زاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصار لهما عشاريا ، وفي رواية الترمذي عن امرأة أبي أيوب عن أبي أيوب به وحسنه ثم قال وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي سعيد وقتادة بن النعمان وأبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي مسعود ، وهذا حديث حسن ولا نعلم أحدا روى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة وتابعه على روايته إسرائيل والفضيل بن عياض . وقد روى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا هشيم عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصار قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به . ولم يقع في روايته هلال بن يساف

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا بكير بن أبي السميط حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ، « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال « فإن الله جزء القرآن ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد ثلث القرآن » ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن عمرو بن علي عن أمية بن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله . ورواه النسائي أيضا في اليوم والليلة من

حديث محمد بن إسحاق عن الحرث بن الفضيل الأنصاري عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أن نفرا من أصحاب محمد ﷺ حدثوه عن النبي ﷺ أنه قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها » .

﴿ حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة ﴾ قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله ﷺ « وجبت » قلت وما وجبت قال « الجنة » ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك وتقدم حديث « حبك إياها أدخلك الجنة » ﴿ حديث في تكرار قراءتها ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا قطن بن بشير حدثنا عبيس بن ميمون القرشي حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ قل هو الله أحد، ثلاث مرات في ليلة فإنها تعدل ثلث القرآن » هذا إسناد ضعيف وأجود منه

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا ابن أبي ذئب عن أسيد بن أبي أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال « قل » فسكت قال « قل » قلت ما أقول ؟ قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا ، تكفيك كل يوم مرتين » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن أبي ذئب به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائي من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله ابن حبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه « تكفك كل شيء » ﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني ليث بن سعد حدثني الخليل بن مرة عن الأزهر بن عبد الله عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله واحدا أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة » تفرد به أحمد والخليل بن مرة ضعفه البخاري وغيره بمرة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فائد عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة » فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ « الله أكثر وأطيب » تفرد به أحمد ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل وهو ابن معبد قال الدارمي وكان من الأبدال أنه سمع سعيد بن المسيب يقول إن نبي الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة » فقال عمر بن الخطاب إذا نكثر قصورنا ، فقال رسول الله ﷺ « الله أوسع من ذلك » وهذا مرسل جيد ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا نصر بن علي حدثني نوح بن قيس أخبرني محمد العطار أخبرتني أم كثير الأنصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » إسناده ضعيف ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائتي مرة كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » إسناد ضعيف ، حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق البصري عن حاتم بن ميمون به ولفظه « من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محي عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين »

قال الترمذي وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل : يا عبدي ادخل على يمينك الجنة » ثم قال غريب من حديث ثابت ، وقد روي من غير هذا الوجه عنه ، وقال أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا

أبي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة » ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر والأغلب بن تميم وهما متقاربان في سوء الحفظ ﴿ حديث آخر ﴾ في الدعاء بما تضمنته من الأسماء قال النسائي عند تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال « والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب ﴿ حديث آخر ﴾ في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الأعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن شيبان عن أبي شداد عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد » قال : فقال أبو بكر أو إحداهن يارسول الله قال « أو إحداهن » ﴿ حديث ﴾ في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن أبي زرعة عن عمرو ابن جرير عن جرير بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » إسناده ضعيف ﴿ حديث ﴾ في الاكثار من قراءتها في سائر الأحوال قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي حدثنا يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فأتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال « ياجبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ » قال إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه قال : « وفيم ذلك ؟ » قال كان يكثر قراءة قل هو الله أحد في الليل وفي النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يارسول الله أن أقبض الأرض فتصلي عليه : قال « نعم » فصلى عليه ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من طريق يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله أعلم . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو يعلى حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبدالله حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي من محمود أبي عبدالله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال : نزل جبريل على النبي ﷺ فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب أن تصلي عليه ؟ قال « نعم » فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت فرفع سريره فنظر إليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي ﷺ « ياجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى » قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته إياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال . ورواه البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور ، وقد روي هذا من طرق أخر تركناها اختصارا وكلها ضعيفة ﴿ حديث آخر ﴾ في فضلها مع المعوذتين قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله بم نجاة المؤمن ؟ قال : « ياعقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » قال ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأني فأخذ بيدي فقال « ياعقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » قال : قلت بلى جعلني الله فداك قال : فأقرأني (قل هو الله أحد ـ ـ وقل أعوذ برب الفلق ـ ـ وقل أعوذ برب الناس) ثم قال « ياعقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن » قال فما نسيتهن منذ قال لا تنسهن وما بت ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال : « ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك » روى الترمذي بعضه في الزهد من حديث عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد فقال هذا حديث حسن وقد رواه أحمد من طريق

آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عياش عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء تفرد به أحمد (حديث آخر) في الاستشفاء بهن قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا المفضل عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » وهكذا رواه أهل السنن من حديث عقيل به

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزير بن الله ، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله ، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالت المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ (قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الاثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله . وقوله تعالى (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار ، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤدده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله

وقال مالك عن زيد بن أسلم (الصمد) السيد ، وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه ، وقال الحسن أيضا (الصمد) الحي القيوم الذي لا زوال له ، وقال عكرمة (الصمد) الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم ، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيرا له وهو قوله (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح فيه ، وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي (الصمد) الذي لا جوف له . قال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لا جوف له ، وقال الشعبي هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب . وقال عبد الله بن بريدة أيضا (الصمد) نور يتلألأ ، روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده ، وقال حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش حدثنا صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم إلا قد رفعه قال « الصمد الذي لا جوف له » وهذا غريب جدا والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه . وقال البيهقي نحو ذلك . وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة . قال مجاهد (ولم يكن له كفوا أحد) يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء)أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون) وفي الصحيح صحيح البخاري « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم » وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل

كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد» ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعا بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين. آخر تفسير سورة الاخلاص، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورتي المعوذتين وهما مدنيتان ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها، قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبي ﷺ. ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبي لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما سمعا زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال إني سألت رسول الله ﷺ فقال «قيل لي قل فقلت» فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ. وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال سألت النبي ﷺ عنهما فقال «قيل لي فقلت لكم فقولوا» قال أبي فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول، وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش، وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال إني سألت النبي ﷺ فقال «قيل لي فقلت» فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ورواه البخاري أيضا والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب به. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا الصلت بن بهرام عن إبراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال سألنا عنهما رسول الله ﷺ قال «قيل لي فقلت» وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوهما في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ولله الحمد والمنة. وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس)» ورواه أحمد ومسلم أيضا والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح.

﴿طريق أخرى﴾ قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي «يا عقبة ألا تركب» قال فأشفقت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنية ثم ركب ثم قال «يا عقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس» قلت بلى يا رسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مر بي فقال «كيف رأيت يا عقب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت» ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر به ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث ابن وهب عن ميمون بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن اقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن علي بن أبي رباح وقال الترمذي غريب ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن عاهان عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقرأ بالمعوذتين فإنك لن تقرأ بمثلهما» تفرد به أحمد ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا

حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء فركبها فأخذ عقبة يقودها له فقال رسول الله ﷺ « اقرأ قل أعوذ برب الفلق » فأعادها له حتى قرأها فعرف أني لم أفرح بها جدا فقال « لعلك تهاونت بها ؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها » . ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقية به ، ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين فذكر نحوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زياد بن الأسد عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن أبي عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال « يا عقبة قل » قلت ماذا أقول ؟ فسكت عني ثم قال « قل » قلت ماذا أقول يا رسول الله ؟ قال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأتها حتى أتيت على آخرها ، ثم قال « قل » فقلت ما ذا أقول يا رسول الله ، قال « قل أعوذ برب الناس » فقرأتها ثم أتيت على آخرها ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن يسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء بن الحارث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن عامر قال : اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت: أقرئني سورة هود أو سورة يوسف فقال « لن تقرأ شيئا أنفع عند الله من قل أعوذ برب الفلق » ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله بن عابس الجهني أن النبي ﷺ قال له « يا ابن عابس ألا أدلك — أو ألا أخبرك — بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون » قال بلى يا رسول الله قال « قل أعوذ برب الفلق — وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان » فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث

وقد تقدم في رواية صدي بن عجلان وفروة بن مجاهد عنه « ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن (قل هو الله أحد — و — قل أعوذ برب الفلق — و — قل أعوذ برب الناس) » .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال : قال رجل كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يعتقبون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي فلحقني فضرب منكبي فقال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال (قل أعوذ برب الناس) فقرأها رسول الله ﷺ فقرأتها معه فقال « إذا صليت فاقرأ بهما » الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم . ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية به ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد بن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الأسلمي هو ابن أنيس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال « قل » فلم أدر ما أقول ثم قال لي « قل » قلت (هو الله أحد) ثم قال لي قل قلت (أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) حتى فرغت منها ثم قال لي « قل » قلت (أعوذ برب الناس) حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط » ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو حفص حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ يا جابر » قلت وما أقرأ بأبي أنت وأمي ؟ قال « اقرأ قل أعوذ برب الفلق — و — قل أعوذ برب الناس » فقرأتهما فقال « اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما » وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة ، ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر ثمانيتهم عن مالك به . وتقدم في آخر

سورة (ن) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما : رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا حسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: الفلق الصبح وقال العوفي عن ابن عباس (الفلق) الصبح ، وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرظي وابن زيد وابن جرير وهي كقوله تعالى (فالق الاصباح) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الفلق) الخلق ، وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله ، وقال كعب الأحبار (الفلق) بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبي حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سماه عن السدي عن زيد بن علي عن آبائه أنهم قالوا (الفلق) جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه . وكذا روى عن عمرو بن عنبسة والسدي وغيرهم . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثني إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «الفلق جب في جهنم مغطى» إسناده غريب ولا يصح رفعه . وقال أبو عبد الرحمن الحبلي (الفلق) من أسماء جهنم قال ابن جرير والصواب القول الأول إنه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى وقوله تعالى (من شر ما خلق) أي من شر جميع المخلوقات ، وقال ثابت البناني والحسن البصري جهنم وإبليس وذريته مما خلق (ومن شر غاسق إذا وقب) قال مجاهد غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وخصيف والحسن وقتادة إنه الليل إذا أقبل بظلامه وقال الزهري (ومن شر غاسق إذا وقب) الشمس إذا غربت ، وعن عطية وقتادة إذا وقب الليل ذهب وقال أبو المهزم عن أبي هريرة (ومن شر غاسق إذا وقب) الكوكب وقال ابن زيد : كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها

قال ابن جرير ولهؤلاء من الآثار ما حدثني نصر بن علي حدثني بكار عن عبد الله ابن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ومن شر غاسق إذا وقب — النجم الغاسق» ﴿قلت﴾ وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر ﴿قلت﴾ وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا أبو داود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه «تعوذي بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب» ولفظ النسائي «تعوذي بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب» قال أصحاب القول الأول وهو آية الليل إذا ولج هذا لا ينافي قولنا لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلا فيه وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم . وقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك . يعني السواحر قال مجاهد إذا رقين ونفثن في العقد وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال اشتكيت يا محمد ؟ فقال «نعم» فقال باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سحر ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن يزيد بن

حيان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فجاءه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجيء بها فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجها فجاءه بها فحللها قال فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير

وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال «يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال مطبوب، قال ومن طبه، قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقا، قال وفيم؟ قال في مشط ومشاطة، قال وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان» قالت فأتى البئر حتى استخرجه فقال «هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رءوس الشياطين» قال فاستخرج فقلت أفلا تنشرت؟ فقال «أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا» وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض وأبي أسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، وعنده فأمر بالبئر فدفنت وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد والليث بن سعد، وقد رواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير ورواه أحمد عن عفان عن وهيب عن هشام به ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله؟ قال مطبوب، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم وذكر تمام الحديث وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له ابن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل؟ قال طب، قال وما طب قال سحر قال ومن سحره؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال وأين هو قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي» ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين، الله يشفيك. فقالوا يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله فقال رسول الله ﷺ «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن يثير على الناس شرا» هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

هذه ثلاث صفة من صفات الرب عز وجل الربوبية والملك والإلهية فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهدا في الخبال، والمعصوم من عصمه الله

وقد ثبت فى الصحيح أنه « مامنكم من أحد إلا قد وكل به قرينه » قالوا وأنت يارسول الله قال« نعم إلاأن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » ، وثبت فى الصحيحين عن أنس فى قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال رسول الله « على رسلكما إنهـا صفية بنت حيي » فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا — أو قال شرا — » . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدي بن أبي عمارة حدثنا زياد النميري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس » غريب وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عثر بالنبي ﷺ حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبي ﷺ « لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » تفرد به أحمد إسناده جيد قوي وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا كان فى المسجد جاء الشيطان فأبس به كما يبس الرجل بدابته فإذا سكن له زنقه أو ألجمه » قال أبو هريرة رضي الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله ، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (الوسواس الخناس) قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله خنس ، وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينفث فى قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فإذا ذكر الله خنس وقال العوفي عن ابن عباس فى قوله (الوسواس) قال هو الشيطان يأمر فإذا أطيع خنس

وقوله تعالى (الذي يوسوس فى صدور الناس) هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر أو يعم بني آدم والجن ؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا فى لفظ الناس تغليبا وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع فى إطلاق الناس عليهم وقوله تعالى (من الجنة والناس) هل هو تفصيل لقوله (الذي يوسوس فى صدور الناس) ثم بينهم فقال (من الجنة والناس) وهذا يقوي القول الثاني وقيل قوله (من الجنة والناس) تفسير للذي يوسوس فى صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي حدثنا أبو عمر الدمشقي حدثنا عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو فى المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال فقمت فصليت ثم جلست فقال « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال : فقلت يارسول الله وللإنس شياطين ؟ قال « نعم » قال : فقلت يارسول الله الصلاة ؟ قال « خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر » قلت يارسول الله فالصوم ؟ قال « فرض مجزئ وعند الله مزيد » قلت يارسول الله فالصدقة ، قال « أضعاف مضاعفة » قلت يا رسول الله أيها أفضل ، قال « جهد من مقل أو سر إلى فقير » قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ، قال « آدم » قلت يا رسول الله ونبيا كان قال « نعم نبي مكلم » قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال « ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا » وقال مرة « خمسة عشر » قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم ، قال « آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) » ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان فى صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فالله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به قال : فقال النبي ﷺ « الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والأعمش كلاهما عن ذر به .

﴿ آخر التفسير ، ولله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين ﴾

(ويتلوه فضائل القرآن للمؤلف أيضا وبه يتم الكتاب إن شاء الله ولله الحمد والمنة على التمام ، إنه ولي الإنعام)

﴿ فهرس الجزء الرابع من تفسير ابن كثير ﴾

فضـــائل القرآن

وهو ذيل

تفسير الحافظ بن كثير

وضعه فى آخر التفسير وجعله متمما له

وجدناه فى آخر النسخة المكية الوحيدة المقابلة على نسخة المؤلف
ولكنه غير موجود فى النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق

القاهرة
[١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م]

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كتاب فضائل القرآن ﴾

قال البخاري رحمه الله[1] (كيف ينزل الوحي ؟ وأول مانزل) قال ابن عباس : المهيمن الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، قال أخبرتني عائشة ، وابن عباس ، قالا : لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً . اهـ

ذكر البخاري رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به، فجرينا على منواله وسنته مقتدين به . وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : ثنا المثنى ثنا عبدالله بن صالح حدثني معاوية عن علي – يعني ابن أبي طلحة – عن ابن عباس قوله (ومهيمناً عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وفي رواية شهيداً عليه . وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس (مهيمناً عليه) قال مؤتمناً ، وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف . وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن . وفي أسماء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شيء الرقيب الحفيظ بكل شيء[2] .

وأما الحديث الذي أسنده البخاري أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبي سلمة عنهما . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) هذا إسناد صحيح .

أما إقامته بالمدينة عشراً فهذا مما لاخلاف فيه . وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لأنه عليه السلام أوحي إليه وهو ابن أربعين سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح . ويحتمل أنه حذف مازاد على العشر اختصاراً في الكلام لأن العرب كثيراً مايحذفون الكسور في كلامهم أو أنهما انما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام ، فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الأمر يلقي إليه الكلمة والشيء ثم قرن

---

(١) أي في كتاب فضائل القرآن في أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب .

(٢) هذا تفسير اللفظ ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الأنبياء أو عليها هي الحق ومن شهادته أن أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مما ذكروا به وأنهم أوتوا نصيباً منه ، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع كتبهم وأنهم حرفوا بعض ماحفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها .

به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدىء بنزوله فى مكان شريف وهو البلد الحرام ، كما أنه فى زمن شريف ، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان .

ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن فى شهر رمضان ، لأنه ابتدىء بنزوله . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله فى كل سنة فى شهر رمضان فلما كانت السنة التى توفى فيها عارضه مرتين تأكيداً وتثبيتاً . وأيضاً ففى الحديث بيان أنه [1] من القرآن مكى ، ومنه مدنى . فالمكى ما نزل قبل الهجرة ، والمدنى ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أى البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة

وقد أجمعوا على سور أنها من المكى ، وأخر أنها من المدنى ، واختلفوا فى أخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط فى تقييدها عسر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة فى أولها شىء من الحروف المقطعة فهى مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (ياأيها الذين آمنوا) فهى مدنية ، وما فيه (ياأيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكى . وقد يكون مدنياً كما فى البقرة (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون - ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) .

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شىء فى القرآن (ياأيها الذين آمنوا) فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (ياأيها الناس) فإنه أنزل بمكة . ثم قال ثنا على بن معبد عن أبى المليح عن ميمون بن مهران ، قال ما كان فى القرآن (ياأيها الناس - و - يابنى آدم) فإنه مكى . وما كان (ياأيها الذين آمنوا) فإنه مدنى .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم . ومنهم من يستثنى من المكى آيات ، يدعى أنها من المدنى ، كما فى سورة الحج وغيرها .

والحق فى ذلك مادل عليه الدليل الصحيح فالله أعلم .

وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (ياأيها النبى إذا طلقتم النساء) ، و (ياأيها النبى لم تحرم) ، والفجر ، (والليل إذا يغشى) ، و (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) ولم يكن و (إذا زلزلت) و (إذا جاء نصر الله) . وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبى طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير .

وقد ذكر فى المدنى سوراً فى كونها مدنية نظر . وما به الحجرات والمعوذات .

(الحديث الثانى [2])

وقال البخارى ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبى ، عن أبى عثمان ، قال أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبى ﷺ « من هذا ؟ » [3] أو كما قال ، قالت هذا

---

(١) كذا فى الأصل والمراد أن الشأن وإلا لقال : أن من القرآن مكياً الخ أو : أن القرآن منه مكى الخ .

(٢) الحديث الأول هو الذى بدأ به الكتاب ولم يضع له عنوانا (٣) عبارة البخارى : فقال لأم سلمة الخ ولم يذكر القائل ﷺ والمراد أنه ﷺ سألها ليعلم هل تكونه جبريل أو تكونه ملكا تمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه

دحية ، فلما قام قالت(١) والله ماحسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل — أو كما قال — قال أبي(٢) فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال من أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسي ، ومسلم في فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

والغرض من إيراده هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام ، وهو ملك كريم ، ذو وجاهة وجلالة ومكانة ، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) الآيات .

فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً صلى الله وسلم عليهما ، وسنستقصي الكلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضي الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضاً لدحية بن خليفة الكلبي ، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً ما يأتي إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية ، وكان جميل الصورة رضي الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة ، وهم قبيلة من قضاعة وقضاعة قيل إنهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم .

﴿ الحديث الثالث ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، ثنا سعيد المقبري عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال قال : النبي ﷺ « مامن الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

ورواه أيضاً في الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله ، ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبري به .

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله ، وذلك أن معنى الحديث : مامن نبي إلا أعطي — أي من المعجزات — ما آمن عليه البشر ، أي ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما تحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر ، ففي كل حين هو كما أنزل . فلهذا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وكذلك وقع . فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ، ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزته . ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وقصر التحدي على هذا المقام في السور

---

(١) أي فلما قام النبي ﷺ من عندها أي وذهب إلى المسجد كما قالوا (٢) القائل هو معتمر

المكية . كما ذكرنا في المدنية أيضا كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضا

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والأخبار الصادقة ، عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة المحكمة ، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبي ثنا محمد بن إسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية ، قال فجئته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث . قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتاني جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بعدك ـ قال ـ فقلت له فأين المخرج ياجبريل ؟ ـ قال ـ فقال في كتاب الله ، به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك ـ مرتين ـ قول فصل ، وليس بالهزل ، لاتخلقه الألسن ، ولا تفنى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ماهو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبو عيسى الترمذي : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن علي الجعفي ، ثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت ياأمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة » فقلت فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذي لاتزيغ به الأهواء . ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منه العلماء . ولا يخلق عن كثرة الرد . ولاتنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق . ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » خذها إليك ياأعور . ثم قال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال ﴿ قلت ﴾ لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرئ حمزة من عهدته . على انه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما انه تعمد الكذب في الحديث فلا ، والله أعلم .

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليقظان ثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن إسحاق الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لايعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولاتنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما اني لا أقول : الم ، حرف ، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر »

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبي اسحاق الهجري ، واسمه ابراهيم بن مسلم وهو أحد

التابعين ولكن تكلموا فيه كثيرا ، وقال أبو حاتم الرازى : لين ليس بالقوى وقال أبو الفتح الأزدى : رفاع كثير الوهم . ﴿ قلت ﴾ فيحتمل والله أعلم أن يكون وهم فى رفع هذا الحديث وإنما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم

وقال أبو عبيد أيضاً ثنا حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : لايسأل عبد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله

﴿ الحديث الرابع ﴾

قال البخارى : ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرنى أنس بن مالك أن الله تابع الوحى على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحى ثم توفى رسول الله ﷺ بعد

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا — وهو الناقد — وحسن الحلوانى وعبد بن حميد والنسائى عن اسحاق ابن منصور الكوسج أربعتهم عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى به

ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحى على رسوله ﷺ شيئا بعد شىء كل وقت بما يحتاج إليه ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التى كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فإنه استلبث الوحى بعدها حينا يقال قريبا من سنتين أو أكثر ثم حمى الوحى وتتابع وكان أول شىء نزل بعد تلك الفترة (يا أيها المدثر ۞ قم فأنذر)

﴿ الحديث الخامس ﴾

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يامحمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى (والضحى ۞ والليل إذا سجى ۞ ما ودعك ربك وما قلى)

وقد رواه البخارى فى غير موضع أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق أخر عن سفيان وهو الثورى وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدى عن جندب بن عبد الله البجلى به . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث فى تفسير سورة الضحى

والمناسبة فى ذكر هذا الحديث والذى قبله فى فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة حيث جعل الوحى متتابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك أبلغ فى العناية والاكرام

قال البخارى رحمه الله (1) : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرآنا عربيا بلسان عربى مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك قال : فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها فى المصاحف وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتى قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخارى منه ظاهر وهو أن القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ثنا يزيد بن شيبان ابن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يملين فى مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد صحيح .

---

(1) فى البخارى هنا كلمة ﴿ باب ﴾ والمؤلف لا يذكر الأبواب فيما ينقله هنا عن البخارى كما تقدم مثله .

وقال أيضا حدثنا إسماعيل بن أسد ثنا هوذة ثنا عوف عن عبد الله بن فضالة قال : لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفراً من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فان القرآن نزل بلغة رجل من مضر ﷺ وقد قال الله تعالى (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك

ثم ذكر البخاري رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي فذكر الحديث في الذي سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم فجأه الوحي فأشار عمر إلى يعلى أي تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرّي عنه فقال « أين الذي سألني عن العمرة آنفا ؟ » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه في كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ولا يكاد ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين والله أعلم .

(جمع القرآن)

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال أرسل إلىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر إن عمر بن الخطاب أتانى فقال: إن القتل قد استحر (١) بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف (٢) وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره (٣) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهم .

وقد روى البخارى هذا فى غير موضع من كتابه . ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى به وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضى الله عنه فإنه أقامه الله تعالى بعد النبى ﷺ مقاما لا ينبغى لأحد من بعده : قاتل الاعداء من مانعى الزكاة والمرتدين والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا ورد الأمر إلى نصابه ، بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله . وكان هذا من سر قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

فجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضى الله عنه وأرضاه ، ولهذا روى عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثورى عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عبد خير عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن إسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى جمع القرآن بعد النبى ﷺ يقول : ختمه صحيح أيضا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أى اشتد القتل وكثر فى قراء القرآن يوم اليمامة . يعنى يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة ، بأرض اليمامة فى حديقة الموت

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف . فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشر ألفا ، فالتقوا معهم ، فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب . فنادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا . يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديداً ، وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً ، وأتبعتهم السيوف المسلمة فى أقفيتهم قتلا وأسراً ؛ وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا إلى الإسلام .

---

(١) استحر اشتد (٢) اللخاف بكسر اللام جمع لخفة وهى صفائح الحجارة الرقاق ، وتجمع على لخف بضمتين كما فى رواية أخرى (٣) يعنى أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحى لا أنه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونها فى الصلاة وغيرها.

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم . فلهذا أشار عمر على الصديق ، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال . فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا ، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته . فراجعه الصديق قليلا ليستثبت الأمر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت فى ذلك ، ثم صار إلى ما رأياه رضى الله عنهم أجمعين . وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصارى . ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ، ثنا يزيد بن مبارك ، عن فضالة عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال إنا لله ، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه فى المصحف . وهذا منقطع فان الحسن لم يدرك عمر . ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع ، ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه ، كما رواه ابن أبى داود حيث قال : ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمرو بن طلحة الليثى ، عن محمد بن عمرو ، عن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن ، كان لا يقبل من أحد شيئا ، حتى يشهد شاهدان ، وذلك عن أمر الصديق له فى ذلك كما قال أبو بكر بن أبى داود . ثنا أبو الطاهر . أنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق(١) أبو بكر رضى الله عنه أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فا كتباه(٢) منقطع حسن .

ولهذا قال زيد بن ثابت ووجدت آخر سورة التوبة — يعنى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر الآيتين — مع أبى خزيمة الأنصارى . وفى رواية مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره(٣) فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين فى قصة الفرس الذى ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابى فأنكر الأعرابى البيع ، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابى . والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازى عن الربيع ، عن أبى العالية أن أبى بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت . وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثى ، عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . أن عثمان شهد بذلك أيضا

وأما قول زيد بن ثابت : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال . وفى رواية من العسب والرقاع والاضلاع . وفى رواية من الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال . أما العسب فجمع عسيب ، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى : وهو من السعف فويق الكرب ، لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف . واللخاف جمع لخفة وهى القطعة من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير وذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله ﷺ .

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه ، فتلقاه زيد ، هذا من عسبه ، وهذا من لخافه ، ومن صدر هذا ، أى من حفظه وكانوا أحرص شىء على أداء الأمانات . وهذا من أعظم الأمانة ، لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده ، كما قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) فصلى صلوات الله وسلامه عليه

---

(١) فرق كتعب خاف أى خاف أن يضيع منه شىء — كما فى الروايات الأخرى — إذا مات جميع حفاظه قبل أن يكتب (٢) لعل المراد الشهادة على المكتوب وقد كان زيد ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ وكذلك عمر كان يحفظه (٣) أى لم يجدها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عمن كتبها وتقدم فى حاشية قبل هذه أنها كانت محفوظة وأن زيدا كان يسأل عن شىء يحفظه ويعرفه .

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رءوس الأشهاد ، والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين فقال « إنكم مسئولو عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت . فجعل يشير بأصبعه إلى السماء عليهم ويقول « اللهم اشهد . اللهم اشهد . اللهم اشهد » رواه مسلم عن جابر .

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال « بلغوا عني ولو آية » يعني ولو لم يكن مع أحدهم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه فبلغوا عنه ما أمرهم به . فأدوا القرآن قرآناً ، والسنة سنة ، لم يلبسوا هذا بهذا

ولهذا قال عليه السلام « من كتب عني سوى القرآن فليمحه » أي لئلا يختلط بالقرآن ، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها والله أعلم . فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ولله الحمد والمنة

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده ، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة . فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصيه من أولاده على أوقافه وتركته . وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سنذكره إن شاء الله .

« كتابة عثمان رضي الله عنه للمصاحف » (١)

قال البخاري رحمه الله : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا إبراهيم ، ثنا ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن (٢) فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (٣)

قال ابن شهاب الزهري فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، سمع زيد بن ثابت فقال ، فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري

---

(١) هذا العنوان من وضع المطبعة لا من وضع المؤلف

(٢) أي إذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها من نحو همز وغيره فإنه نزل بها لأنها لغة الرسول ﷺ وأفصح لغات العرب وإنما أقرأ جبريل النبي ﷺ بغيرها من لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره

(٣) حكمة ذلك أن مصحف حفصة هو الذي نسخت عنه المصاحف الرسمية التي نشروا في جمعها ونسخها فيخشى من إباحة وجود غيرها أن يكون في بعضها غلط أو أن تكون سببا للتكذيب والاختلاف

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألحقناها في سورتها بالمصحف . وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه

فان الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء . وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة . وإنما روى عن عبد الله بن مسعود شيء من التغضب بسبب انه لم يكن ممن كتب المصاحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ماعدا المصحف الامام . ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق . حتى قال على بن أبي طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا ، فاتفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى على أن ذلك من مصالح الدين . وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وكان السبب في هذا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، فانه لما كان غازيا في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق ، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافا وافتراقا ، فلما رجع إلى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى

وذلك ان اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب ، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعانى أيضا ، وليس في توراة السامرة حروف الهمزة ، ولا حرف الهاء ولا الياء ، والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختى اليهود والسامرة .

وأما الأناجيل التي بأيدى النصارى فأربعة : انجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل يوحنا ، وهي مختلفة أيضا اختلافا كثيراً . وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم . منها ماهو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط . ومنها ماهو أكثر من ذلك ، إما بالنصف أو الضعف . ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام ، وأيامه ، وأحكامه ، وكلامه ، ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله ، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا . وكذلك التوراة مع مافيها من التحريف والتبديل ، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه ، وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل اليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد ؛ وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ماسواه ؛ ففعلت حفصة. وأمر عثمان هؤلاء الأربعة ؛ وهم زيد بن ثابت الأنصارى ؛ أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وعبدالله بن الزبير بن العوام القرشى الاسدى ؛ أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علما وعملا ؛ وأصلا وفضلا . وسعيد بن العاص بن أمية القرشى الأموى وكان كريما جوادا ممدحا ؛ وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى

فجلس هؤلاء النفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخا . وإذا اختلفوا في موضع الكتابة على أى لغة رجعوا إلى عثمان ، كما اختلفوا في التابوت ، أيكتبونه بالتاء أو الهاء ؟ فقال زيد بن ثابت إنما هو التابوه ، وقال الثلاثة القرشيون إنما هو التابوت ، فتراجعوا إلى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فإن القرآن نزل بلغتهم . وكأن عثمان رضى الله عنه والله أعلم رتب السور في المصحف ، وقدم السبع الطول وثنى بالمئين (١)

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذى والنسائى ، من حديث غير واحد من الأئمة الكتاب ، عن عوف الأعرابى عن يزيد الفارسى ، عن ابن عباس قال : قلت لعثمان بن عفان ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال ، وهي من المثانى ، وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها في السبع الطول ، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا »

(١) إنما كان الترتيب توقيفياً على العرضة الأخيرة كما في الصحاح

وكانت الأنفال من أول ما نزلت بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وحسبت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يتبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول .

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن النبي ﷺ

وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (١) ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته ، فإن نكسه أخطأ خطأً كثيراً . وأما ترتيب السور فيستحب اقتداء بعثمان رضي الله عنه . والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا ، كما قرأ عليه السلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين ، وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية . فإن فرق جاز ، كما صح أن رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة ، رواه مسلم عن أبي قتادة

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم) السجدة وهل أتى على الإنسان . وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضا ، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، أخرجه مسلم وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف

ثم إن عثمان رضي الله عنه رد الصحف إلى حفصة رضي الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت ، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة (٢)

---

(١) قال صاحب المنار : هذا خطأ لا يصح في جميع السور بل هو باطل واعتمده بعضهم في هاتين السورتين عملا بهذه الرواية وهو مردود أيضا وقد انتقدته في تفسير المنار بقولي بعد نقله عن الألوسي ما نصه :

وأقول إن جواب عثمان لابن عباس (رضي الله عنهم) هو كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب يقول « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها في السبع الطول اه

ولأجل هذه الرواية ذهب البيهقي إلى أن ترتيب جميع السور توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأنفال وبراءة ووافقه السيوطي . ويرد عليه أنه لا يعقل أن يرتب النبي صلى الله عليه وسلم جميع السور إلا الأنفال وبراءة ، وقد صح أنه ﷺ كان يتلو القرآن كله في رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحدة من كل عام فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين ، فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته ؟ التحقيق أن وضعهما في موضعهما توقيفي وإن فات عثمان أو نسيه ولولا ذلك لعارضه الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن كما روى عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره في الأقطار

وهذا الحديث قال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف (بن أبي جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس اه ويزيد الفارسي هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره والصحيح انه غيره روى عن ابن عباس وحكى عن عبيد الله بن زياد وكان كاتبه وعن الحجاج بن يوسف في أمر المصاحف . وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه ، وقال أبو حاتم لا بأس به . اه ملخصاً من تهذيب التهذيب ، فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر

(٢) الأولى بل المتعين أن يقال لئلا يدعي أحد بعد ذلك أن فيها ما يخالف هذه المصاحف فانها كانت صحفاً منثورة يظهر أنها لم تكن قوية بشكل واحد وقياس واحد فتتخذ مصحفاً إماما يصلح للبقاء كالمصاحف التي نسخت لهذا الغرض وجعلت رسمية بالاجماع . وقد نقلت صحف الأخبار العامة أن أحدها وهو الذي كان محفوظا عند قاضي سمرقند وهبه خلفهم الشيوعيون لأمير بخارى بعد أن أخذوا صورة منه بالآلة الشمسية (الفوتوغرافية) ويقال إن الأصل فقد فلم يصل إلى الأمير

التي نفذها عثمان إلى الآفاق ، مصحفا إلى مكة ، ومصحفا إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وترك عند أهل المدينة مصحفا . رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني ، سمعه يقوله . وصحح القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف – وهذا غريب – وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن تحرق لئلا تختلف قراءات الناس في الآفاق . وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم . وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه – قاتلهم الله – وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له . وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فكلهم وافقوه .

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغندر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال علي حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته . وقال أبو بكر بن أبي داود ثنا أحمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد ، وهذا إسناد صحيح ، وقال أيضا حدثنا إسحق بن إبراهيم الصواف ثنا يحيى بن كثير ثنا ثابت بن عمارة الحنفي قال سمعت غنيم بن قيس المازني قال قرأت القرآن على الحرفين جميعا ، والله ما يسرني أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله . قال قلنا له يا أبا العنبر لم ؟ قال لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر . وحدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عبد الله حدثني عمران بن حدير عن أبي مجلز قال لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرءون الشعر . وحدثنا أحمد بن سنان سمعت ابن مهدي يقول : خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلوما . وجمعه الناس على المصحف

وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال إسرائيل عن أبي إسحق عن خمير بن مالك قال لما أمر بالمصاحف يعني بتحريقها ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال : من استطاع منكم أن يغلّ مصحفاً فليغلل فانه من غل شيئا جاء بما غل يوم القيامة ثم قال عبد الله لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي أفأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ

وقال أبو بكر ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن النضر ثنا سعيد بن سليمان ثنا ابن شهاب عن الأعمش عن أبي وائل قال خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : من يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، غلوا مصاحفكم ، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة (١) وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله مني ، وما أنا بخيركم ، ولو أعلم مكانا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته . قال أبو وائل فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق فما أحد ينكر ما قال . أصل هذا مخرج في الصحيحين وعندهما : ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله

وقول أبي وائل فما أحد ينكر ماقال يعني من فضله وحفظه وعلمه والله أعلم . وأما أمره بغل المصاحف وكتمانها فقد أنكره عليه غير واحد . قال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال كنا نعد عبد الله جبانا فما باله يواثب الأمراء ؟

وقال أبو بكر بن أبي داود : باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك : حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالا ثنا أبو أسامة حدثني زهير حدثني الوليد بن قيس عن عثمان بن حسان العامري عن فلفلة الجعفي قال فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم إنا لم نأتك زائرين ولكنا جئناك راعنا هذا الخبر . فقال إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف – أو حروف – وإن الكتاب قبلكم كان ينزل – أو نزل – من باب واحد على حرف واحد . وهذا الذي استدل به أبو بكر رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا تظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه والله أعلم .

(١) الغلول : السرقة من الغنائم مراده ان حفظ هذا العدد من السور في مكة وفي أوائل الهجرة قبل أن يرشد زيد ويكتب القرآن وإلا فهو قد كان يحفظ القرآن كله وكتبه ويجوز أن يكون أصله سبعين مرة

وقال أبو بكر أيضاً حدثني عمي ثنا أبو رجاء ثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل والله ما يقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به (١) فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك شيء كثير، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم: لسمعت(٢) رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال فأي الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص؛ قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد. فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون قد أحسن؛ إسناد صحيح

وقال أيضاً ثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت؟ قال فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه قال محمد فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال لا قال محمد فظننت ظنا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله. صحيح أيضاً ﴿قلت﴾ الربعة هي الكتب المجتمعة وكانت عند حفصة رضي الله عنها؛ فلما جمعها عثمان رضي الله عنه في المصحف ردها إليها ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها لأنها هي بعينها الذي كتبه وإنما رتبه (٣) ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها فما زالت عندها حتى ماتت؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول في ذلك ما تأول عثمان كما رواه أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف التي كتب منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها قال سالم فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشققت

وقال مروان إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب (٤) إسناد صحيح

وأما ما رواه الزهري عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر وإنما هذا كان حال جمع الصديق المصحف كما جاء مصرحا به في غير هذه الرواية عن الزهري عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال فألحقناها في سورتها من المصحف وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية.

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حفظا على الناس القرآن وجمعاه لئلا يذهب منه شيء؛ وعثمان رضي الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام فإنه عارضه به عامئذ مرتين ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض « وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي » أخرجاه في الصحيحين

وقد روى أن عليا رضي الله عنه أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتبا بحسب نزوله أولا فأولا كما رواه ابن أبي داود رحمه الله حيث قال ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ثنا ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين قال لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه بعد أيام أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ فقال: لا والله إلا إني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة؛ فبايعه ثم رجع. هكذا رواه وفيه انقطاع

(١) أي ما وجد معه شيء منه إلا جاء به (٢) أي تقسم إنك سمعت الخ

(٣) الصواب أنه جمعها في مصاحف متينة تجلد وتبقى وأما ترتيبها فقد كان توقيفياً كله على العرضة الأخيرة تراه في رواية الصحيحين هنا. وما سبق من استثناء الأنفال والتوبة ضعيف كما سبق

(٤) هذا هو الحق المعقول فالمراد من إتلافها سد ذريعة التقول والتشكيك كما قلنا

ثم قال لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهو لين الحديث وإنما رووا : حتى أجمع القرآن . يعني أتم حفظه فانه يقال للذي يجمع(١) القرآن قد جمع القرآن ﴿قلت﴾ وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر والله أعلم فان عليا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك (٢) ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال إنها بخط على رضى الله عنه وفي ذلك نظر فان في بعضها [كتبه على بن أبوطالب] (٣) وهذا لحن من الكلام وعلى رضى الله عنه من أبعد الناس عن ذلك فانه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيما رواه عنه الأسود ظالم بن عمرو الدؤلى وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده ثم أخذ الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه وصار علما مستقلا

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله ، وقد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمائة ، وقد رأيته كتابا عزيزاً جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوى بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل والله أعلم ، زاده الله تشريفا وتعظيما وتكريما

فأما عثمان رضى الله عنه فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه وغيره فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدى عثمان ثم نفذت إلى الآفاق رضى الله عنه

وقد قال أبو بكر بن أبي داود ثنا على بن حرب الطائى ثنا قريش بن أنس ثنا سليمان التيمى عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى بني أسيد قال لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده فوقعت على (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فمد يده وقال والله انها لأول يد خطت المفصل . وقال أيضا ثنا أبو الطاهر ثنا ابن وهب قال سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لى ذهب ، يحتمل انه سأله عن المصحف الذى كتبه بيده (٤) ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذى تركه في المدينة والله أعلم .

﴿قلت﴾ وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جداً ، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره أن بشر بن عبد الملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الانبار ، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب ، وقيل إن أول من تعلمه من الانبار قوم من طىء من قرية هناك يقال لها بقة ، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود ثنا عبد الله بن محمد الزهرى ثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من أهل الانبار

﴿قلت﴾ والذى كان يغلب على زمان السلف الكتابة المتكوفة ثم هذبها أبو على بن مقلة الوزير وصار له في ذلك نهج وأسلوب في الكتابة ، ثم قربها على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه ، وطريقته في ذلك واضحة جيدة . والغرض أن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيداً وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى وصنف الناس في ذلك . واعتنى بذلك الامام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ، والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمه الله فبوبا على ذلك وذكرا قطعة صالحة هي من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا

ولهذا نص الإمام مالك على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الامام . ورخص غيره في ذلك . واختلفوا في الشكل والنقط ، فمن مرخص ومن مانع

---

(١) لعل الأصل للذى يحفظ (٢) هذه الاشاعات من وضع الروافض المفترين ومن غلاتهم من زعم أن في مصحفه عليه السلام زيادات وخلافا وأن المهدى سيظهره ، وهي أكاذيب تتضمن مطاعن شديدة في على وآل بيته من كتمان ما أنزل الله واستحقاق لعن الله للكاتمين ما أنزل الله، برأ الله آل بيت رسوله من مفترياتهم ولعن الله مفتريها

(٣) هذا الغلط يدل على أن الكاتب له أعجمى فالظاهر أنه من زنادقة الفرس كما تراه في حاشية أخرى

(٤) أى كتبه لنفسه فان المصاحف التى كتبتها الجماعة وقرئت على علماء الصحابة قد وزعت على الأمصار

وأما كتابة السورة وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا . والأولى اتباع السلف الصالح . ثم قال البخاري :

﴿ ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

وأورد فيه من حديث الزهري ، عن ابن السباق عن زيد بن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نحو ماتقدم في جمعه القرآن وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) ولم يذكر البخاري أحدا من الكتاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا والله أعلم . وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كتابه عليه الصلاة والسلام

ثم قال البخاري رحمه الله ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وقد رواه أيضا في بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضا عن معمر كلاهما عن الزهري بنحوه ورواه ابن جرير من حديث الزهري به ، ثم قال الزهري بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا في حرام وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الامام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال : ماحاك في صدري شيء منذ أسلمت إلا أنني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أقرأتني آية كذا وكذا ؟ قال « نعم » وقال الآخر أليس تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال « نعم » فقال « إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف »

وقد رواه النسائي من حديث يزيد — وهو ابن هارون — ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب بنحوه . وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو الوليد ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فأدخل بينهما عبادة بن الصامت .

---

(١) كتاب جمع كاتب والذي في نسخ البخاري ﴿ باب كاتب النبي ﷺ ﴾ ويعني به زيد بن ثابت . قال الحافظ ابن حجر في الفتح قال ابن كثير : ترجم كتاب النبي ﷺ ولم يذكر سوى حديث زيد بن ثابت . . . الخ ثم قال الحافظ إنه لم يقف عليه في شيء من نسخ البخاري إلا بلفظ كاتب وهو مطابق لحديث الباب اه يعني أن البخاري قصد بهذا الباب ذكر زيد بن ثابت وحده [لأنه كان أكثر ما يكتب ولكثرة تعاطيه الكتابة أطلق عليه اسم ﴿ الكاتب ﴾ بلام العهد] يريد ان ابن كثير استشكل ذكره زيداً وحده لأنه أي ابن كثير نقل ترجمة الباب بالجمع كتاب وهو لم يعرف في نسخ الصحيح . وذكر الحافظ كتاب الوحي بمكة والمدينة ومنه قوله : وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدي ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبد الله ابن الأرقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين اه

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد حدثني عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فقمنا جميعا فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فقال لهما النبي ﷺ « اقرءا — فقرءا فقال — أصبتما » فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال كبر على ولا إذا كنت في الجاهلية فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا . وكأنما أنظر إلى الله فرقا ، فقال « يا أبي إن الله أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هوّن على أمتي ، فأرسل إلى أن اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي ، فأرسل إلى أن اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها — قال — قلت اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت خفف عن أمتي ، فقال اقرأه على حرفين فقلت رب خفف عن أمتي ، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة ، كلها شاف كاف »

وقال ابن جرير حدثني يونس عن ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألت من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما اقرأني رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما « اقرأ — فقرأ فقال — أحسنت — ثم قال للآخر — اقرأ — فقرأ — فقال — أحسنت » قال أبيّ فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي فضرب بيده في صدري ثم قال « اللهم أخسئ الشيطان عنه ، يا أبيّ أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت رب خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت رب خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثل ذلك ، ثم أتاني الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة — فقال — يا رب اللهم اغفر لأمتي يارب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة » إسناد صحيح ﴿ قلت ﴾ وهذا الشك الذي حصل لأبي في تلك الساعة هو والله أعلم السبب الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة اعلام وابلاغ ودواء لما كان حصل له سورة (لم يكن) إلى آخرها لا شتمالها على قوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه من الحديبية على عمر بن الخطاب وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ ولأبي بكر الصديق ، وفيها قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب أن رسول الله كان عند إضاه بني غفار فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته فان أمتي لا تطيق ذلك » قال ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به

وفي لفظ لأبي داود عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إني أقرئت القرآن فقيل لي على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي قل على حرفين فقيل لي على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعا عليما عزيزاً حكيما مالم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب » وقد روى ثابت بن قاسم نحواً من هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحو ذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن على الجعفي عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبي قال لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المرا فقال رسول الله ﷺ لجبريل « إني بعثت إلى أمة أميين ، فيهم الشيخ العاسي والعجوز الكبيرة والغلام ، فقال مرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ لقي جبريل عند أحجار المرا فذكر الحديث والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال « لقيت جبريل عند أحجار المرا فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية ، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ العاسي الذي لم يقرأ كتابا قط ، فقال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » وقال أحمد أيضا ثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ربعي بن خراش ؟ قال حدثني من لم يكذبني — حذيفة — قال لقي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المرا فقال إن أمتك يقرءون القرآن على سبعة أحرف . فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . وقال عبد الرحمن إن من أمتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه . هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر ﴾ في معناه عن سليمان بن صرد ، قال ابن جرير ثنا إسماعيل بن موسى السدي ثنا شريك عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد يرفعه قال « أتاني ملكان فقال أحدهما اقرأ ، قال على كم ؟ قال على حرف ، قال زده حتى انتهى إلى سبعة أحرف »

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحاق الأزرق عن العوام بن حوشب عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد قال أتى أبي بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلفا في القراءة فذكر الحديث ، وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن العوام عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد عن أبي أنه أتى النبي ﷺ برجلين فذكره

وقال ابن جرير ثنا أبو كريب ثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن فلان العبدي — قال ابن جرير ذهب عني اسمه — عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب ، قال رحت إلى المسجد فسمعت رجلا يقرأ ، فقلت من أقرأك ؟ قال رسول ﷺ فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت استقرىء هذا ، قال فقرأ فقال « أحسنت » قال قلت إنك أقرأتني كذا وكذا فقال « وأنت قد أحسنت قد أحسنت قد أحسنت » قال فضرب بيده على صدري ثم قال « اللهم أذهب عن أبي الشك » قال ففضت عرقاً ، وامتلأ جوفي فرقاً ، قال : ثم قال « إن الملكين أتاني ، فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر زده ، قال قلت زدني فقال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف اقرأه على سبعة أحرف »

وقد رواه أبو عبيد عن حجاج عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن ستير العبدي عن سليمان بن صرد ، عن أبي عن النبي ﷺ بنحو ذلك . ورواه أبو داود عن الوليد الطيالسي عن همام عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب بنحوه . فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعي شاهد ذلك والله أعلم .

﴿ حديث آخر عن أبي بكرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ قال « أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد فقال ميكائيل استزده قال اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف مالم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة به وزاد في آخره « كقولك هلم وتعال »

﴿ حديث آخر عن سمرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا بهز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إسناد صحيح ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر عن أبي هريرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم عن أبي سلمة لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف ، مراء في القرآن كفر — ثلاث مرات — فما علمتم منه فاعملوا ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض به

﴿ حديث آخر عن أم أيوب ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عبيد الله — هو ابن أبي يزيد — عن أبيه عن أم أيوب — يعني امرأة أبي أيوب — الأنصارية أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزأك » وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة

﴿ حديث آخر عن أبي جهم ﴾ قال أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي — وقال غيره عن بسر بن سعيد — عن أبي جهم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهم أن رسول الله ﷺ قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا فإن مراء فيه كفر » وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب فقال حدثنا أبو سلمة الخزاعي ثنا سليمان بن بلال حدثني يزيد بن خصيفة أخبرني بسر بن سعيد حدثني أبو جهم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبي ﷺ فقال « القرآن يقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن مراء في القرآن كفر » وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه

ثم قال أبو عبيد : ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال عمرو — يعني ابن العاص — إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل فقال الرجل هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكرا ذلك له فقال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأي ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا في القرآن فإن مراء فيه كفر » ورواه الإمام أحمد عن أبي سلمة الخزاعي عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه وفيه « فإن المراء فيه كفر إنه الكفر به » وهذا أيضاً جيد

﴿ حديث آخر عن ابن مسعود ﴾ قال ابن جرير ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال « كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به ، كل من عند ربنا » ثم رواه عن أبي كريب عن المحاربي عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه والله أعلم

﴿ فصل ﴾ قال أبو عبيد قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان عن حماد

ابن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف » قال : أبو عبيد ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة ، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغــات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى سوى الأولى والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض وذلك بين في أحاديث تترى

قال وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ، قال أبو عبيد والعجز هم بنو أسعد بن بكر وخيثم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهم عليا هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم ، ولهذا قال عمر : لا يملي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف قال ابن جرير واللغتان الآخرتان قريش وخزاعة رواه قتادة عن ابن عباس ولكن لم يلقه

قال أبو عبيد ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال أبو عبيد يعني انه كان يستشهد به على التفسير ، وحدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد أو مجاهد عن ابن عباس في قوله (والليل وما وسق) قال وما جمع وأنشد

* قد اتسقن لو يجدن سائقا *

حدثنا هشيم أنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) قال الأرض قال وقال ابن عباس قال أمية بن أبي الصلت : (١)

* عندهم لحم بحر ولحم ساهرة *

حدثنا يحي بن سعيد عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ابن عباس قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض ؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها ، أنا ابتدأتها ، إسناد جيد أيضا

وقال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله بعد ما أورد طرفا مما تقدم : وصح وثبت ان الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع إذ كان معلوما ان ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه ، ثم قال وما برهانك على ما قلته دون ان يكون معناه ما قاله مخالفوك من انه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك عن سلف الأمة وخيار الأئمة ؟ قيل له إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا ان تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت انهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك اقولنا مخالفا ، وانما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة كما تقدم . يعني كما تقدم في رواية أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة

قال ابن جرير : والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى استوجب به الجنة ، ثم بسط القول في هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف .

ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم ، جمعهم على حرف واحد وهو هذا المصحف الإمام . قال واستوسقت له الأمة على ذلك ؟ بل أطاعت ورأت أن فيما فعله الرشد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف الستة . التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ،

---

(١) الشاهد الذي هنا ليس مصرانا موزونا . وفي لسان العرب انه فسر الساهرة بالأرض وأنشد :

وفيها لحم ساهرة وبحر ＊ وما فاهوا به أبداً مقيم

ونظاراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وانعفت آثارها . فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ؛ لدثورها وعفو آثارها ـ إلى أن قال : فإن قال من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟ قيل إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العمل[1] بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين ـ إلى أن قال ـ فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي ﷺ « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » بمعزل ، لأن المراء في مثل هـذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب ﷺ بالمراء في الأحرف السبعة الكفر كما تقدم[2]

﴿ الحديث الثاني ﴾

قال البخاري رحمه الله ثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاريّ حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال ﷺ « كذلك أنزلت » ثم قال « اقرأ يا عمر » فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذلك أنزلت ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه »

وقد رواه الإمام أحمد والبخاري أيضا ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري ، ورواه الإمام أحمد أيضا عن ابن مهدي عن مالك عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد (القاري) عن عمر فذكر الحديث بنحوه

وقد قال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا حرب بن ثابت ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال : قرأ رجل عند عمر فغير عليه ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير على ، قال فاجتمعا عند النبي ﷺ فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له « قد أحسنت » قال فكأن عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « يا عمر إن القرآن كله صواب مالم تجعل عذاب مغفرة ، ومغفرة عذاب »[3] وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت لا نعرف أحدا جرحه

﴿ أقوال العلماء في معنى السبعة الأحرف[4] ﴾

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال ؟ قال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره : وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة

---

(١) في نسخة طبعة الخشاب لتفسيره : العلم (٢) اختصر هذا الجواب وأورده بالمعنى لا بلفظه .

(٣) كذا في الأصل (٤) العنوان ليس من الأصل

وثلاثين قولا ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي ونحن نذكر منها خمسة أقوال ﴿قلت﴾ ثم سردها القرطبي وحاصلها ما أنا مورده ملخصا

﴿ فالأول ﴾ وهو قول أكثر أهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبدالله بن وهب وأبو جعفر محمد بن جرير والطحاوى أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم . وقال الطحاوى وأبين ما ذكر فى ذلك حديث أبى بكرة قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل .

وروى ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) : للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا أخرونا ، للذين آمنوا ارقبونا ، وكان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه) : مروا فيه ، سعوا فيه(١) قال الطحاوى وغيره وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، وقد ادعى الطحاوى والقاضى الباقلانى والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة فى أول الأمر ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة .

﴿ قلت ﴾ وقال بعضهم إنما كان الذى جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم . وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم فى القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضا . فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التى عارض بها جبريل رسول الله ﷺ فى آخر رمضان كان من عمره عليه السلام وعزم عليهم أن لا يقرءوا بغيرها . وأن لا يتعاطوا الرخصة التى كانت لهم فيها سعة . ولكنها أدت إلى الفرقة والاختلاف كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال فلو أنا أمضيناه عليهم ، وأمضاه عليهم . وكذلك كان ينهى عن المتعة فى أشهر الحج لئلا تنقطع زيارة البيت فى غير أشهر الحج . وقد كان أبو موسى يفتى بالتمتع فترك فتياه اتباعا لأمير المؤمنين ، وسمعا وطاعة للأئمة المهديين ،

﴿ القول الثانى ﴾ أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر ، قال الخطابى وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما فى قوله (وعبد الطاغوت) و (يرتع ويلعب) قال القرطبى ذهب إلى هذا القول أبو عبيد واختاره ابن عطية ، قال أبو عبيد : وبعض اللغات أسعد به من بعض ، وقال القاضى الباقلانى : ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش أى معظمه ، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى (قرآنا عربيا) ولم يقل قرشيا ، قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا ، يعنى حجازها ويمنها ، وكذا قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، قال لأن لغة غير قريش موجودة فى صحيح القراءات كتحقيق الهمزات فإن قريشا لا تهمز ، وقال ابن عطية : قال ابن عباس ما كنت أدرى معنى (فاطر السموات والأرض) حتى سمعت أعرابيا يقول لبئر ابتدأ حفرها : أنا فطرتها

﴿ القول الثالث ﴾ أن لغات القرآن السبع منحصرة فى مضر على اختلاف قبائلها خاصة لقول عثمان أن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب ، كما ينطق به الحديث فى سنن ابن ماجه وغيره

---

(١) ويرى بعض العلماء أن بعضهم كان يقول مثل هذا تفسيرا فظنه بعض الرواة قرآنا .

﴿ القول الرابع ﴾ وحكاه الباقلانى عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء . منها ما لا تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه ، مثل (ويضيق صدرى) ويضيق (١) ومنها مالا تتغير صورته ويختلف معناه ، مثل (فقالوا ربنا باعد — وباعد — (٢) بين أسفارنا) وقد يكون الاختلاف فى الصورة والمعنى بالحرف ، مثل ننشزها وننشرها (٣) أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل (كالعهن المنفوش — أو — كالصوف المنفوش (٤)) أو باختلاف الكلمة واختلاف المعانى، مثل (وطلح منضود — وطلع منضود (٥)) أو بالتقدم والتأخر: مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق — أو — سكرة الحق بالموت (٦)) أو بالزيادة، مثل (تسع وتسعون نعجة — أنثى (٧) — وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين — فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم)

﴿ القول الخامس ﴾ أن المراد بالأحرف السبعة معانى القرآن ، وهى أمر ، ونهى ووعد ، ووعيد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال ، قال ابن عطية وهذا ضعيف ، لان هذه لاتسمى حروفا وأيضا فالإجماع أن التوسعة لم تقع فى تحليل حلال ، ولا فى تغيير شىء من المعانى ، وقد أورد القاضى الباقلانى فى هذا حديثا ، ثم قال : وليست هذه هى التى أجاز لهم القراءة بها

﴿ فصل ﴾

قال القرطبى : قال كثير من علمائنا كالداوودى وابن أبى صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع ليست هى الأحرف السبعة التى اتسعت الصحابة فى القراءة بها وإنما هى راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف ، ذكره ابن النحاس وغيره ، قال القرطبى وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها . وإنما اختار القراءة المنسوبة اليه لأنه رآها أحسن وأولى عنده ، قال وقد أجمع المسلمون فى هذه الأمصار على الاعتماد على ماصح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات ، وكتبوا فى ذلك مصنفات ، واستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ماوعد الله من حفظه الكتاب . قال البخارى رحمه الله :

﴿ تأليف القرآن ﴾ (٨)

حدثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال وأخبرنى (٩) يوسف بن ماهك قال إنى عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ جاءها عراقى فقال: أى الكفن خير ؟ قالت: ويحك مايضرك ؟ قال يا أم المؤمنين أرينى مصحفك ، قالت لم ؟ قال لعلى أؤلف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل ؟ إنما

(١) ويضيق بالرفع قراءة الجمهور وبالنصب قراءة يعقوب على أنه عطف على « يكذبون » قبله

(٢) باعد بصيغة الطلب والدعاء قراءة الجمهور ، وباعد بالفعل الماضى قراءة يعقوب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (بعد) من التبعيد والكلمة فى المصحف بغير ألف فتحتمل القراءتين المشهورتين

(٣) الأولى بالزاى والثانية بالراء وهما قراءتان سبعيتان

(٤) العهن هو الصوف مطلقاً أو المصبوغ والقراءة به غير متواترة والأرجح فى مثلها أنها تفسير .

(٥) قراءة (طلع) بالعين شاذة لايثبت بها القرآن وتخالف رسم المصحف الإمام (٦) الثانية شاذة فهى كالتى قبلها

(٧) زيادة أنثى شاذة فهى تفسير لبيان الواقع فإن النعجة أنثى الضأن ويقال مثله فى المثالين بعده

(٨) حذف لفظ باب كعادته (٩) فى البخارى « وأخبرنى » قال الحافظ فى الفتح : كذا عندهم (أى رواة البخارى) وما عرفت ماذا عطف عليه ثم رأيت الواو ساقطة فى رواية النسفى وكذا ما وقفت عليه من طرق هذا الحديث اهـ يعنى أنها ذكرت عند سائر الرواة سهواً .

نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء نزل : لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور

والمراد من التأليف ههنا (١) ترتيب سوره ، وهذا العراقي سأل أولا عن أي الكفن خير أو أفضل فأخبرته عائشة رضي الله عنها ان هذا مما لا ينبغي أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فإن في هذا تكلفا لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت في الأسئلة ، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ !! ولهذا لم تبالغ معه عائشة رضي الله عنها في الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم ، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم فانها أطهر وأطيب » وصححه الترمذي من الوجهين ، وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، وهذا محرر في باب الكفن من كتاب الجنائز . ثم سألها عن ترتيب القرآن ، فانتقل إلى سؤال كبير وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف أي مرتب السور ، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الإلزام به والله أعلم ، ولهذا أخبرته إنه لا يضرك بأي سوره بدأت وإن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار وهذه إن لم تكن (اقرأ) فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد (٢) ثم لما انقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولا فأولا ، وهذا من حكمة الله ورحمته ، ومعنى هذا الكلام ان هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف مع أنها من أول ما نزلت ، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم تقرير ذلك ، ولهذا لم ترخص له في ذلك ، بل أخرجت له مصحفها فأملت عليه آي السور والله أعلم ، وقول عائشة لا يضرك بأي سوره بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو أخر (٣) كما دل عليه حديث حذيفة وهو في الصحيح أنه عليه السلام قرأ في قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الرد أنه قال : فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والآيات ، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان رضي الله عنه فانه مرتب على هذا النحو المشهور

والظاهر أن ترتيب السور منه ما هو راجع إلى رأي عثمان رضي الله عنه وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة وذكره الأنفال من الطول ، والحديث في الترمذي وغيره بإسناد جيد قوي (٤)

---

(١) هذا كلام المؤلف ابن كثير في بيان معنى رواية البخاري هذه

(٢) الأولى ان يكون مرادها سورة المدثر فانها أول سورة أنزلت بالأمر بالتبليغ وفيها ذكر الجنة والنار وإنما كان نزل قبلها خمس آيات من سورة العلق لا كلها وليس فيها أمر بالتبليغ

(٣) كذا في الأصل وقد سقط منه جواب لو والمراد أنه لو قدم أو أخر في الصلاة لا يكره

(٤) الصواب ما قدمنا في حاشية أخرى (ص١٨٠) من أنه لا يحتج به ولا سيما في مثل موضوعه وأن ترتيب السور توقيفي في المصحف ولكنه لا يجب في الصلاة

وقد ذكرنا عن على أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله (١) ولهذا حكى القاضى الباقلانى أن أول مصحفه كان (اقرأ باسم ربك الأكرم) وأول مصحف ابن مسعود (مالك يوم الدين) ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف، وأول مصحف أبى (الحمد لله) ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد (٢)

ثم قال القاضى ويحتمل أن ترتيب السور فى المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم وكذا ذكر مكى فى تفسير سورة براءة، قال: فأما ترتيب الآيات والبسملة فى الأوائل فهو من النبى ﷺ. وقال ابن وهب فى طائفة: سمعت سليمان بن بلال يقول سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة؟ فقال قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه، وقد اجمعوا على العلم بذلك فهذا مما ينتهى إليه ولا يسئل عنه، قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى ﷺ قال أبو الحسن بن بطال إنا نجد تأليف سوره فى الرسم والخط خاصة ولا نعلم أن أحداً قال إن ترتيب ذلك واجب فى الصلاة وفى القرآن ودرسه وإنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج بعد الكهف، ألا ترى إلى قول عائشة لا يضرك أيه قرأت قبل؟ وقد كان النبى ﷺ يقرأ فى الصلاة السورة فى ركعة ثم يقرأ فى الركعة الأخرى بغير السورة التى تليها، قال: وأما ماروى عن ابن مسعود وابن عمر انهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا وقالا إنما ذلك منكوس القلب، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتدىء بآخرها إلى أولها فان ذلك حرام محظور (٣)

﴿ثم قال البخارى﴾: ثنا آدم عن شعبة عن أبى إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود يقول فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن من العتاق الأول وهن من تلادى.

انفرد بإخراجه البخارى، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور فى مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية، وقوله من العتاق الأول أى من قديم ما نزل، وقوله وهن من تلادى أى من قديم ما قنيت وحفظت، والتالد فى لغتهم قديم المال والمتاع، والطارف حديثه وجديده، والله أعلم

حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة أنا أبو إسحق سمع البراء بن عازب رضى الله عنه يقول: تعلمت (سبح اسم ربك الأعلى) قبل أن يقدم النبى ﷺ وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة. والمراد منه أن (سبح اسم ربك الأعلى) سورة مكية نزلت قبل الهجرة والله أعلم

﴿ثم قال﴾ ثنا عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش عن شقيق قال: قال عبد الله: لقد علمت النظائر (٤) التى كان النبى ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين فى كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألناه فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون (٥)

---

(١) إن صح هذا وما أراه يصح عنه فالمراد به ترتيب السور بعد تمام كل منها من مكى ومدنى لا الآيات قبل اتمام سورها

(٢) المراد من قوليه فى أول مصحف ابن مسعود وأبى واحد وهو سورة الفاتحة فذكر كل راو آية منها وإلا كان قولا باطلا بدليل الاجماع على أن الفاتحة هى التى ابتدؤا بها جميع المصاحف وهو المراد من اسمها، وأما اختلافهم فى ترتيب السور فى مصاحفهم الشخصية فقد يكون بعض الروايات فيه من الدسائس، وقد يكون سببه أن بعضهم يكمل عنده جمع سورة مما كانت متفرقة فيه من عظام الأكتاف واللخاف وغيرها قبل كمال سورة أخرى يعلم أنها نزلت قبلها فيقدمها كتقديم أبى لآل عمران المدنية بالاجماع على الأنعام المكية بالاجماع

(٣) ومثله قراءة الختمة منكوسة وإنما تقرأ بترتيب المصحف لمن يريد قراءته كله، وفرق بينه وبين قراءة بعضه فى الصلاة أو للوعظ فانه يتخير فيه

(٤) وفى رواية لعلمت. والمراد بالنظائر السور المتشابهة فى معانيها كالحواميم والمفصل

(٥) هذه رواية أبى ذر للصحيح وسقط من غيرها ذكر حم الدخان وعم يتساءلون

هذا تأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضي الله عنه ، فإن المفصل في مصحف عثمان رضي الله عنه من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أوس بن حذيفة قال كنت في الوفد الذين أتوا النبي ﷺ فذكر حديثا فيه أن النبي ﷺ كان يسمر معهم بعد العشاء فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء، قال: قلنا ما أمكثك عنا يا رسول الله ؟ قال « طرأ على حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه » قال فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال قلنا كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم . ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي به وهذا إسناد حسن

﴿ فصل ﴾

فأما نقط المصحف وشكله فيقال إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك ، ويقال إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وذكروا أنه كان لمحمد ابن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر والله أعلم

وأما كتابة الأعشار على الحواشي ، فينسب إلى الحجاج أيضا وقيل بل أول من فعله المأمون ، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وكان يحكه وكره مجاهد ذلك أيضا وقال مالك لا بأس به بالحبر ، فأما بالالوان المصبغة فلا . وأكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الأمهات فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسا(١) وقال قتادة : بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا

وقال يحيى بن كثير أول ما أحدثوا النقط وقال هو نور له ثم أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم ، ورأى إبراهيم النخعي فاتحة سورة كذا فأمر بمحوها وقال : قال ابن مسعود لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه . قال أبو عمرو : الداني : ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها .

﴿ معارضة جبريل النبي ﷺ القرآن(٢) ﴾

ثم قال البخاري رحمه الله : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، قال مسروق عن فاطمة عن عائشة أسر إلي رسول الله ﷺ « إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي » هكذا ذكره معلقا ، وقد أسنده في مواضع أخر ، ثم قال ثنا يحيى بن قزعة ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة . وهذا الحديث متفق عليه وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد والله أعلم

ثم قال ثنا خالد بن يزيد ثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض

---

(١) ومثل هذا قوله بوجوب اتباع رسم الصحابة في المصاحف التي تكتب للتلاوة وإباحة الرسم المستحدث في مصاحف التعليم فقط لتسهيله . وغرضه أن مصاحف التلاوة يجب أن تكون كالمصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة حفظا للأصل . وكلامه هنا يدل على أن التابعين ومن بعدهم أثبتوا عدد الآيات بالارقام في مصاحفهم لأنها لا تقتضي اشتباها في اللفظ ولا في المعنى ، ووضعها في كتب التفسير أولى لأنه يساعد على المراجعة والفهم

(٢) في البخاري : باب كان جبريل الخ فترك المصنف كلمة باب كعادته

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن أبي بكر — وهو ابن عياش — عن أبي حصين واسمه عثمان بن عاصم به ، والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليبقى ما بقي ويذهب ما نسخ توكيدا واستثباتا وحفظا ، ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله

وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضي الله عنه وأرضاه وخص بذلك رمضان من بين الشهور لأن ابتداء الإيحاء كان فيه . ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة في تلاوة القرآن ، كما تقدم ذكرنا لذلك

﴿ القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال لا أزال أحبه سمعت النبي ﷺ يقول « خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب رضي الله عنهم »

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع ومسلم والنسائي من حديث الأعمش عن أبي وائل عن مسروق به . فهولاء أربعة : اثنان من المهاجرين الأولين : عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي ﷺ المدينة ، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وهما سيدان كبيران رضي الله عنهم أجمعين

ثم قال : حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا شقيق بن سلمة قال خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة(٢) والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت رادا يقول غير ذلك .

حدثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل ما هكذا أنزلت ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ(٣) فقال « أحسنت » ووجد منه ريح الخمر فقال أتجترىء أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر ؟ فجلده الحد .

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ؟ ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

وهذا كله حق وصدق(٤) وهو من اخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله ﷺ « استقرئوا القرآن من أربعة » فبدأ به . وقال أبو عبيد ثنا مصعب بن المقدام عن سفيان عن

---

(١) الذي في صحيح البخاري : باب القراء من أصحاب النبي ﷺ

(٢) قال الحافظ في شرحه من الفتح : زاد عاصم عن بدر عن عبد الله . وأخذت بقية المصحف عن أصحابه

(٣) وفي رواية مسلم . والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ ، وفيها فبينا أنا أ كلمه إذ وجدت منه ريح الخمر الخ

(٤) قوله : وهذا الخ من كلام ابن كثير لا البخاري .

الأعمش عن إبراهيم عن عمر عن النبي ﷺ « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية عن الأعمش به مطولا وفيه قصة ، وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به وصححه الدارقطني وقد ذكرته في مسند عمر ، وفي مسند الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » وابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود كان يعرف بذلك .

ثم قال البخاري : ثنا حفص بن عمر ثنا همام ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ قال أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، ورواه مسلم من حديث همام ، ثم قال البخاري تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك حدثنا معلى بن أسد ثنا عبد الله بن المثنى ثنا ثابت وثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال ونحن ورثناه

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضا ولعل مراده لم يجمع القرآن من الأنصار ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد وكلهم مشهورون ، إلا أبا زيد هذا فانه غير معروف إلا في هذا الحديث وقد اختلف في اسمه فقال الواقدي واسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وقال ابن نمير اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس ، وقيل هما اثنان جمعا القرآن حكاه أبو عمر بن عبد البر وهذا بعيد ، وقول الواقدي أصح لأنه خزرجي لأن أنسا قال نحن ورثناه وهم من الخزرج وفي بعض الألفاظ : وكان أحد عمومتي ، وقال قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي ، وقد شهد أبو زيد هذا بدراً فيما ذكره غير واحد ، وقال موسى بن عقبة عن الزهري : قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة .

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله ﷺ في مرضه إماما على المهاجرين والأنصار مع أنه قال « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم . هذا مضمون ماقرره الشيخ أبو الحسن على ابن إسماعيل الأشعري ، وهذا التقرير لا يدفع ولا يشك فيه ، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً ، وقد بسطت تقرير ذلك في مسند الشيخين رضي الله عنهما .

ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنذكره ، وعلي بن أبي طالب يقال إنه جمعه على ترتيب ما أنزل وقد قدمنا هذا .

ومنهم عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال مامن آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم أنزلت ، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لذهبت اليه

ومنهم سالم مولى أبي حذيفة كان من السادات النجباء ، والأئمة الفقهاء ، وقد قتل يوم اليمامة شهيداً .

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول وترجمان القرآن ، قد تقدم عن مجاهد أنه قال عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنها .

ومنهم عبدالله بن عمرو كما رواه النسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن يحيى ابن حكيم بن صفوان ، عن عبد الله بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « اقرأه فى شهر » وذكر تمام الحديث (١) .

(١) الحصر المذكور خطأ قطعاً يجوز من أحد الرواة ولكنهم عنوا بالتماس وجه لصحته تبعاً لصحة سنده وقد استوفى الحافظ ابن حجر فى الفتح ماقاله المحققون من الأجوبة عن قول أنس قال بعد إيراد الاحتمالات مانصه :

وقد أجاب القاضى أبو بكر الباقلانى وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة ﴿ أحدها ﴾ أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه ﴿ ثانيها ﴾ المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التى نزل بها إلا أولئك ﴿ ثالثها ﴾ لم يجمع مانسخ منه بعد تلاوته ومالم ينسخ إلا أولئك وهو قريب من الثانى ﴿ رابعها ﴾ أن المراد بجمعه تلقيه من فى رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة ﴿ خامسها ﴾ أنهم تصدوا لإلقائه وتعلمه فاشتهروا به وخفى حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك أو يكون السبب فى خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره ﴿ سادسها ﴾ المراد بالجمع الكتابة فلا ينفى أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلب ، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب ﴿ سابعها ﴾ المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه فى عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية منه فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ماحضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين ﴿ ثامنها ﴾ أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه .

وقد أخرج أحمد فى الزهد من طريق أبى الزاهد به أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن ابنى جمع القرآن فقال اللهم غفراً إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع ، وفى غالب هذه الاحتمالات تكلف ولاسيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم ، ويحتمل أن يقال إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم ولا يخفى بعده

والذى يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول الله ﷺ فقد تقدم فى المبعث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبى بكر على تلقى القرآن من النبى ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم فى الهجرة إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية ، وقد صح حديث مسلم حديث يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وتقدمت الإشارة إليه وتقدم أنه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم فى مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرأهم وتقدم عن على أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبى ﷺ

وأخرج النسائى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبى ﷺ فقال « اقرأه فى شهر » الحديث وأصله فى الصحيح وتقدم فى الحديث الذى مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين ، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبى ﷺ فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبدالله بن السائب والعبادلة ، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبى ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور فى حديث أنس وعد ابن أبى داود فى كتاب الشريعة من المهاجرين أيضا تميم بن أوس الدارى وعقبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذا الذى يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبى صلى الله عليه وسلم وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعرى ذكره أبو عمرو الدانى وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة اهـ .

ثم قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل ، أنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر : علي أقضانا ، وأبي أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أبي ، وأبي يقول أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء ، قال الله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهذا يدل على ان الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صوابا وهو خطأ في نفس الأمر ولهذا قال الإمام مالك : مامن أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر ، أي فكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها وذكرنا في تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال

﴿ نزول السكينة والملائكة عند القراءة ﴾ (١)

وقال الليث حدثني زيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن يصيبه ، فلما اجتره (٢) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها (٣) فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال « اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير » قال فأشفقت ان تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي وانصرفت اليه فرفعت رأسي إلى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها ، قال « وتدرى ماذاك ؟ » قال لا ، قال « تلك الملائكة دنت لصوتك ، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم » قال ابن الهاد وحدثني هذا الحديث عبدالله بن خباب عن أبي سعيد الخدري عن أسيد بن الحضير (٤)

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلقا وفيه انقطاع في الرواية الأولى فان محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيدا لأنه مات سنة عشرين وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ثم فيه غرابة من حيث إنه قال : وقال الليث حدثني يزيد بن الهاد ، ولم أره بسند متصل عن الليث بذلك إلا ماذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الأطراف أن يحيى بن عبدالله بن بكير رواه عن الليث كذلك

وقد رواه الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن فقال : وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث عن يزيد ابن عبدالله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أسيد بن حضير فذكر الحديث إلى آخره ، ثم قال : قال ابن الهاد وحدثني عبد الله بن خباب عن أبي سعيد عن أسيد بن حضير بهذا

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب بن الليث وعن علي بن محمد بن علي عن داود بن منصور كلاهما عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن عبد الله ــ وهو ابن الهاد ــ عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد عن أسيد به ورواه يحيى بن بكير عن الليث كذلك أيضا فجمع بين الإسنادين ، ورواه في المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطي عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده الحديث ولم يقل عن أسيد ولكن ظاهره أنه عنه والله أعلم

وقال أبو عبيد حدثني عبد الله بن صالح عن الليث عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ على ظهر بيته ، يقرأ القرآن وهو حسن الصوت . ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه

---

(١) في البخاري باب نزول الخ

(٢) أي فلما جر أسيد ابنه يحيى من ذلك المكان وفي رواية أخره

(٣) ذكر الحافظ أن فيه اختصارا أصله كما رواه أبو عبيد . رفع رأسه إلى السماء فاذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها اه وفي صحيح البخاري أشباه لهذا الحذف سببه أن بعض الرواة يختصر الرواية للعلم بما تركه منها فيقتصر البخاري على لفظه وإن لم يفهمه من لم يعرف أصله كاملا وفي بقية هذه الرواية هنا مثل الحذف منها

(٤) جاء في نسخة هذا الكتاب اسم حضير في أول هذا الحديث وآخره معرفا بالألف واللام خلافا لما في صحيح البخاري

وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير قال : قلت يا رسول الله بينا أنا اقرأ البارحة بسورة فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفي حتى ظننت أن فرسي تطلق فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » مرتين قال فالتفت فرأيت إلى أمثال المصابيح ما بين السماء والأرض فقال رسول الله «اقرأ أبا عتيك » فقال والله ما استطعت أن أمضي فقال « تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب »

وقال أبو داود الطيالسي: ثنا شعبة عن أبي إسحق سمع البراء يقول : بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض — أو قال فرسه يركض — فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله فقال « تلك السكينة تنزلت للقرآن — أو تنزلت على القرآن — » وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة

والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله ، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة ، وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس ؟ لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح قال « فلعله قرأ سورة البقرة » قال فسئل ثابت . فقال قرأت سورة البقرة

وفي الحديث المشهور الصحيح « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم عن أبي هريرة ولهذا قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) جاء في بعض التفاسير أن الملائكة تشهده

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج إليه الذين نزلوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

﴿ من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين (١) ﴾

حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد بن معقل أترك النبي ﷺ من شيء ؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال ما ترك إلا ما بين الدفتين

تفرد به البخاري ومعناه أنه عليه السلام ما ترك مالا ولا شيئا يورث عنه كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا

وفي حديث أبي الدرداء « إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر » ولهذا قال ابن عباس وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة أي تابعة له والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية

فالأنبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها وإنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ « ما تركنا فهو صدقة » وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فأخبر عنه بذلك ووافقه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم وهذا ابن عباس يقوله أيضا عنه عليه السلام رضي الله عنهم أجمعين

---

(١) في صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في نظائره . والدفتان بالتشديد اللوحان والمراد ما بين جانبي المصحف

﴿ فضل القرآن على سائر الكلام[1] ﴾

حدثنا هدبة بن خالد أبو خالد ثنا همام ثنا أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها» وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدماً فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر

﴿ثم قال﴾ ثنا مسدد ثنا يحيى عن سفيان حدثني عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء، قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا لا، قال فذاك فضلي أوتيه من شئت»

تفرد به من هذا الوجه ومناسبته للترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم الماضية مع طول مدتها كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وفي المسند والسنن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمنا عليه وناسخاً له وخاتما له، لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجما بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة[2]

وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى من ثم إلى أن بعث محمداً ﷺ ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى المتقدمين قيراطا قيراطا، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفي ما أعطى أولئك فقالوا أي ربنا ما لنا أكثر عملا وأقل أجراً؟ فقال هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا لا قال فذاك فضلي — أي الزائد على ما أعطيتكم أوتيه من أشاء، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

---

(١) في أصل صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في أمثاله وإنما نعيد ذكره لتنبيه الجمهور إلى النقل عن البخاري.

(٢) هذا التعليل لتفضيل القرآن عليها غير ظاهر بل فضله على إذا آية بلفظه وأسلوبه ومعانيه وقد كان بها معجزاً للخلق ومكملا للدين الالهي فهم وغير ذلك من خصائصه. وأهل الكتاب لا يسلمون أن التوراة نزلت على موسى جملة واحدة وإنما تلك الوصايا التي كتبها الله له في الألواح، وأما سائر خطابه له بشأن التبليغ لفرعون ولبني إسرائيل فكان تدريجياً

(الوصاة بكتاب الله[1])

حدثنا محمد بن يوسف ثنا مالك بن مغول ثنا طلحة هو ابن مصرف سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا قال قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال أوصى بكتاب الله عزوجل .

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أباداود من طرق عن مالك بن مغول به ، وهذا نظير ماتقدم عن ابن عباس أنه ماترك إلا مابين الدفتين . وذلك ان الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين) وأما هو ﷺ فلم يترك شيئا يورث عنه ، وأما ترك ماله صدقة جارية من بعده فلم يحتج إلى وصية في ذلك ، ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيص لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيماآته إلى الصديق ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك وقال « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله [2]

(من لم يتغن بالقرآن)[3]

وقول الله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » وقال صاحب له يريد يجهر به فرد من هـذا الوجه ، ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري به قال سفيان : تفسيره يستغنى به

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، ومعناه ان الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك انه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك ، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضى الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم [4] ومنهم من فسر الاذن ههنا بالأمر والأول أولى لقوله « ما أذن الله لشيء ، ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » أي يجهر به والأذن الاستماع لدلالة السياق عليه وكما قال تعالى (إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت مافيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت) أي استمعت لربها وحقت أي وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن ههنا هو الاستماع . ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ « لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »

وقول سفيان بن عيينة إن المراد بالتغني يستغنى به ، فان أراد أنه يستغنى به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذي

---

(١) أي باب الوصاة وفي نسخة من البخاري الوصية

(٢) وأوصى ﷺ أيضا بالنساء وبالرقيق وباخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها دينان

(٣) حذف منه كلمة باب (٤) المراد بالأذن أي السمع في الحديث سماع الرضاء والقبول ومثله في ذكر الاعتدال من الركوع [سمع الله لمن حمده] وفعله من باب تعب وفرح

تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، فخلاف الظاهر من مراد الحديث لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها قال حرملة سمعت ابن عيينة يقول معناه يستغنى به فقال لي الشافعي ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى ، إنما هو يتحزن ويترنم به . قال حرملة وسمعت ابن وهب يقول يترنم به ، وهكذا نقل المزنى والربيع عن الشافعي رحمه الله

وعلى هذا فتصدير البخارى الباب بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فيه نظر لان هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية ، ومعنى ذلك أولم يكفهم آية دالة على صدقك انزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمى ؟ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) أى وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغنى بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر (١)

﴿ فصل ﴾

﴿ فى إيراد أحاديث فى معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات ﴾

قال أبو عبيد حدثنا عبدالله بن صالح عن قباث بن رزين عن على بن رباح اللخمى عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن فى المسجد نتدارس القرآن قال « تعلموا كتاب الله واقتنوه - قال وحسبت أنه قال وتغنوا به - فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفلتا من المخاض من العقل »

وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن على عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال « واقتنوه وتغنوا به » ولم يشك . وهكذا رواه النسائى فى كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن على عن أبيه به ، ومن حديث عبدالله ابن المبارك عن قباث بن رزين عن على بن رباح عن عقبة ، وفى بعض ألفاظه خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث ففيه دلالة على السلام على القارئ

وقال أبو عبيد ثنا أبو اليمان عن أبى بكر بن عبدالله بن أبى مريم عن المهاجر بن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون » وهذا مرسل ، ثم قال أبو عبيد : قوله « تغنوه » أى اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الاقلال معه فقراً : وقوله « وتقنوه » يقول اقتنوه كما تقتنوا الأموال اجعلوه مالكم

وقال أبو عبيد حدثنى هشام بن عمار عن على بن حمزة عن الأوزاعى قال حدثنى إسماعيل بن عبيدالله بن أبى المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبى ﷺ قال « الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبو عبيد هذا الحديث بعضهم يزيد فى إسناده يقول عن إسماعيل بن عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة . وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد بن سعيد بن أبى راشد عن الوليد عن الأوزاعى عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبى ﷺ « لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبو عبيد يعنى الاستماع ، وقوله فى الحديث الآخر « ما أذن الله لشىء » أى ما استمع

وقال أبو القاسم البغوى حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى مليكة حدثنا

---

(١) لتصدير الباب بالآية على التقدير الثانى وجه ظاهر اعتمد عليه شراح البخارى وهو الاستغناء بالقرآن عن غيره باطلاق يدخل فيه كل ما يناسبه ، وذكروا من أسباب نزول الآية ما أخرجه الطبرى من مجىء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوا من أهل الكتاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » فنزلت الآية

القاسم بن محمد حدثني السائب قال : قال لي سعد يا ابن أخي هل قرأت القرآن ؟ قلت نعم ، قال غن به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « غنوا بالقرآن ، ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا »

وقد روى أبوداود من حديث الليث عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبدالله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا » وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه والله أعلم

وقال أبوداود ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبيد الله بن أبي زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فإذا رجل رث البيت رث الهيئة فانتسبنا له فقال : تجار كسبة فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ، قال يحسنه ما استطاع . تفرد به أبوداود ، فقد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم إنما فهموا من التغني بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه كما قاله الأئمة رحمهم الله

ويدل على ذلك أيضا مارواه أبوداود حيث قال ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة عن عبدالرحمن ابن عوسجة عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا إسناد جيد . وقد وثق النسائي وابن حبان عبدالرحمن بن عوسجة هذا . ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمدونه

وقال أبوعبيد القاسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال : نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » قال أبوعبيد وإنما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الألحان المبتدعة ، فلهذا نهاه أن يحدث به ﴿ قلت ﴾ ثم إن شعبة رحمه الله ، روى الحديث متوكلا على الله كما روي له ، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به كما رواه الحافظ الكبير بقي بن مخلد رحمه الله حيث قال : ثنا أحمد بن إبراهيم عن أبي موسى عن أبيه قال : قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة » قلت أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا .

ورواه مسلم من حديث طلحة به . وزاد « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخاري . والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا ، فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام قد أعطي صوتا حسنا كما سأذكره إن شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن ، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية .

قال أبو عبيد وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده

قال أبو عبيد : ثنا سليمان التيمي أو نبئت عنه ثنا أبو عثمان النهدي قال كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته . وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال « أين كنت ؟ » قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت فقام فقمت معه حتى أستمع له ثم التفت إلي فقال « هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا » إسناد جيد .

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ، وفي بعض ألفاظه فلما سمعته قرأ (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) خلت أن فؤادي قد انصدع[1] وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر ، فكان هذا سبب هدايته ، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب كما قال أبو عبيد ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن إبراهيم عن ليث عن طاوس قال : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله . وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله ، وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال سئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن ؟ فقال « الذي إذا سمعته رؤيته يخشى الله »[2] .

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضرير ثنا عبد الله بن جعفر المديني ثنا إبراهيم بن إسماعيل عن مجمع عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « ان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » ولكن عبد الله بن جعفر هذا – وهو والد علي بن المديني – وشيخه ضعيفان والله أعلم والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة

فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والاوضاع الملهية والقانون الموسيقائي فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن حصين بن مالك الفزاري قال سمعت شيخاً يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ « اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » وحدثنا يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن زاذان أبي عمر عن عليم قال : كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد لا أعلمه إلا قال عابس الغفاري فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال ما هؤلاء ؟ قال يفرون من الطاعون فقال : يا طاعون خذني ، فقالوا أتتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يتمنين أحدكم الموت » فقال إني أبادر خصالا سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته ، بيع الحكم والا[3] بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء ، وذكر خلتين آخرتين

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفاري عن النبي ﷺ مثل في ذلك أو نحوه ، وحدثنا يعقوب عن إبراهيم عن الأعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه . وهذه طرق حسنة في باب الترهيب[4]

---

(١) في تفسير سورة الطور من البخاري أنه قال : كاد قلبي أن يطير ، وفيه أنه ذكر ثلاث آيات من السورة أولها هذا

(٢) كذا في الأصل ويوضح معناه الرواية الأخرى بعده

(٣) موضع البياض مقطوع من الأصل

(٤) معنى هذه الروايات صحيح ولكن لا يصح منه شيء منها وحسنها المؤلف بتأييد بعضها لبعض على القاعدة عند المحدثين . والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم المحمودة شرعاً هي ما تكون به القراءة أشد تأثيراً في النفس وخشوعاً في القلب واعتباراً في العقل ، وأن المحظور منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النظم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب ، وما من أحد سمع قراءة المجودين أولى الأصوات الحسنة إلا وشعر بالتأثير العظيم في قلبه بقراءتهم

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التى يسلك بها مذاهب الغناء ، وقد نص الأئمة

= والسبب فى تأويل التغنى بالقرآن وكراهة بعض العلماء له أن الغناء صار شعار أهل اللهو والمسرفين فى الشهوات ، ولذلك حرم المتشددون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقاً مع العلم بأن مزامير نبى الله داود أنزلت لأجل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمه بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى (والطير محشورة كل له أواب) وقد عهد اقبال الطير على سماع الغنين الحسنى الصوت كالبلبل والهزار فى كل عصر بل نقل علماء الحيوان والتجارب أن بعض الحشرات كالنحل ترقص لسماع الصوت الحسن ، وأن بعضهم رأى حية ترقص عند سماع الغناء . وكان داود عليه السلام يسبح الله ويترنم له بزبوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها ، ولا يوجد فى كتب أنبياء بنى إسرائيل شىء من الصلوات والتسبيح للرب والثناء عليه كمزامير داود التى لم يطرأ عليها من التحريف مثل الذى طرأ على غيرها وجاء فى آخرها الأمر بذلك وإننا كثيراً مارأينا بعض أدباء النصارى يرغبون فى سماع القرآن من القراء المجودين ويعترفون بقوة تأثيره فى القلوب ، وفى الصحيح أن المشركين كانوا يؤذون أبا بكر رضى الله عنه ويمنعونه من الصلاة فى المسجد الحرام ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن فى بيته لما رأوا من اقبال الناس ولا سيما النساء والأولاد المدركين عليه وتأثير قراءته فى أنفسهم .

وقد أدرك بعض علماء الافرنج ما كان لتلاوة رسول الله ﷺ للقرآن من التأثير العظيم فى جذب العرب إلى الإسلام واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الأنبياء فى هداية الناس

وإننا لاستيفاء مباحث هذه المسألة التى تتم بها فائدة هذا الكتاب نذكر هنا ما أورده الحافظ ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث من فتح البارى فقد جمع ما قاله جميع العلماء فى تأويل التغنى فى بيتين من نظمه ثم قفى عليهما بخلاصة أقوال أشهر فقهاء المذاهب أما البيتان فهما قوله :

تغن بالقرآن حسن به الصـــــوت حزينا جاهراً رنم
واستغن عن كتب الألى طالباً   غنى يد والنفس ثم الزم

[ثم قال] وسيأتى ما يتعلق بحسن الصوت بالقرآن فى ترجمة مفردة ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيراً فى رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف فى جواز القرآن بالألحان

أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع فى ذلك ، فحكى عبد الوهاب المالكى عن مالك تحريم القراءة بالألحان ، وحكاه أبو الطيب الطبرى والماوردى وابن حمدان الحنبلى عن جماعة من أهل العلم

وحكى ابن بطال وعياض والقرطبى من المالكية والماوردى والبندنيجى والغزالى من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهة واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو المنصوص للشافعى ونقله الطحاوى عن الحنفية ، وقال الفورانى من الشافعية فى الابانة يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم تختل بشىء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووى فى التبيان أجمعوا على تحريمه ، ولفظه أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم قال وأما القراءة بالألحان فقد نص الشافعى فى موضع على كراهته وقال فى موضع آخر لا بأس به ، فقال أصحابه : ليس على اختلاف قولين بل على اختلاف حالين فإن لم يخرج بالألحان عن المنهج القويم جاز وإلا حرم

وحكى الماوردى عن الشافعى أن القراءة بالألحان إذا انتهت إلى إخراج بعض الألفاظ عن مخارجها حرم ، وكذا =

رحمهم الله على النهي عنه ، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً فقد اتفق العلماء على تحريمه والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيد الله بن الأخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ثم قال ولنا ما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نهيك عن سعد ، ورواه عسل بن سفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير

﴿ اغتباط صاحب القرآن(١) ﴾

حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »

انفرد به البخاري من هذا الوجه واتفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزهري

ثم قال البخاري ثنا علي بن إبراهيم ثنا روح ثنا شعبة عن سليمان قال سمعت ذكوان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا حسد إلا في اثنين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل »

ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة وهي حسن الحال فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تغبيطه بذلك ، يقال غبطه يغبطه بالكسر غبطاً إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم ، وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أولا ، وهذا مذموم شرعاً مهلك ، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والاعظام . والحسد الشرعي الممدوح هو تمني حال مثل ذلك الذي هو على حالة سارة ، ولهذا قال عليه السلام « لا حسد إلا في اثنين » فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار والنعمة المتعدية وهي انفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

= حكى ابن حمدان الحنبلي في الرعاية وقال الغزالي والبندنيجي وصاحب الذخيرة من الحنفية : إن لم يفرط في التمطيط الذي يشوش النظم استحب وإلا فلا .

وأغرب الرافعي فحكى عن أمالي السرخسي أنه لا يضر التمطيط مطلقاً وحكاه ابن حمدان رواية عن الحنابلة وهذا شذوذ لا يعرج عليه ، والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث

وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه أن تراعى فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه ، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم ا هـ .

(١) في البخاري زيادة باب كما سبق في أمثاله .

وقد روى نحو هذا من وجه آخر فقال عبد الله بن الإمام أحمد وجدت في كتاب أبي بخط يده : كتب إلي أبو توبة الربيع بن نافع فكان في كتابه حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليم بن موسى عن كثير ابن مرة عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال « لا تنافس بينكم إلا في اثنتين : رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ويتبع ما فيه فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم به ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به » وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد : ثنا عبد الله بن نمير ثنا عبادة بن مسلم وحدثني يونس بن حباب عن سعيد أبي البختري الطائي عن أبي كبشة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، فأما الثلاث التي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم أحد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر - وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه فإنه قال - إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم فيه حقه - قال - فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لي مال عملت بعمل فلان - قال - فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مال لعملت بعمل فلان - قال - هي نيته فوزرهما فيه سواء »

وقال أيضا حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي كبشة الأنماري قال : قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال : قال رسول الله - فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال : قال رسول الله - فهما في الوزر سواء » إسناد صحيح ولله الحمد والمنة .

﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾(1)

حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان رضي الله عنه حتى كان الحجاج ، قال وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله

وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبي عبد الرحمن من غير ذكر سعد بن عبيدة ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه ، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة . وخطأ بندار يحيى بن سعيد في روايته ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن ، وقال رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه بإسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أصح . وفي هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد طول لولا الملالة لذكرناه . وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما ترك ، والله أعلم .

---

(١) في البخاري ﴿ باب خيركم ﴾ الخ .

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكمل في أنفسهم المكملون لغيرهم ، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي ، وهذا خلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) وكما قال تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) في أصح قولي المفسرين في هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضا فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وكما قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله ، وعمل هو في نفسه صالحا وقال قولا صالحا أيضاً فلا أحد أحسن حالا من هذا . وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج. قالوا وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه وآتاه ما طلبه ورامه آمين

قال البخاري حدثنا عمرو بن عون ثنا حماد بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : أتت النبي ﷺ امرأة فقالت انها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال « مالي في النساء من حاجة » فقال رجل زوجنيها ؟ قال « أعطها ثوبا » قال لا أجد قال « أعطها ولو خاتما من حديد » فاعتل له فقال « ما معك من القرآن ؟ » قال كذا وكذا فقال « قد زوجتكها بما معك من القرآن » وهذا الحديث متفق على صحة إخراجه من طرق عديدة ، والغرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن وأمره النبي ﷺ أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك ، وهذا فيه نزاع بين العلماء هل يجوز أن يجعل صداقا ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصا بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه السلام « زوجتكها بما معك من القرآن » أي بسبب ما معك كما قاله أحمد بن حنبل : نكرمك بذلك أو بعوض ما معك ، وهذا أقوى لقوله في صحيح مسلم « فعلمها » وهذا هو الذي أراده البخاري ههنا وتحرير باقي الخلاف مذكور في باب النكاح والاجارات وبالله المستعان

﴿ القراءة عن ظهر قلب ﴾ (١)

إنما أورد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم بن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن وفيه أنه عليه السلام قال للرجل « فما معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا لسور عددها قال « أتقرأهن عن ظهر قلبك ؟ » قال نعم قال « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل والله أعلم . ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه

واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام العلم أبو عبيد رحمه الله في كتابه ﴿ فضائل القرآن ﴾ حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليم بن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ « فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة » وهذا الإسناد فيه ضعف فان معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي وأيا ما كان فهو ضعيف . وقال الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال أديموا النظر في المصحف . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه . وقال حماد أيضا عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى

(١) في البخاري زيادة كلمة باب كنظائره ولا نعيد التنبيه لهذا بعد فقد صار معلوما باطراد

عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأ أو فسر لهم . إسناد صحيح ، وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ . وقال الأعمش عن خيثمة دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال هذا جزئي الذي اقرأ به الليلة .

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه (١) ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال .

وأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن لأن الكتابة لا تدل على الأداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخا يوقفه على ألفاظ القرآن . فأما عند العجز عما يلقن فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة مالا يجوز عند الرفاهية ، فإذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه ، فقد قال الإمام أبو عبيد حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن الأوزاعي أن رجلا صحبهم في سفر قال فحدثنا حديثا ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال « إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل » وحدثنا حفص بن أبي غياث عن الشيباني عن بكير بن الاخنس قال كان يقال إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل .

وقال بعض العلماء المدار في هذه المسألة على الخشوع فان كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل . فان استويا فالقراءة نظراً أولى لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف . قال الشيخ أبو زكريا النواوي رحمه الله في التبيان : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل

﴿ تنبيه ﴾

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر (٢) لأنها قضية عين فيحتمل أن ذلك الرجل كان لايحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقا في حق من يحسن ومن لا يحسن إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب — لأنه أمي لايدري الكتابة — أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده . الثاني ان سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليمكنه تعليمها لزوجته ، وليس المراد هينا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ استذكار القرآن وتعاهده ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف أنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة . إن عاهد عليها أمسكها . وإن أطلقها ذهبت »

هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به . وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلها حفظها وإن أطلق عقالها ذهبت فكذلك صاحب القرآن » أخرجاه ، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به

(١) وتدل أيضا على ما كان من كثرة المصاحف عند الصحابة رضي الله عنهم وهو ما يجهله كثير من الناس

(٢) هذه الشرطية لاوجه لها فموضوع الحديث الحفظ التام لما معه من القرآن بحيث يستطيع قراءته عن ظهر قلب وليس فيه أدنى إشارة إلى تفضيل هذه القراءة على غيرها ولا إلى مقابله . وحفظ القرآن أمر عظيم وله مزايا من أعظمها فائدة تمكن الحافظ من التلاوة في الأوقات والحالات التي لا يتمكن فيها من نظر المصحف أو لا يجده فيها وهي كثيرة

حدثنا محمد بن عرعرة (١) ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي ، واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم »

تابعه بشر هو ابن محمد السختياني عن ابن المبارك عن شعبة وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

وأخرجه النسائي من رواية شعبة وحدثنا عثمان بن جرير عن منصور مثله . وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير ابن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير به ، وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن منصور به ، والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور به فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعا في رواية هؤلاء كلهم وقد رواه النسائي عن قتيبة عن حماد بن زيد عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله موقوفا وهذا غريب ، وفي مسند أبي يعلى « فانما هو نسي » بالتخفيف وتابعه ابن جريج عن عبدة عن شقيق قال سمعت عبدالله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها »

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن براد الأشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به

وقال الامام أحمد ثنا علي بن إسحاق أنا عبد الله بن المبارك أنا موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن عامر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به ، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل »

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه ، فانه قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى ابن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل » وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد كما رواه خالد بن عبد الله ، وقد أخرجه أبوداود عن محمد بن العلاء عن ابن إدريس عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن سعد بن عبادة عن النبي ﷺ بقصة نسيان القرآن ولم يذكر الرجل المبهم ؛ وكذا رواه أبو بكر ابن عياش عن يزيد بن أبي زياد ، وقد رواه شعبة عن زيد ووهم في إسناده ، ورواه وكيع عن أصحابه عن زيد بن عيسى بن فايد عن النبي ﷺ مرسلا ، وقد رواه الإمام أحمد في مسند عبادة بن الصامت فقال : ثنا عبد الصمد ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه منها إلا عدله ، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » وكذا رواه أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد ففيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب مقبول والله أعلم ، لاسيما إن كان له شاهد من وجه آخر كما قال أبو عبيد ثنا حجاج عن ابن جريج قال حدثت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها » قال ابن جريج وحدثت عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « من أكبر ذنوب توافي به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت

---

(١) هذا هو الحديث الثاني في الباب عند البخاري . ولولا وضعنا له في أول السطر لظن الناظر أن أحاديث الباب تبدأ من الحديث الأول [illegible]

مع أحدهم فنسيها » وقد روى أبوداود والترمذي وأبويعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبي داود عن ابن جريج عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » قال الترمذي غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وذاكرت به البخاري فاستغربه

وحكى الوالي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك ﴿ قلت ﴾ وقد رواه محمد بن يزيد الأدمي عن ابن أبي داود عن ابن جريج عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ به فالله أعلم.

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فان الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام « تعاهدوا القرآن » وفي لفظ « استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » التفصي التخلص يقال تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها ، ومنه تفصي النوى من الثمرة إذا تخلص منها أي إن القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال .

وقال أبو عبيد ثنا أبومعاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبد الله — يعني ابن مسعود — إني لأمقت القارئ إن أراه سمينا نسيا للقرآن . وحديث عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز بن أبي داود قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول مامن أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لان الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وان نسيان القرآن من أعظم المصائب . ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوما لايقرأ فيها القرآن كما انه يكره له ان يقرأه في أقل من ثلاثة أيام كما سيأتي هذا حيث يذكره البخاري بعد هذا وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب ولكن ذكر بعد هذا قوله

﴿ القراءة على الدابة ﴾

حدثنا حجاج أنا شعبة أنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح .

وهذا الحديث قد خرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة به ، وهذا أيضا له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفراً وحضراً ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يلته القارئ في الطريق ، وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء انه كان يقرأ في الطريق ، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن في ذلك ، وعن الامام مالك انه كره ذلك كما قال ابن أبي داود حدثني أبوالربيع أنا ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلي من آخر الليل فيخرج إلى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء فقال ما أعلم القراءة تكون في الطريق ، وقال الشعبي تكره قراءة القرآن في ثلاثة مواضع في الحمام وفي الحشوش وفي بيت الرحى وهي تدور ، وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف انها لاتكره وهو مذهب مالك والشافعي وإبراهيم النخعي وغيرهم ، وروى ابن أبي داود عن علي بن أبي طالب انه كره ذلك ونقله ابن المنذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعي .

ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله أن القراءة في الحمام تكره ، وأما القراءة في الحش فكراهتها ظاهرة ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا . وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور فلئلا يعلو غير القرآن عليه والحق يعلو ولا يعلى والله أعلم

﴿ تعلم الصبيان القرآن ﴾

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم قال وقال ابن عباس توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ فقلت له وما المحكم ؟ قال المفصل

انفرد بإخراجه البخاري ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت رسول الله ﷺ وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات كما تقدم ذلك وعمره إذ ذاك عشر سنين

وقد روى البخاري أنه قال توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون وكانوا لا يختنون حتى يحتلم فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعا بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من الكسر والله أعلم

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا وهو ظاهر بل قد يكون مستحبا أو واجبا لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به ، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا وأشد علوقا بالخاطر وأرسخ وأثبت كما هو المعهود من حال الناس .

وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلا للعب ثم توفر همته على القراءة لئلا يلزم أولا بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلا قليلا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه . واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقن خمس آيات خمس آيات رويناه عنه بسند جيد

﴿ نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ؟ ﴾

وقول الله (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)

حدثنا الربيع بن يحيى ثنا زائدة ثنا هشام بن عروة عن عائشة قالت لقد سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ في المسجد فقال « رحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا » انفرد به ، وحدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ثنا عيسى ابن يونس عن هشام وقال « اسقطتهن من سورة كذا وكذا » انفرد به أيضا ، تابعه علي بن مسهر وعبدة عن هشام وقد أسندها البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبدة .

حدثنا أحمد بن أبي رجاء ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال « يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا » ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة[1]

---

(١) استدل الفقهاء بمثل هذا على جواز النسيان على النبي ﷺ ولكن قيدوه إجماعا بما ليس سبيله التبليغ فلا يجوز نسيانه كما لا يجوز كتمانه ونتيجتهما واحدة وإن كان حكمهما في الناس مختلفا من حيث يكون النسيان عن غير تعمد أمراً طبيعياً لا يؤاخذ صاحبه عليه . ولكن الله عصم رسله من نسيان ما أمرهم بتبليغه لئلا تخل به سلامة الرسالة فيه ، والراجح في قوله تعالى (فلا تنسى إلا ما شاء الله) أن الاستثناء فيه منقطع لتأكيد النفي بمعنى أن النسيان للقرآن إياه ممتنع لا يمكن وقوعه منك بمقتضى الطبع كغيرك ولا في أي حال من الأحوال إلا إذا أراد الله

﴿ الحديث الثانى ﴾ حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسى »

ورواه مسلم والنسائى من حديث منصور به وقد تقدم . وفى مسند أبى يعلى إنما هو نسى » بالتخفيف هذا لفظه . وفى هذا الحديث والذى قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص

وفى حديث ابن مسعود أدب فى التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت كذا فان النسيان ليس من فعل العبد ، وقد تصدر عنه أسبابه من التناسى والتغافل والتهاون المفضى إلى ذلك ، فأما النسيان نفسه فليس بفعله ، ولهذا قال بل هو نسى مبنى لما لم يسم فاعله ، وأدب أيضا فى ترك اضافة ذلك إلى الله تعالى وقد أسند النسيان إلى العبد فى قوله تعالى (واذكر ربك إذا نسيت) وهو والله أعلم من باب المجاز الشائع بذكر المسبب وإرادة السبب لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنبا كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فإذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر للشىء بسبب ذكر الله تعالى والله علم

﴿ من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبى ثنا الأعمش حدثنى إبراهيم عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد عن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى ليلة كفتاه »

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد وصاحبا الصحيح والنسائى وابن ماجه من حديث علقمة كلاهما عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى

﴿ الحديث الثانى ﴾ ما رواه من حديث الزهرى عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القارى كلاهما عن عمر قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتى(١)

﴿ الحديث الثالث ﴾ ما رواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة سمع رسول الله ﷺ قارئا يقرأ من الليل فى المسجد فقال « رحمه الله أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا »

وهكذا فى الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمى الجمرة من الوادى ويقول هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

وحده أن ينسيانه شيئا فلا راد لمشيئته . وهذا لا يدل على وقوع هذه المشيئة فهو كقوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم ﷺ فى خطاب قومه المشركين (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا) الآية وفى معناه قول الفراء هو للبركة وليس هنالك شىء استثنى . وقيل المراد بالنسيان المنفى العمل به وهو مجاز مستعمل فصيح والنسيان المذكور فى الحديث موضوعه شىء كان وقع التبليغ به ، والذى أراه أنه كان نسياناً عارضاً بحيث لو قرأ ﷺ السورة بعده لقرأها تامة ، وإلا كانت الرواية مردودة وإن صح سندها عند البخارى فانه كغيره لم يكن يعلم من حال الرواة إلا الظاهر وهو كاف فى قبول روايتهم إلا إذا عارضها مثل هذا المانع ، وهو قد انفرد برواية هذا الحديث كما رأيت . ونسيان القرآن من الكبائر لما ورد فيه

(١) قوله : وذكر الحديث الخ من كلام المؤلف يعنى وذكر البخارى الحديث بطوله

وكره بعض السلف ذلك ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا كما جاء وتقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس عن عثمان أنه قال إذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله ﷺ « اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ولا شك أن هذا أحوط وأولى ، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة في الآخر وعليه عمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق

﴿ الترتيل في القراءة ﴾

وقوله عزوجل (ورتل القرآن ترتيلا) وقوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما يكره أن يهذ كهذ الشعر . (يفرق فيها) يفصل ، قال ابن عباس (فرقناه) فصلناه . حدثنا أبو النعمان ثنا مهدي بن ميمون ثنا واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال غدونا على عبد الله فقال رجل قرأت المفصل البارحة فقال : هذا كهذ الشعر إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرناء اللاتي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم(١)

ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن مهدي بن ميمون عن واصل وهو ابن حيان الأحدب عن أبي وائل شقيق ابن سلمة عن ابن مسعود به

وقال الإمام أحمد ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن زياد بن نعيم عن مسلم بن مخراق عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت أولئك قرأوا ولم يقرأوا : كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه .

﴿ الحديث الثاني ﴾ ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه

وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه ، وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة بل بتأمل وتفكر قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أبو عبيد ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : قرأ علقمة على عبد الله فكأنه عجل فقال عبد الله فداك أبي وأمي ، رتل فإنه زين القرآن . قال وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن . وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن أبي حمزة قال : قلت لابن عباس إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول . وحدثنا حجاج عن شعبة وحماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن في حديث حماد أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة

ثم قال البخاري رحمه الله :

---

(١) ويرسمها بعضهم هنا « حاميم » ويعني بالسورتين [illegible] من المفصل [illegible] كذلك في مصحف ابن مسعود والحديث تقدم

﴿ مد القراءة ﴾

حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم الأزدي ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال كان يمد مداً . وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به حدثنا عمرو بن عاصم ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة النبي ﷺ ؟ فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله (١) ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم

انفرد به البخاري من هذا الوجه . وفي معناه الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد ثنا أحمد بن عثمان عن عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة حرفا حرفا ، وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن يحيى بن إسحق وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملي والترمذي والنسائي كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به وقال الترمذي حسن صحيح

ثم قال أبو عبيد وحدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن جريج وقال الترمذي غريب وليس إسناده بمتصل يعني أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم يسمعه من أم سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم والله تعالى أعلم

﴿ الترجيع ﴾

حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة حدثنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل قال رأيت النبي ﷺ وهو على ناقته أو جمله تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع . وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة وأنه من المتفق عليه ، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح ، وأما الترجيع فهو الترديد في الصوت كما جاء أيضاً في البخاري أنه جعل يقول ااا وكأن ذلك صادر من حركة الدابة تحته فدل على جواز التلاوة عليه وإن افضى إلى ذلك. ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف بل ذلك مغتفر للحاجة كما يصلى على الدابة حيث توجهت به مع امكان تأخير ذلك والصلاة إلى القبلة والله أعلم

﴿ حسن الصوت بالقراءة ﴾

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر حدثنا يحيى الحماني ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود »

وهكذا رواه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكندي عن أبي يحيى الحماني واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن وقال حسن صحيح . وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى وفيه قصة ، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخاري من لم يتغن بالقرآن وذكرت هناك أحكاما أغنى عن إعادتها ههنا والله تعالى أعلم

---

(١) أي لام لفظ الجلالة والمد في أسماء البسملة هو الذي يسميه القراء المد الطبيعي الذي لا يتحقق حرف المد بدونه وحروف المد هي الألف والواو والياء الساكنة

﴿ من أحب أن يسمع القراءة من غيره ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي النبي ﷺ « اقرأ علي القرآن » قلت أقرأ عليك وعليك أنزل ! قال « إني أحب أن أسمعه من غيري »

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش ، وله طرق يطول بسطها ، وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة » فقال أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا . وقال الزهري عن أبي سلمة كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده ، وقال أبو عثمان النهدي كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته .

﴿ قول المقرىء للقارىء حسبك ﴾

حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ علي » فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « نعم » فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال « حسبك الآن » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان ، أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الأعمش به ، ووجه الدلالة ظاهر وكذا الحديث الآخر « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا »

﴿ في كم يقرأ القرآن ﴾

وقول الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه)

حدثنا علي حدثنا سفيان قال : قال لي ابن شبرمة نظرت كم يكفي الرجل من القرآن ؟ فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات ، فقلت لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات . قال سفيان[1] أخبرنا منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد أخبره علقمة عن أبي مسعود فلقيته[2] وهو يطوف بالبيت فذكر النبي ﷺ أن « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبي مسعود وهو صحيح لأن عبد الرحمن سمعه أولا من علقمة ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه وعلى هذا هو ابن المديني وشيخه سفيان بن عيينة وما قاله عبد الله ابن السكوفة فقيه الكوفة في زمانه استنباط حسن

وقد جاء في حديث في السنن « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات » ولكن هذا الحديث أعني حديث أبي مسعود أصح وأشهر وأنص ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر . والله أعلم[3] والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله:

---

(١) هذا لفظ رواية أبي ذر للبخاري وفيها اختصار وسائر الروايات : قال علي حدثنا سفيان الخ

(٢) في نسخة البخاري التي شرح عليها الحافظ والقسطلاني : ولقيته الخ . يعني أن عبد الرحمن كان سمع هذا الحديث من علقمة بن قيس عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فأخبره به

(٣) قال الحافظ في الرد على المؤلف في قوله هذا : ... [illegible] ... أبي مسعود ... [illegible] ... على ابن كثير

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً(1) منذ أتيناه. فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال «القني به» فلقيته بعد فقال «كيف تصوم؟» قال كل يوم قال «كيف تختم؟» قال كل ليلة، قال «صم كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر» قال قلت إني أطيق أكثر من ذلك قال «صم ثلاثة أيام في الجمعة» قلت أطيق أكثر من ذلك قال «أفطر يومين وصم يوماً» قلت أطيق أكثر من ذلك قال «صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع

وقد رواه في الصوم والنسائي أيضاً عن بندار عن غندر عن شعبة عن مغيرة، والنسائي من حديث حصين كلاهما عن مجاهد به

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي هريرة عن أبي سلمة قال وأحسبني سمعت أنا من أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ «اقرأ القرآن في شهر» قلت إني أجد قوة قال «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك» فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع. وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد: ثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن قيس بن صعصعة أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال «في كل خمس عشرة» قال إني أجدني أقوى من ذلك قال «ففي كل جمعة»

وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان رجل من أهل الكوفة قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود يقول كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة. وعن حجاج عن شعبة عن أيوب سمعت أبا قلابة عن أبي المهلب قال كان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان وكان تميم الداري يختمه في كل سبع وحدثنا هشيم عن الأعمش عن إبراهيم قال كان الأسود يختم القرآن في كل ست وكان علقمة يختمه في كل خمس، فلو تركنا وهذا لكان الأمر في ذلك جلياً، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك كما رواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنا حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال «نعم» قال فكان يقرؤه حتى توفي. وهذا إسناد جيد قوي حسن فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لهيعة، إنما يخشى من تدليسه أو سوء حفظه، وقد صرح ههنا بالسماع، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه، وشيخه حبان بن واسع ابن حبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة وهذا على شرط كثير منهم والله أعلم.

---

* والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من حديث أبي مسعود، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة اهـ.

أقول. محمد رشيد رضا صاحب هذه التعليقات يريد البخاري أن آية المزمل ترد على ابن شبرمة في قوله: لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات يعني في الصلاة أو في قيام الليل، وكذا حديث أبي مسعود المرفوع الصريح في الاكتفاء بآيتين وهما آخر سورة البقرة.

(1) وفي رواية ولم يغش من الغشيان. وهو كناية عن عدم مضاجعتها. والكنف: الستر والجانب

وقد رواه أبو عبيد رحمه الله عن ابن بكير عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال يارسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم إن استطعت » قال فكان يقرؤه كذلك حتى توفي

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عبيد ثنا يزيد عن همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « لاتفقه في قراءة في أقل من ثلاث » وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عبيد ثنا يوسف بن الغرق عن الطيب بن سلمان قال حدثتنا عمرة بنت عبدالرحمن أنها سمعت عائشة تقول : كان رسول الله ﷺ لايختم القرآن في أقل من ثلاث . هذا حديث غريب جدا وفيه ضعف فان الطيب بن سلمان هذا بصري ضعفه الدارقطني وليس هو بذاك المشهور والله أعلم .

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث كما هو مذهب أبي عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضا

قال أبو عبيد ثنا يزيد عن هشام بن حسان عن حفصة عن أبي العالية عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، صحيح

وحدثنا يزيد عن سفيان عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة قال عبدالله : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز وحدثنا حجاج عن شعبة عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله مثله ، وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان عن عبد الله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث . إسناد صحيح

﴿ فصل ﴾

وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال أبو عبيد رحمه الله حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خصيفة عن السائب بن يزيد أن رجلا سأل عبدالرحمن ابن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضي الله عنه فقال نعم قال : قلت لأغلبن الليلة على الحجر فقمت فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمني فنظرت فاذا عثمان بن عفان رضي الله عنه فتأخرت عنه فصلى فاذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذاقلت هذه هوادي الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها . وهذا إسناد صحيح ثم قال ثنا هشيم أنا منصور عن ابن سيرين قال : قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه : ان تقتلوه أوتدعوه فقد كان يحيي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن

وقال أيضا حدثنا أبو معاوية عاصم عن ابن سلمان عن ابن سيرين أن تميما الداري قرأ القرآن في ركعة . حدثنا حجاج عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال : قرأت القرآن في ركعة في البيت ، يعني الكعبة .

وحدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة : طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثاني ، ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن . وهذه كلها أسانيد صحيحة .

ومن أغرب ماههنا مارواه أبو عبيد رحمه الله حدثنا سعيد بن عفير عن بكر بن مضر أن سليم بن عتر التجيبي كان يقرأ القرآن في ليلة ثلاث مرات ويجامع ثلاث مرات ، قال فلما مات قالت امرأته رحمك الله إن كنت لترضي ربك وترضي أهلك ، قالوا وكيف ذلك ؟ قالت كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح .

قلت كان سليم بن عتر تابعيا جليلا ثقة نبيلا وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وقاصها ، قال أبو حاتم روى عن أبي الدرداء وعنه ابن زحر ثم قال حدثني محمد بن عون عن أبي صالح كاتب الليث حدثني حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة قال كان سليم بن عتر من خير التابعين — وذكره ابن يونس في تاريخ مصر — وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان

يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ، وعن منصور قال كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان (١) وعن إبراهيم بن سعد قال كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن .

قلت وروى عن منصور بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء وكانوا يؤخرونها قليلا ، وعن الامام الشافعي رحمه الله أنه كان يختم في اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة . وعن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمة .

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات ، وبالليل أربع ختمات وهذا نادر جدا ، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الشيخ أبو زكريا النواوي في كتابه ﴿ التبيان ﴾ (٢) بعد ذكر طرف مما تقدم ، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة . ثم قال البخاري رحمه الله

﴿ البكاء عند قراءة القرآن ﴾

وأورد فيه من رواية الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله — هو ابن مسعود — قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأ علي » قلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « إني أشتهي أن أسمعه من غيري » قال فقرأت النساء حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟) قال لي « كف أو أمسك » فإذا عيناه تذرفان وهذا من المتفق عليه كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله

﴿ من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به ﴾

حدثنا محمد بن كثير أنا سفيان ثنا الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة عن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » وقد روى في مواضع آخرين ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الأعمش به

حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من

---

(١) هذا محمول على أنه كان يقرأ آخر القرآن في هذا الوقت فيتم به ما بدأه في عامة يومه وليلته السابقة ، فمن المعلوم بالضرورة أن ما بين المغرب والعشاء لا يكفي لقراءة ربع ختمة إلا بالهذرمة المنهي عنها لمنافاتها التدبر كما تقدم في موضعه . إلا أن تكون القراءة روحية لا لسانية وللصوفية غرائب يتناقلونها في هذه الكرامات الروحية حتى ذكر الشعراني عن بعضهم قراءة القرآن مئات الألوف وألوف الألوف ، وأكثر ما تيسر لكاتب هذه التعليقات في أيام مراهقته أنه كان يقرأ في بعض أيام رمضان ختمة كاملة والذي تربينا عليه منذ سن التمييز أننا كنا نتدارس القرآن مع كل أهل بيتنا السيد أحمد أبو الكمال عم والدي فنقرأ معه كل يوم من أيام رمضان نصف ختمة كل واحد منا يقرأ ربع حزب بالتجويد المعتدل

(٢) كذا وتقدم في مبحث القراءة في المصحف أنه التبيان

الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئا ، وينظر في القدح فلا يرى شيئا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئا ، ويتمارى في الفوق »

ورواه في موضع آخر ومسلم أيضا والنسائي من طرق عن الزهري عن أبي سلمة به وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة به

حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر — أو خبيث — وريحها مر »

ورواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب كما جاء في الحديث « واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه » يعني القرآن . والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم وقد قال في الرواية الأخرى « يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم وصلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم » ومع هذا أمر بقتالهم لأنهم مراءون في أعمالهم في نفس الأمر وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى .

والمنافق المشبه بالريحانة التي لها ريح ظاهر وطعمها مر هو المرائي بتلاوته كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ثم قال البخاري

﴿ اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ﴾

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل عارم (١) ثنا حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » حدثنا عمرو بن علي بن بحر الفلاس ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سلام بن أبي مطيع عن أبي عمران الجوني عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا » تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد عن أبي عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان . وقال غندر عن شعبة عن أبي عمران قال سمعت جندبا قوله (٢) وقال ابن عون عن أبي عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله ، وجندب أكثر وأصح

وقد رواه في مواضع آخر ومسلم كلاهما عن إسحق بن منصور عن عبد الصمد عن همام عن أبي عمران به ، ومسلم أيضا عن يحيى بن يحيى عن الحارث بن عبيد أبي قدامة عن أبي عمران ورواه مسلم أيضا عن أحمد بن سعيد بن صخر عن حبان ابن هلال عن أبان العطار عن أبي عمران به مرفوعا ، وقد حكى البخاري أن أبانا وحماد بن سلمة لم يرفعاه فالله أعلم ، ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن إبراهيم عن هارون بن موسى الأعور النحوي عن أبي عمران به .

---

(١) كذا في النسخة وفي نسخة ابن حجر والقسطلاني وغيرهما ذكر أبي النعمان بكنيته فقط واسمه محمد بن الفضل السدوسي ويلقب بعارم ولم يكن عارما . وابن كثير كثيرا ما ينقله من صحيح البخاري في هذا الكتاب من مثل هذه الزيادة للإيضاح ويحتمل أن يكون ابنهما رواية منه

(٢) قوله : قوله يعني به حديثا وهم أنه من قوله لا مرفوع إلى النبي ﷺ .

ورواه النسائي أيضا من طرق عن سفيان عن الحجاج بن قرافصة عن أبي عمران به مرفوعا ، وفي رواية عن هارون ابن زيد بن أبي الزرقاء عن أبيه عن سفيان عن حجاج عن أبي عمران عن جندب موقوفا . ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن إسحق بن الأزرق عن عبد الله بن عون عن أبي عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله . قال أبو بكر بن أبي داود لم يخطئ ابن عون في حديث قط إلا في هذا ، والصواب عن جندب . ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالا: ثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران عن جندب مرفوعا .
فهذا ما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار . والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري من الأكثر والأصح أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعنى الحديث أنه عليه السلام أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له لا في حال شغلها وملالها فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه السلام « اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » وقال « أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه صاحبه — وفي اللفظ الآخر — أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »

ثم قال البخاري : ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة عن عبد الله — هو ابن مسعود — أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع من النبي ﷺ خلافها ، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبي ﷺ فقال « كلا كما محسن فاقرآ — أكبر علمي قال — فإن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم الله عز وجل » (١)

وأخرجه النسائي من رواية شعبة به . وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمراء فيه كما تقدم في النهي عن ذلك والله أعلم .

وقريب من هذا ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمي ثنا يحيى بن سعيد الأموي عن الأعمش عن عاصم عن زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود : تمارينا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون آية ، ست وثلاثون آية ، قال فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا عليا يناجيه فقلنا له اختلفنا في القراءة فاحمر وجه رسول الله ﷺ فقال علي : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما علمتم . وهذا (٢) آخر ما أورده البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن ولله الحمد والمنة

﴿ كتاب الجامع لأحاديث شتى ﴾

﴿ تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله ﴾

﴿ فصل ﴾ قال أحمد ثنا معاوية بن هشام ثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال نبي الله ﷺ « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ وارق واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه »

وقال أحمد ثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خلف من بعد الستين سنة ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومنافق وفاجر » قال بشير فقلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به

---

(١) النص في نسخ البخاري « فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم » أي فأهلكهم الله، كما قال القسطلاني أو المعنى فأهلكهم الاختلاف . قال الحافظ في شرحه من الفتح وفي رواية المستملي « فأهلكوا » بضم أوله ولم يذكر ما أورده ابن كثير هنا

(٢) أي هذا الباب الذي وضعنا العنوان الأولى هنا لآخر كلمة منه

وقال أحمد ثنا حجاج ثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي الخطاب عن أبي سعيد أنه قال إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن من خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي ثنا الحسين بن عبد الأعلى ثنا محمد بن الحسن الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وقال رسول الله ﷺ « إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » ثم قال تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الإمام أحمد ثنا أبو عبيدة الحداد حدثني عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة حدثني أبي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله أهلين من الناس » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » .

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ثنا خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن عباد المكي ثنا حاتم بن إسماعيل عن شريك عن الأعمش عن يزيد ابن أبان عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق ثنا عبد الله بن المحرر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء حلية ، وحلية القرآن الصوت الحسن » ابن المحرر ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا بكر بن سوادة عن وفاء الخولاني عن أنس بن مالك قال : بينا نحن نفر فينا العربي والعجمي والأسود والأبيض إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أنتم في خير تقرءون كتاب الله وفيكم رسول الله وسيأتي على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا يوسف بن موسى ثنا عبد الله بن الجهم ثنا عمرو بن أبي قيس عن عبد ربه ابن عبد الله عن عمر بن نبهان عن الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره » .

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا أبو عبيدة حدثني يزيد الرقاشي عن أنس قال قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال فأتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله ألا أعجبك من أبي موسى انه قعد في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال : فقال رسول الله ﷺ « أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد ؟ » قال نعم قال فخرج رسول الله ﷺ فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبي موسى فقال « إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود عليه السلام » هذا حديث غريب ويزيد الرقاشي ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام ثنا جعفر هو ابن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر ابن عبد الله قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ثم رفع صوته واحمرت

وجنتاه ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول « أتتكم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا — وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى — صبحتكم الساعة ومستكم ، من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالىّ وعلىّ » .

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الوهاب — يعنى ابن عطاء — أنا أسامة بن زيد الليثى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا قوم يقرءون القرآن قال « اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عزوجل من قبل أن يأتى قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أحمد أيضاً ثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن حميد الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا العجمى والأعرابى قال فاستمع قال: فقال « اقرءوا فكل حسن وسيأتى قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أبو بكر البزار ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش عن المعلى الكندى عن عبد الله بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده إلى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه — أو كلمة نحوها — زج[1] فى قفاه إلى النار . وحدثنا أبو كريب ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر عن عبد الله عن النبى ﷺ بنحوه .

وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر حدثنى بكير بن يونس عن موسى بن على عن أبيه عن يحيى بن كثير[2] الناجى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ ألف آية كتب له قنطاراً ، والقنطار مائة رطل والرطل اثنا عشرة أوقية والأوقية ستة دنانير والدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط مثل أحد ، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله لملائكته نصب عبدى لى أشهدكم يا ملائكتى إنى قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك »

وقال أحمد ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » قال البزار لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه

وقال الطبرانى ثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنى أبى قال وجدت فى كتاب أبى بخطه عن عمران بن أبى عمران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب يوم القيامة وذلك أن الله عز وجل يقول (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) »

وقال الطبرانى ثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا أبى ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » .

وقال أيضا حدثنا أبو يزيد القراطيسى ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن سليمان عن سعيد أبى سعد البقال عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أحسنوا الأصوات بالقرآن » وروى أيضا بسنده الى الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « أشراف أمتى حملة القرآن » .

وقال الطبرانى ثنا معاذ بن المثنى ثنا ابراهيم بن أبى سويد الذارع ثنا صالح المرى عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله ﷺ فقال أى الأعمال أحب الى الله ؟ فقال « الحال المرتحل » قال يا رسول الله ما الحال المرتحل ؟ قال « صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره وفى آخره حتى يبلغ أوله »

---

(١) الزج والدع : الدفع بعنف (٢) فى تقريب التهذيب أنه يحيى بن أبى كثير

﴿ ذكر الدعاء المأثور لتحفظ القرآن وطرد النسيان ﴾

قال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا هشام بن عمار ثنا محمد بن إبراهيم القرشي حدثني أبو صالح وعكرمة عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب يا رسول الله القرآن يتفلت من صدري فقال النبي ﷺ « أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته ؟ — قال نعم بأبي أنت وأمي قال — صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وحم تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني من أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والاكرام ، والعزة التي لا ترام أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حب كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري ، وتطلق به لساني ، وتفرج به عن قلبي ، وتشرح به صدري ، وتستعمل به بدني ، وتقويني على ذلك وتعينني عليه ، فانه لا يعينني على الخير غيرك ولا موفق له إلا أنت ، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تحفظه باذن الله وما أخطأ مؤمنا قط » فأتى النبي ﷺ بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث فقال النبي ﷺ « مؤمن ورب الكعبة ، علم أبا الحسن علم أبا الحسن » هذا سياق الطبراني .

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات من جامعه : حدثنا أحمد بن الحسن ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال بأبي أنت وأمي تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك ؟ — ، قال أجل يا رسول الله فعلمني قال — إذا كانت ليلة الجمعة فان استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقال أخي يعقوب لبنيه (سوف أستغفر لكم ربي) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم في وسطها فان لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ؛ وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل علي وأحسن وعلى سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان ، ثم قل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام ، والعزة التي لا ترام ، أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ، فانه لا يعينني على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب باذن الله ، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط » قال ابن عباس فوالله ما لبث علي إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله واني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فاذا قرأتهن على نفسي تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فاذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فاذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا . فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك « مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن » ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم . كذا قال وقد تقدم من غير طريقه . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد ثم قال على

شرط الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فالله أعلم فانه من البين غرابته بل نكارته (١) والله أعلم .

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع ثنا العمرى عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «مثل القرآن مثل الابل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وان تركها ذهبت» ورواه أيضا عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد عن عبيد الله العمرى به ، ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بنحوه .

وقال البزار ثنا محمد بن معمر ثنا حميد بن حماد بن أبي الخوار ثنا مسعر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: سئل رسول الله أى الناس أحسن قراءة ؟ قال « من اذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله عز وجل »

قال الامام احمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنى أقرأ القرآن فلا أجد قلبى يعقل عليه فقال رسول الله ﷺ « ان قلبك حشى الايمان وان العبد يعطى الايمان قبل القرآن » وبهذا الاسناد أن رجلا جاء بابن له فقال يارسول الله ان ابنى يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل فقال رسول الله ﷺ « ماتنقم ؟ ان ابنك يظل ذاكرا ويبيت سالما » .

وقال أحمد ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن حيى عن أبى عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه — قال — فيشفعان »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « أكثر منافقى أمتى قراؤها »

وقال أحمد ثنا وكيع حدثنى همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبـد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه » ورواه أيضا عن غندر عن شعبة عن قتادة به وقال الترمذى حسن صحيح

وقال أبو القاسم الطبرانى ثنا محمد بن اسحاق بن راهويه ثنا أبى ثنا عيسى بن يونس ويحيى بن أبى حجاج التميمى عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال «من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه . ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله ، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو يحتد فيمن يحتد ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن » .

وقال الامام أحمد ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة »

وقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق ثنا يحيى بن المتوكل ثنا عنبسة بن مهران عن الزهرى عن شعبة وأبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « مراء فى القرآن كفر » ثم قال عنبسة هذا ليس بالقوى وعنده فيه إسناد آخر .

وقال الحافظ أبو يعلى ثنا أبو بكر بن أبى أدريس ثنا المقبرى عن جده عن أبى هريرة قال :قال رسول الله ﷺ قال « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه »

(١) بل أسلوبه أسلوب الموضوعات لا أسلوب أفصح البشر محمد ﷺ وعلى رضى الله عنه ولا أسلوب عصرهما .

وقال الطبراني ثنا موسى بن حازم الاصبهاني ثنا محمد بن بكير الحضرمي ثنا اسماعيل ابن عياش عن يحيى بن الحارث الذماري عن القاسم أبي عبد الرحمن عن فضالة بن عبيد وتميم الداري عن النبي ﷺ قال « من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فاذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه يقول ربك اقبض فيقول العبد بيده يارب أنت أعلم فيقول بهذه الخلد وبهذه النعيم » آخر فضائل القرآن وبه تم التفسير .

للحافظ العلامة الرحلة المجتهد مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين اسماعيل الشهير

بابن كثير كثر الله فوائده ، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن

معمر المقرىء البغدادي عفا الله عنه ونفعه بالعلم ووفقه للعمل

به آمين ، وحرس الله مجد مالكه آمين — بتاريخ

يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين

وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه

على مشرفها ، والحمد لله أولا وآخرا وباطنا

وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد

النبي الأمي وعلى آله وصحبه

وسلم تسليما كثيرا

﴿ تم طبع الكتاب والحمد لله ﴾